

قصة  
الاكتشاف الجغرافي  
كيف أصبح العالم معروفاً؟

تأليف: جوزيف جاكوبز  
ترجمة وتحقيق: حسين حمد حسين الفقيه



قندیل | Qindeel

قصة  
الاكتشاف الجغرافي  
كيف أصبح العالم معروفاً؟





**The story of the geographical statements  
How did the world become known?**

**Joseph Jacobs**

**قصة الاكتشاف الجغرافي  
كيف أصبح العالم معروفاً؟**

**ترجمة وتحقيق: حسين حمد حسين الفقيه**

© 2018 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء  
أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك،  
إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « المجلس الوطني للإعلام » في دولة الإمارات العربية المتحدة  
رقم: 01-0318293-02-MC تاريخ 2017/12/24

ISBN: 978 - 9948 - 39 - 036 - 7



قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2018

الطبعة الأولى: آذار / مارس 2018 م - 1439 هـ

## المحتويات

---

9	.....مُقدِّمة المؤلف
15	.....مُقدِّمة المترجم
19	.....مدخل
	<b>الفصل الأول</b>
21	.....العالم كما عرفه الأقدمون
	<b>الفصل الثاني</b>
49	.....انتشار الفتح في العالم القديم
	<b>الفصل الثالث</b>
67	.....الجغرافيا في العصور المظلمة
	<b>الفصل الرابع</b>
97	.....رحلات العصور الوسطى
	<b>الفصل الخامس</b>
119	.....الطرق والتجارة
	<b>الفصل السادس</b>
143	.....إلى جزر الهند شرقاً... الأمير هنري وفاسكو دا جاما

**الفصل السابع**

إلى جزر الهند غرباً... الطريق الإسبانية - كولومبوس وماجلان ..... 169

**الفصل الثامن**

إلى جزر الهند شمالاً... الطرق الإنجليزية، الفرنسية، الهولندية والروسية ..... 199

**الفصل التاسع**

تقسيم أمريكا ..... 221

**الفصل العاشر**

أستراليا وجنوب البحار... «تاسمان» و«القبطان كوك» ..... 249

**الفصل الحادي عشر**

استكشاف وتقسيم أفريقيا: بارك - ليفنغستون - ستانلي ..... 277

**الفصل الثاني عشر**

القطبان: فرانكلين - روس؛ نوردنسكيولد - نانسن ..... 307

الفهارس ..... 335

قائمة الخرائط والرسوم التوضيحية ..... 359

حوليات الاستكشاف ..... 363

المصادر والمراجع ..... 383

المؤلف ..... 387

المترجم ..... 389

## مُقدِّمة المؤلف

### قصة الاكتشاف الجغرافي

كيف اكتُشف العالم؟ بمعنى آخر: كيف اكتسبت مجموعةٌ محددة من البشر - عاشت حول البحر الأبيض المتوسط - فنَّ تسجيل ما تعلَّمه كلُّ جيل، وأصبحت على علم تامٍّ بأجزاء أخرى من العالم؟! فكلُّ جزءٍ من الأرض - حسب ما نعرف - كان مأهولاً بالإنسان، خلال الخمسة آلاف أو الستة آلاف سنة، فيما كان الأوروبيون يُسجلون معارفهم لكلِّ زمن عن ساكني كلِّ جزء. وبطبيعة الحال، كان سكَّان كلِّ جزءٍ يعرفون هذا الجزء الخاص بهم، فقد عرف «الكامتشاتكيون» (كامتشاتكا Kamtschatka)، وعرف «الجرينلانديون» (جرينلاند Greenland)، والقبائل المختلفة لهنود شمال أمريكا، عرفوا - على أية حال - جزءاً من الجانب الآخر لأمريكا، والذي تجوَّلوا فيه قبل «كولومبوس» بفترة طويلة، أو كما نقول: لقد اكتشفوه مسبقاً.

وفي معظم الأحيان، فإنَّ هؤلاء «المتوحشين» لم يكونوا يعرفون بلادهم الخاصة بهم فقط؛ بل كانوا يستطيعون أن يعبروا عن معرفتهم بالخرائط بدقة رائعة جداً، فالمستكشف «كورتيس» Cortes عبَّر أكثر من ألف ميلٍ وسط أمريكا، مستدلاً فقط بخريطة «كاليكو» Calico



(مرسومة على قماشٍ قطنيّ) أخذها من زعيم مكسيكي محليّ «أسكيمو» يُدعى «كالليهييري» Kalliherey، قام - بمعرفته الخاصة - برسم الساحل الواقع بين «قناة سميث» Smith Channel والرأس «كيب يورك» Cape York. وثمة خريطةٌ منها تختلف في تفاصيلها الدقيقة فقط مع مخطط إمارة البحر، وقد قام مواطنٌ تاهيتي يُدعى «توبايا» Tupaia برسم خريطةٍ للمحيط الهادئ للكابتن «كوك» Cook، وتمتدّ على مسافة خمسٍ وأربعين درجةً من خطّ الطول (ما يقرب من 3000 ميل)، حيث أعطت الحجم النسبيّ لموقع الجزر الرئيسة على تلك المنطقة الضخمة للمحيط. كما أنّ كلّ الاكتشافات الجغرافية تقريباً، من قبل الأوروبيين - وبأسلوبٍ مشابه - قد أنجزت بواسطة أدلاء يعرفون المواطن الذي أراد بالضرورة الأوروبيون «اكتشافه».

لذا، فالذي نعنيه بتاريخ الاكتشاف الجغرافي، إنما هو التقدّم التدريجي في معرفة حضارات الأمم التي كانت تحيط بالبحر الأبيض المتوسط، في تلك المساحات الشاسعة من الأراضي التي تمتدّ في كلّ الاتجاهات. وبشكلٍ رئيس، ثمة قسمان من تاريخ هذا الاستكشاف: اكتشاف العالم القديم، وكذلك الحديث، متضمّناً أستراليا، ما دون الفترة المتأخرة، ومع ذلك فنحن نقول عن الاكتشاف الجغرافي إنه في الحقيقة: «الكشف عن قبائل جديدة من البشر»؛ وفي الآونة الأخيرة فقط، سعى الرجال إلى معرفة الأراضي الأخرى، بصرف النظر عن البشر الذين يقطنون فيها. قد يقول أحدهم: إنّ تاريخ الاكتشاف الجغرافي - على نحوٍ صحيح - قد بدأ مع القبطان «كوك»، وإنّ الدافع لتلك الرحلات كان فضولاً علمياً بحتاً، ولكن، قبل ذلك، أراد البشر - في حينه - أن يعرف أحدهم الآخر، لسببين أساسيين هما: أنهم أرادوا الغزو، أو أنهم أرادوا التجارة، أو ربما نستطيع أن نختصر الدوافع في سببٍ واحد، وهو: أنّهم أرادوا الغزو،

لأنهم أرادوا المتاجرة. وفي يومنا الحاضر، نرى خليطاً من ثلاثة دوافع جديدة بالملاحظة، نتج عنها التقييم الأوروبي لأفريقيا، ولعلّ الحدث الأجدر بالملاحظة كان في القرن التاسع عشر، وهو أن «سيبك» Speke و«بورتون» Burton و«ليفينغستون» Livingstone و«ستانلي» Stanley، قد قاموا بتحرّي الداخل، لحبّهم للمغامرة والمعرفة، وعندئذٍ جاءت الشركات التجارية المؤجرة الكبيرة، وأخيراً جاءت الحكومات التي أعلنت للعالم المتحضّر مسؤوليتها عن هذه الأراضي. وخلال أربعين عاماً، كانت خريطة أفريقيا، بشكل عملي، عبارة عن فراغ من الداخل، وعندئذٍ سيظهر ما كان معروفاً في العام 1680م، أكثر ممّا كان معروفاً في العام 1850م، فقد امتلأت بالكامل تقريباً بالبحوث العلمية، بسبب دوافع الغزو، أو التجارة، أو الفضول العلمي.

في مراحلها السابقة - آنذاك - كان تاريخ الاكتشاف الجغرافي، بشكل رئيس تاريخاً للغزو، فما الذي يجب علينا أن نفعله لنغطّي تاريخاً مختصراً للعالم القديم؟ ومن وجهة نظر أخرى، إلى أيّ مدى أصبح العالم معروفاً. قد تتساءل: «أصبح معروفاً لمن؟». ونحن ينبغي أن نقرّر ذلك السؤال أولاً، إذا استطعنا بالطبع أن نأخذ أقدم عمل جغرافي معروف لدينا، وهو «السفر العاشر للتكوين»، ونحلّ مسألة كيف أصبح باقي العالم معروفاً لليهود، عندما أصبحوا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، ولكن في التاريخ «كلّ الطرق تؤدّي إلى روما»، أو بعيداً عنها، فمن المفيد لكلّ غرض أن نأخذ روما كنقطة مركزية لنا، إلا أنّ روما جاءت كوريث فقط للإمبراطوريات السابقة التي نشرت معرفة الأرض والإنسان، طوال فترات الغزو، قبل أن تصبح روما ذات أهمية؛ وحتى الرومان - عندما كانوا سادة هذا الميراث الواسع - لم يكونوا هم أنفسهم يملكون القدرة على تسجيل المعرفة الجغرافية، وهكذا فقد أحرزت هذه المعرفة لرجلٍ

يوناني يُدعى «بطليموس» Ptolemy، وهو أستاذ في جامعة الإسكندرية العظيمة، ونحن ندين بمعرفتنا لهذا العلامة القديم بما عرفه عن الأرض، وسوف يكون من الملائم أن نثبت هذا أولاً، وبعد ذلك نقوم، بشكل سريع، بتخطيط سير الأحداث التاريخية التي قادت إلى المعرفة التي سجّلها «بطليموس».

في العصور الوسطى، جرى فقدان معظم هذه المعرفة، ككل الأشياء الأخرى، ويجب علينا أن نسجل كم من المعرفة قد استبدلت الخيال بالنظرية. العرب كانوا هم الورثة الحقيقيين للعلم اليوناني، خلال تلك الفترة، والإضافات القليلة للمعرفة الجغرافية الحقيقية، في ذلك الزمن، كانت بفضلهم، باستثناء ما جلبه مندوبون تجاريون ورعاة وحجاج من معرفة أكثر عمقاً عن آسيا إلى الغرب.

يشكّل اكتشاف أمريكا بداية فترة جديدة، سواء في التاريخ الحديث أم الجغرافيا الحديثة، في السنوات الأربعمئة التي انقضت منذ ذلك الحين، فضعف الكرة الأرضية المأهولة بالسكان قد أصبح معروفاً لدى الرجل المتحضّر، قبل الأربعة آلاف سنة السابقة بكثير، والنتيجة أنّه - باستثناء بضع رقع من أفريقيا وأمريكا الجنوبية وحول القطبين، عرف الإنسان تقريباً ما هي المصادر الطبيعية للعالم الذي يسكنه؛ وباستثناء تفاصيل بسيطة، يكون تاريخ الاكتشاف الجغرافي قد أُنجز بشكل عملي، في نهاية المطاف.

إضافة إلى أهميته، كسجل للحرب والمغامرة، كون هذا التاريخ يعطينا المراحل المتعاقبة، بواسطة الرجال المعاصرين الذين جعلوها على ما هي عليه اليوم، فإنّ للبلدان والشعوب الأطول معرفةً، في مجملها،

أعمق التأثير في تشكيل الشخصية المتحضرة، ولن تكون الأداة العملية لهذه الدراسة أقل أهمية في تحديد الطريقة التي تمّ فيها اكتشاف العالم؛ والتي ستقرّر الآن أيام تاريخ العالم. المشاكل الكبرى للقرن العشرين ستكون لها العلاقة المباشرة باكتشاف أمريكا، وأفريقيا، وأستراليا، في كلّ هذه المشاكل، وسوف يكون لدى الرجال الإنجليز الكثير ليقولوه ويفعلوه، وبناءً عليه، سيكون تاريخ الاكتشاف الجغرافي، بشكل كبير ومباشر، من اهتمامات الرجال الإنجليز.

**[Authorities: Cooley, History of Maritime and Inland Discoveries, 3 vols., 1831; Vivien de Saint Martin, Histoire de la Géographie, 1873].**

## مُقدِّمة المُترجم

الحمد لله الذي وفّقنا في ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وقد حرصنا في ترجمته على التقيّد بكلّ الأمانة العلمية، فلم نحذف منه أيّ كلمةٍ أو نزيد عليه، إلا ما غفلنا عنه بصفتنا بشراً مُعرّضين للسُّهو والغفلة، أو ما قمنا بتعديله في الهامش، فله الحمد أولاً وآخرًا.

يتضمّن هذا الكتاب تاريخ حركات الاكتشاف الجغرافيّ، وتتمثّل في حركات الكشف البحرية، وحركات الكشف البرّية، وعنوانه «قصة الاكتشاف الجغرافيّ»، من تأليف الأستاذ «جوزيف جاكوبز». ولقد حاول المؤلف - كما يذكر في مقدّمته - أن يختصر في هذا الكتاب تاريخ الكشوفات العالمية بوضع صفحات، وهذا ما جعل الكتاب مميزاً، وما حفّز لدينا الرغبة والتصميم على ترجمته من اللغة الإنجليزيّة، لتزويد المكتبة العربيّة الثقافيّة بهذا الكتاب القيّم. موضوع الكتاب يخصّ التاريخ الحديث والجغرافيا، بالإضافة إلى بعض الدراسات البسيطة عن بعض ثقافات الشعوب، أمّا محتوى الكتاب فتّم ضمّه في اثني عشر فصلاً، إلى جانب الملحق الذي يتضمّن حويلات الاستكشاف. هذه الفصول تناولت حركة الاكتشاف من أقدم العصور، وصولاً إلى العصر الحديث، مع الإشارة إلى ورود

بعض الأخطاء بالكلمات في الكتاب، قمنا بتصحيحها، لكن ما لا شك فيه هو أن هذا الكتاب يُمثل وجهة نظر مؤلفه.

قبل اكتشافه، كان الغموض التام يلف العالم الآخر، وكانت أجزاء كبيرة من الكرة الأرضية غير معروفة، وقد اشتملت على الأجزاء البحرية، والأجزاء البرية، وإن يكن الإنسان قد وصل اليوم في اكتشافاته إلى أبعد الأماكن في الفضاء الخارجي - وهذا ليس موضوعنا، ولكن للدلالة فقط - فإن الفضل في اكتشاف تلك الأجزاء غير المعروفة من الأرض، يرجع إلى الأمم الأوروبية، ويجدر بنا القول: إن تلك الاكتشافات كانت منظّمة وخاضعة للنظرية العلمية. وفي أي حال، لن تأخذنا تلك الحيرة التي أخذت السيد «جاكوبز»، ونعني بها تلك التساؤلات التي طرحها في كتابه، عن الدوافع التي كانت وراء حركة الاكتشاف الجغرافي، فهو يرجّح أن تلك الدوافع كانت تتراوح ما بين طلب الغزو والاستيلاء على الأراضي، وطلب التجارة مع الأمم الأخرى، قبل أن يقرن الأسباب معاً، غير أن لنا نحن نظرتنا الخاصة: فمن خلال تتبّع حركة الكشوف الجغرافية، يتضح لنا أن الدافع القوي والحقيقي كان هو ذلك المعدن الأصفر الذي يسمّى «الذهب». فمن سياق المعلومات الواردة في الكتاب، نرى أن المستكشفين سعوا بشكل رئيس إلى جلب الثروات من العالم المكتشف، من أجل إثراء بلادهم، ولكن دون أن يغيب عن الأذهان بعض الدوافع التي كان وراءها العلم والبحث العلمي الطموح.

أما في ما يخصّ الشعوب والحضارات التي تمّ اكتشافها، فيجدر بنا أن نتحدّث عن مصيرها بعد هذه الاكتشافات، إذ تعرّضت هذه

الشعوب إلى الاستيلاء على أراضيها التي كانت تعيش فيها بسلام ورخاء وهناء، وتمّ نهب ثرواتها بشكل أهوج وظالم، وطُمست معالمها الحضارية وهويتها الثقافية منذ قدوم الحضارة الأوروبية إليها، وأصبح هؤلاء الشعوب الأصليّون مجرد غرباء وأقليات على أرض موطنهم.

في كلّ الأحوال، لسنا هنا بصدد تكرار المواضيع التي وردت في الكتاب، بل نترك للقارئ أن يكتشفها ويستخلص النتائج بتفكيره الخاص، ونتمنى من الله أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن تكون ترجمتنا قد وفّقت في تقديم هذا الكتاب بصورةٍ مقاربة للنسخة الإنجليزية.

**حسين حمد حسين الفقيه**

## مدخل

في محاولةٍ للحصول على أقلّ ما يكون من تاريخ العالم - من وجهة نظرٍ خاصة - في مؤلّفٍ مكوّن من مائتين واثنين وعشرين صفحة، أبدو كآتي قد تناولتُ ثلاث قِصماتٍ من حبةٍ كرز كبيرة جداً، في الملحق الذي قدّمته بترتيبٍ زمنيّ - وللمرة الأولى على الجدول الإنجليزي - فالرحلات والاستكشافات الرئيسة التي زادت من معرفتنا للعالم، والأعمال الرئيسة التي سُجّلت في تلك المعرفة، حاولتُ في جسم هذا العمل جمع حقائقها معاً، في جوانبها الأكثر عموميةً، وبشكلٍ خاصٍ جمعت قصة دوران الرحلة العظيمة خلال الفترة 1492 - 1521م، حول البحث عن جزر التوابل، كحافزٍ رئيس، وهي على الأرجح كانت اقتفاءً لأثر الكشف البرتغالية والإسبانية، وحاجةً لدغدغة أذواق الأوروبيين المتكشفين في القرون الوسطى، والذين كانوا يعيشون على اللحم المقدّد شتاءً، والسّمك المدخّن أثناء الصوم الكبير، وقد أكون أفرطت في بسط المسألة، ولكن لا بدّ من الأمر - للأهمية الأساسية - من ربط ذلك بتوابل الشرق في المراحل السابقة؛ ليأتي بعد ذلك البحث عن بلاد «الإيلدورادو» Eldorado، يليه اندفاع رجال الشمال إلى «يوكون» Yukon، جنوباً إلى الرأس، في اتجاه الجنوب الشرقي إلى «ويسترااليا» Westralia.



إضافة إلى المعالجة العامّة في النص، والتفاصيل الخاصة في الملحق، حاولتُ رواية القصة مرةً أخرى في سلسلةٍ من الخرائط، مُظهرًا الزيادة التدريجية في معرفة رجال الكشف الجغرافي بالكرة الأرضية، وكاد الأمر أن يكون مستحيلًا: أن يُضَمَّنَ كلُّ ذلك في كتابٍ بهذا الحجم، لكنّ تعاطف شركات نشر عدّة منحني الفرصة لإعادة الإنتاج، إذ خفّضتُ مقياس رسم الخرائط التي أُعدّت لأغراضٍ خاصة عندي، ويعينني في هذه اللحظة أن أشكر السادة «ماكميلان» Macmillan لتعاملهم مع الكشوفات البرتغالية التي اشتقت من العمل الممتاز الصغير للسيد «باين» Payne على المستعمرات الأوروبية، وكلاً من السادة «هاوتون ميلفن» وشركائه في بوسطن للتوضيحات العديدة لاكتشاف أمريكا، والسيد «جي فيسك» J. Fiske's ومؤلفه «تاريخ مدرسة الولايات المتحدة»، والسادة «فيليبس» للأسلحة و«ديل كانو» Del Cano، وكذلك لتوضيح دافع التوابل الذي كان السبب في الطواف البحريّ الأوّل للكرة الأرضية.

كذلك يسرّني أن أشكر مسؤولي المجتمع الجغرافي الملكي، وخصوصاً السيد «سكوت كيلتي» Scott Keltie، والدكتور «ميل» H. R. Mill للاستعداد الذي أبدياه بوضع مكتبة المصادر الرائعة وغرفة الخرائط تحت تصرّفي، في مكتبة المؤسسة الوطنية، وتعاطفهما معي بالإجابة عن كلّ أسئلتني واستفساراتي، وبما أشارا به عليّ من مصادر جديدة للمعلومات.

**جوزيف جاكوبز**

## الفصل الأول

# العالم كما عرفه الأقدمون



قبل أن نقول كيف وصل القدماء لمعرفة ذلك الجزء من العالم الذي أحاطوه بمعرفتهم في نهاية الأمر - عندما كانت الإمبراطورية الرومانية في أوج امتدادها - وكذلك الحصول على فكرة عن المراحل المتعاقبة لمعرفتهم، فسوف نترك للفصل القادم قصة كيف تم الحصول على هذه المعرفة، وكما هي الحال في معظم فروع المعرفة المنظمة، فنحن مدينون للإغريق بتعرفنا على وجهات النظر القديمة لهذا الموضوع، ولربما يكونون قد تعلموا في المراحل المبكرة شيئاً من الفينيقيين، الذين كانوا في العصور القديمة تجاراً وملاحين عظماء، والذين أبحروا بمحاذاة الساحل على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وغامروا عبر مضيق جبل طارق، وتاجروا مع الجزر البريطانية، التي قاموا بزيارتها لأجل الحصول على القصدير الموجود في (كورنوال Cornwall)<sup>(1)</sup>، حتى قيل أن أحد قادة البحرية الخاصة في قيادة الملك المصري (نېخو Necho)<sup>(2)</sup> قد أبحر بمحاذاة ساحل أفريقيا، وحسب تقارير (هيرودوتس Herodotus)<sup>(3)</sup> فإنه في الرحلة إلى الوطن فإن الشمس تغرب في البحر على اليد اليمنى، لكن الفينيقيين احتفظوا بمعرفتهم الجغرافية لأنفسهم كسر من أسرار تجارتهم، وقليلاً من هذه الأسرار تعلمها الإغريق منهم.

اللمحة الأولى التي لدينا عن المفاهيم والأفكار التي امتلكها الإغريق، الشكل وسكان الأرض، توفرت في القصائد الشعرية التي مرت تحت اسم (هومر HOMER)<sup>(4)</sup>، حيث تُظهر هذه القصائد معرفة وثيقة بشمال اليونان والسواحل الغربية من آسيا الصغرى، وبعض المعرفة عن مصر وقبرص،

وصقلية، ولكن، كل ماتبقى، حتى شرق البحر الأبيض المتوسط، ليس سوى تخيل غامض من قبل مؤلفه، حيث لم يكن يعرف أنه يتخيل، وكان لبعض تخيلاته تأثير مهم على تقدم المعرفة الجغرافية، وبالتالي فهو تخيل العالم على شكل صدفة مستوية، مع نهرٍ عريضٍ جداً يُحيطُ بها، وهو ما عُرِفَ بالمحيط، ومركز هذه الصدفة كان في (دلفي Delphi)<sup>(5)</sup>، الذي اعتبر (سُرّة) العالم المسكون أي (وسط العالم)، ووفقاً لرواية (هسيود Hesiod)<sup>(6)</sup> - الذي جاء في وقتٍ متأخرٍ قليلاً عن هوميروس - استقر في أقصى الشمال شعب عُرِفَ باسم (هايبوريني Hyperborean)<sup>(7)</sup>، أو أولئك الذين سكنوا خلف رياح الشمال، بينما الجهة المقابلة في الجنوب قد سُكِنَتْ من قبل الأحباش، كل هذه المفاهيم الأربعة، كان لها تأثير هام على وجهات النظر التي لدى أولئك الرجال عن العالم حتى وقتٍ قريبٍ نسبياً، وبما أن هوميروس قد ذكر وجود شعب من الأقزام يعيشون في أفريقيا، فإن هذه المعلومات اعتبرت كخرافة، حتى تَمَّت إعادة اكتشافهم ثانية من قبل الدكتور (شفافنورث Schweinfurth)<sup>(8)</sup> والسيد (ستانلي Stanley)<sup>(9)</sup> في عصرنا الحالي.

ومن المحتمل أن يكون اليونانيون، قد حصلوا على فكرة إحاطة المحيط بالأرض، من البابليين، فإن سكان بلاد ما بين النهرين يجدون أنفسهم يصلون إلى المحيط في الغالب في أي اتجاه سافروا فيه، إما من بحر قزوين، أو البحر الأسود، أو البحر الأبيض المتوسط، أو الخليج العربي، وفقاً لذلك؛ فإن أقدم خريطة للعالم تم العثور عليها، هي أحد المرفقات بالنقوش المسمارية، وهي تمثل سهل بلاد ما بين النهرين مع الفرات المتدفق من خلاله، وكلها مُحاطة بدائرتين مركبتين، سميتا بالمياه المالحة. خارج هذه؛ على أية حال؛ سبعُ جزرٍ منفصلة، قد تمثل المناطق السبع أو المناخات التي قُسِّمَ العالم فيها وفقاً لأفكار البابليين، ورغم أنهم لجؤوا فيما بعد إلى أربع نقاط أساسية، فما كان يتطابق بشكل

تقريباً مع (بابل Babylon)<sup>(10)</sup>، لم يكن في أي حال يستجيب مع الموقع الجغرافي لليونان، وبالتالي، فمن المحتمل في المقام الأول، أنهم حصلوا على أفكارهم بإحاطة المحيط بالأرض من البابليين.

بعد فترة هوميروس وهسيود، بدأ التوسع الكبير الأول للمعرفة اليونانية حول العالم، من خلال عملية الاستعمار الواسعة النطاق، التي قام بها الإغريق في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط الشرقية. وحتى يومنا هذا يتكلم مواطنو الجزء الجنوبي من إيطاليا اللهجة اليونانية، وذلك بسبب الامتداد الواسع النطاق للمستعمرات اليونانية في ذلك البلد، الذي كان يطلق عليه اسم (ماغنا غراسيا Magna Grecia)<sup>(11)</sup> أو «اليونان العظمى». (مرسيليا Marseilles)<sup>(12)</sup> هي أيضاً واحدة من المستعمرات اليونانية (600 عام قبل الميلاد)، والتي بدورها، أرسلت مستعمرات أخرى على طول خليج (ليون Gulf of Lyons)<sup>(13)</sup>. وفي الشرق أيضاً، كانت المدن اليونانية تنتشر على طول ساحل البحر الأسود، ومن بينها بيزنطة، التي كان مقدراً لها أن تكون ذات أهمية تاريخية في العالم. لذلك، فشمال أفريقيا، وما بين جزر بحر إيجة، استعمرها اليونانيون طيلة القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وفي كل الأحوال، بقي هناك تواصل ما بين المستعمرات والبلد الأم.

الآن، كانت الصفة الخاصة التي جعلت اليونانيين متميزين جداً في تاريخ العالم، هي فضولهم الشديد، وكان ذلك طبيعياً نتيجة لرغبتهم في المعرفة، ووضع الأحداث على السجل التاريخي؛ والكمية الكبيرة من المعلومات التي وصلت إلى الأرض الرئيسة لليونان من المستعمرات اليونانية، لا تُعد ولا تُحصى. ولكن لتسجيل المعرفة الجغرافية، فإن الخريطة هي أول شيء ضروري، وبالتالي فإن فيلسوفاً يونانياً اسمه (أناكسيماندر Anaximander)<sup>(14)</sup> من مدينة (ميليتوس Miletus)<sup>(15)</sup>، من القرن السادس قبل الميلاد، هو الذي ندين له باختراع رسم الخريطة. والآن، من أجل وضع خريطة لبلد واحد، المطلوب القليل من المعرفة الفلكية.

وكما رأينا، كان أبناء القبائل المتوحشة قادرين على رسم الخرائط. ولكن عندما يتعلق الأمر بوصف المواقع النسبية للبلدان - وقد انفصلت بعضها عن بعض بالبحر - فالمشكلة ليست سهلة. ومن شأن الأثيني أن يعرف بشكل تقريبي أن (بيزنطة Byzantium)<sup>(16)</sup> (وتسمى الآن بالقسطنطينية Constantinople)<sup>(17)</sup>، كانت تقع نسبياً، إلى الشرق وإلى الشمال منه، وأنه للإبحار إلى هناك يتوجب عليه أن يبحر نحو شروق الشمس، حيث يجد في المناخ برودة كلما اقترب من بيزنطة. وهكذا على ذلك، فإنه قد يتبادر إلى ذهنه بشكل تقريبي أن مرسيليا تقع في مكان ما في الغرب والشمال منه. ولكن كيف كان سيثبت الموقع النسبي لكل من: مرسيليا وبيزنطة؟ هل مرسيليا تقع باتجاه الشمال أكثر من بيزنطة؟ هل كانت



أقدم خريطة للعالم

بعيدة جداً من تلك المدينة؟ لو أن ذلك استغرق وقتاً أطول للوصول إلى مرسيليا؛ فالرحلة كانت ستدور، وربما قد تحمل السفينة نسبياً بالقرب من بيزنطة، مع ذلك لربما لا يكون هناك طريق مباشر بين المدينتين. كانت ثمة طريقة واحدة صعبة لتحديد اتجاه الشمال، فأقل ملاحظة هي مراقبة السماء المرصعة بالنجوم التي ستُظهر للمسافر أنه كلما انتقل نحو الشمال، ارتفع النجم القطبي عالياً في السماء. وكمية الارتفاع، يمكن أن تُحددها الزاوية التي شَكَلَتْ بنصب عُودٍ يشير إلى النجم القطبي، متعلق بواحد محمول أفقياً. إذا... بدلاً من اثنين من العيدان، قطعنا قطعة من المعدن أو الخشب لملء الزاوية المغلقة، فنحصل على أقرب شكل للمزولة، والمعروفة باسم: (عقرب ساعة الشمس)، ووفقاً لشكل عقرب ساعة الشمس، يتم تحديد خط العرض للمكان. وبناءً عليه، فإنه ليس من المستغرب أن نجد أن اختراع العقرب يُعزى أيضاً إلى أناكسيماندر، لأنه دون تلك الآلة لكان من المستحيل بالنسبة إليه عمل أي خريطة جديدة بهذا الاسم. ولكن من المحتمل أن أناكسيماندر لم يخترع ما كان معروفاً بعقرب ساعة الشمس، فالواقع أن هيرودوتس يذكر بصراحة أن هذه الآلة قد اشتقت من البابليين، الذين كانوا أسبق علماء الفلك كما نعلم حتى الآن. وهناك نقطة غريبة تؤكد ذلك، هي قياس الزوايا بالدرجات، وتنقسم هذه الدرجات إلى ستين ثانية، تماماً مثل الدقيقة. هذا التقسيم إلى ستين درجة، مشتق بالتأكيد من بابل، في مثل حالة قياس الوقت، وبالتالي يكون من الأصل نفسه فيما يتعلق بقياس الزوايا.

لم يعد لدينا أي نسخة من هذه الخريطة الأولى للعالم التي وُضِعَتْ من قبل أناكسيماندر، ولكن ما من شك في أنها شَكَلَتْ الأساس لخريطة مماثلة رسمها زميل لأناكسيماندر، مُقيم في مدينته ذاتها، يُدعى (هيكاتايوس Hecataeus)<sup>(18)</sup> من مدينة ميليتوس، الذي يبدو أنه أول من وضع كتاباً في الجغرافيا الرسمية - وَجَدَتْ منه شظايا فقط - ولكننا نرى



أنه كان نوعاً من كتب الطواف البحري، أو كدليل للبحارة، يُخبر عن عدد أيام الإبحار من نقطة إلى أخرى، وفي أي اتجاه كانت. ونلاحظ أيضاً أنّ مواضيع الكتاب برّمته رُتبت في جزأين، وهي تتعامل مع كل من أوروبا وآسيا، حيث يتضمن الفصل الأخير جزءاً مما نعرفه الآن باسم أفريقيا. ثلّة من العلماء كانوا قادرين على إنتاج الخطوط العريضة لخريطة العالم كما قُدمت من هيكتايوس. ومن هذا يمكن أن نرى أن مفهوم الإغريقي هوميروس حول إحاطة المحيط بالأرض، شكّل الميزة الرئيسة الحاسمة في خريطة هيكتايوس. أما بالنسبة للبقية فقد أَلَمُوا بمعرفة عن البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والبحر الأسود، والأنهار الكبرى، الدانوب، والنيل، والفُرات، ودجلة، ونهر السّند.

الاسم العظيم التالي في تاريخ الجغرافيا اليونانية، هو (هيرودوتس) من مدينة (هاليكارناسوس Halicarnassus)<sup>(19)</sup>، والذي يسمى أيضاً باسم (أبو الجغرافيا)، إضافة إلى كونه (أبو التاريخ) على حدٍ سواء. سافر هيرودوتس كثيراً إلى مصر، وبابل، وبلاد فارس، وعلى شواطئ البحر الأسود، في حين أنه كان عليمًا ببلاد اليونان، وعبر السنوات الأخيرة من حياته في جنوب إيطاليا، وأعطى عن كل هذه البلدان لزملائه من المواطنين معلومات دقيقة وكاملة، وكان قد جمع المعرفة بكل جِدٍ عن الدول المجاورة لهم، ولا سيما أنه أعطى تفاصيل كاملة عن (سكثيا Scythia)<sup>(20)</sup> (أو جنوب روسيا)، والولايات الفارسية القديمة، والطرق الميسّرة في بلاد فارس. وكقاعدة عامة، كانت معلوماته دقيقة كما يمكن أن يتوقع من مثل هذا التاريخ في وقتٍ مُبكرٍ، وهو نادراً ما يروي قصصاً عجيبة، أما إذا فعل، فإنه يشير إليها بعدم الثقة بها. وتقريباً فإن الذي ورد في تقارير هيرودوتس دون شك، قد يكون من نسج خيال المسافرين، ومنها أن النمل في الهند كان أكبر حجماً من الثعالب وقد حفر خلاياه في حفر من غبار الذهب.

واحدة من القصص التي تتعلق بإثارة الاهتمام، تظهر لنا استباقاً من إحدى رحلات السيد ستانلي. حيث بدأ خمسة شبان من (الناسامونيس Nasamonians)<sup>(21)</sup> من جنوب ليبيا، برحلة إلى السودان، وسافروا لأيام عدة غرباً حتى وصلوا إلى بستان من الأشجار، حيث تم القبض عليهم من قبل عددٍ من رجالٍ قصارٍ القامة جداً، أخذوهم خلال المستنقعات إلى مدينةٍ عظيمةٍ حيث يوجد رجال سود بالحجم نفسه، ويدفق من خلالها نهر كبير، وهو الذي يُحدده هيرودوتس بنهر النيل، ولكن، من خلال الإشارة إلى الرحلة التي قدمها له، يبدو أكثر احتمالاً بأنه قد يكون نهر النيجر، وأن الناسامونيس قد زاروا (تيمبكتو)<sup>(22)</sup>! وبسبب هذا البيان من هيرودوتس، كان يُعتقد لفترة طويلة أن أعالي النيل تندفق شرقاً وغرباً.

بعد هيرودوتس، تاريخ التأريخ الثابت في الرقم الذي من السهل تذكر: العام (444) قبل الميلاد، تم الحصول على زيادة كبيرة في معرفة الجزء الغربي من آسيا عن طريق اثنتين من الحملات من قبل (زينوفون Xenophon)<sup>(23)</sup> و(الإسكندر Alexander)<sup>(24)</sup>، التي جمعت المعرفة المعروفة لدى اليونانيين وصولاً إلى الهند. ولكن إلى جانب هذه الحملات العسكرية لا يزال لدينا العديد من الكتب من سجلات البحارة، والتي ربما أضافت الكثير للجغرافيا اليونانية. وأحد هذه الكتب يروي قصة رحلة استكشافية لأميرال قرطاجي اسمه (هانو Hanno)<sup>(25)</sup>، إلى أسفل الساحل الغربي لأفريقيا، إلى حد ما إلى (سيراليون Sierra Leone)<sup>(26)</sup>، الرحلة التي لم تجاري بعد ذلك لمدة ستمائة عام. جلب هانو بعد العودة من هذه الرحلة جلوداً بشعرها، قال أنها تعود للرجال والنساء الذين كان قد أسرهم، والذين كانوا معروفين للأهالي من قبل باسم الغوريلا. الكتاب الآخر عبارة عن سجل اسمه باليونانية: (سكيلاكس Scylax)<sup>(27)</sup>، والذي يعطي مسافات الإبحار بين جميع الموانئ على البحر الأبيض المتوسط والبحر

الأسود، وعدد الأيام اللازمة للعبور من واحد إلى آخر. ويتبين من هذا أن سفينة تجارية يونانية يمكنها أن تبحر على المتوسط خمسين ميلاً في اليوم. إضافة إلى هذا، أحد جنرالات الإسكندر الأكبر، واسمه (نيارخوس Nearchus)<sup>(28)</sup>، تعلم أن يحمل سفنه من مصب نهر السند إلى الخليج العربي. وفي وقت لاحق، بحار يوناني اسمه (هيبالوس Hippalus)<sup>(29)</sup>، والذي اكتشف أنه باستخدام الرياح الموسمية في الأوقات المناسبة، يمكنه أن يُبحر مباشرة من الجزيرة العربية إلى الهند، دون مشقة الملاحة الساحلية على طول شواطئ بلاد فارس و (بلوشستان Beluchistan)<sup>(30)</sup>، وبالتالي أطلق اليونانيون اسمه على الرياح الموسمية. وللحصول على معلومات عن الهند نفسها، كان اليونانيون، ولفترة طويلة، يعتمدون على حساب (ميغاستينيس Megasthenes)<sup>(31)</sup>، وهو سفير أرسل من قبل (سلوقس seleucus)<sup>(32)</sup> - أحد جنرالات الإسكندر الأكبر - إلى الملك الهندي للبنجاب.

وهكذا بينما اكتسبت المعرفة عن الشرق، تم الحصول على معلومات إضافية حول شمال أوروبا من إحدى رحلات (بايثياس PYTHEAS)<sup>(33)</sup>، وهو مواطن من مرسيليا اشتهر في وقت الإسكندر الأكبر العام 333 قبل الميلاد)، وكان من المثير للاهتمام بشكل خاص لنا؛ أنه هو الشخص المتحضر الأول الذي يمكن أن يكون مميزاً لدينا بعد أن زار بريطانيا. ويبدو أنه قد أبحر على طول ساحل خليج (بسكاي Biscay)<sup>(34)</sup> - بعد أن أمضى بعض الوقت في إنجلترا - الذي كان باعتبار مساحة (40000) ملعب، حوالي (4000 ميلاً) في المحيط، ويبدو أنه أبحر أيضاً على طول ساحل بلجيكا وهولندا، وصولاً إلى مصب نهر (إلبه Elbe)<sup>(35)</sup>. على أية حال، فإن بايثياس معروف أساساً في تاريخ الجغرافيا بأنه أشار إلى جزيرة (ثول Thule)<sup>(36)</sup>، التي وصفها بأنها نقطة في أقصى الشمال من الأرض المسكونة، والتي أصبح البحر بعدها كثيفاً، ولزجاً مثل الهلام.

مع أنه لم يصرح أنه قد زار جزيرة ثول، ورواياته قد تشير إلى الجليد الموجود قرب (شيتلاند Shetlands)<sup>(37)</sup>.

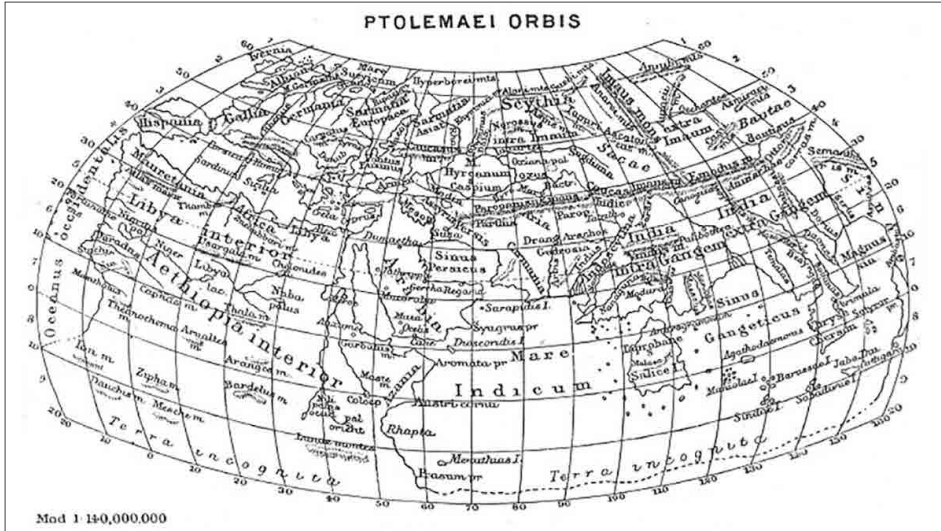
تم جمع كل هذه المعلومات الجديدة معاً، وإتاحتها لعالم القُرَّاء اليونانيين، من خلال (إراتوستينيس Eratosthenes)<sup>(38)</sup>، أمين أمناء مكتبة الإسكندرية (240-196 قبل الميلاد)، الذي كان عملياً مؤسس الجغرافيا العلمية، وكان أول من حاول القيام بقياس دقيق لحجم الأرض، وجزئها المسكون. وفي عصره أصبح رجال العلم اليونانيون مدركين تماماً لحقيقة أن الأرض كروية، على الرغم من أنها اعتُبرت ثابتة في الفضاء في مركز الكون. حتى أنه تم القيام بالتخمينات في حجم هذا العالم، فقام أرسطو بتحديد محيطه في حوالي (400000) ملعب أو (4000 ميل)، ولكن إراتوستينيس قام بمحاولة قياس أكثر دقة، وقارن طول الظل الساقط من الشمس في مدينة (الإسكندرية Alexandria)<sup>(39)</sup> وفي (أسوان Syene)<sup>(40)</sup>، بالقرب من الشلال الأول لنهر النيل، الذي كان يُفترض أن يكون على خط الطول نفسه، وتكون على حوالي (5000) ملعب أو (500 ميل). من الاختلاف في طول الظلال استنتج أن هذه المسافة تمثل خمسين ظلاً من محيط الأرض، التي من شأنها أن تكون وفقاً لذلك حوالي (250000) ملعب، أو (25000) ميل جغرافي. كالمحيط الفعلي وهو (24899) ميلاً إنجليزياً، وكان هذا التقدير قريباً جداً، إذا ما أخذنا في الاعتبار الوسائل القليلة التي كانت تحت تصرف إراتوستينيس.

مع وجود هكذا تقدير لحجم الأرض، ذهب إراتوستينيس إلى تحديد حجم تلك الأجزاء التي اعتبرها القدماء صالحة للسكنى. الشمال والجنوب من الأراضي المعروفة له، إراتوستينيس وجميع القدماء اعتبروها إما باردة جداً، أو حارة جداً، حتى تكون صالحة للسكنى. هذه الأجزاء اعتقد أنها تمتد إلى (38,000) ملعب، أو (3800) ميل. وعند حساب امتداد الجزء الصالح للسكن من الشرق إلى الغرب، توصل إراتوستينيس إلى

استنتاج مفاده، أنه من مضيق جبل طارق إلى شرق الهند كانت المسافة حوالي (80000) ملعب، أو تقريباً ثلث سطح الأرض. وثلثا الأرض المتبقية من المفترض أنها هي التي تغطيها المحيطات، وأشار إراتوستينيس بشكل تنبؤي أنه: «لو لم يكن المدى الواسع للبحر الأطلسي يجعل ذلك مستحيلاً، لكان بإمكان المرء تقريباً أن يبحر من سواحل إسبانيا إلى الهند على طول خط العرض نفسه». وبعد ستمائة عام، كما سنرى، حاول كولومبوس تنفيذ هذه الفكرة. أسس إراتوستينيس حساباته على خطين أساسيين، يتقابلان في طريق خط الاستواء والزوال لدينا؛ (غرينتش Greenwich)<sup>(41)</sup>: الامتداد الأول - وفقاً له - من (رأس القديس فينسنت Cape St. Vincent)<sup>(42)</sup> عبر مضيق (مسينا Messina)<sup>(43)</sup> وجزيرة (رودس Rhodes)<sup>(44)</sup> إلى (أسوس Essus)<sup>(45)</sup> من خليج (الإسكندرون Iskanderun)<sup>(46)</sup>؛ وفي خط انطلاقه لحساب الشمال والجنوب كان يستخدم خط الطول المار خلال السد الأول، الإسكندرية، ورودس، وبيزنطة.

السنوات المائة التالية - بعد وفاة إراتوستينيس - امتلأت بالكثير من زيادة المعرفة، نسبةً لانتشار الإمبراطورية الرومانية، من خلال استيلاء الرومان على الممتلكات الواسعة التي كان يشغلها سابقاً ألكسندر وخلفاؤه والقرطاجيون مع انتشارهم في بلاد الغال، وبريطانيا، وألمانيا. وبالتالي معظم المعرفة المكتسبة قد لُخِصَت في العمل الجغرافي لليوناني (سترابو STRABO)<sup>(47)</sup>، الذي كُتِبَ باللغة اليونانية حوالي العام (20 قبل الميلاد) وقَدِّمَ معرفةً إضافيةً، وبالتالي تم الحصول على العديد من التعديلات لنظام إراتوستينيس، ولكن، على وجه العموم، أبقى على تصوره العام عن العالم. ورفض، رغم ذلك، وجود (ثول) وبالتالي جعل العالم أضيق. في الوقت الذي اعترف بوجود (آيرين Ierne)<sup>(48)</sup> أو آيرلندا التي اعتبرها الجزء الشمالي الأغلب بين العالم الصالح للسكنى، والموقع، كما كان يعتقد، هو شمال بريطانيا.

بين عصر سترابو وبطليموس، الذي يُلخص كل معرفة القدماء حول الأرض الصالحة للسكنى، كانت هناك إضافة كبيرة واحدة فقط إلى معرفة البشر بجيرانهم، هي تلك الواردة في دليل بحار للملاحة في المحيط الهندي، المعروف باسم (كتاب الطواف Periplus) لبحر (إريثراين Erythraean Sea)<sup>(49)</sup>، والذي أعطى حسابات كاملة ودقيقة للغاية بشكل محتمل للسواحل من عدن إلى مصب نهر الغانج، على الرغم من أنه يعتبر (سيلان Ceylon)<sup>(50)</sup> على قدر أكبر بكثير، وأكثر في الجنوب، مما هي عليه في الواقع. ولكنه يحتوي أيضاً على حساب الأجزاء الأقصى شرقاً في آسيا، الهند الصينية، والصين نفسها، «من حيث يأتي الحرير»، وكان لهذا تأثير هام على وجهات نظر بطليموس، كما سنرى، وساعد بشكل غير مباشر بعد فترة طويلة في اكتشاف أمريكا.



وقد ترك لـ (بطليموس PTOLEMY)<sup>(51)</sup> في الإسكندرية، تلخيص كل المعرفة للعالم القديم التي تراكمت من عصر إراتوستينيس إلى عصره هو، وهو ما قد حل في حوالي سنة (150 ميلادية) وأخذ كل المعلومات التي أمكنه أن يجدها في الكتابات من السنوات الأربعمئة السابقة،

واختصرها كلها في عمل واحدٍ موحّدٍ ؛ لذا فإننا مدينون له اختراع طريقة وأسماء خطوط الطول والعرض. وكان الكتّاب السابقون مُقتنعين بالقول: بأن المسافة بين نقطة وأخرى كانت تمثل العديد من الملاعب، لكنه خفض كل هذا الحساب الصعب، إلى العديد من درجات خطوط الطول والعرض، من الخطوط الثابتة كنقاط للبداية. ولكن - للأسف - كل هذه الحسابات كانت حساباتٍ تقريبية، والتي تمثل بشكل ثابتٍ تقريباً ما بعد الحقيقة؛ ومع أن بطليموس يعد أعظم علماء علم الفلك القديم، فلا تزال نتائجه مشوهةً على افتراض أن الدرجة كانت تمثل (500) ملعب، أو (50) ميلاً جغرافياً. وهكذا عندما وجد في صلاحياته أن المسافة بين أحد الموانئ وآخر كانت تمثل (500) ملعب، وافترض، في المقام الأول، أن هذا كان دقيقاً، وفي الثاني، أن المسافة بين المكانين كانت مساويةً لدرجة من خط العرض أو الطول، حسب الحالة. وفقاً لذلك وصل إلى نتيجة أن اتساع العالم الصالح للسكنى كان - على حدّ تعبيره - اثنتي عشرة ساعة من خطوط الطول (تقابل 180 درجة) تقريباً ثلث الثلث كالأبعاد الحقيقية من إسبانيا إلى الصين. وكان نتيجةً لهذا أن المسافة من إسبانيا إلى الصين غرباً تضاءلت في المقابل بمقدار ستين درجة (أو ما يقرب من 4000 ميل)، وكان من شأن هذا الخطأ في نهاية المطاف أن شجع كولومبوس لمحاولته صنع عهدٍ جديدٍ برحلته التاريخية.

إن أخطاء بطليموس للحساب لم تكن كبيرةً جداً، ولكنه اعتمد أسلوب القياس الذي جعلها تراكمية. إذ كان قد اختار الإسكندرية لنقطة الانطلاق في قياس الطول، والأخطاء التي أدلى بها عند الحساب غرباً، قد تمّت مقابلتها بتلك التي تُحسب شرقاً، ولم تسفر عن أي تشويه خطير للحقيقة. ولكن بدلاً من هذا، اعتمد كنقطة انطلاق له (جزر فورتونات لFortunate Isles)<sup>(52)</sup>، أو جزر الكناري، وفي كل درجة قيست إلى الشرق من هذه كان الخمس كبيراً جداً، لأنه افترض أنه كان فقط خمسين ميلاً في



الطول. ولعلي أذكر أن تأثير بطليموس على الجغرافيا كان كبيراً، وحتى في منتصف القرن الماضي، كان خط الزوال (فيرو Ferro)<sup>(53)</sup> في جزر الكناري لا يزال يحتفظ به كنقطة الصفر لخطوط الطول.

وثمة نقطة أخرى أثر فيها نظام بطليموس تأثيراً قوياً على الرأي الحديث، كانت مغادرته للفرضية السابقة التي تقول بأن العالم مُحاط بالمحيط، والمستمدّة من هوميروس. بدلاً من أن أفريقيا قُطعت من الوسط بالمحيط، افترض بطليموس - وربما من المعرفة التقليدية المبهمة - أن أفريقيا تمتد في طولٍ مجهولٍ إلى الجنوب، وانضمت على قدم المساواة إلى قارة مجهولة بعيداً إلى الشرق، والتي، في نصوص عمله الفلكي باللاتينية، كان يُطلق عليها «أرض أستراليا المجهولة»، أو «أرض الجنوب غير المعروفة». كما أدى بطليموس، من خلال خطئه فيما يتعلق باتساع الأرض، إلى اكتشافات (كولومبوس Columbus)<sup>(54)</sup>. وكذلك، من خلال مفاهيمه الخاطئة فيما يتعلق بـ «أرض الجنوب العظيمة»، فإنه مهّد الطريق لاكتشافات القبطان (كوك Cook)<sup>(55)</sup>. ولكن بغض النظر عن هذه الأخطاء التي كانت جزئياً بسبب صعوبة المواد التي كان عليه أن يتعامل معها، وجزئياً بسبب الحذر العلمي، فإن عمل بطليموس هو واحد من الآثار العظيمة للمثابرة والمعرفة الإنسانية، وبقي أساس كل شيء للمعرفة الجغرافية عن العالم القديم إلى بداية القرن الأخير، تماماً كما أن أعماله الفلكية لم تُلغ أخيراً إلا من خلال عمل السيد (نيوتن Newton)<sup>(56)</sup>. وبالتالي فإن بطليموس لديه الامتياز النادر من كونه صاحب أعظم سلطة على قسمين مهمين من المعرفة الإنسانية - علم الفلك والجغرافيا - لأكثر من خمسمائة سنة. في تفاصيل وصفه للعالم، ليس من الضروري أن نذهب بعيداً. فسوف تُشير الخريطة إلى كيفية وصوله إلى الخطوط الرئيسة للبحر الأبيض المتوسط، وشمال غرب أوروبا، والجزيرة العربية، والبحر الأسود. أبعد من هذه المناطق كان يمكن أن يتوقف فقط على الإشارات والتخمينات الصعبة من التُّجَّار السُّدَج غير



المتعلمين. ولكن تجدر الإشارة إلى أسلوبه في تحديد خط العرض، كما كان يتبعه معظم الجغرافيين الناجحين بين خط الاستواء والنقطة الشمالية القصوى المعروفة لديه، فهو يُقسَّم الأرض إلى شرائط أفقية، أطلق عليها اسم «المناخات»، والتي يحددها متوسط طول أطول يوم في كُلِّ منهما. هذه طريقة صعبة للغاية لتحديد خطوط الطول، ولكن كان من المحتمل، في معظم الحالات، هو كل ما كان على بطليموس أن يعتمد عليه، لأن قياس الزوايا سيكون إنجازاً نادراً حتى في العصر الحديث، ولن يكون موجوداً إلا بين عددٍ قليلٍ من علماء الرياضيات وعلماء الفلك في أيام بطليموس. وأغلق معه تاريخ المعرفة الجغرافية والاكتشاف في العالم القديم.

في هذا الفصل تقريباً قمت بتقديم أسماء ومآثر الرجال اليونانيين الذين لَخَّصُوا في سلسلةٍ من سجلاتٍ منتظمةٍ المعرفة التي حصلوا عليها من التجار، ومن الجنود، ومن قبل الرِّحالة على مدى العالم المعروف عند القدماء. حتى الآن تم الحصول على أكبر قدرٍ من هذه المعرفة، ليس عن طريق البحث المنهجي لغرض الجغرافيا، ولكن عن طريق الحملات العسكرية لغرض الغزو. يجب علينا الآن أن نُعيد تَبَّعَ خطواتنا، وإعطاء مُراجعةٍ تقريبيةٍ للمراحل المختلفة من الغزو الذي فيه مناطق مختلفة من العالم القديم أصبحت معروفةً لدى الإغريق والإمبراطورية الرومانية، والتي لخص بطليموس معرفتها.

**Authorities: Bunbury, History of Ancient Geography, 2 vols., 1879; Tozer, History of Ancient Geography, 1897.**

## هوامش الفصل الأول

- (1) كورنوال Cornwall: مقاطعة إنجليزية ساحلية جنوب غرب إنجلترا، تقع إلى الغرب من نهر تامار وديفون.
- (2) نيكخو الثاني Necho II (610 قبل الميلاد - 595 قبل الميلاد): ملك مصري، من ملوك السلالة السادسة والعشرين، قام نيشو بعدة مشاريع من مشاريع البناء في مملكته، وفي عهده، وفقاً لرواية المؤرخ اليوناني هيرودوتس، قام نيكخو الثاني بإرسال رحلة استكشافية من الفينيقيين، أبحرت في ثلاث سنوات من البحر الأحمر حول أفريقيا إلى مصب نهر النيل.
- (3) هيرودوت أو هيرودوتس: Herodotus كان مؤرخاً إغريقياً يونانياً أسبوعياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي 484 ق.م - 425 ق.م). اشتهر بكتابة وصف لكل الأماكن العديدة التي زارها حول العالم المعروف آنذاك، وأناس قابلهم في رحلاته وكتب عن السيطرة الفارسية على اليونان. عرف هيرودوتس بفضل كتابه (تاريخ هيرودوتس) الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص الذين لاقاهم في ترحاله حول حوض البحر المتوسط، وزار مختلف أنواع مسارح المعارك، كما أن موضوع كتابه الأساسي هو الحروب بين الإغريق والفُرس أو الميديين، ولعله كان حاضراً شخصياً في بعض المعارك، مثل معركة ماراثون ومعركة سالاميس.
- (4) هوميروس Homer: شاعر ملحمي إغريقي أسطوري، مؤلف الملحمتين الإغريقيتين الإلياذة والأوديسة. بشكل عام، آمن الإغريق القدامى بأن هوميروس كان شخصية تاريخية، لكن الباحثين المحدثين يُشككون في هذا، ذلك أنه لا توجد ترجمات موثوقة لسيرته باقية من الحقبة الكلاسيكية (Classical Antiquity)، كما أن الملاحم المأثورة عنه تمثل تراكمًا لقرون عديدة من القصص الشفهية وعروضاً شعرية؛ ويرى مارتن وست أن هوميروس ليس اسماً لشاعرٍ تاريخي، بل اسماً مستعاراً.
- (5) دلفي Delphi: هي مدينة على المنحدرات الجنوبية لجبل پارناسوس، وكان في هذه المدينة أقدم معبد ديني في بلاد اليونان القديمة، وكانت تقع في مقاطعة فوكيس.
- (6) هسيود Hesiod (846 - 777 ق.م): من أعظم شعراء اليونان القدامى، ويضعه هيرودوتس في المرتبة نفسها مع معاصره هوميروس. ولد في بلدة كيمي Cyme في آسيا الصغرى.
- (7) الهايربوريني Hyperborean: في الميثولوجيا اليونانية؛ هم الشعب الأسطوري الذي

عاش ما وراء رياح الشمال. اعتقد اليونانيون أن بورياس إله ريح الشمال قد عاش في تراقيا، وبالتالي فإن الهايربوريني كانوا يعيشون أبعد من تراقيا.

(8) جورج أوغست شفاينفورث **Georg August Schweinfurth** (29 ديسمبر 1836 - 19 سبتمبر 1925): عالم نبات ألماني بلطقي، ومستكشف لشرق أفريقيا الوسطى وعالم بالإنثولوجيا (علم الأجناس البشرية).

(9) السير هنري مورتون ستانلي **Sir Henry Morton Stanley** من مواليد (جون رولاندز، 28 يناير 1841م - توفي في 10 مايو 1904م): صحفي ومستكشف أمريكي، كان يلقب في جمهورية الكونغو الديمقراطية بلقب (بولا ماتاري) أي (مُحطَّم الصخور)، اشتهر باستكشافه لأفريقيا الوسطى، وبحثه عن المبشر والمستكشف (ديفيد ليفينغستون)، وكذلك ببحثه عن مصدر نهر النيل، وعمله وتطويره في منطقة حوض الكونغو بالاشتراك مع ملك بلجيكا (ليوبولد الثاني)، وقيادة البعثة التي أرسلت لأمين باشا.

(10) بلاد بابل أو البابلية **Babylon**: تعني بالأكديّة (بوابة الإله). كان الفرس يطلقون عليها بباروش دولة بلاد ما بين النهرين القديمة، كانت تعرف ببلاد سومر وكانت تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق. ظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين الثامن عشر قبل الميلاد، والسادس قبل الميلاد. مركز هذا الإقليم هو مدينة بابل التي مرّ عليها خلال فترات وجودها العديد من الشعوب والحكام، وكانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة، وبابل دولة أسسها حمورابي العام 1763 ق.م. وهزم آشور العام 1760 ق.م، وأصدر (قانون حمورابي).

(11) ماغنا غراسيا (اليونان الكبرى): اسم أطلق على المناطق الساحلية في جنوب إيطاليا في خليج تارانتو والتي استوطنها الإغريق، ولا سيما في المستعمرات الأشينية مثل تريتم وكروتوني وسيياريس، ولكن أيضاً بشكل فضفاض على مدن كوماي ونيابوليس إلى الشمال. جلب المستعمرون الذين قدموا في القرن الثامن قبل الميلاد معهم حضارتهم الهلنستية التي تركت بصمة دائمة في إيطاليا ولا سيما عبر ثقافة روما القديمة.

(12) مرسيليا أو مارسيليا، وتسمى بالفرنسية (Merseille)، أما بالإنجليزية فتسمى (Marseille): هي مدينة من مدن فرنسا، تقع في الجهة الجنوبية لفرنسا، وتبعد عن مدينة باريس حوالي 660 كلم إلى الجنوب منها، وتعتبر مرسيليا مدينة ساحلية، حيث إنها تشكل جزءاً من الساحل الجنوبي لفرنسا، وتطل على خليج ليون الذي يتصل بالبحر المتوسط، وهناك مدينة أخرى في العالم تحمل الاسم ذاته، هي: مدينة مرسيليا التي تقع في ولاية إلينوي الأمريكية، كما توجد قرية تقع في ولاية أوهايو الأمريكية تسمى أيضاً باسم مرسيليا، وبلدة تقع في جنوب أفريقيا تسمى بـ (مرسيليا)، ولكن المدينة التي يتكلم عنها المؤلف في هذا الكتاب هي مدينة مرسيليا الفرنسية.

(13) خليج ليون **Gulf of Lyons**: هو خليج واسع يمتد من شرق كتالونيا إلى الغرب من مدينة تولون الفرنسية، وتعد مرسيليا الميناء الرئيس على الخليج. يصب في خليج ليون عدد من الأنهار من بينها نهر الرون.

(14) أناكسيماندر **Anaximander** (610 ق.م. 546 ق.م.): كان من فلاسفة ما قبل سقراط وعاش في ميليتوس، إحدى مدائن أيونيا. انضم إلى المدرسة الميليسية، وتلقى تعاليم أستاذه طاليس وخلفه وأصبح الأستاذ الثاني لهذه المدرسة حيث جعل أناكزيميئيس وفيثاغورس من تلامذته. لا يعرف إلا القليل من كتاباته وحياته اليوم، ووفقاً للوثائق التاريخية المتاحة، فإنه أول فيلسوف يدون فلسفته، بالرغم من أن مسودة واحدة فقط من أعماله هي التي بقيت. كان أناكسيماندر من أوائل الفلاسفة الإغريق الذين ظهروا في بداية العصر المحوري، الفترة من 700 ق.م. إلى 200 ق.م.

(15) ميليتوس **Miletus**: مدينة قديمة في آسيا الصغرى، على الشاطئ الجنوبي من الخليج اللاتمي قرب مصب نهر مايندر، وهي الآن تدعى بالاتا.

(16) بيزنطة أو بيزنطية (**Byzantium**): هي مدينة إغريقية قديمة تقع على مضيق البوسفور بتركيا، أسست العام 658 ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين أسستها مدينة إغريقية قديمة تسمى ميغارا، وقد سميت على اسم بيزاس ابن نيسوس ملك ميغارا. وفي العام 335م جعلها الإمبراطور قسطنطين عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية نسبة للإمبراطور قسطنطين مؤسس الإمبراطورية، وكان فيها مقر بطريركية الكنيسة الإثوذكسية الشرقية بكنيسة آيا صوفيا (مسجد آيا صوفيا حالياً)، وكان محمد الفاتح العثماني قد فتحها العام 1453م وأطلق عليها (إسلام بول)، ثم أطلق عليها العثمانيون الآستانة، وحالياً يطلق عليها إسطنبول.

(17) القسطنطينية **Constantinople**: هي عاصمة الدولة الرومانية، وعاصمة الإمبراطورية البيزنطية. تقع مدينة القسطنطينية على مضيق البوسفور (مدينة إسطنبول حالياً)، وهي ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا، وتعد من إحدى المدن القلائل التي تقع في قارتين. مدينة القسطنطينية هي شبه جزيرة، يحيطها الماء من ثلاث جهات، حيث يحدها من الشرق مضيق البوسفور، ومن الجنوب بحر مرمرة، ومن الشمال ما يُسمى بالقرن الذهبي، أما من الغرب فتحدها قارة أوروبا. قامت على القسطنطينية إحدى أهم وأطول الحضارات في التاريخ، حيث امتدت عبر أكثر من ألف سنة، وشهدت القسطنطينية العديد من الفتوحات والمعارك؛ ويرجع تاريخ القسطنطينية إلى القرن السابع قبل الميلاد، حيث أثبتت القسطنطينية أهميتها لجميع الحضارات التي قامت عليها. سكنت مدينة القسطنطينية لأول مرة في العام 680 قبل الميلاد، حيث سكّنها الميغارة قداماً من اليونان، وأطلقوا عليها اسم هالكيدون، وفي العام 660 قبل الميلاد قدمت أقوام

أخرى من الميغارة واستقرّ أفرادها في المدينة، وأطلقوا عليها اسم بيزنطيون، نسبةً إلى اسم قائدهم، تعرضت بعدها المدينة للكثير من الغزوات والحروب. وفي العام 313 ميلادي تعرّضت المدينة للهجوم من قبل النيكوميديين الذين استولوا عليها، حتّى قدوم الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي استعادها.

(18) هيكاتايوس HECATAEUS (نحو 500 ق.م): ويُعرف بالملطي نسبة إلى مسقط رأسه. واحد من أبرز جغرافيين الإغريق في العصور القديمة، وهو مؤرخ وشاعر أيضاً، ينتسب إلى إحدى الأسر النبيلة في مدينة ميليتوس (ملطية) في آسيا الصُغرى التي خضعت وقتها لسيطرة الإمبراطورية الفارسية، وهو ابن المدعو هِساندروس الذي تمكن من تعليم ابنه وثقيفه في وقتٍ لم يكن هذا الأمر متاحاً لأقرانه. تذكر سيرة حياته أنه نشأ وطنياً متحمساً، كره الحكام الفرس منذ طفولته، ولهذا أصبح في فتوته واحداً من أبرز المشاركين في الثورة التي عُرفت باسم ثورة المدن الإيونية (500 - 494 ق.م) التي كانت السبب المباشر في الحروب الفارسية بين الإغريق والفرس، كما تذكر السيرة أنه زار عدداً من مناطق شرقي المتوسط ولا سيّما مصر، وكتب عن زيارته تلك كتابين (وصلت معلومات عنهما عن طريق مؤرخين لاحقين).

(19) هاليكارناسوس Halicarnassus: هي مدينة إغريقية أثرية قديمة تقع إلى الجنوب الغربي من إقليم كاريا، تقع مكانها الآن مدينة بودروم، ويعدّ المؤرخ هيرودوتس أشهر من أنجبته هذه المدينة.

(20) سيثيا أو سقيثيا أو سكيثيا Scythia: منطقة من أوراسيا الوسطى في العصور القديمة الكلاسيكية التي سكنها السيكيثيون الإيرانيون الشرقيون من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد، وتشمل أجزاء من أوروبا الشرقية شرق نهر فيستولا وآسيا الوسطى، مع الحواف الشرقية للمنطقة التي تم تعريفها بشكل غامض من قبل الإغريق، ولقد قدّم الإغريق القديمة اسم سيثيا (أو سيثيا العظمى) لجميع الأراضي الواقعة شمال شرق أوروبا والساحل الشمالي للبحر الأسود.

(21) قبيلة الناسامونيس Nasamonians: قبيلة ليبية، أشار إليها هيرودوتس بأن موطنها (يقع إلى الغرب من موطن قبيلة الأوسخيساي الليبية) دون أن يحدد إلى أي مدى يمتد موطنهم نحو الغرب؛ ونجد أن المؤرخ (سكيلاكس) يذكر بأن موطن هذه القبيلة يمتد نحو الغرب حتى يصل مذبح الأخوين فيلايني، ويذكر (هيرودوتس) أن قبيلة الناسامونيس (اعتادوا على ترك قطعانهم في الصيف بجوار البحر، ويرحلون نحو موقع يقال له أوجلّه ليجنوا التمر من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة، ويتكلمون اللغة البربرية)، كانت موجودة في موطنها حول خليج سرت طوال العصور القديمة حيث ورد ذكرها لدى (هيرودوتس) و (سكيلاكس) و (إسترابون) و (ديودوروس الصقلي) و (بلييني)

الأكبر) و (بطليموس) وغيرهم؛ غير أنها عُرِفَت لاحقاً بأسماء أخرى كصنهاجه ولواته، وكان الرومان يحسبون ألف حساب لقبيلة النسامونيس القوية التي تتمركز حول خليج سرت، إذ كان النسامونيس يضايقونهم بالتعرض لطرق التجارة بالداخل ومهاجمة سفنهم وإغراقها عند السواحل.

(22) **تيمبُوكُتُو Timbuctoo**: مدينة في مالي، وهي من أهم وأقدم العواصم الإسلامية في غرب أفريقيا، سُميت قديماً تنبكت، وتلقب بجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال. يجمع المؤرخون على أن معنى كلمة تمبكتو هو حافظة الأمانات وهو مأخوذ من اسم امرأة من الطوارق اسمها (تن بكتاون) أي حافظة الأمانات، كانت تقطن في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد. كانت هذه المرأة تحفظ للسكان الرحل الأمانات والودائع والأمتعة فاشتهر بها المكان وغلبت التسمية على المدينة بعد ذلك. وإذا كان الطوارق قد سموا تمبكتو بهذا الاسم لارتباطها عندهم بالعجز بكتو حافظة الأمانات، فإن القواميس الإنجليزية تفسر هذه التسمية بأنها المكان القصبي الذي لم تطأه قدم البشر ولم يدركه بصر. تأسست مدينة تمبكتو بداية القرن الحادي عشر الميلادي، إلا أنها لم تكتسب شهرة واسعة بوصفها حاضرة للثقافة الإسلامية إلا في منتصف القرن الخامس عشر، وهي بوابة بين شمال وغرب أفريقيا، وملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، وكذلك تجار الملح القادمين من تودني، أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية، وتعاقب عليها الغزاة وآخرهم الفرنسيون الذين قاومتهم قبائل المنطقة بقيادة محمد علي الأنصاري. واحة تمبكتو هي حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى، ومنارة للعلم فيها، ومجمع العلماء، وهي من أشهر المدن في غرب أفريقيا، وخصوصاً منذ القرن الثالث عشر، وسكانها جميعهم مسلمون وأشهر القبائل التي تقطن المنطقة هم قبيلة الأنصار التي ظهر فيها محمد علي والذي اغتيل في العام 1897م، وقبيلة السنغاي التي تشكل الغالبية السكانية وكذلك القبائل المتفرعة من الأشراف الأدارسة الذين اشتروا منطقة شمال النهر من أحد ملوك مالي السابقين، وبعض القبائل ذات الأصول العربية والطوارق والبرابيش.

(23) **زينوفون الأثيني Xenophon** (430-354 قبل الميلاد): فيلسوف يوناني قديم، ومؤرخ، وجندي، وتلميذ من تلاميذ سقراط. عُرف عن زينوفون تسجيله لتاريخ عصره، وأواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

(24) **الإسكندر الثالث المقدوني Alexander III of Macedon**، والمعروف أيضاً باسم الإسكندر الأكبر (21 يوليو 356 قبل الميلاد - 10 أو 11 يونيو 323 قبل الميلاد): كان ابن الملك فيليب الثاني المقدوني، أصبح ملكاً إثر وفاة والده في العام 336 قبل الميلاد وبدأ في غزو معظم بلدان العالم المعروفة في يومه، وهو معروف باسم «العظيم» بسبب عبقريته العسكرية ومهاراته الدبلوماسية في التعامل مع مختلف سكان المناطق التي غزاها،

ومن المسلّم به أيضاً نشره الثقافة اليونانية واللغة والفكر اليوناني في جميع أنحاء آسيا الصغرى ومصر وبلاد الرافدين إلى الهند، وبالتالي بدأ معه عصر «العالم الهلنستي».

(25) **هانو الكبير Hanno** (المتوفى في العام 204 ق.م.): قائد قرطاجي خدم تحت إمرة حنبعل خلال الحرب البونيقية الثانية، كان له سجل عسكري سيئ؛ ففي العام 215 ق.م، هُزم على يد تيبيريوس لونجيوس في جرومنتيوم، وفي العام 214 ق.م، هزم أمام جراكوس في معركة بنفتوم الأولى، وبعد ذلك بعامين هزم مرة أخرى في معركة بنفتوم الثانية، وهذه المرة أمام كوينتوس فلافيوس فلاكوس، ثم في العام 207 ق.م، هزم هو وماجو برقا في أبييريا، وأخيراً قُتل على يد سكيبيو الأفريقي في العام 204 ق.م.

(26) **سيراليون Sierra Leone**: رسمياً جمهورية سيراليون، وهي بلد في غرب أفريقيا، تحدها غينيا إلى الشمال الشرقي، وليبيريا من الجنوب الشرقي، والمحيط الأطلسي إلى الجنوب الغربي. تتمتع سيراليون بمناخ استوائي، مع بيئة متنوعة تتراوح بين السافانا والغابات المطيرة، ويبلغ مجموع مساحتها حوالي 71 740 كلم<sup>2</sup> (27 799 ميلاً مربعاً).

(27) **سكيلاكس Scylax**: مستكشف يوناني شهير، وكاتب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد. فقدت كتاباته الخاصة، على الرغم من الاستشهاد بها في بعض الأحيان أو اقتباسها من قبل الكتاب اليونانيين والرومان في وقت لاحق.

(28) **نيارخوس Nearchus** (360 قبل الميلاد - 300 قبل الميلاد): أحد ضباط جيش الإسكندر الأكبر. معروفٌ برحلته الشهيرة من نهر السند إلى الخليج العربي في أعقاب حملة الإسكندر الأكبر الهندية من 326 إلى 324 قبل الميلاد. قدم سرداً لرحلته في كتاب أريانوس إنديكا الذي كتب في القرن الثاني الميلادي.

(29) **هيبالوس Hippalus**: كان ملاحاً وتاجراً يونانياً ربما عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ويخمن في بعض الأحيان أنه كان قبطان المستكشف اليوناني يودوكسوس على السفينة سيزيكوس.

(30) **بلوشستان Beluchistan**: إقليم جاف يقع على طرف الهضبة الإيرانية، ويمتد بين كل من إيران وباكستان وأفغانستان. سميت المنطقة بذلك بعد نزوح القبائل البلوشية إليها قبل آلاف السنين. اللغة الشائعة في الإقليم هي اللغة البلوشية، إضافة إلى البراهوية والرخشانية، والجزء الجنوبي من إقليم بلوشستان يعرف بإقليم مكران المطل على بحر العرب.

(31) **ميغاستينس Megasthenes** (350 - 290 ق.م.): مؤرخ يوناني قديم، ودبلوماسي، وأثنوغرافي، ومستكشف في الفترة الهلنستية، مؤلف العمل المشهور (إنديكا). ولد

في آسيا الصغرى وأصبح سفيراً لسلوقوس الأول إلى الهند، بيد أن الموعد المحدد لسفارته غير مؤكد، ويضعه العلماء قبل العام 298 قبل الميلاد.

(32) **سلوقس الأول نيكاتور المنتصر** (seleucus) (358 - 281 قبل الميلاد): كان واحداً من الجنرالات، بعد أن خدم سابقاً كجنرال مشاة تحت الإسكندر الأكبر. تولى في نهاية المطاف لقب باسيلوس وأنشأ الإمبراطورية السلوقية على الكثير من الأراضي في الشرق الأدنى التي غزاها الإسكندر.

(33) **Pytheas**: جغرافي ومستكشف يوناني من مرسيليا، عاش في نهايات القرن الرابع قبل الميلاد، تعرض لعقبات فرضتها البحرية القرطاجية في جبل طارق، وحوالي العام 325 ق.م، بدأ يستكشف السواحل الشمالية لأوروبا. أبحر حول بريطانيا واكتشف هذه المنطقة، ووصل إلى النرويج ولعله وصل أيضاً إلى الدائرة القطبية الشمالية، وكان أول من وصف شمس منتصف ليل الجليد القطبي، وأول من ذكر اسم بريطانيا والقبائل الجرمانية، وكان أول من أدخل فكرة «Thule» البعيد للخيال الجغرافي، وهو أول من ذكر أن القمر هو سبب المد والجزر.

(34) **خليج بسكاي Bay of Biscay**: امتداد للمحيط الأطلسي، على الساحل الغربي لأوروبا، يقع إلى الغرب من فرنسا، وشمال إسبانيا، ويبلغ طول شاطئ خليج بسكاي حوالي 640 كم، ويبلغ عرضه عبر أوسع نقاطه 480 كم، ويأخذ خليج بسكاي اسمه من الباسك، وهم قوم يعيشون على امتداد صخور الشاطئ الإسباني.

(35) **نهر إلبه River Elbe**: أحد الأنهار الرئيسية في أوروبا الوسطى، ينبع من جبال كركونوس في جمهورية التشيك الشمالية، ويعبر من بوهيميا (الجمهورية التشيكية)، ثم ألمانيا ويتدفق في بحر الشمال في كوكسهافن، على بعد 110 كم (68 ميل) شمال غرب هامبورغ، ويبلغ طوله الإجمالي 1094 كيلومتراً (680 ميلاً).

(36) **جزيرة ثول thule**: وتسمى أيضاً جزيرة موريل، وهي واحدة من جزر ساندويش الجنوبية، وجزء من المجموعة المعروفة باسم ثول الجنوبية. سميت بسبب موقعها البعيد، بعد الأرض الأسطورية ثول، وقال عنها الجغرافيون القدماء بأنها تكمن في الطرف الأقصى من الأرض. الاسم البديل للجزيرة هو (موريل) على اسم: بنجامين موريل، المستكشف الأمريكي، وصياد الحيتان.

(37) **شيتلاند Shetlands**: كما تُدعى جزر شتلاند، وهي أرخبيل شبه قطبي يقع شمال شرق جزيرة بريطانيا العظمى، ويشكل جزءاً من اسكتلندا، المملكة المتحدة.

(38) **إراتوستينيس القوريني Eratosthenes** (276 - 194/195 ق.م): عالم رياضيات يوناني، وجغرافي، وشاعر، وعالم فلكي، وموسيقي، أصله من مدينة قوريني الليبية، كان



معلماً، ثم أصبح كبير أمناء مكتبة الإسكندرية، اخترع تخصص الجغرافيا، بما في ذلك المصطلحات المستخدمة اليوم.

(39) الإسكندرية Alexandria: ثاني أكبر المدن في مصر وثاني أكبر منطقة كبرى في مصر بعد القاهرة الكبرى من حيث المساحة وعدد السكان، تمتد بطول 32 كم على امتداد ساحل البحر المتوسط على الساحل الشمالي لمصر، وهي أيضاً أكبر المدن الممتدة على ساحل المتوسط. أسسها الإسكندر الأكبر 333 ق.م، فعدت مركزاً للثقافة العالمية، اشتهرت عبر التاريخ بمكتبة الإسكندرية الغنية التي أثرت الثقافة الإنسانية واشتهرت أيضاً بمدرستها اللاهوتية والفلسفية. شيد البطالمة منارة الإسكندرية التي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع، وذلك لارتفاعها الهائل حوالي 35 متراً. ظلت هذه المنارة قائمة حتى دمرها زلزال شديد العام 1307م، وحديثاً بُنيت في الإسكندرية مكتبة الإسكندرية الجديدة في العام 2001م.

(40) سين Syene: الاسم القديم لمدينة أسوان المصرية، وهي عاصمة محافظة أسوان وأهم مدن النوبة المنطقة الحضارية التي طالما ظلت البوابة الجنوبية لمصر. تقع المدينة على الضفة الشرقية لنهر النيل عند الشلال الأول، وكانت تُعرف باسم (سونو) في عصور المصريين القدماء ومعناها السوق حيث كانت مركزاً تجارياً للقوافل القادمة من وإلى النوبة، ثم أطلق عليها في العصر البطلمي اسم (سين) وسماها النوبيون (يبا سوان)، وعُرفت أيضاً باسم بلاد الذهب لأنها كانت بمثابة كنز كبير أو مقبرة لملوك النوبة الذين عاشوا فيها آلاف السنين. كانت حدود أسوان تمتد قديماً قبل الهجرة من أسنا شرقاً إلى حدود السودان جنوباً وكان سكانها من النوبيين ولكن بعد الفتح الإسلامي لبلاد النوبة سكن فيها بعض قبائل العرب.

(41) خط غرينيتش أو مدار غرينيتش Greenwich: هو خط افتراضي لحساب التوقيت، سمي بذلك لأنه يمر في مدينة غرينيتش في لندن. يقسم خط غرينتش الكرة الأرضية إلى قسمين شرقي وغربي؛ وثمة 360 خط طول، منها 180 خطاً شرقي خط غرينيتش، و180 خطاً غربي خط غرينيتش، غرينتش ضاحية تقع جنوب شرق لندن، وهي الآن جزء من لندن تستطيع تمييزها بسهولة من أول نظرة على خريطة لندن وذلك لوقوعها تحت الانحناء المميز لنهر التايمز، يمر خط غرينتش على أوروبا وأفريقيا وهو يفصل بعض الدول إلى قسمين مثل الجزائر وبريطانيا وفرنسا ومالي وغانا وهو يمر على مناطق لديها التوقيت نفسه.

(42) سانت فينسنت Saint Vincent: جزيرة بركانية تابعة لسانت فينسنت والغرينادين، تقع في أرخبيل جزر أنتيل وبنيدوارد في البحر الكاريبي، وهي الجزيرة الأكبر، وتقع بين كل من جزيرتي سانت لوسيا و غرينادا، وتتكون من جبال بركانية مغمورة جزئياً، ويعتبر بركان لا سوفريير، النشط، أكبر وأعلى قمة في البلاد.

- (43) **مسينا Messina**: مدينة إيطالية في جزيرة صقلية، على شاطئ المضيق المعروف باسمها مضيق مسينا، وهي ثالث أكبر مدن صقلية، وعاصمة مقاطعة مسينا.
- (44) **جزيرة رودس Rhodes**: هي جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، تُعرف تاريخياً بكونها موقع وجود تمثال أبولو رودس، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع. تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا، في منتصف المسافة بين جزر اليونان الرئيسة وقبرص، وتُعدّ أبعد الجزر الشرقية بالنسبة لليونان وبحر إيجه، تبعد عن غرب تركيا بحوالي 18 كلم. في العام 2001 م بلغ عدد سكانها 117792 نسمة، منهم 55 إلى 60 ألفاً يعيشون في مدينة رودس، ويقدر عدد المسلمين فيها بـ 3500 مسلم.
- (45) **أسوس Essus**: مدينة تركية حالياً ويونانية قديماً في إقليم طروادة، وتُعرف باسم بهرام بالتركية، تقع على الخليج الأدراامي.
- (46) **خليج إسكندرون Iskanderun**: هو خليج يقع في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، ويُعدّ المنفذ الطبيعي والتاريخي لولاية حلب إلى البحر المتوسط، وكانت معظم تجارة حلب البحرية تمر عبر خليج الإسكندرون وميناء إسكندرونة. أهم المدن على الخليج الإسكندرونة وأرسوز.
- (47) **سترابو STRABO** (64 أو 63 قبل الميلاد - 24 ميلادي): جغرافي وفيلسوف ومؤرخ يوناني، عاش في آسيا الصغرى خلال الفترة الانتقالية للجمهورية الرومانية في الإمبراطورية الرومانية.
- (48) **آيرلندا**: جزيرة تقع في شمال شرق المحيط الأطلسي، محاذية لجزيرة بريطانيا، يفصلها عن بريطانيا كل من بحر الشمال، والبحر الأيرلندي، وقال القديس جورج والبحر الكلتي وآيرلندا الشمالية، التابعة للمملكة المتحدة، تكون الجزء الآخر الصغير من الجزيرة، تعرف في اللغة الغيلية «آير»، كما تعرف بـ «جزيرة الزمرد» لجمال ريفها الأخضر.
- (49) **البحر الإريثري «البحر الأحمر» Erythraean Sea**: هو الاسم القديم للبحر الأحمر، الذي ورد في رسم الخرائط القديمة لجسم المياه الواقعة بين القرن الأفريقي وشبه الجزيرة العربية. الاسم الآن عفا عليه الزمن.
- (50) **جزيرة سيلان Ceylon**: تقع في جنوب قارة آسيا وجنوبي الهند. سيلان هو الاسم القديم لدولة سريلانكا حالياً، وتُعتبر جزيرة من الجزر الموجودة في المحيط الهندي، وتُعرف رسمياً باسم جمهورية سريلانكا الديموقراطية.
- (51) **كلوديوس بطليموس أو بطلميوس Ptolemy** (ولد نحو سنة 87م وتوفي قُرب الإسكندرية نحو 150م): هو رياضي وجغرافي وعالم موسيقى وعالم فلك يوناني

من أهل القرن الثاني للميلاد، وهو من أشهر وأكبر علماء الفلك والجغرافيا الذين عرفهم التاريخ منذ سنواتٍ وعصور قديمة؛ حيث يعود الفضل إليه في وضع العديد من الملاحظات والنظريات المهمة، والتي قام الدارسون بتدوينها وتجميعها على شكل كتاب يحتوي على ثلاثة عشر جزءاً، بعنوان التراكيب الرياضية، وهو صاحب كتاب المجسطي الذي يقوم نظامه الفلكي على أساس أن الأرض ثابتة، وأن الأفلاك تدور حولها.

(52) جزر فورتونات أو الجزر المباركة **Fortunate Isles**: جزر شبه أسطورية في المحيط الأطلسي، تم التعامل معها كموقع جغرافي بسيط، كجنة أرضية شتوية، يسكنها أبطال الأساطير اليونانية، وقد أشير أحياناً إليها بجزر ماديرا وجزر الكناري وأزورس والرأس الأخضر وبرمودا وجزر الأنتيل الصغرى.

(53) فيرو **Ferro**: خط الطول الذي يمر عبر جزيرة هيرو أو (فيرو)، أقصى غرب جزر الكناري. كان معروفاً في التاريخ الأوروبي باعتباره خط الطول الرئيس في الاستخدام المشترك خارج الإمبراطورية البريطانية في المستقبل. وبالفعل في القرن الثاني الميلادي، اعتبر بطليموس تعريفاً لخط الطول الصفر على أساس أكثر المواقع الغربية المعروفة في العالم، ما يعطي الخرائط خطوط الطول الإيجابية فقط (الشرقية). في العام 1634م قرّر ملك فرنسا لويس الثالث عشر وريشيليو أن خط الزوال فيرو ينبغي أن يستخدم كمرجع على الخرائط، حيث كانت هذه الجزيرة تعتبر الموقف الغربي الأكثر من العالم القديم.

(54) كريستوفر كولومبوس **Christopher Columbus** (15 أكتوبر 1451 – 20 مايو 1506م): رحالة، ومستكشف، ومستعمر إيطالي، يُنسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية (وربما الفلك أيضاً) في جامعة بافيا، قام بعبور المحيط الأطلسي ووصل إلى الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر/ تشرين الأول 1492م لكن اكتشافه أرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية العام 1498م. بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية والأمريكية حتى قبل اكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقت طويل، من شخصيته استوحى اسم البلد كولومبيا.

(55) القبطان جيمس كوك **Captain James Cook** (7 نوفمبر 1728 - 14 فبراير 1779م): مُستكشف، ومُستعمر، وملاح، ورَسَّام خرائط بريطاني، ونقيب في البحرية الملكية. قدم كوك خرائط تفصيلية لنيوفاوندلاند قبل القيام بثلاث رحلات إلى المحيط الهادئ، حيث حقق أول اتصال أوروبي مسجل مع الساحل الشرقي لأستراليا وجزر هاواي، وأول رحلة مسجلة في نيوزيلندا. انضم كوك إلى البحرية التجارية البريطانية في سن المراهقة والتحق بالبحرية الملكية في العام 1755م، شارك في حرب السبع سنوات،

وبعد ذلك استطلع ورسم الكثير من مداخل نهر سانت لورانس خلال حصار كيبيك، وقد ساعد ذلك على جذبه إلى علم الأميرالية والجمعية الملكية. وأدى مهمته في العام 1766م قائداً لجمعية بارك إنديفور لأول رحلة من ثلاث رحلات في المحيط الهادئ؛ حيث أبحر آلاف الأميال عبر مناطق مجهولة إلى حد كبير في العالم، وقام بتعيين الأراضي من نيوزيلندا إلى هاواي في المحيط الهادئ بمزيد من التفصيل وعلى نطاق لم يتحقق من قبل. تعرض كوك لهجوم وقتل أثناء محاولته اختطاف رئيس هاواي، خلال رحلته الاستكشافية الثالثة في المحيط الهادئ في العام 1779م. ترك تركة من المعرفة العلمية والجغرافية التي كان لها تأثير على خلفائه في القرن العشرين، وكرس له العديد من النصب التذكارية في جميع أنحاء العالم.

(56) السير إسحاق نيوتن Sir Isaac Newton (25 ديسمبر 1642 – 20 مارس 1726/27): عالم رياضيات، وعالم فلك، وفيزيائي، وهو معروف على نطاق واسع بأنه واحد من أكثر العلماء تأثيراً في كل العصور، شخصية رئيسة في الثورة العلمية، كتابه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية)، نشر لأول مرة في العام 1687م، وضع أسس الميكانيكا الكلاسيكية، كما قدم مساهمات في مجال البصريات.



## الفصل الثاني

# انتشار الفتح في العالم القديم



في كتاب مُرافق لهذه السلسلة، عنوانه : «قصة الحضارات المنقرضة في الشرق» سيتم العثور على وصف لصعود وتطور مختلف الدول التي سيطرت على غرب آسيا في فجر التاريخ. وقد مكنتنا الاكتشافات الحديثة بشكل ملفت للنظر لمعرفة حالة البشر في آسيا الصغرى في وقتٍ مُبكرٍ من عام (4000 قبل الميلاد)، فكل هذه الحضارات المبكرة وُجِدَت على ضفاف الأنهار الكبرى، التي جعلت الأرض التي مرّت من خلالها أرضاً خصبة.

علينا أولاً أن نجد رجلاً كرّس نفسه، ووضع علمه مُدَوّناً على السّجل، وعلى طول ضفاف الأنهار الكبرى، النيل، والفرات، ودجلة، و(الغانج Ganges)<sup>(1)</sup>، ونهر (يانغ تسي كيانغ Yang-tse-Kiang)<sup>(2)</sup>. لكن غايتنا تجعلنا غير مهتمين بهذه المراحل المبكرة جداً من التاريخ. فقد عرّف المصريون شيئاً عن الأمم التي كانت تحيط بهم، وكذلك وضع الآشوريون خلاصة للمعرفة المماثلة لقائمة القبائل التي وردت في الفصل العاشر من «سفر التكوين» الذي يقسم البشرية جمعاء، والمعروفة آنذاك للعبرانيين بنسل: (سام وحام وجافيت Shem, Ham, and Japhet)<sup>(3)</sup> التي تتطابق تقريباً، مع آسيا وأوروبا وأفريقيا. ولكن من أجل التأكد من كيفية حصول الرومان على ذلك الكمّ الهائل من المعلومات التي تم تلخيصها لهم من قبل بطليموس في عمله العظيم، فإن ذلك يسترعي مُجرد تركيز اهتمامنا على عملية رائعة من التوسّع المستمر الذي أدّى في النهاية إلى وجود الإمبراطورية الرومانية.



كل التواريخ المبكرة للممالك هي - بشكلٍ نظري - تتكوّن من النوع نفسه: منطقة معينة من البلاد، مُقسّمة بين عدد معين من القبائل، التي تتحدثُ لغةً مُشتركةً فيما بينها، وكل من هذه القبائل تُحكم من قبل زعيمٍ مُنفصل. إحدى هذه القبائل تُصبح هي المهيمنة على البقية، وذلك من خلال المهارة في الحرب أو دبلوماسيّة أحد زعمائها، وبالتالي يتم تنظيم كل مناطق البلاد في مملكة واحدة. وهكذا فإن تاريخ إنجلترا مرتبط بكيفية سعي مملكة (ويسّكس Wessex)<sup>(4)</sup> إلى الهيمنة على كامل البلاد. ويروي تاريخ فرنسا كيف أن الملوك الذين حكموا أرض فرنسا انتشر حكمهم على ما تبقى من الأراضي، وتاريخ اليهود - بشكلٍ رئيس - هو وصف لكيفية حصول قبيلة (يهوذا Judah)<sup>(5)</sup> على الهيمنة على بقية القبائل، والتاريخ الروماني، كما يوحى اسمه، يخبرنا عن كيفية نمو سكان مدينة واحدة ليكونوا سادة العالم المعروف كله، ولكن إمبراطوريتهم قد تهيأت لهم من خلال سلسلةٍ طويلةٍ من التوسعات المتماثلة، والتي يمكن وصفها بأنها ابتلاع متعاقب للإمبراطورية تلو الإمبراطورية، كلها أصبحت متضخمة في هذه العملية، حتى تم الانتهاء أخيراً من اكتمال سلسلة الرومان في التوسع. هذا الانتشار التدريجي للسيادة في كل مرحلة، زاد من معرفة البشر بالأمم المحيطة بهم، وبالتالي فإنه يأتي ضمن دائرة اختصاصنا لتلخيص هذه المراحل تقريباً، كجزء من قصة الاكتشاف الجغرافي.

من وجهة نظر الجغرافيا، اعتبرنا أنه يمكننا مقارنة هذا الانتشار من معرفة الإنسان كنمو صدفةٍ محارٍ ضخمة، ومن وجهة النظر هذه، علينا أن نأخذ شمال الخليج العربي كقمة للصدفة، ونبدأ بالإمبراطورية البابلية. عندنا مملكة بابل أولاً - والتي في المراحل المبكرة، قد يكون من الأفضل تسميتها: ب - (الكلدانية Chaldean) - في جنوب بلاد ما بين النهرين - (أو وادي ما بين النهرين، دجلة والفرات)، والتي، خلال الألفيتين الثانية والثالثة قبل عصرنا، انتشرت على طول وادي نهر دجلة.

ولكن في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، قام الآشوريون الذين كانوا في الشمال منها - مع أنهم كانوا سابقاً تابعين لبابل - قاموا باحتلالها، وبعد مجموعة تقلبات، نصبوا أنفسهم حُكَّاماً على كل أنحاء بلاد ما بين النهرين والكثير من الأراضي المحيطة بها. في العام (604 قبل الميلاد) تم نقل عاصمة هذه الامبراطورية العظيمة مرة أخرى إلى بابل، حتى أنه في المرحلة الأخيرة، وكذلك في البداية، يمكن أن تسمى: بلاد بابل، لأغراض التمييز، ومع ذلك، يمكن أن ندعو هذه المراحل الثلاث المتعاقبة: الكلدانيون، والإمبراطورية الآشورية، وبلاد بابل.

وفي هذه الأثناء، مباشرة إلى الشرق، مرت عملية مماثلة جداً، رغم أن التطوير كان من الشمال إلى الجنوب. الميديون في الشمال طوروا إمبراطورية قوية في شمال بلاد فارس، سقطت في نهاية المطاف في أيدي (سايروس الكبير Cyrus the Great)<sup>(6)</sup> في العام (546 قبل الميلاد) وشرع بعد ذلك بالاستيلاء على مملكة (ليديا Lidya)<sup>(7)</sup>، في الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، والتي ورثها من قبل الملاك (الحثيين Hittites)<sup>(8)</sup>. أخيراً اتجه للاستيلاء على إمبراطورية بابل، من خلال هجومه الناجح على العاصمة. في العام (538 قبل الميلاد) مدد قاعدة حكمه تقريباً وصولاً إلى الهند على جانب واحد - وكما نعلم من الكتاب المقدس (التوراة Bible) - إلى حدود مصر من ناحية أخرى؛ حتى ابنه (قمبيز Cambyeses)<sup>(9)</sup> نجح في إضافة مصر لبعض الوقت للإمبراطورية الفارسية، وكانت صدفة محار التاريخ، ووفقاً لذلك توسعت لتشمل تقريباً كل غرب آسيا.

يؤخذ القرنان التاليان في التاريخ العالمي، عن طريق النضال البطولي لليونانيين ضد الإمبراطورية الفارسية، وهو الصراع الأكثر حسماً في التاريخ كله، لأنه حدد ما إذا كانت أوروبا أو آسيا يجب أن تغزو العالم. وحتى الآن كان اتجاه الغزو من الشرق إلى الغرب؛ وإذا كان غزو (زيركسيس Xerxes)<sup>(10)</sup> ناجحاً، فلا شك في أن الاتجاه نحو الغرب قد استمر. ولكن

منطقة البلاد الأكبر التي تغطيها الإمبراطورية - خصوصاً عندما يتم تضمين القبائل والشعوب المختلفة في ذلك - تصبح أضعف وأقل تنظيمًا. ضمن ما يزيد على قرنٍ قُيِّل وفاة سايروس العظيم، اكتشف الإغريق نقطة الضعف في الإمبراطورية الفارسية، وذلك بسبب حملة العشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين تحت قيادة زينوفون الذي كان قد شارك من قبل سايروس الأصغر سنًا في محاولة للاستيلاء على الحكم في الإمبراطورية الفارسية من أخيه. قُتِل سايروس في العام (401 قبل الميلاد)، ولكن العشرة آلاف، تحت قيادة زينوفون، تمكنوا من الصمود ضد كل محاولات الفرس لتدميرهم، ووجدوا طريق عودتهم إلى اليونان.

وفي الوقت نفسه كانت العملية المعتادة التي تصبح فيها البلاد موحدة مستمرة في اليونان. من وقت لآخر كانت إحدى القبائل في هذا البلد الجبلي المنقسم، تنال السيادة على البقية : في البداية الأثينيين، نظراً للدور البارز الذي كانوا قد اتخذوه في صد الفرس. ثم الإسبرطيين، وأخيراً الطيبين. ولكن على الحدود الشمالية جنس من مُتسلقي الجبال الجريئين، المقدونيين، قد عززوا قواتهم، تحت قيادة (فيليب المقدوني Philip of Macedon)<sup>(11)</sup>، وأصبحوا سادةً على كل اليونان. كان فيليب قد تعلم درساً ناجحاً من تراجع العشرة آلاف، وقبل وفاته، كان يستعد لمهاجمة الملك العظيم لبلاد فارس مع جميع القوى التي وضعتها سيادة اليونان تحت تصرفه. ابنه الإسكندر الأكبر نفذ نوايا والده فيليب. في غضون اثني عشر عاماً (334-323 قبل الميلاد)، كان قد غزا بلاد فارس، و(بارثيا Parthia)<sup>(12)</sup>، والهند (بالمعنى الدقيق للكلمة: أي وادي السند)، وبلاد مصر. بعد وفاته قُسمت إمبراطوريته الضخمة بين جنالاته، ما عدا البلاد في أقصى الشرق، والتي كانت تُدار كلها على أساليب اليونان، وكان يمكن لمن يتحدث اليونانية أن يمر من بلد إلى آخر دون صعوبة، ويمكننا أن نفهم كيف يمكن الحصول على معرفة المنطقة كلها من البلاد بين

البحر الأدرياتيكي والسند من قبل العلماء اليونانيين. قام الإسكندر الأكبر بتأسيس عدد كبير من المدن، جميعها تحمل اسمه، وفي نقاط مختلفة من جولته الغازية، ولكن أهمها تتمثل في أنها في مصب نهر النيل، والمعروفة إلى يومنا هذا باسم الإسكندرية. هذه المدينة كانت المركز الفكري للعالم الهليني كله، وبالتالي رأينا أن إراتوستينيس كتب أول طريقة منهجية لكل المعرفة عن الأرض المسكونة التي كانت قد اكتسبت بشكل رئيس من فتوحات الإسكندر الأكبر.

المهم أنه مهما كانت المسيرة المظفرة للإسكندر الأكبر خلال غرب آسيا، سواء في التاريخ أم في الجغرافيا، فإنه لا يمكن أن يقال أنها قد أضافت الشيء الكثير جداً للمعرفة الجغرافية، فهيرودوتس كان يعرف تقريباً معظم أنحاء البلاد التي اجتازها، ما عدا شرق بلاد فارس والمنطقة الشمالية الغربية للهند. ولكن مسارات الإسكندر الأكبر وجنالاته قد ساهمت بمزيد من المعرفة الدقيقة للمسافات بين المراكز الهامة المختلفة للسكان، وفي تمكين إراتوستينيس وخلفائه لمنحها موقعاً واضحاً على خرائطهم للعالم. وما تعلموه بصورة رئيسة من الإسكندر الأكبر وخلفائه المباشرين كانت معرفة أكثر دقة لشمال غرب الهند. فحتى وقت متأخر من سترابو، المعرفة الوحيدة، التي وُجِدَتْ في الإسكندرية للأماكن الهندية، كانت تلك المعطاة من قبل (ميجاستينيس Megasthenes<sup>(13)</sup>، سفير الهند في القرن الثالث قبل الميلاد.

وفي الوقت نفسه، في الجزء الغربي من العالم المتحضر، تواصلت عملية مماثلة ففي شبه الجزيرة الإيطالية استمر الكفاح المعتاد بين مختلف القبائل التي كانت تقطنها. لم يكن السهل الخصيب لمنطقة (لومبارديا Lombardy)<sup>(14)</sup> في تلك الأيام معتبراً بأنه ينتمي إلى إيطاليا، بل كان يُعرف بفرنسا الألبية. جنوب إيطاليا، كما رأينا، كان مسكوناً بشكل رئيس من قبل المستعمرين اليونانيين، وكان يُسمى باليونان العظمى. بين

هذه المناطق من البلاد، كانت الأراضي الإيطالية مسكونة من قبل ثلاث مجموعات من القبائل المتوحدة، (الإتروريون Etrurians<sup>(15)</sup>)، و(السامنيتيون Samnites<sup>(16)</sup>)، و(اللاتينيون Latins). خلال الـ (230 عاماً) ما بين سنة: (510 - 280 ق.م). قامت روما باحتلالها جميعاً وحصلت على السيادة بين هذه المجموعات الثلاث من القبائل، وهذا التاريخ الأخير يمكن اعتباره بعد توحيدها وسط إيطاليا بالاتحاد الإيطالي، ومركزه روما. في هذا التاريخ الأخير، حاول الملك اليوناني (بيروس الإييري Pyrrhus of Epirus<sup>(17)</sup>)، إثارة المستعمرات اليونانية في جنوب إيطاليا ضد القوة المتنامية لروما، لكنّ تدخله أدى فقط إلى توسيع نطاق السيطرة الرومانية وصولاً إلى كعب وإصبع القدم الكبير لإيطاليا.

إذا كانت روما تمضي قدماً على نحو الأبعد، فإن صقلية تكون الخطوة التالية.. ففي تلك اللحظة تعرضت صقلية للتهديد من قبل قوة عظمى أخرى من الغرب هي (قرطاج Carthage<sup>(18)</sup>). كانت قرطاج من أهم المستعمرات التي أسسها الفينيقيون (ربما في القرن التاسع قبل الميلاد)، في غرب البحر الأبيض المتوسط، للمضي في سياسة إنشاء محطات التجارة على طول الساحل، وهو ما تميز به الفينيقيون من أول ظهور لهم في التاريخ، فاستولوا على جميع الجزر في ذلك الجزء من البحر، وعلى أية حال منعوا أي دولة أخرى من الاستقرار في (كورسيكا Corcica<sup>(19)</sup>) و(سردينيا Sardinia<sup>(20)</sup>) و(جزر البليار Balearic Isles<sup>(21)</sup>). وعلى وجه الخصوص تولّت قرطاج حيازة الجزء الغربي من جزيرة صقلية، والتي تم احتلالها من قبل شقيقة المستعمرات الفينيقية، في حين عملت روما كل ما في وسعها لتعزيز الفتوحات من خلال الاعتراف للإيطاليين الآخرين بجزء قليل من الحصّة في الحكومة المركزية لهم، ونظرت قرطاج لممتلكاتها الأجنبية على أنها مجرد منافذ عديدة للتجارة. في الواقع، أن قرطاج تعاملت مع الشريط الساحلي الغربي من البحر الأبيض

المتوسط كما تعاملت شركة الهند الشرقية مع ساحل هندوستان وأنشأت مصانع في مناطق مريحة. ولكن مثلما وجدت شركة الهند الشرقية أنه من الضروري الاستيلاء على الأراضي المجاورة من أجل تأمين التجارة السلمية، مدّدت قرطاج كل الفتوحات إلى أسفل الساحل الغربي لأفريقيا والجزء الجنوبي الشرقي من إسبانيا، في حين كانت روما تمتد نحو إيطاليا. ولنواصل قياسنا صدّفيّاً: فبحلول الوقت الأول من الحرب البونيقية (روما وقرطاج) توسعت كل منهما في صدفة، وبين الاثنين تداخل القسم الشرقي من جزيرة صقلية. ونتيجة لذلك، أصبحت روما سيدة صقلية، ثم استُنف النضال النهائي مع (هانيبال Hannibal)<sup>(22)</sup> في الحرب البونيقية الثانية، ما أدّى لأن تحكم روما إسبانيا وقرطاج العام (200 قبل الميلاد) وكانت روما عملياً سيدة غرب البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أنه أخذ القرن الآخر لتعزيز تراثه من قرطاج في إسبانيا وموريتانيا. وخلال القرن الثاني - السابق لعصرنا - مددت روما حدودها الإيطالية أيضاً إلى جبال الألب، بغزوها فرنسا الألبية التي، مع ذلك، اعتُبرت خارج إيطاليا، وتم فصلها من خلال نهر (روبيكون Rubicon)<sup>(23)</sup>. في هذا القرن نفسه بدأ الرومان التدخل في شؤون اليونان التي سقطت بسهولة في أيديهم، وبالتالي مهدت الطريق إلى أن ينالوا نصيبهم من إمبراطورية الإسكندر الأكبر.

هذا، في معظم الأحوال، كان عمل القرن الأول قبل عصرنا، عندما أصبح التوسع في روما استنتاجاً عملياً. كان هذا أساساً عمل رجلين هما: (قيصر Caesar)<sup>(24)</sup> و(بومبي Pompey)<sup>(25)</sup>. واقتداءً بعمه (ماريوس Marius)<sup>(26)</sup>، قام الإمبراطور قيصر بمد السيادة الرومانية إلى ما وراء جبال الألب حتى بلاد الغال، ألمانيا الغربية، وبريطانيا، ولكن من وجهة نظرنا الحالية كان بومبي هو الذي مهد الطريق لروما للاستمرار بخلافة الإمبراطورية في الأجزاء الأكثر تحضراً في العالم، وبالتالي استحق لقبه

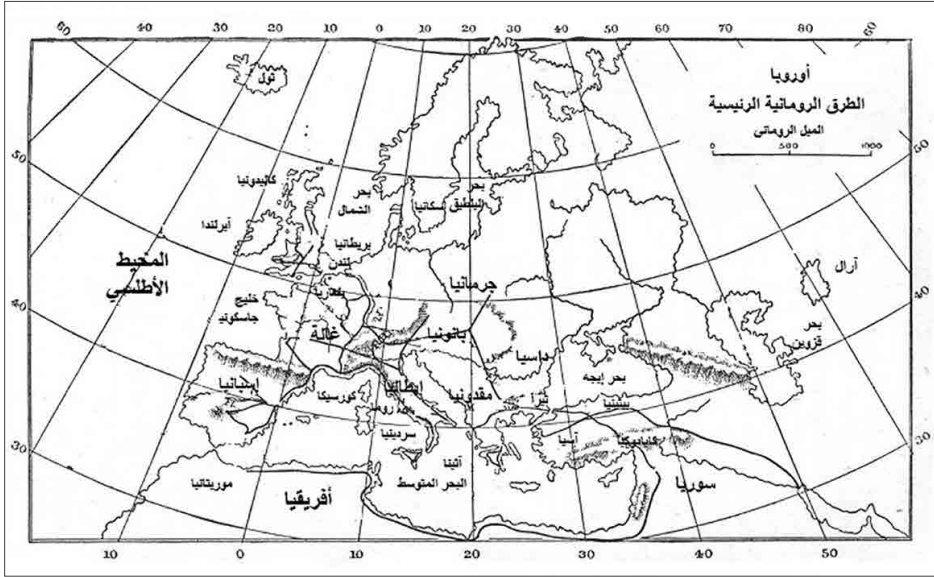
«العظيم»؛ فهو قد سحق - إن جاز التعبير - تلك الولايات المختلفة التي تم بها تقسيم آسيا الصغرى، وبالتالي مهد الطريق لسيطرة الرومان على غربي آسيا ومصر. بحلول وقت بطليموس، كانت الإمبراطورية مَوْحَّدةً تماماً، وخريطته وملاحظاته الجغرافية دقيقة بشكلٍ محتملٍ داخل حدود الإمبراطورية فقط.

وتجدر هنا الإشارة إلى واحدة من الوسائل التي مَكَّنَتِ الرومان من تعزيز سيادتهم. فمن أجل أن تَمُرَّ جحافلهم بسهولة من جزءٍ ما من هذه الإمبراطورية الضخمة إلى جزءٍ آخر، قاموا ببناء الطرق، وفي خطوط مستقيمة بشكلٍ عام، وهكذا شَيِّدَت بشكلٍ مطَّرد في العديد من الأماكن في جميع أنحاء أوروبا، بحيث يمكن أن نتبعها حتى وقتنا الحاضر. وبعد مضي مائة وخمسة عشرة سنة، وبسببها، بنسبةٍ كبيرة، تمكَّنت روما من الحفاظ على إمبراطوريتها سليمة إلى ما يقرب من خمسمائة سنة، وحتى يومنا هذا يمكن للمرء أن يتتبع الفرق في حضارة تلك البلدان التي حكمتها روما ذات يوم.. باستثناء التأثير الإسلامي الذي قد مرَّ مثل الإسفنج على المحافظات الرومانية القديمة وحافظ عليها، فإن الحضارة أو فن العيش معاً في المجتمع، هو عملياً نتيجة للقانون الروماني، وبهذا المعنى كل الطرق في التاريخ تؤدي إلى روما.

يلخِّص لنا عمل كلوديوس بطليموس المعرفة التي كان الرومان قد اكتسبوها بميراثهم، على الجانب الغربي من الإمبراطورية القرطاجية، وعلى الشرق من بقايا إمبراطورية الإسكندر الأكبر، والتي يجب أن تُضاف لفتوحات قيصر في شمال غرب أوروبا. وقيصر هو في الحقيقة حلقة الوصل بين اثنتين من الأهداف التي كانت تنمو على مَرِّ التاريخ القديم. فلقد أضاف (غالة Gaul)<sup>(27)</sup>، وألمانيا، وبريطانيا إلى المعرفة الجغرافية، ومن خلال صراعه مع بومبي، ربط بين المشرق وفتوحاته الشمالية. واحدة من نتائج عمله الإمبراطوري يجب الإشارة إليها هنا، عن طريق



جعل جميع البشر المتحضرين تحت حكم واحد، وتهيئتهم لعبادة إله واحد. كان هذا الأمر يخلو من تأثير على الترحال والاكتشاف الجغرافي، فالحاجز الكبير بين الجنس البشري كان دائماً الاختلاف في الدين، وروما، من خلال تحطيمها خصوصية الأديان المحلية، واستبدالها لهم بالعبادة العامة لعظمة الإمبراطور - مكّنت جميع سكان هذه الإمبراطورية العظمى أن يشعروا بالتواصل بعضهم مع بعض، بصورة أخذت في نهاية المطاف شكلاً دينياً، كما نعلم.



من الآن فصاعداً ستشكّل الإمبراطورية الرومانية المركز الذي يتعلق بأية إضافات إلى المعرفة الجغرافية. كما سنرى، فقد جزء من المعرفة المكتسبة من قبل الرومان في العصور المظلمة التي أعقبت تفكك الإمبراطورية. ولكن تحقيقاً لأهدافنا فسيتم إهمال هذا الاكتشاف الجغرافي في الفصول التالية، يمكن أن يؤخذ تقريباً ليكون إضافات وتصحيحات للمعرفة التي لخصها كلوديوس بطليموس.





## هوامش الفصل الثاني

- (1) **نهر الغانج Ganges**: هو أحد أكبر أنهار شبه القارة الهندية، يجري باتجاه الشرق مخترقاً السهل الغانجي في شمال الهند، وينتهي في بنغلادش. يبلغ طوله 2510 كلم (1560 ميلاً) وهو ينبع من جبال الهيمالايا الغربية في ولاية أوتاراخند الهندية، وينتهي بدلتا غنيّة بالغابات، قرب مصبّه في خليج البنغال. تبلغ مساحة حوض نهر الغانج حوالي 907.000 كلم<sup>2</sup>، وينظر الهندوس إليه باعتباره نهراً مقدّساً، ويعبدون إلهاً يمثله هو الإله غانغا.
- (2) **نهر يانغ تسي كيانغ Yang tse Kiang**: ينبع من كينغ هاي والتبت في الصين، ويصبّ في بحر الصين الشرقي. يبلغ طوله 6211 كلم، ومساحة حوضه 1800000 كلم<sup>2</sup>، ويُعدّ هذا النهر الأطول في آسيا، ورابع نهر في العالم، بعد النيل والأمازون والميسيسيبي.
- (3) **سام وحام وجافيت Shem, Ham, and Japhet**: هم أبناء النبي نوح عليه السلام، وحام بن نوح هو الابن الأصغر لأبناء نوح الأربعة (أبناء نوح أربعة هم: سام، حام، يافيت ويام، وأصغرهم هو يافيت، حسب وكيبيديا)، وأحد الثلاثة الذين آمنوا بنوح وبرسالة نبوته، فركبوا معه السفينة تفادياً للطوفان الذي بعثه الله ليهلك الكافرين.
- (4) **مملكة وسكس Wessex**: دولةٌ جرى تأسيسها في فترة العصور الوسطى، بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، حتى العام 927م، بعد توحيد الممالك إنجلترا على يد إيثيلستان السكسوني وكانت أسرة التي تحكم الدولة أنجلو سكسونية هي أسرة وسكس (مراجعة الكاتب).
- (5) **قبيلة يهوذا Judah**: قبيلة يهوذا الجنوبية (ومنها جاء اسم اليهود) ظلّت هي القائمة كآخر المجموعات اليهودية، حتى العام 587 ق.م، حيث دُمّرت الدولة على يد البابليين، وتمّ اقتياد أهلها كأسرى وسبائاً إلى مملكة بابل. هؤلاء اليهود لم يذوبوا في المجتمع البابلي، بل احتفظوا بأنفسهم ككيانٍ مستقل، ولم ينصهروا في المجتمع المحيط، كما انصهر أبناء دولة اليهود الشمالية.
- (6) **سايروس الكبير أو كورش أو قورش Cyrus the Great**: أول ملوك فارس (560 - 529 ق.م) واسمه كورش بن كمبوجية بن كورش بن جيشيش بن هخامنش، أحد أعظم ملوك الفرس الأخمينية، استولى على آسيا الصغرى وبابل وميديا. حكم خلال الأعوام 550-529 ق.م، وقتل في ماساجت، ودفن في باساركاد.

(7) مملكة ليديا **Lydia**: هي منطقة تاريخية في غرب الأناضول، تتطابق مع المحافظتين التركيتين الحاليتين إزمير ومانيسا. عاصمتها التقليدية كانت سرديس، غير أن مملكة ليديا غطت - في أقصى اتساعها - كامل غرب الأناضول، ولاحقاً أصبح «ليديا» اسم مقاطعة رومانية. اشتهرت ليديا باختراع العملات النقدية، حوالي العام 660 ق.م.

(8) **Hittites**: من الشعوب القديمة المتحدثة باللغة الهندية الأوروبية، أنشؤوا مملكتهم في حاتوسا، شمال الأناضول، في القرن الثامن عشر ق.م. وفي القرن الرابع عشر ق.م، بلغت مملكة الحيثيين ذروتها، شاملةً وسط الأناضول وجنوب غرب سوريا، وصولاً إلى أقصى حدود أوغاريت وبلاد الرافدين العليا، كما حكمت جزءاً كبيراً من الهلال الخصيب.

(9) **Cambyses** (مات العام 522 ق.م): ملك الفرس، ويُعرف باسم قمبيز الثاني، وهو ابن قورش الأكبر، تولى الحكم بعد أن لقي والده حتفه في إحدى الحملات، العام 529 ق.م، ليعمل بعد توليه العرش على تثبيت دعائم حكمه وتأمين حدوده التي قامت فيها بعض الفلاقل. وبعد أربع سنوات بدأ التفكير باحتلال مصر وضمها إلى الإمبراطورية الفارسية.

(10) **Xerxes الأول** (حكم 486-465 ق.م.) وهو معروف أيضاً باسم زيركسيس الكبير: كان ملك الإمبراطورية الأخمينية الفارسية، ولقبه الرسمي «شاهانشا» الذي يعني في الواقع «ملك الملوك»، بالرغم من ترجمته عادة بـ «الإمبراطور». تشير إليه مؤلفات كل من هيرودوتس، وديودوروس الصقلي، وكويتوس كيرتيوس روفوس، وبلوتارخ، باسم «زيركسيس»، وهو النسخة اليونانية من الفارسية «خشيارازا» (أو خشيار شاه). يحتفل زيركسيس بمشاريعه العديدة في مجال البناء في جميع أرجاء إمبراطوريته، لكنّه معروفٌ في كلٍّ من المصادر القديمة والحديثة بالبعثة الضخمة التي قام بها ضد اليونان (480 ق.م.) وفقاً لهيرودوتس، والتي جمعت أكبر وأضخم قوة مجهزة تجهيزاً هائلاً. كان والده داريوس الكبير (550-486 ق.م.) قد حاول معاقبة أثينا على دعمها المستعمرات الأيونية ضد الحكم الفارسي، وقد غزت اليونان في 492 ق.م، غير أنّ الفرس انهزموا أمام القوات اليونانية في معركة ماراثون 490 ق.م، وتوفي داريوس العام 486 ق.م، قبل أن يتمكن من شنّ هجوم آخر، لذلك آلت إلى ابنه زيركسيس مهمة تنفيذ رغبات والده وحشد جيشٍ بهذا الحجم والقوة، وكان زيركسيس يشعر بالثقة بنجاحه في تحقيق ما لم يتمكن داريوس العظيم من تحقيقه.

(11) **Philip of Macedon** (382 - 336 ق.م.): ملك يوناني، حكم مقدونيا من العام 359 ق.م حتى وفاته. ولد في مدينة بيللا، وسجن بطفولته في طيبا، أقوى مدينة يونانية آنذاك، ثم أطلق سراحه، وما لبث أن استولى على العرش المقدوني.

تحت حكمه صارت مقدونيا قوية وحدودها آمنة، كما غزا مناطق كثيرة في البلقان. لما رأت أثينا وطيبا أن حرية اليونان مهددة من قبل فيليب، قررتا الاتحاد ضده، فالتقى الجمعان قرب مدينة كيرونيا، وكانت قوة الجيشين متعادلة، وخيالة فيليب تحت قيادة ابنه الإسكندر، وانتهت المعركة بفوز فيليب، ليصير بذلك الحاكم المطلق لليونان، ولقد اجتمعت المدن كلها، باستثناء أسبرطة في كورنثيا، للاعتراف بملكه على اليونان.

(12) **بارثيا أو فارثيا Parthia**: إقليم في الشمال الشرقي من إيران، اشتهر بكونه القاعدة السياسية والثقافية للأسرة الأشكانية، حكام الإمبراطورية الفارثية. تقع بارثيا بشكل تقريبي في النصف الغربي من إقليم خراسان، الواقع في الشمال الشرقي لإيران. كانت تحدّها من الشمال سلسلة جبال كوبه داغ، ومن الجنوب صحراء كوير، أما من الغرب فتحدها ميديا، ومن الشمال الغربي هيركانيا، ومن الشمال الشرقي مارغيانا، ومن الجنوب الشرقي آريا.

(13) **ميجاستينس Megasthenes** (350 - 290 ق.م.): مؤرخ يوناني قديم ودبلوماسي وأثنوغرافي ومستكشف في الفترة الهلنستية، ومؤلف العمل المشهور (إنديكاس). ولد في آسيا الصغرى، وأصبح سفيراً لسلوقوس الأول إلى الهند، لكن الموعد المحدد لسفارته غير مؤكد.

(14) **لومبارديا Lombardy**: أحد الأقاليم العشرين التي تتكون منها إيطاليا، يقع في شمال البلاد، تحدّه شمالاً سويسرا وشرقاً إقليم ترينتينو ألتو أديجي وفينيتو، وجنوباً إقليم إميليا رومانيا، وشرقاً إقليم بييمونتي، وعاصمته ميلانو. سُكن الإقليم منذ القرن الخامس ق.م، وغزاه الرومان بعد الحرب البونية الثانية 128-201 ق.م، كما تعرض لغزوات أخرى، واستقر فيه اللومبارديون في القرن السادس الميلادي، وهم قبيلة جرمانية، وقد سمّي هذا الإقليم باسمهم، وصار مركزاً لمملكة لومبارديا التي شملت معظم إيطاليا، عدا جنوبها، لتعاني المملكة التقهقر بدءاً من العام 774 م.

(15) **الإثرويون القدماء الذين يحملون اسم إتروسكانز**: شعبٌ تركّزت ثقافته المعقدة على العديد من الدول والمدن التي ازدهرت في القرن التاسع ق.م. كانت ثقافة الإثرويين قوية جداً ومهيمنة في إيطاليا قبل العام 650 ق.م، وتُفوق ثقافة الشعوب الميتمية القديمة الأخرى، مثل ليغوريس، ويمكن أن ينظر إلى نفوذها خارج حدود إتروريا في وادي نهر بو واللاتين، وكذلك في كامبانيا، ومن خلال الاتصال بالمستعمرات اليونانية في جنوب إيطاليا (بما في ذلك صقلية).

(16) **السامنيتيون Samnites**: من الشعوب الإيطالية العريقة المحاربة التي عاشت في جبال سامنيوم، جنوب وسط إيطاليا، وأصبحوا متورطين في حروب عدّة مع الجمهورية الرومانية، حتى القرن الأول ق.م.

(17) **بيروس الإيبيري** أو **بيرهوس الإيبيري** **Pyrrhus of Epirus** (319-272 ق.م): جنرال إغريقي من العصر الهيليني، كان ملك السلالة المولوسيانة اليونانية، وهو أحد أفراد العائلة المالكة الأخية، أصبح لاحقاً ملك إبيروس وملك مقدونيا القديمة، وهو أحد المعارضين الأشداء لقيام روما المبكرة. قاد العديد من المعارك التي - بالرغم من نجاحها - كلفته خسائر جسيمة، ومنه جاء التعبير «النصر البيروسي»، أي النصر الذي يكلف غالياً، وقد ذكره المؤرخ الإغريقي بلوتارخ في كتابه «سير النبلاء الإغريق والرومان».

(18) **قرطاج**: تأسست مدينة قرطاج العام 814 ق.م. وحسب رواية المؤرخين القدماء، قامت بتأسيسها الأميرة الفينيقية «عليسة» أو «أليسا» أو «أليسا» التي جاءت هاربةً من أخيها، مع أصحابها من مدينة صور اللبنانية، وسميت المدينة «قَرْتُ حَدَشْتُ» بمعنى «المدينة الجديدة» (من الفينيقية: قَرْتُ أي مدينة، وحَدَشْتُ أي حديثة)، فأصبح الاسم «قرطاج»، عن طريق النطق اللاتيني. تقع قرب مدينة تونس في الجمهورية التونسية، في الشمال الشرقي، على بعد 15 كلم من العاصمة، فوق ربوة ترتفع 57 متراً تقريباً، ويمتد شريطها الساحلي على حوالي 3 كلم، ويحدها البحر الأبيض المتوسط شرقاً، وبلدية سيدي أبي سعيد شمالاً، وبلدية المرسى غرباً، وبلدية الكرم جنوباً. مساحة المنطقة 640 هكتاراً، ومساحة المناطق الأثرية 407 هكتارات، أي 63.58٪ تقريباً من المساحة الإجمالية. يختلف مناخها المتوسطي عن مناخ العاصمة، ويمتاز بلطف شتائه وبرودة صيفه. وبمقتضى الأمر الرقم 1246 لسنة 1985م، صُنِفَ موقع قرطاج ضمن قائمة التراث العالمي التي وضعتها اليونسكو، وبصفتها مدينةً سياحية، يزورها قرابة المليون سائح سنوياً.

(19) **كورسيكا** **Corcica**: جزيرة فرنسية في البحر المتوسط، تقع غرب إيطاليا، وشمال جزيرة سردينيا، وجنوب شرق فرنسا، وهي الرابعة من حيث المساحة في المتوسط، بعد صقلية سردينيا وقبرص، وفيها مسقط رأس نابليون بونابرت وميشال زيفاكو، ويعتمد اقتصادها على السياحة، بشكل عام.

(20) **سردينيا** **Sardinia**: ثاني أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، بعد صقلية وقبل قبرص. يعود اسم سردينيا إلى الاسم «سارد» ما قبل الروماني (باللاتينية ساردوس ومؤنثه ساردا)، ويعتقد أن لهذا الاسم دلالة دينية، بسبب استخدامه أيضاً كصفة للبطل الإله ساردوس باتر «الأب السرديني»، من الميثولوجيا السردينية. دُعيت سردينيا «إكنوسا»، وهو اللفظ اللاتيني لـ «هيكنوسا» اليونانية، ودُعيت أيضاً سندانليون وسردينيا وساردو، من قبل الإغريق والرومان، وهي إقليم ذاتي الحكم من إيطاليا، وتجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الإسبانية.

(21) جزر البليار **Balearic Isles**: منطقة تقع في شرق إسبانيا، تتكون من سبع عشرة منطقة حكم ذاتي في إسبانيا، عاصمتها مدينة ميورقة، وتنفرد بمقاطعة واحدة، هي جزر البليار.

(22) حنبعل بن حملقار برقا، الشهير بـ حنا بعل أو هانيبال أو هاني بعل (247-182 ق.م): قائد عسكري قرطاجي فينيقي، ينتمي إلى عائلة بونيقية عريقة، ويُنسب إليه اختراع العديد من التكتيكات الحربية في المعارك، لا تزال معتمدة حتى اليوم. يقول الجنرال الأمريكي نورمان شوارزكوف: «تعلمت الكثير من حنبعل، حيث طبقت تكتيكاته في التخطيط».

(23) نهر روبيكون **Rubicon**: يقع بالقرب من ريميني في إيطاليا، ويعود الفضل بشهرته إلى يوليوس قيصر، حين كان حاكمًا لبلاد الغال. كان الروبيكون جزءًا من الحدود بين إيطاليا الرومانية ومقاطعة الغال الجنوبية (وادي البو)، وكان محظوراً على يوليوس قيصر وغيره من الحكام الرومانيين عبور الحدود بجنودهم. كان يوليوس قيصر يقود قواته في بلاد الغال، عندما أصدر السناتوس (مجلس الشيوخ) الروماني أوامره له بالتّنحي عن القيادة، بعدما باتت قوته مصدر خشية، لكنه رفض، وقاد رجاله عبر الروبيكون في 10 يناير 49 ق.م، وكان هذا بداية سعي قيصر إلى زعامة روما، وكتب له النجاح، ومن ثم بات تعبير «عبور الروبيكون» يعني قراراً لا يمكن العدول عنه. اسم الروبيكون مشتق من كلمة لاتينية تعني أحمر، نظرًا إلى تلوّن مياه هذا النهر بحمرة طبقات الغرين، ولعله هو ذاته النهر الذي يعرف اليوم باسم فيومتشينو.

(24) جايوس يوليوس قيصر **Gaius Julius Caesar** (100-44 ق.م): جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني، أول من أطلق على نفسه لقب «إمبراطور».

(25) بومبي **Pompey** (106-46 ق.م) أو بومبيوس الكبير: أحد القادة العسكريين الذين برزوا في أواخر عصر الجمهورية الرومانية، وينحدر من أسرة رومانية عريقة.

(26) غايوس ماريوس **Gaius Marius**: قنصل وعسكري روماني (100-107 ق.م)، كان هو من شارك ميتيلوس النوميدي حربه، كقائد في نوميديا ضد يوغرطة، أخذاً منه الزعامة على الجيش بعد فشله (طوال مدة الحرب) في القضاء على النوميديين.

(27) غالة **Gaul**: هو الاسم الذي أطلقه الرومان على المنطقة التي يسكنها الغاليون، وهم شعوب كلتية، كانت تمتد على شمال إيطاليا وفرنسا وبلجيكا.



## الفصل الثالث

# الجغرافيا في العصور المظلمة





لقد رأينا كيف تم - من خلال العملية البطيئة للغزو والتوسع - حصول العالم القديم على معرفة جزءٍ كبيرٍ من نصف الكرة الشرقي، وكيف تم تلخيص هذه المعرفة في العمل العظيم لكلوديوس بطليموس. علينا الآن أن نعرف؛ كم فُقد أو حُرِّف من هذه المعرفة؟ وكيف أن الجغرافيا، لبعض الوقت، فقدت الطابع العلمي، وأصبحت مرة أخرى موضوعاً للأهواء الأسطورية، مماثلة لتلك التي وجدناها في مراحلها المبكرة. واستبدال المعرفة لم تكن دقيقة تماماً، وكان قياسها تقريبياً لدى معلمي العصور الوسطى الذين اهتموا بترتيب العالم المسكون، وتغيير أفكارهم بما ينبغي أن تكون عليه<sup>(\*)</sup>. وهذه العملية لا تنطبق على الجغرافيا وحدها، بل على جميع فروع المعرفة، والتي بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، توقفت عن التوسع أو التقدم، وأصبحت مختلطة بالمفاهيم الخيالية، وتعافت فقط عند معرفة العلوم القديمة، وتمت استعادتها في القرن الخامس عشر. ولكن في الجغرافيا، يمكننا أن نلاحظ بسهولة أنها كانت أكبر مما كانت عليه في غيرها من العلوم الطبيعية الدقيقة، بسبب التأثير المزعج الذي حال دون اكتساب معارف جديدة.

باختصار، كان الدين هو صاحب التأثير، أو بالأحرى علم اللاهوت؛ ليس بالطبع الدين بالمعنى الصحيح للكلمة، أو علم لاهوت مستند على أساس المبادئ الحاسمة، بل المفاهيم اللاهوتية المستمدة من التقيّد الأعمى بنصوص الكتاب المقدّس، في الكثير من الأحيان التي

---

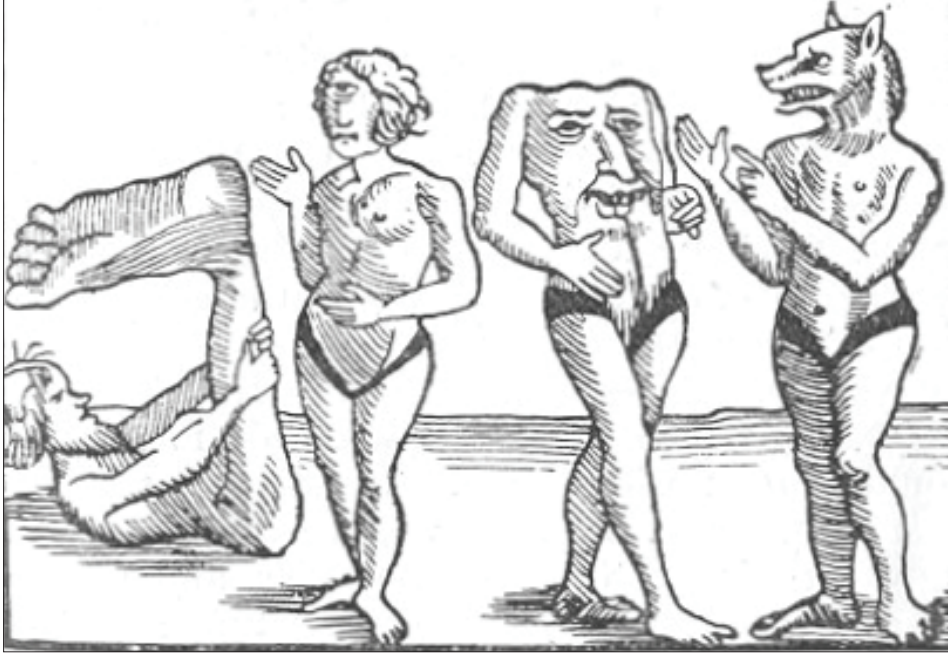
(\*) ومن الإنصاف أن نضيف أن أبحاث البروفيسور ميلر، أظهرت أن بعض الصفات «غير العلمية» للعصور الوسطى المابا موندي، ترجع إلى النماذج الرومانية، (المؤلف).

يُساء فهمها بشكل خطير. وباقتباس مثال واحد، عندما يُقال في حزقيال الخامس: «هذه أورشليم، لقد وضعتها في وسط الأمم... يدورون حولها». وهذا لم يأخذ به الرهبان في القرون الوسطى - الذين كانوا يعدون الجغرافيين الأساسيين في تلك الفترة - كيان شاعري، ولكن باعتباره القانون الرياضي الدقيق، والذي حَدَدَ الشَّكل الذي أخذته جميع الخرائط في العصور الوسطى. وبالطبع، كان ثمة قدر مُعيَّن من الحقيقة في البيان، حيث إن القدس ستكون حول مركز العالم كما هو معروف للقدماء - على الأقل - وتُقاس من الشرق إلى الغرب؛ ولكن، في الوقت نفسه، اعتمد جغرافيو العصور الوسطى فكرة هوميروس القديمة حول إحاطة المحيط بالعالم القابل للسكنى، بالرغم من وجود ميل وثيق، أحياناً، للحفاظ على كلمات الكتاب المقدس حول الزوايا الأربع للأرض. ومع ذلك، كقاعدة عامة، كان المفهوم التقليدي للعالم أن دائرة تضم مربعاً من نوع (T)، وُضع الشرق في الجزء العلوي منه، والقدس في المركز، والبحر الأبيض المتوسط كان مُقسَّماً بشكل طبيعي على النصف السفلي من الدائرة، في حين كانت منطقة بحر إيجة والبحر الأحمر تمتدَّان يميناً ويساراً بشكل عمودي، ما يُقسِّم الجزء العلوي من العالم، أو آسيا، عن الجزء السفلي، ويجعل أوروبا على اليسار وأفريقيا على اليمين. وسوف يُنظر إلى حجم البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي تحديد أبعاد القارات الثلاث. أحد الأخطاء الرئيسة في هذا المفهوم هو أنه أدى إلى قطع كل جنوب أفريقيا، التي أعادها، على ما يبدو دوران رحلة بحرية قصيرة لتلك القارة في الطريق إلى الهند، كما سنرى، وكان لهذا الخطأ نتائج مهمة وإيجابية على الاكتشاف الجغرافي.

وكانت النتيجة الأخرى لهذا المفهوم عن العالم، باعتبار (T) داخل (O)، هي امتداد آسيا إلى حدٍ هائل، وبما أن هذا الجزء من العالم كان أقل شهرة للرهبان - صانعي الخرائط - في العصور الوسطى،

فإنهم كانوا مضطرين لملء جهلهم من خيالهم، وبالتالي أوقعوا في آسيا كل الأساطير التي استمدت إما من الكتاب المقدس أو المصادر الكلاسيكية. وبالتالي كان ثمة تخيل - أساسه قليل جداً ويمكن العثور عليه في الكتاب المقدس - لأمتين عنيفتين اسمهما (يأجوج ومأجوج Gog and Magog)<sup>(1)</sup>، ستأتان في يوم واحد على تدمير العالم المتحضر. حيث كان يُعتقد أن موقعهما في ما يسمى حالياً سيبيريا، وأن الإسكندر الأكبر قد حجزهما وراء جبال من الحديد. عندما جاء الغزو المغولي الكبير في القرن الثالث عشر، كان من الطبيعي أن نفترض أن هذا الغزو لم يكن أقل من أسطورة يأجوج ومأجوج. كذلك تم تثبيت موقع الفردوس في أقصى الشرق، أو بعبارة أخرى، في الجزء العلوي من خرائط العصور الوسطى. بالإضافة إلى أن بعض جامعي المستندات الكلاسيكية، مثل (بليني Pliny)<sup>(2)</sup> و(سولينوس Solinus)<sup>(3)</sup> قد اعترفوا في كتاباتهم الجغرافية بأساطير لقبائل غريبة من الرجال المتوحشين البشعين، والتي تبدو أشكالهم مختلفة بشكل غريب عن الإنسان العادي. ومن بين هؤلاء يمكننا أن نذكر (السكيابودس Sciapodes)، وهم نوع من البشر الذين كانت أقدامهم كبيرة جداً، بحيث أنه عندما تكون السماء ساخنة، فإن بإمكانهم أن يستلقوا على ظهورهم ويكمنوا في ظل القدمين، ويرد ذكر لهذه المسوخ في إشارة شكسبير إليهم: «الأنثروبوفاغي»<sup>(4)</sup>، والرجال الذين تنمور رؤسهم تحت أكتافهم».

وفي الرحلات الأسطورية للسير (جون مانديفيللي Sir John Maundeville)<sup>(5)</sup> ثمة أمثلة على تلك الكائنات الغريبة، واحدة منها يُعاد إنتاجها هنا على حدٍ سواء، ومساحاتٍ أخرى من البلاد كان من المفترض أن حيوانات بشعة متوحشة تسكنها؛ واستخدمت معظم هذه الرسوم لملء المساحات الفارغة الكثيرة في خرائط العصور الوسطى لآسيا.



المسوخ الجغرافية

لقد ذهب أحد المؤلفين، في الواقع، بحماسة اللاهوتي، إلى أبعد من ذلك بكثير في تعديل مفاهيم العالم المأهول، وهو تاجرٌ مسيحي يدعى (كوزماس Cosmas)<sup>(6)</sup>، الذي كان قد سافر إلى الهند، وكان معروفاً وفقاً لذلك باسم (كوزماس إنديكوبلوسستس)، فكتب حوالي سنة (540 ميلادية)، عملاً بعنوان: «الطوبوغرافيا المسيحية»، ليُفَنِّد ما كان يُعتقد أنه يمكن أن يكون وجهات نظر خاطئة من قبل الوثائق الوثنية حول تكوين العالم. وما أثار حفيظته بشكل خاص كان مفهوم تصور الشكل الكروي للأرض، والمتناقضات، أو الرجال الذين يمكنهم الوقوف رأساً على عقب، فرسم صورة كرة مستديرة، مع أربعة رجال يقفون عليها بأقدامهم على الجانبين المتقابلين، وسأل واثقاً: كيف يمكن للرجال الأربعة أن يستطيعوا الوقوف بشكلٍ عمودي؟ ورداً على أولئك الذين طلبوا منه أن يشرح كيف يمكن أن

يتشكّل الليل والنهار إذا كانت الشمس لا تدور حول الأرض، قال: لنفترض وجود جبل ضخّم في أقصى الشمال، الدورة التي تحرك الشمس مرة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة. فتكون ليلاً عندما تكون الشمس تدور على الجانب الآخر من الجبل. وقال: إنه يثبت أيضاً، بكل قناعة، أن الشمس، عوضاً من كونها أكبر، هي أصغر بكثير جداً من الأرض. فالأرض - حسب رأيه - هي كطائرة متوسطة الحجم، والأجزاء المأهولة منها فصلت عن العالم القديم بالمحيط، وعلى الزوايا الأربع للمكان بكامله أنشئت الركائز التي دعمت السماوات، بحيث كان الكون كله، أو شيء من هذا القليل، كمعرض كبير من الزجاج، وعلى رأسه السماء، وتقسيم المياه أعلاه وأسفله، وفقاً للفصل الأول من سفر التكوين.

وجهات نظر كوزماس، على أية حال، كانت مثيرة للاهتمام ومسلية، وكان مبالغاً فيها تماماً لتكتسب الكثير من المصداقية أو الاهتمام حتى من الرهبان في العصور الوسطى، ونحن لا نجد أية إشارة لها في مختلف خرائط (مابا موندي (mappa mundi)<sup>(7)</sup> التي تلخص معرفتهم - أو بالأحرى جهلهم - حول العالم. واحدة من أكثر هذه الخرائط أهمية موجودة في إنجلترا في (هيريفورد Hereford)<sup>(8)</sup>، وتصاميم منها أعطيت الأفريقي كبيراً وسأقل أكبر قدر من المعلومات حتى أوائل الجغرافيا في العصور الوسطى كما سيتطلبه القارئ العادي. في أقصى الشرق، أي في الجزء العلوي، ويمثل الفردوس الأرضي؛ في وسط القدس الشريف. تحت هذا، يمتد البحر الأبيض المتوسط إلى الحافة السفلية من الخريطة، مع تفصيل جزره بعناية فائقة. ويعطي الاهتمام الكبير للأنهار في جميع أنحاءها، مع القليل من الاهتمام للجبال. الزيادة الحقيقية الوحيدة للمعرفة الفعلية التي تمثلت في تلك الخريطة، هي في الشمال الشرقي من أوروبا، والتي أصبحت معروفة بشكل طبيعي بالغزو الإسكندنافي. لكن مدى المعرفة الحقيقية القليلة التي اكتسبها هذا الجزء من أوروبا، تثبت حقيقة أن رسام

الخرائط الذي وضع (السينوسيفالي Cynocephali<sup>(9)</sup>) أو الرجال ذوي رؤوس الكلاب، بالقرب من النرويج، قد يكون استمدّها من بعض الروايات المشوشة عن القروود الهندية. بالقرب منهم وضع (الغرافين Graphone)<sup>(10)</sup>، «أكثر البشر شراً، الذين من بين أعمالهم الشريرة أنهم اتخذوا من جلود أعدائهم ملابس لهم ولخيولهم». هنا أيضاً، وضع ملجأ السبعة النائمين (أصحاب الكهف) الذين عاشوا أكثر من أي وقت مضى كمعجزة دائمة لتحويلهم عن العبادة الوثنية. الشكل المعطى للجزر البريطانية - كما سيلاحظ يرجع إلى ضرورة الحفاظ على الشكل الدائري للعالم المأهول. وثمة تفاصيل أخرى حول إنجلترا لا مجال لذكرها حالياً.

من الواضح أن خرائط مثل (هيريفورد)، لن تكون ذات فائدة عملية للمسافرين الذين يرغبون في الانتقال من بلد إلى آخر؛ في الواقع، أنها لم تكن مخصصة لأي غرض من هذا القبيل. لم يُقصد بالجغرافيا أن تكون بأي حال من الأحوال علماً عملياً، لكنها وُظفت فقط لإشعار الرجال بالتعجب، ودرسها الرجال أساساً من أجل التعرف على عجائب العالم، عندما رسم (وليام ويكهام William of Wykeham)<sup>(11)</sup> قواعده لزملاء وعلماء الكلية الجديدة (أكسفورد Oxford)، وأخرجهم في أمسيات الشتاء الطويلة ليشغلوا أنفسهم، «بالغناء، أو قراءة الشعر، أو بسجلات الممالك المختلفة، أو بعجائب العالم». ومن هنا تقريباً تمتلئ كل خرائط العصور الوسطى بالصور لهذه العجائب التي كانت أكثر أهمية لدى القليل من الناس الذين يمكن أن يقرؤوها. بقاء هذا العُرف الفضولي في رسم الخرائط استمر تقريباً إلى بداية هذا القرن، عندما كانت الأماكن الفائضة في المحيط تزين بصور إبحار السفن الشراعية أو تنشق منها وحوش البحر.

وعندما رغب الرجال بالترحال، لم يستخدموا مثل هذه الخرائط، وإنما المسالك، أو كتب الطرق التي لم تفصح عن إعطاء شكل البلدان

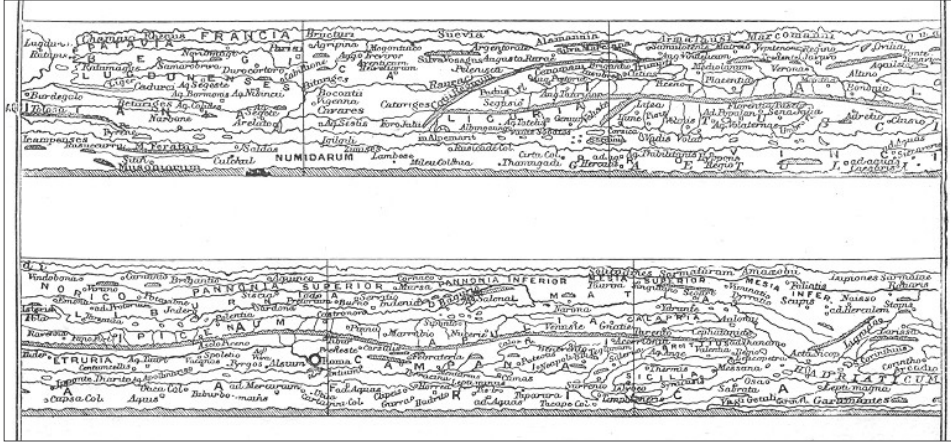


خريطة «هيريفورد»

التي سيمرُّ المسافر من خلالها، لكنها أشارت فقط إلى المدن الرئيسة في الطرق الأكثر ارتياداً. وقد استُمدَّت هذه المعلومات من العصور الكلاسيكية، فأمر أباطرة الرومان من وقتٍ لآخر بوضع مثل هذه الكتب، ولا يزال ثمة خط سير شبه كامل للإمبراطورية، معروفٌ باسم مخطط (بيوتينجير Peutinger)<sup>(12)</sup>، من اسم التاجر الألماني الذي لفت انتباه العالم المتعلم إليه أولاً. وسترد إعادة استنتاج مركزة لاحقاً، منها سيتبين أنه لم تبذل أي محاولة لإعطاء أهمية لأي شيء أكثر من الطرق والمدن. وللأسف، فإن القسم الأول من الجدول، والذي بدأ من بريطانيا، قد تمزق، وحصلنا على ساحل (كتيش Kentish)<sup>(13)</sup> فقط. وكانت هذه المسارات مفيدة بشكلٍ خاص، حيث كانت الرحلات الرئيسة للرجال في طبيعتها من أجل الحج. لكن هذه الرحلات غالباً ما تشتمل على نوع من السَّفر التجاري، وفي الكثير من الأحيان يجتمع رجال الأعمال ورجال الدين بالحجّاج. وقد أُعطيت المعلومات الرئيسة عن أوروبا



الشرقية التي وصلت إلى الغرب، من خلال تعاقب الحجاج الذين زاروا فلسطين حتى وقت الحروب الصليبية. معرفتنا الرئيسة لجغرافية أوروبا تناهز خمسة قرون ما بين الأعوام ( 500 و 1000 ميلادي) المعطاة في تقارير الحجاج المتعاقبين.



خريطة «بويتينغر» - الجزء الغربي

ويمكن اعتبار هذه الفترة بالعصر المظلم للمعرفة الجغرافية، حيث تم خلالها استبدال المفاهيم البرية - مثل تلك التي وردت في خريطة هيريفورد - لقياسات أكثر دقة من القدماء. والملفت للنظر، أنه حتى عصر كولومبوس، فإن المثقفين المتعلمين أبقوا على هذه المفاهيم، بدلاً من تعديلها بالمعرفة الإضافية المكتسبة خلال الفترة الثانية من العصور الوسطى، عندما تمكن الرحالة بجميع أنواعهم من الحصول على معلومات كثيرة وأوفى عن آسيا، وشمال أوروبا، وحتى - كما سيأتي - عن بعض الأجزاء من أمريكا.

وليس من المستغرب أبداً أن تكون هذه الفترة متخلفة جداً في المعرفة الجغرافية، لأن خريطة أوروبا نفسها، في انقساماتها السياسية، أعيد ضبطها تماماً خلال هذه الفترة. فالأعوام الألف من التاريخ الذي انقضى بين

الأعوام (450 و1450م) كانت قد شُغلت بموجات متتالية من الغزو من وسط آسيا، وقطعت بشكلٍ شبه كامل التقسيمات القديمة للعالم.

في القرن الخامس، قامت ثلاث قبائل رُحِّل بغزو الإمبراطورية، من ضفاف نهر (فيستولا Vistula)<sup>(14)</sup>، و(الديبير Dnieper)<sup>(15)</sup>، ونهر (الثولغا Volga)<sup>(16)</sup> بشكل متعاقب. جاءت قبيلة الهون من نهر الثولغا، في أقصى الشرق، تحت إمرة (أتिला Attila)<sup>(17)</sup> الملقب بـ «مطرقة الله»، فدبّ الذعر في الإمبراطورية. وقام القوط الغربيون من نهر الديبير، بمهاجمة الإمبراطورية الشرقية؛ في حين أن قبائل (الثاندال Vandal)<sup>(18)</sup> من نهر فيستولا، أخذوا الطريق المظفر خلال بلاد الغال وإسبانيا، وأسسوا لفترة إمبراطورية الثاندال في شمال أفريقيا. كان من نتائج هذه الحركة؛ دفع العديد من القبائل الألمانية إلى فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، وصولاً إلى بريطانيا. من هذه المرحلة في تاريخ العالم؛ نتمكن من تتبع بداية (إنجلترا)، كما تجوز تسميتها، مثلما أن غزو بلاد الغال من قبل الفرنجة في هذا الوقت يعني بداية التاريخ الفرنسي. وبحلول القرن الثامن امتدت مملكة الفرنجة في جميع أنحاء فرنسا، وشملت معظم وسط ألمانيا. بينما في يوم عيد الميلاد، العام (800 ميلادي)، تُوج (شارل العظيم Charles the Great)<sup>(19)</sup> في روما، من قبل البابا، إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة التي أعلنت إحياء لأمجاد الإمبراطورية القديمة، ولكن قسّم حكمها بين السلطة الزمنية التي يحتفظ بها الإمبراطور والقوة الروحية التي عقدت من قبل البابا.

أحد انقسامات إمبراطورية الفرنجة يستحق الاهتمام، لأنه أراح من مصيرها ومصير معظم دول أوروبا الغربية. مملكة (بورغوندي Burgundy)<sup>(20)</sup>، وهي دولة عازلة بين فرنسا وألمانيا، اختفت تماماً، ما عدا بقائها كاسم لنوع من الخمر. ولكن نتيجة لعدم وجود حدود طبيعية لها، كانت موضع نزاع بين فرنسا وألمانيا لفترة طويلة، ويمكن القول - إلى حد ما

- إن الحرب الفرنسية البروسية كانت المرحلة الأخيرة في تاريخها حتى الوقت الحاضر. ووُجِدَت حالة مشابهة في شرق أوروبا، مملكة (بولندا kingdom of Poland)<sup>(21)</sup> التي كانت غير محددة بالتساوي في الشكل، وشكَّلت موضع نزاع بين دول أوروبا الشرقية. وكما هو معروف، فقد اختفت كدولة مستقلة في العام (1795 ميلادي)، عندما أوقفت أخيراً لتكون بمثابة منطقة عازلة بين روسيا وبقية أوروبا. وبعبارة عامة، بعد ترسخ القبائل الجرمانية في حدود الإمبراطورية، يمكن تلخيص تاريخ أوروبا، وبالتالي جغرافيتها التاريخية، على نحوٍ ما بالنضال الذي حدث من أجل حيازة بورغوندي وبولندا.

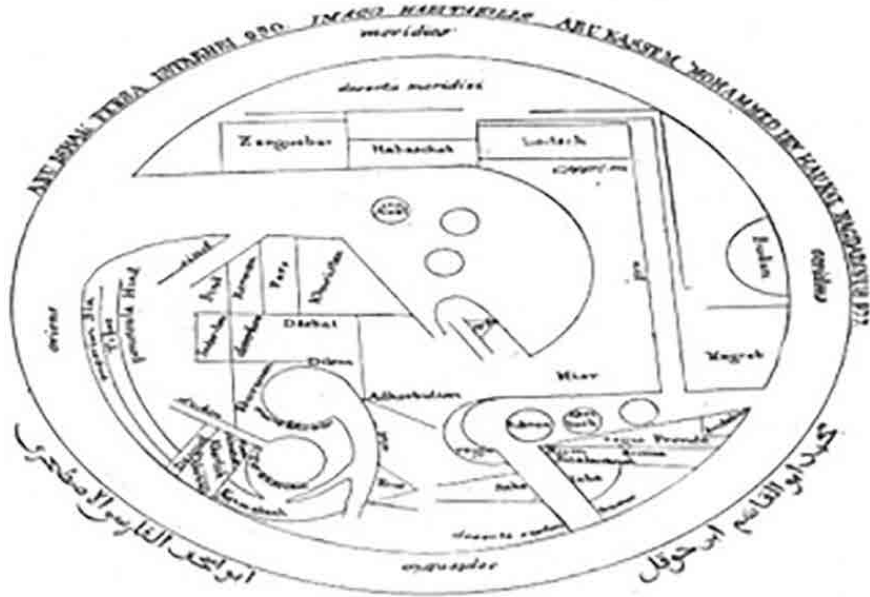
ولكن كانت ثمة فترة فاصلة هامة في الجنوب الغربي لأوروبا، والتي يجب أن تحظى باهتمامنا كعلامة للتغيير التاريخي في العالم في حالة من الحضارة. خلال القرنين السابع والثامن (تقريباً، بين 622 و 750م) انفجر سكان شبه الجزيرة العربية من العزلة التي كانت تسيطر عليهم منذ البداية، وألهمهم الحماس الديني المؤسس حديثاً من الإسلام، فبسطوا نفوذهم من الهند إلى إسبانيا، وعلى طول الشريط الساحلي الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط. وعندما استقروا، شرعوا في استعادة بقايا العلم اليوناني الروماني الذي كان قد فُقد في شمال ضفاف البحر الأبيض المتوسط. واستخدم المسيحيون في سوريا اللغة اليونانية لغتهم المقدسة، وبالتالي عندما أراد سلاطين بغداد أن يعرفوا شيئاً عن حكمة الإغريق، اتصلوا بالمسيحيين الناطقين بالسريانية لترجمة بعض الأعمال العلمية من اللغة اليونانية، أولاً إلى اللغة السريانية، ومنها إلى اللغة العربية. بهذه الطريقة حصلوا على معرفة الأعمال العظيمة لبطليموس، سواء في علم الفلك - والذي يعتبر من أهم وأعظم أعمالهم (المجسطي Almagest)<sup>(22)</sup> - أو في علم الجغرافيا، رغم أنه يمكن لأي شخص أن يفهم بسهولة التعديلات الكبيرة لبعض الأسماء الغربية لبطليموس التي وردت

في المدونات، والتي تُرجمت أولاً إلى السريانية ثم إلى العربية. وسنرى لاحقاً بعض النسخ العربية لبطليموس.

فتوحات العرب أثّرت على المعرفة الجغرافية بطريقة مزدوجة، من خلال إحداث الحروب الصليبية، وتجديد معارفهم من الغرب مع شرق آسيا حيث يملك العرب معرفة بجنوب شرق أفريقيا وأقصى حد جنوباً حتى زنجبار وسوفاً، على الرغم من اختلاف وجهات نظر بطليموس فيما يتعلق بالأرض الجنوبية العظمى غير المعروفة، إلا أنهم يتصورون أنها تنتشر في المحيط الهندي نحو الهند. ويبدو أنه كانت لديهم بعض المعرفة الغامضة عن مصادر النيل. بالإضافة إلى معرفة العرب بـ سيلان، وجاوة، وسومطرة، وكانوا أول الناس معرفة بالاستخدامات المختلفة للكاكاو والجوز. وقام التجار العرب أيضاً، بزيارة الصين في وقت مبكر من القرن التاسع الميلادي، ولدينا من رواياتهم بعض الأوصاف الأولى للصينيين، الذين وصفوهم بأنهم كانوا شعباً وسيماً، ومتفوقين في الجمال عن الهنود، بشعرٍ داكنٍ رفيع، ومميزات منتظمة، ويشبهون العرب تماماً. وسنرى لاحقاً، كيف كان من السهل نسبياً للمسلمين السفر من أحد أطراف العالم المعروف إلى الآخر، وذلك بسبب الوحدة الدينية في جميع أنحاء هذه المنطقة الشاسعة.

ربما ينبغي أن يُقال بعض الكلمات عن المؤلفات الجغرافية للعرب. وأحد أهم هذه المؤلفات، من تأليف (ياقوت Yacut)<sup>(23)</sup>، في شكل مُعجمٍ ضخيم، مُرتَّبٌ حسب الترتيب الهجائي. ولكن أعظم عملٍ جغرافيٍّ للعرب هو من تأليف الجغرافي المعروف بـ (الإدريسي EDRISI)<sup>(24)</sup>، جغرافي الملك (روجر Roger)<sup>(25)</sup> ملك صقلية (1154 ميلادي) الذي يصف العالم إلى حدٍ ما على طريقة بطليموس، ولكن مع إدخال تعديلات على بعض الاهتمامات. وهو يُقسِّمُ العالم إلى سبعة شرائط أفقية، ومعروفة باسم «المناخات»، والتي تمتد من خط الاستواء إلى الجزر البريطانية.

وتنقسم هذه الشرائط إلى أحد عشر قسماً، بحيث يكون العالم، في تصور الإدريسي، مثل لوحة الشطرنج، مُقسَّمة إلى سبعة وسبعين مربعاً، ويتكون عمله من وصفٍ مُفصَّل لكل من هذه المربعات التي تُؤخذ واحداً تلو الآخر، ويجري عمل المناخ من خلالها كلها بانتظام، حتى يتمكن من الحصول على أجزاءٍ من فرنسا في المربعين الثامن والتاسع، وأجزاء أخرى في السادس عشر والسابع عشر. ولم يتم تكييف هذه الطريقة لإعطاء تصور واضح للبلدان المنفصلة، ولكن بالكاد كان هذا موضوع الإدريسي. عندما أراد العرب - أو في الواقع، من الكُتّاب القدامى أو العصور الوسطى - أن يصفوا أرضاً ما، فهم يكتبون عن القبيلة أو الأمة التي تسكن بها، وليس عن مواقع البلدان فيها. وبعبارة أخرى، فإنهم مزجوا بين الإثنولوجيا والجغرافيا.



العالم وفقاً «لابن حوقل»

ولكن كان لجغرافية العرب تأثيرٌ ضئيلٌ أو لم يكن لها تأثيرٌ على أوروبا(\*)، والتي، بقدر ما ذهبت الخرائط، استمرت على أساس الهوى بدلاً من الحقيقة حتى حلول وقت (كولومبوس Columbus) (26).

وفي الوقت نفسه حدثت حركة أخرى خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، ما ساعد في جعل أوروبا على ما هي عليه، وزاد إلى حد كبير من المعرفة المشتركة لشعوب شمال أوروبا. وللمرة الأولى منذ اختفاء الفينيقيين، جاءت قوة بحرية كبيرة إلى حيز الوجود في النرويج، وخلال بضعة قرون كانت قد أثرت تقريباً على ساحل البحر الكامل لأوروبا. وهم (الفايكنغ Vikings) (27)، أو جوالو البحر، الذين لزمّت سفنهم الطويلة مسالكها في (فيكس VIKS)، أو مضائق النرويج، فلقد شنّوا هجمات عنيفة على طول سواحل أوروبا، وفي العديد من الحالات، شكلوا حكومات مستقرة، لذلك أحدثوا، وبطريقة ما، نوعاً من الغلاف الخارجي لأوروبا، يمنع أي اهتزاز لممتلكاتهم. في (آيسلندا Iceland) (28)، وفي إنجلترا، وفي آيرلندا، وفي (نورماندي Normandy) (29)، وفي (صقلية Sicily) (30)، وعلى القسطنطينية (حيث شكلوا Varangi، أو هيئة حرس الإمبراطور)، وكذلك في روسيا، ومنذ فترة في الأرض المقدسة، أسس الفايكنج أو النورمان الممالك التي كان بينها تبادل نشيط في الزيارات والمعرفة.

والمؤكد أنهم قاموا بتمديد رحلاتهم إلى (جرينلاند Greenland) (31)، وثمة قدرٌ كبيرٌ من الأدلة على الاعتقاد بأنهم سافروا من جرينلاند إلى (لابرادور Labrador) (32) و (نيوفاوند لاند Newfoundland) (33). في العام (1001 ميلادي)، آيسلندي اسمه (بيورن Biorn)\*، إلى جرينلاند

(\*) إن تأثير العلوم العربية على أوروبا، واضح بكل المقاييس، واعترف به كثير من المستشرقين الأوروبيين، وخاصة علم الجغرافيا العربي، والنظريات الجغرافية عند المسلمين؛ قامت على أسس منهجية علمية واقعية، وليست على الخيال والهوى. (المُترجم).

(\*) يشير المؤلف هنا إلى أنّ (Biorn) هو المكتشف لجزيرة فاينلاند، ولكن لم أجد أي معلومات بخصوص هذا الاسم، قد يكون ثمة خطأ ما، والمعلومات الصحيحة هي أن المكتشف هو (ليف Leif) الآيسلندي ابن المكتشف (إيريك الأحمر) (المُترجم).

لزيارة والده، مدفوعاً إلى المنطقة الجنوبية الغربية، وجاء إلى بلاد تُدعى (فاينلاند Vinland) (34)، يسكنها الأقزام، حيث اليوم فيها أقصر ثماني ساعات، والتي تتوازي تقريباً مع 50 شمالاً. (الإسكندنافية Norsemen) (35) استقروا هناك، وحتى أواخر (1121 ميلادي) قام أسقف غرينلاند بزيارتهم، من أجل تحويلهم إلى المسيحية. لدينا سبب وجيه للشك في أن فاينلاند هذه كانت في البر الرئيس لأمريكا الشمالية، وبالتالي فإن الإسكندنافيون هم أول الأوروبيين في اكتشاف أمريكا. في وقت متأخر من العام (1380 ميلادي)، زار رجلان فينسيان، هما الأخوان (زينو Zeno) (36)، آيسلندا، اسمها (إستوتيلاند Estotiland) (37)، على بعد ألف ميل إلى الغرب من جزر (فارو Faroe) (38)، وجنوب غرينلاند، وذكرنا بأن الناس هناك كانوا بحارة متحضرين وجيدين، على الرغم من عدم معرفتهم باستخدام البوصلة، بينما كان بعض الجنوبيين من آكلي لحوم البشر ومتوحشين، ولا يزال أبعد من الجنوب الغربي شعب آخر أكثر تحضراً، بنى أبنائه المدن الكبيرة والمعابد، ولكنهم يقدمون الضحايا البشرية فيها. يبدو أنه كانت ثمة معرفة ضعيفة عن المكسيكيين.

الصعوبة الكبيرة في الاكتشاف البحري، سواء بالنسبة إلى القدماء أم الرجال في العصور الوسطى، كانت تتمثل في ضرورة المحافظة على البقاء بمقربة من الشاطئ. حيث كانوا يعتمدون في تنقلاتهم بناء على الشمس خلال النهار، والنجم القطبي في الليل، ولكن إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم بالكامل، فإنهم يقعون في ارتباك تام لمعرفة طريقهم. ومن هنا شكّل اكتشاف الاتجاه القطبي بواسطة الإبرة المغناطيسية أولوية لازمة لأي رحلة طويلة بعيدة عن اليابسة. ويبدو أن هذه الإبرة كانت معروفة للصينيين في العصور القديمة جداً، واستخدموها على سفنهم الشراعية في وقت مبكر من القرن الحادي عشر. ويبدو أن العرب الذين سافروا إلى سيلان وجاوة، قد تعلموا استخدامها من الصينيين، ولعل



بحارة برشلونة هم أول من أخذوها منهم وقدموا استخدامها في أوروبا. ويرد أول ذكر لذلك في مقالٍ عن التاريخ الطبيعي من قبل (ألكساندر نيكام Alexander Neckam)<sup>(39)</sup>، وهو أخٌ بالرضاعة للملك (ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de Lion)<sup>(40)</sup>. ثمة إشارة أخرى لها، في قصيدة ساخرة للشاعر الغنائي (غويو بروفانس Guyot provence)<sup>(41)</sup> (1190 ميلادي)، ينص على أن البحارة يمكن أن يتوجهوا إلى نجم الشمال القطبي دون أن يروه، وذلك باتباع اتجاه إبرة عائمة على قشة في حوض من الماء، بعد أن تمّت ملاستها بالمغناطيس. على أية حال، يبدو أنه قد تم استخدام هذا الشيء الصغير، لدى (برونيّو لاتيني Brunetto Latini)<sup>(42)</sup>، معلّم (دانتي Dante)<sup>(43)</sup>، عندما كان في زيارة للسير (روجر بايكون Roger Bacon)<sup>(44)</sup> العام (1258 ميلادي)، إذ يورد أنّ الراهب قد أظهر له المغناطيس وخصائصه، ولكنه أضاف على أية حال أنه اكتشف مفيد، «ولا يجرؤ بحار على استخدامه، لأنه يخشى في اعتقاده أنه سحر». الواقع أنّه، في الشكل الذي تم استخدامه لأول مرة فإنه كان ذا فائدة عملية قليلة، لأنّ طريقة موازنته لم تكن على محور، وتحديد تلك النتيجة لم تكن على الخريطة، كما هو مستخدم في الوقت الحاضر، حيث أصبح جزءاً ضرورياً من معدات البحار. التحسين العملي فيه منسوب إلى (فلافيو جيوجا Flavio Gioja)<sup>(45)</sup>، من قرية (أمالفي Amalfi)<sup>(46)</sup>، في بداية القرن الرابع عشر.

عندما دخلت بوصلة البحارة حيز الاستخدام العام، و لوحظت إشاراتُها من قبل البحارة البارعين في رحلاتهم، كانت هي الطريقة الأكثر عملية في تناول اليد لتحديد المواقع النسبية للأراضي المختلفة. وكان على الجغرافيين حتى الآن (أي اليونانيين والعرب) أن يعتمدوا على البيانات المبهمة لتحديد المواقع النسبية في مسارات التجار والجنود. ولكن، مع الاستعانة بالبوصلة، لم يكن من الصعب تحديد الموقع النسبي من نقطة إلى أخرى، في حين أن جميع الالتفافات في الطريق يمكن أن تكون ثابتة على الورق دون صعوبة

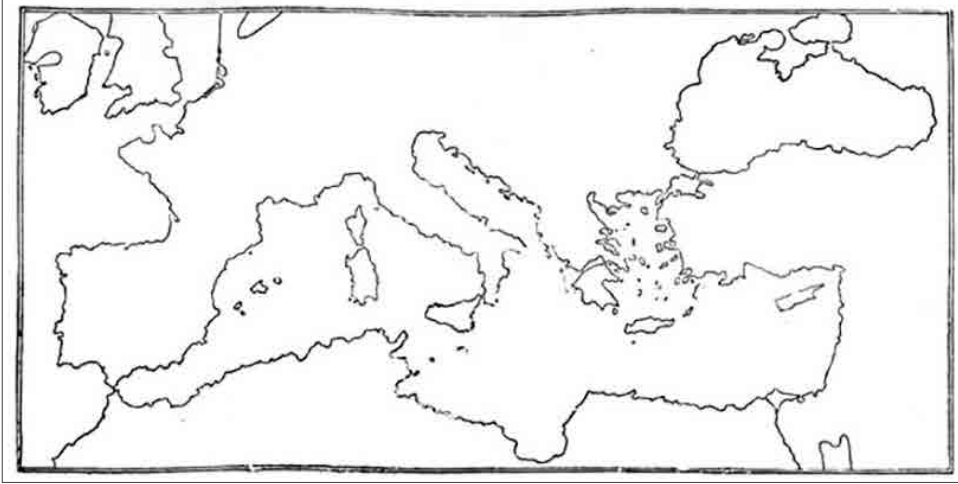


تذكر. ونتيجة لذلك، في حين أن الرهبان المتعلمين كانوا راضين بمزيج من الأسطورة والخرافة التي رأينا أنها قد شكلت أساس خرائطهم للعالم فإن بحارة البحر الأبيض المتوسط بنوا تدريجياً المخططات لهذا البحر والأراضي المجاورة له والتي تفاوتت ولكن في القليل من المواقع الحقيقية. عُرِفَت هذه الصيغة من المخططات باسم (بورتولانو Portulano)<sup>(47)</sup>، وهي لإعطاء المعلومات عن أفضل الطرق من الميناء إلى الميناء، وأظهر البارون (نوردنسكيولد Nordenskiöld)<sup>(48)</sup> مؤخراً، كيف أن كل هذه البورتولانو اشتُقت من الخريطة الكاتالونية الوحيدة والتي قد فُقدت، ولكن لا شك في أنها قد تكون جُمِعت بين الفترة (1266) و(1291 ميلادي). ومع ذلك كان ثمة بعض المتعلمين الذين لم يكونوا قد تعالوا عن أخذ التعليمات من المعرفة العملية للبحارة. في العام (1339 ميلادي)، كان أحد هؤلاء هو (أنجيلينو دولسيرت Angelino Dulcert)<sup>(49)</sup> من (مايوركا Majorca)<sup>(50)</sup>، الذي قدّم خريطة مفصلة للعالم على مبدأ بورتولانو، أعطى الشريط الساحلي - على الأقل البحر الأبيض المتوسط - الدقة الرائعة. وبعد ذلك بقليل في سنة (1375 ميلادية)، قام يهودي الجزيرة نفسها، هو (كريسكيز Cresquez)<sup>(51)</sup>، بإجراء تحسين على هذا بإدخاله المعرفة المكتسبة حديثاً عن (كاتاي Cathay)<sup>(52)</sup>، أو الصين، في الجزء الشرقي من الخريطة، وذلك بفضل الرحالة الكبير (ماركو بولو Marco polo)<sup>(53)</sup>. وتنقسم خريطته المعروفة باسم الخريطة الكاتالونية (بسبب لغة الوثائق المنتشرة فوقها بشكل غزير) إلى ثمانية شرائط أفقية، وعلى الصفحة السابقة نسخة مصغرة طبق الأصل، تُبين دقة استنساخ الشريط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط في مخططات البورتولانو.

مع خرائط البورتولانو، عادت المعرفة الجغرافية مرة أخرى إلى خطوط التقدم، من خلال العودة إلى تمثيل الواقع، بإعطاء تمثيل دقيق للشريط الساحلي، حيث مكنت البحارة من المغامرة بلا خوف والعودة بأمان أكبر، في حين أنها أعطت وسيلة لتسجيل المزيد من المعرفة. وكما

سنرى، فقد ساعدت الأمير (هنري الملاح Prince Henry the Navigator)<sup>(54)</sup>، لبدء تلك السلسلة من البحوث الجغرافية التي أدت إلى الاكتشافات التي أغلقت العصور الوسطى، وبها قد نغلق إلى حد ما التاريخ الجغرافي للعصور الوسطى، بقدر ما نصرح أن يكون فرعاً للمعرفة المنهجية.

يجب علينا الآن أن نعود إلى الوراء ونلخص بإيجاز الإضافات إلى المعرفة التي أدلى بها المسافرون والحجاج والتجار، وسجلت في شكل أدب الرحلات.



ساحل البحر المتوسط في خريطة البورتولانو

[Authorities: Lelewel, Gdographie du Moyen Age, 4 vols, and atlas, 1852; C R. Beazley, Dawn of Geography, 1897, and Introduction to Prince Henry the Navigator, 1895 ; Nordenskiold, Feriplus, 1897].



## (هوامش الفصل الثالث)

(1) **يأجوج ومأجوج أو جوج وماجوج Gog and Magog**: اسمان لشعبين يظهران في الكتب الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية، بالإضافة إلى أعمال أدبية لاحقة. ترد هاتان التسميتان في سفر التكوين، أو في أمور متعلقة بالأخويات، كما في سفر حزقيال والرؤية والقرآن، في إشارة إلى واحدة من الأمم، وفقاً لنسل ينحدر من يافث ابن نوح عليه السلام. كما يغلب على هاتين التسميتين الغموض، فتارةً تأتيان على هيئة أسماء لأشخاص أو شعوب، وتارةً أخرى كتسمية لموقع جغرافي.

(2) **غايوس بلينيوس سكونديوس** اشتهر باسم **بليني الأكبر Gaius Plinius Secundus** (عاش خلال 79م): مؤرخ روماني، كتب الكثير من الأعمال التاريخية والفنية التي لم يتبق منها سوى 37 مجلداً من التاريخ الطبيعي. علماً بأن هذا العمل كان يُستخدم في العصور الوسطى، وقيمته الوحيدة الآن هي أنه يكشف عن المعرفة العلمية خلال فترة بليني الذي يعتبر أكبر وأشهر مؤرخي الرومان على الإطلاق، إذ كان لكتابات الجغرافية والتاريخية والطبيعية حيزٌ كبير بإثراء الثقافة الرومانية في تلك الحقبة.

(3) **جايوس يوليوس سولينوس Gaius Julius Solinus**: مؤرخ لاتيني، نحوي ومترجم، قد يكون عاش في أوائل القرن الثالث. مؤلف كتاب «عجائب الدنيا» الذي يحتوي على وصف مختصر للعالم القديم، مع ملاحظات على التاريخ الاجتماعي والديني والطبيعي، والجزء الأكبر منه مأخوذ من التاريخ الطبيعي لبليني وجغرافيا بومبونيوس ميلا.

(4) **الأنثروبوفاغي أو الأنثروبوفاغوس The Anthropophagi**: نوعٌ من الأجناس الأسطورية لأكلة لحوم البشر، ذكرهم هيرودوتس أولاً في تاريخه بالأنثروبوفاغي، وكذلك مؤلفون آخرون، وكذلك الكاتب المسرحي ويليام شكسبير الذي أظهر الكلمة الأولى باللغة الإنجليزية حوالي العام 1552م.

(5) **السير جون مانديفيللي Sir John Maundeville**: المؤلف المفترض لسفريات السير جون مانديفيللي، وهي مذكرات سفر نُشرت للمرة الأولى بين العامين 1357 و1371م، والنص الباقي هو باللغة الفرنسية. وقد اكتسب العمل شعبيةً غير عادية، بمساعدة الترجمات إلى العديد من اللغات الأخرى. بالرغم من طبيعته التي لا يمكن الاعتماد عليها للرحلات

التي يصفها، وغالباً ما تكون خيالية، كان يستخدم كريستوفر كولومبوس كمرجع، وتأثر بشدة بكتاب رحلات ماركو بولو.

(6) كوزماس إنديكوبلوسستيس COSMAS INDICOPLEUSTES: ونعني به «كوزماس الذي أبحر إلى الهند»؛ والمعروف أيضاً باسم كوزماس الراهب الذي كان تاجراً يونانياً ثم ناسكاً من الإسكندرية في مصر. كان رحالة من القرن السادس، قام برحلات عدة إلى الهند، خلال عهد الإمبراطور جستنيان. عمله «الطوبوغرافيا المسيحية» يحتوي على بعض أقدم وأشمل خرائط العالم، وكان كوزماس تلميذاً للبطريرك السوري الشرقي أبا الأول التابع لكنيسة الشرق.

(7) مابا موندي *mappa mundi*: المقصود بها أي خريطة أوروبية في العصور الوسطى للعالم، وتختلف هذه الخرائط من حيث الحجم والتعقيد عن الخرائط التخطيطية البسيطة التي يبلغ طولها 25 مليمتراً أو أقل عبر خرائط الحائط التي يبلغ قطرها الأكبر 3,5 أمتار (11 قدماً 6 بوصة)، والمصطلح مستمد من الكلمات اللاتينية في القرون الوسطى مابا (القماش أو الرسم البياني) وموندي (العالم).

(8) هيريفورد *Hereford*: هي مدينة الكاتدرائية، في مقاطعة هيريفوردشاير - إنجلترا. تقع على نهر واي، على بعد 16 ميلاً (26 كلم) شرق الحدود مع ويلز، وعلى بعد 24 ميلاً (39 كلم) جنوب غرب ورسستر، وعلى بعد 23 ميلاً (37 كلم) شمال غرب غلوسستر.

(9) السينوسيفالي *Cynocephali*: إن افتراض وجود بشر لهم رؤوس كلاب هو مجرد ظاهرة أسطورية مشهود لها على نطاق واسع، وواردة في العديد من الثقافات والمعتقدات المختلفة، كما يمكن أن تُعزى تقارير عن هذه الأنواع برؤوس الكلاب إلى العصور اليونانية القديمة. في القرن الخامس قبل الميلاد كتب الطبيب اليوناني كتسياس تقريراً مفصلاً عن وجود السينوسيفالي في الهند، والمعروفة باسم إنديكا. وبالمثل، ادعى الرحالة اليوناني ميغاستينيس أنه يعرف البشر ذوي رؤوس الكلاب في الهند، حيث يعيشون في الجبال، وكانوا يلبسون جلود الحيوانات البرية ويعيشون من الصيد. ويذكر هيرودوت أن الليبيين القدماء يدعون أن مثل هذه المخلوقات تسكن شرق أراضيهم.

(10) الغرافين أو الغريفون *Gryphon*: مخلوق أسطوري بجسم وذيل وساقين وخلفية أسد، ورأس وأجنحة نسر، لأن الأسد كان يعتبر تقليدياً ملك الوحوش، والنسر ملك الطيور، وكان يعتقد أن الغرافين مخلوق قوي ومهيّب بشكل فريد، وأنه ملك على جميع المخلوقات، وأنه يحرس الكنوز والممتلكات التي لا تقدر بثمن.

(11) وليام ويكهام *William of Wykeham* (1320 أو 1324 - 1404م): كاتب وأسقف وينشستر، ومستشار إنجلترا. أسس كلية نيو أكسفورد، وكلية نيو كولينج العام 1379م، كما أسس كلية وينشستر في العام 1382م.

(12) الخريطة البويتينجيرية **Peutinger**: خريطة شبكة الطرق في الإمبراطورية الرومانية، تم الاحتفاظ بها في المكتبة الوطنية النمساوية في فيينا، وهي الخريطة الأصلية التي يستند إليها، وتعود في الغالب إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي، وكانت الخريطة التي أعدها أغريبا في عهد الإمبراطور أوغسطس. الخريطة الحالية هي عبارة عن نسخة القرن الثالث عشر، وتغطي أوروبا (دون أسبانيا أو الجزر البريطانية)، وشمال أفريقيا، وأجزاء من آسيا (الشرق الأوسط وبلاد فارس والهند).

(13) كنتيش **Kentish**: منطقة تقع شمال غرب لندن - إنجلترا، في مقاطعة لندن كامدن، شمال كامدن تاون.

(14) نهر فيستولا **Vistula**: أطول نهر في بولندا، طوله 1047 كلم، ينبع من جبال كارباتيان في جنوبي بولندا، ثم يتخذ مجرىً دائرياً نحو الشمال، ليشق بعدها مدينة وارسو، ثم يصب من خلال فروع عدة في بحر البلطيق. تقع مدينة غدانسك على قمة أحد فروع هذا النهر، هو فرع نهر توجات، وبحر الزوارق الخفيفة على طول النهر حتى مدينة كراكر. يتجمد نهر فيستولا لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر في السنة، وتربطه القنوات بكل من نهر الأوردو ونهر الدنيبر، وجميعها صالحة للملاحة، ويروي نهر فيستولا منطقة تبلغ مساحتها 192,000 كلم<sup>2</sup>.

(15) نهر الدنيبر **Dnieper**: هو أحد أهم الأنهار في أوروبا الشرقية، ينبع من مرتفعات فالادي في روسيا، ثم يعبر روسيا البيضاء ومنها إلى أوكرانيا، في مدينة دنيبروبتروفسك، حيث يصب في البحر الأسود، ويبلغ طوله 2290 كلم، وهو رابع أطول نهر في قارة أوروبا.

(16) نهر الفولغا **Volga**: أطول أنهار أوروبا وأغزرها. يقع في الجزء الغربي الأوروبي من روسيا، ويختلف اسمه حسب المنطقة التي يمر فيها. يُعدّ ممراً مائياً هاماً للنقل البحري داخل روسيا، ويصب في بحر قزوين.

(17) أتिला **Attila** (حوالي 406-453 م): حاكم الهون، من العام 434 م. حتى وفاته في مارس 453 م. وغالباً ما يُشار إليه باسم أتिला هون. كان أيضاً زعيم الإمبراطورية القبلية التي تتألف من قبيلة الهون، القوط الشرقيين، والآنس وغيرها، على أراضي أوروبا الوسطى والشرقية.

(18) الفاندال أو الوندال **Vandal**: إحدى القبائل الجرمانية الشرقية. الوندال شعبٌ جرمانى إسكندنافي، لكن معرفة أصلهم تحديداً مختلف فيها، ففي العام 455 م استولى الوندال على روما، وقاموا بنهبها وتخريبها خراباً هائلاً، ثم قاموا بغزو شمال أفريقيا؛ وبعد هزيمتهم أمام الرومان اندمجوا مع سكان شمال أفريقيا، وأصبحوا تحت سيطرة الرومان، وهم حالياً موجودون في سواحل أفريقيا الشمالية، ولا يُعرف من هم بالضبط.

(19) تشارلز العظيم أو شارلمان **Charlemagne or Charles the Great** (2 أبريل 742 / 747 / 748 - 28 يناير 814م): ويصنف بتشارلز الأول، ملك الفرنجة في العام 768م، وملك اللومبارد من العام 774م، وإمبراطور الرومان في العام 800م. قام بتوحيد الكثير من دول أوروبا في وقت مبكر خلال العصور الوسطى، وكان أول إمبراطور مُعترف به في أوروبا الغربية منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية قبل ثلاثة قرون، وكانت دولة الفرنجة الموسعة التي أسسها شارلمان تسمى بالإمبراطورية الكارولنجية.

(20) بورغوندي أو بورغوني **Burgundy**: تأتي التسمية من البورغونديين، وهم قبيلة جرمانية قديمة استقرت في المنطقة خلال العصور الوسطى المبكرة. تعتبر منطقة بورغندي أكبر من دوقية بورغونيا القديمة، وأصغر من المنطقة التي كان دوقات بورغوندي يحكمونها، من هولندا الحديثة إلى حدود أوفرن.

(21) مملكة بولندا **kingdom of Poland** (1385-1569م): دولة بولندية نشأت نتيجة لاتحاد كرييف بتوحيد بولندا وليتوانيا تحت حكم واحد، ولاحقاً تم انتخاب الملوك من كلا الدولتين للأشخاص أنفسهم أو لأفراد من العائلة المالكة. تحول الاتحاد إلى اتحاد أقرب بموجب اتحاد لوبلين في العام 1569م، تلتها بعد فترة وجيزة نهاية سلالة ياغيلون التي حكمت بولندا لقرنين من الزمان.

(22) كتاب المجسطي: يُسمّى ماثاتيكا سياتاكسيس، أي الأطروحة الرياضية. هو كتاب في الفلك والرياضيات، ألفه العالم الإغريقي بطليموس، العام 148م في الإسكندرية، ويُعتقد أنه أقدم كتاب معروف في الفلك. ترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق، ومن الترجمة العربية تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية ثم إلى غيرها من اللغات الأوروبية، لذا فإن اسم الكتاب العربي هو المستخدم في التراجم، حيث يسمى (Almagest) المأخوذة من كلمة المجسطي العربية، وليس الاسم اليوناني الأصلي.

(23) ياقوت **Yacut**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (574-626 هـ) أديب ومؤلف موسوعات وخطاط من أصل رومي، اشتغل في العلم وأكثر من دراسة الأدب. أقام في مدينة بغداد حتى وفاته، ولقد سمي نفسه «عبد الرحمن». أهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب «معجم البلدان» الذي ترجم وطبع مرات عدة.

(24) الإدريسي **EDRISI**: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، أبو عبد الله (493-560 هـ / 1100-1165 م)، عالم مسلم ومؤرخ، من كبار العلماء بالجغرافيا، ومن مؤسسي علم الجغرافيا، ولد بسبته ونشأ وتعلم في قرطبة، كما كتب في الأدب والشعر والنبات، ودرس الفلسفة والطب والنجوم في قرطبة. استخدمت مصوراتهِ وخرائطه في مختلف كشوف عصر النهضة الأوروبية، ولُقّب بالـ«بصقلي» لأنه اتخذ من جزيرة صقلية موطناً له بعد سقوط الدولة الإسلامية، ولقب بـ«سبطرابون العرب» نسبة

إلى الجغرافي الإغريقي الكبير سطرابون، وكان من أبرز الدارسين في علم الرياضيات، ولقد اخترع علم الهندسة قديماً، قبل أرخميدس. تعلّم في البيلق وطاف البلاد، فزار الحجاز وتهامة ومصر، ووصل إلى سواحل فرنسا وإنجلترا، وسافر إلى القسطنطينية وسواحل آسيا الصغرى، وعاش لفترة في صقلية، ونزل فيها ضيفاً على ملكها روجر الثاني، ولا نعرف شيئاً عن نهاية حياته ومكان وفاته.

(25) الملك روجر الثاني Roger II (22 ديسمبر 1095 - 26 فبراير 1154م): ملك صقلية وابن كونت صقلية روجر الأول. خلف أخاه سيمون، وخلفه ابنه ويليام الأول ملك صقلية. بدأ حكمه ككونت لصقلية في 1105م، وأصبح لاحقاً دوق بوليا وكالابريا (1127م) ومن ثم ملكاً لصقلية (1130م) حتى وفاته في 1154م. نجح روجر في توحيد جميع فتوحات النورمان في إيطاليا ضمن مملكة واحدة، مع حكومة مركزية قوية. وأما عن علاقته بالإدريسي، فلأن الأخير اختار الانتقال إلى صقلية بعد سقوط الحكومة الإسلامية، وكان الملك النورماني في ذلك الوقت «روجر الثاني» محباً للمعرفة. شرح الإدريسي لروجر موقع الأرض في الفضاء، مستخدماً في ذلك بيضة لتمثيل الأرض التي شبهها بصفار البيضة المحاط ببياضها، تماماً كما تهيم الأرض في السماء محاطة بالمجرات.

(26) كريستوفر كولومبوس Christopher Columbus (15 أكتوبر 1451 - 20 مايو 1506م): من أشهر الرحالة والمستعمرين الإيطاليين، يُنسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة الإيطالية، ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية (وربما الفلك أيضاً) في جامعة بافيا. عبر المحيط الأطلسي ووصل إلى الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر 1492م، لكن اكتشافه أرض القارة الأمريكية الشمالية تمّ في رحلته الثانية العام 1498م. بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارتين الأوروبية والأمريكية، حتى قبل اكتشاف كولومبوس تلك الأرض بوقتٍ طويل. من شخصيته استوحى اسم البلد كولومبيا.

(27) الفايكنغ Vikings: مُصطلح يُطلق على شعوب جرمانية نورديّة، وغالباً على ملاحى السفن وتجار ومُحاربى المناطق الإسكندنافية الذين هاجموا السواحل البريطانية والفرنسية وأجزاء أخرى من أوروبا في أواخر القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر، وتسمى بحقبة الفايكنج، كما يستعمل على نحوٍ أقل للإشارة إلى سكان المناطق الإسكندنافية عموماً؛ وتشمل الدول الإسكندنافية كلاً من السويد والدنمارك والنرويج وآيسلندا.

(28) آيسلندا Iceland: دولة جزرية أوروبية. تقع آيسلندا في شمال المحيط الأطلسي، إلى الجنوب مباشرة من الدائرة القطبية الشمالية، والتي تمرّ عبر جزيرة غريمسي



الصغيرة الواقعة قبالة الساحل الشمالي لآيسلندا. وخلافاً لجزيرة غرينلاند المجاورة، فإن آيسلندا تتبع أوروبا، وليس أمريكا الشمالية، بالرغم من أنها تقع على الصفيحتين الجيولوجيتين لكلتا القارتين. كان الزعيم النرويجي أنجولفر أرنارسون أول من استوطن آيسلندا بشكل دائم في العام 874م. قام آخرون بزيارة الجزيرة قبل ذلك، ومكثوا فيها طوال الشتاء. خلال القرون التالية استوطن الجزيرة مهاجرون من الشعوب الشمالية والغالية. كانت الجزيرة، منذ العام 1262م حتى العام 1918م جزءاً من الملكية النرويجية والدانمركية.

(29) نورماندي **Normandy**: إحدى المناطق الإدارية في شمال فرنسا، وهي مماثلة تقريباً لدوقية نورماندي التاريخية. تنقسم نورماندي إدارياً إلى خمسة أقاليم هي: كالفادوس، أور، المانش، أورن، السان البحرية. تبلغ مساحتها 30627 كلم<sup>2</sup>، ويطلق على سكانها اسم النورمان. تُعد هذه المنطقة موطن اللغة النورمندية، وكانت دوقية نورماندي التاريخية تضم نورماندي الحالية، بالإضافة إلى مناطق صغيرة أصبحت الآن جزءاً من إقليمي سارت وماين.

(30) صقلية **Sicily**: أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، ومنطقة ذاتية الحكم في إيطاليا. الجزر الصغرى حولها، مثل الجزر الإيولية هي جزء منها. خلال معظم تاريخها، كانت صقلية موقعاً استراتيجياً حاسماً، ويعود ذلك في جزء كبير لأهميتها في طرق التجارة المتوسطية. اعتبرت المنطقة جزءاً من ماجنا غراسيا، حيث وصف شيشرون «سيراكوزا» بأنها أعظم وأجمل مدينة في اليونان القديمة. أرخميدس، وهو أحد أعظم العلماء والرياضيين في العالم القديم صقلي الأصل، ولد في مدينة سيراكوزا.

(31) غرينلاند **Greenland**: دولة مستقلة مكونة في المجال الدنماركي، بين المحيطين الشمالي والجنوبي، شرق أرخبيل القطب الشمالي الكندي. بالرغم من كونها جغرافياً جزءاً من قارة أمريكا الشمالية، فإن غرينلاند ترتبط سياسياً وثقافياً بأوروبا (وخصوصاً النرويج والدنمارك، والقوى الاستعمارية، فضلاً عن جزيرة آيسلندا القريبة) لأكثر من ألف عام. معظم سكانها هم من الإنويت الذين بدأ أسلافهم الهجرة من البر الرئيس الكندي في القرن الثالث عشر، واستقروا تدريجياً في جميع أنحاء الجزيرة.

(32) لابرادور **Labrador**: منطقة تتبع نيوفاوندلاند، تبلغ مساحتها 284,900 كلم<sup>2</sup>. تقع عند مصب نهر سانت لورنس، عاصمتها باتل هاربر، معظم سكانها هنود الجونكوين والإسكيمو، ويتشرون على طول ساحل الأطنطي.

(33) جزيرة نيوفاوندلاند **Newfoundland**: جزيرة كندية بالقرب من الساحل الشرقي لكندا، تشكل مع منطقة لابرادور في البر الكندي ما يعرف بمقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور، إحدى مقاطعات كندا، اكتشفت العام 1497م على يد جون كابوت.

(34) **فاينلاند Vinland**: منطقة على ساحل أمريكا الشمالية التي استكشفها الفايكنغ الإسكندنافيون، حيث زارها ليف إريكسون للمرة الأولى في العام 1000م، حوالي خمسة قرون قبل رحلتي كريستوفر كولومبوس وجون كابوت. كان فاينلاند هو الاسم الذي أعطي لأمريكا الشمالية، بقدر ما تم استكشافه من قبل الفايكنج، ويفترض أن تشمل كلاً من نيو فاوند لاند وخليج سانت لورانس، وصولاً إلى شمال شرق نيو برونزويك (حيث توجد نباتات الكروم المسماة باسمها).

(35) **الإسكندنافيون Norsemen**: (من النوردية القديمة Norðmanðr نورذمانذر) أي رجال الشمال، وحُرِّفَت إلى لغاتٍ أوروبية عدة. هم خليطٌ من شعوب إسكندنافيا، استقروا في الدانمرك والسويد والنرويج. كانوا ذوي أصول جرمانية، تميزهم ثقافتهم الخاصة، واعتادوا الملاحة في بحر البلطيق وبحر الشمال، وإن لم يكن معظمهم بحارة، بل من الفلاحين. أطلق عليهم أيضاً اسم الفايكنغ، وإن كان هذا المصطلح يشير إلى الشعوب النورمانية المستقرة على السواحل (ولاسيما بملاذات الفيوردي المنخرطة بأعمال القرصنة).

(36) **الأخوان زينو Zeno**، وهما نيكولو زينو (1326-1402م)، وأنطونيو زينو (توفي 1403م): من النبلاء الإيطاليين من فينيسيا (البندقية)، وهما من عائلةٍ أرستقراطية، عاشا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، واشتهرا خلال عصر النهضة باستكشافهما مياه شمال المحيط الأطلسي والقطب الشمالي.

(37) **إستوتيلاند Estotiland**: هي المنطقة التي ظهرت على خريطة الأخوين زينو، حيث تقع لابرادور وكيبيك ونيو فاوند لاند الآن على الخرائط الملاحية. تم إنشاء خريطة زينو في أوائل القرن الخامس عشر من قبل أنطونيو زينو.

(38) **جزر فارو Faroe Islands**: هي أرخبيل بين بحر النرويج وشمال الأطلسي، في منتصف المسافة بين النرويج وآيسلندا، على بعد 320 كلم شمال غرب أسكتلندا، تبلغ مساحتها حوالي 1400 كلم<sup>2</sup> (541 ميلاً مربعاً). جزر فارو هي بلد مستقل داخل مملكة الدانمرك.

(39) **ألكسندر نيكام Alexander Neckam** (1157-1217م): أستاذ وعالم إنجليزي، كان مدرّساً لعلم اللاهوت في أكسفورد، ذكر في كتابه البوصلة المغناطيسية كمساعدة للملاحة، ويعتبر كتابه عن طبيعة الأشياء، وهو مقدمة من جزأين، تعليقاً على كتاب الكليات.

(40) **ريتشارد الأول Richard I** (8 سبتمبر 1157 - 6 أبريل 1199م): ملك إنجلترا من 6 يوليو 1189م حتى وفاته، حكم أيضاً عدداً من الدوقيات النورماندية، وكان الثالث من خمسة أبناء للملك هنري الثاني من إنجلترا، ويُعرف باسم ريتشارد كور دي ليون أو ريتشارد قلب الأسد، بسبب سمعته كقائدٍ عسكري ومحارب كبير.

(41) **غويوت دي بروفانس** **Guiot de Provins**، أو **غويو** **Guyot** (ولد في بلدة بروفانس حوالي العام 1150م - وتوفي بعد 1208م): كان شاعراً ومغنياً فرنسياً من بلدة بروفانس في منطقة الشمبانيا، وهو الكاتب المزعوم للمواد المستخدمة من قبل ولفرام فون إشنباخ عن الرومانسية برزيغال.

(42) **برونيتو لاتيني** **Brunetto Latini** (1220 - 1294م): فيلسوف لاتيني، عالم، وكاتب عدل ورجل دولة. كان برونيتو وصياً على دانتى بعد وفاة والده ومعلمه.

(43) **دانتى أليغييري** **Dante Alighieri** (فلورنسا 1 يونيو 1265 - رافينا 14 سبتمبر 1321م): شاعر إيطالي من فلورنسا، يُعرف عادةً باسم دانتى. أعظم أعماله «الكوميديا الإلهية» المكونة من ثلاثة أقسام: الجحيم، المطهر والفردوس، وتُعتبر البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجته أوروبا خلال العصور الوسطى، وقاعدة اللغة الإيطالية الحديثة، فهي واحدة من الأعمال الرئيسة لعملية الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة الفكري، وتعتبر تحفةً في الأدب الإيطالي، وواحدةً من قمم الأدب العالمية.

(44) **روجر بايكون** **Roger Bacon** (1214 - 1294م): ويُعرف أيضاً باسم **Doctor Mirabilis** أي «المعلم المذهل» باللاتينية. من أبرز مفكري العصور الوسطى، ورائد العلم التجريبي الحديث. نبغ منذ الصغر، فتعلم الرياضيات والفلك والبصريات والكيمياء واللغات. كما اهتم بتعلم السحر والتنجيم. درس الآداب بأكسفورد وباريس حيث حصل على الماجستير. ثم حاضر هناك حول كتب أرسطو وشروحاته التي كانت محظورة حتى عام 1247.

(45) **فلافيو جيوجا أو جوبا** **Flavio Gioja** (1300 م): بحّار ومُخترع إيطالي، يُعتقد أنه قبطان بحري، كان له الفضل التقليدي في إكمال بوصلة البحار، بتعليق إبرتها على أرضية مُرقمة أشارت إلى الشمال، كما أرفق الإبرة بمربع صغير، مع غطاء من الزجاج.

(46) **أمالفى** **Amalfi**: بلدة ومدينة في مقاطعة ساليرنو، في منطقة كامبانيا- إيطاليا، على خليج ساليرنو. تقع على مصبّ وإد عميق، عند سفح مونتي سيريتو (1,315 متراً/ 4,314 قدماً)، وتحيط بها المنحدرات الرائعة والمناظر الساحلية. كانت مدينة أمالفى عاصمة الجمهورية البحرية المعروفة باسم دوقية أمالفى، وهي قوة تجارية هامة في المتوسط، بين الأعوام 839م وحوالي 1200م.

(47) **بورتولانوس** **portulanos** من اللفظ اللاتيني «بورتوس»، وتعني «الميناء» أو بورتولانو: هي خرائط بحرية أوروبية قديمة، أو رسوم بيانية بحرية، أمكن استخدام البوصلة معها، حيث يعود تاريخها إلى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وكانت وظيفتها توفير الاتجاهات والمسافات التقريبية بين الموانئ الأوروبية والأفريقية الكبرى.

- (48) البارون نيلس أدولف إريك نوردنسكيولد **Nils Adolf Erik Nordenskiöld** (18 نوفمبر 1832 - 12 أغسطس 1901م): بارون فنلندي وسويدي، عالم جيولوجي، وعالم معادن، ومستكشف القطب الشمالي. كان من عائلة نوردنسكيولد الشهيرة السويدية-الفنلندية. ولد في هلسنكي في دوقية فنلندا الكبرى، عندما كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية، وفي وقت لاحق، وبسبب نشاطه السياسي، اضطر للانتقال إلى السويد، حيث أصبح عضواً في برلمان السويد. قاد حملة فيغا على طول الساحل الشمالي لأوراسيا (1878-1879م)، وكان هذا أول عبور كامل للممر الشمالي الشرقي.
- (49) أنجيلينو دولسيرت **Angelino Dulcert** (1339م): قد يكون أيضاً الشخص نفسه المعروف باسم أنجيلينو دي دالورتو، وكان اسمه الحقيقي أنجيلينو دي دولسيتو، أو دولسيتي، أو ربما أنجيلا دولسيت: رسام خرائط ميجوركي إيطالي.
- (50) مايوركا أو ميورقة **Majorca**: من أكبر جزر إسبانيا، تقع في البحر المتوسط، وهي جزء من أرخبيل جزر البليار، غيرها من جزر البليار.
- (51) أبراهام كريسكينز **Abraham Cresquez** (1325-1387م): رسام خرائط يهودي من القرن الرابع عشر، من بالما-مايوركا (جزء من تاج أراغون). يرجع الفضل إليه، بالتعاون مع ابنه جيهودا كريسكينس، بتأليف الأطلس الكاتالوني الشهير 1375م.
- (52) كاثاي **Cathay**: هو الاسم الذي أطلقه الأوروبيون في العصور الوسطى على الصين، وبالذات على الجزء الشرقي من نهر يانغتسي، نقلاً عن ماركو بولو، ولا يزال يذكر أحياناً في القصائد، كما عند الشاعر تينسون: «خمسون سنة في أوروبا أفضل من دهر في كاثاي».
- (53) ماركو بولو **Marco polo** (ولد في 15 سبتمبر 1254م في البندقية - توفي في 8 يناير 1324م في البندقية): مُستكشف وتاجر من فينيسيا، كان هو وأبوه نيكولو وعمّه مافيو أول الأوروبيين الذين سلكوا طريق الحرير إلى الصين - والتي أطلق عليها اسم كاثاي - وكانت له علاقات دبلوماسية مع قوبلاي خان، أكبر ملوك إمبراطورية المغول وحفيد جنكيز خان، وقد دوّن رحلاته في كتابه «إل ميليوني»، وهو تصغير إيميليوني، اسم الشهرة لعائلة بولو - كما يدعى رحلات ماركو بولو.
- (54) الأمير هنري الملاح **Prince Henry the Navigator** (مارس - 1394 نوفمبر 1460م): أمير ومستعمر ورحالة برتغالي، هو الابن الثالث لجواو الأول، ملك البرتغال آنذاك، ومؤسس عائلة أفيز. لم يكن الأمير هنري نفسه بحاراً، لكنه حصل على هذا الاسم بسبب تنظيمه الرحلات التي اكتشفت أراضي جديدة، وينظر إليه بكونه الشخص الذي بدأ التوسع الاستعماري الأوروبي.



## الفصل الرابع

### رحلات العصور الوسطى



في العصور الوسطى - تلك التي كانت في السنوات الألف بين اقتحام البرابرة للإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، واكتشاف العالم الجديد في القرن الخامس عشر الميلادي - كانت المراحل الرئيسة للتاريخ التي أثرت على توسيع معرفة الإنسان للعالم: رحلة القايكنج في القرنين الثامن والتاسع، والتي أشرنا إليها من قبل؛ والحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين؛ ونمو الإمبراطورية المغولية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. فالمعرفة الإضافية التي حصل عليها القايكنج لم تتمكن من التغلغل إلى بقية أوروبا؛ وتلك التي جلبتها الحروب الصليبية، وأسلافها، والعديد من رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة، أعادت إلى أوروبا الغربية المعرفة المختزنة فقط في العصور الكلاسيكية القديمة. لكن امتداد الإمبراطورية المغولية كان له تأثيرٌ وأهمية أكبر على نطاقٍ واسع، وأسفر عن إضافة المزيد من المعرفة حول شرق آسيا، لم يكن الرومان يمتلكونها، وكانت قد تفوقت فقط في الأزمنة الحديثة خلال القرن الحاضر.

نحو بداية القرن الثالث عشر، قام (جنكيز خان Chinchiz Khan)<sup>(1)</sup>، زعيم قبيلة تتار صغيرة، بغزو معظم وسط وشرق آسيا، بما فيها الصين. وتحت قيادة ابنه (أوكوداي Okkodai)<sup>(2)</sup>، تحول هؤلاء التتار المغول من الصين إلى الغرب، وفتحوا أرمينيا، كما أقدم أحد جنرالاتهم، واسمه (باتو Batu)<sup>(3)</sup>، على تدمير جنوب روسيا وبولندا، واستولى على بودابست (العام 1241 ميلادي)؛ وبدا وكأن نبوءة نهاية العالم قد حان وأن تحقيقها، وأن الأمم القوية، من يأجوج ومأجوج، قد اندفعت لتفني بالكلمات التنبؤية. غير أن أوكوداي مات



بشكل مفاجئ، واستدعت هذه الجيوش للعودة. واستولى الإرهاب العالمي على أوروبا، وبصفته رئيساً للمسيحية، عزم البابا على إرسال سفراء إلى جنكيز خان العظيم، للتأكد من نواياه الحقيقية، فبعث براهب يدعى (جون بلانو كاريني John of Planocarpini)<sup>(4)</sup>، من مدينة (ليون Lyons)<sup>(5)</sup>، في العام (1245 ميلادي)، إلى معسكر باتو (على نهر الفولغا)، والذي نقله بدوره إلى بلاط الخان العظيم في مدينة (كاراكوريوم Karacorum)<sup>(6)</sup>، عاصمة إمبراطوريته التي لم يبقَ منها الآن إلا أثر قليل على الضفة اليسرى من نهر (أورخون Orkhon)<sup>(7)</sup>، حوالي مائة ميل إلى الجنوب من بحيرة (بايكال Baikal)<sup>(8)</sup>.

هنا، وللمرة الأولى، سمعوا عن مملكة على الساحل الشرقي من آسيا لم يتم غزوها على يد المغول بعد، وكانت تُعرف من قبل باسم (كاثاي). تم الحصول على معلومات وافية عنها عن طريق الراهب الآخر، المدعو (وليام رويسبروك William Ruysbroek)<sup>(9)</sup>، أو Rubruquis، وهو فليمنكي الأصل، زار أيضاً كاراكوريوم سفيراً من قبل (القديس لويس St.Louis)<sup>(10)</sup>، وعاد إلى أوروبا في العام (1255 ميلادي)، وأبلغ بعض معلوماته إلى (روجر بيكون)، حيث يقول: «هؤلاء الكاثانيون Cathayans قليلو الرفقة، ويتحدث الكثيرون منهم من الأنف، وكما هو عموماً مع كل هؤلاء الناس الشرقيين، عيونهم ضيقة جداً، المال المتداول في كاثاي يتكوّن من قطعة من ورق القطن، تُقاس بحوالي النخلة في الطول والعرض، مطبوعة عليها خطوط معينة، تشبه ختم (مانغو خان Khan Mangou)، وهم ينفذون كتاباتهم بريشة مثل الرسامين، ويفهمون من حرف واحد رسائل عدة، ذلك لأنه يشكل كلمة كاملة». وهو يحدد أيضاً هؤلاء الكاثانيين مع (السيريس Seres)<sup>(11)</sup> القدماء. عرف بطليموس هؤلاء باعتبارهم يمتلكون الأرض التي يأتي منها الحرير، لكنه قد يكون سمع أيضاً عن (الصين القديمة Sinae)، وأخفق في تمييز إحداها عن الأخرى. من المعتقد أن اسم الصين جاء إلى الغرب عن طريق رحلة بحرية، تعديلاً

لاسم (المالايو Malay)<sup>(12)</sup>، في حين جاءت أسماء السيريس والكاثانين عن طريق البرّ، وبالتالي تسبب ذلك في التشويش بينهما.

الفرنسيّسكان الآخرون اتبعوا هؤلاء، وأحدهم، وهو (جون مونتيكورفينو John Montecorvino)<sup>(13)</sup>، استقرّ في (خانباليق Khanbalig)<sup>(14)</sup> (المدينة الإمبراطورية)، أو (بيكين Pekin)<sup>(15)</sup>، كرئيسٍ للأساقفة، العام (1358 ميلادي)، بينما سافر الراهب (أودوريك بوردينون Odoric Pordenone)<sup>(16)</sup>، من منطقة (فريولي Friuli)<sup>(17)</sup>، إلى الهند والصين، بين العامين (1316 ميلادي و1330 ميلادي)، ونشر قصة رحلته التي ملأها بالأكاذيب المثيرة للدهشة، ومعظمها جرى اقتباسه بالكامل عن العمل المنسوب إلى السير جون ماندو فيللي.

المعلومات القليلة المتداولة من قبل هؤلاء الرهبان الرحالة تلاشت، قبل أن تتم إعادة المعرفة الشاملة والدقيقة كلها تقريباً عن شرق آسيا إلى أوروبا، عن طريق ماركو بولو الفينيسي، الذي أمضى ثمانية عشر عاماً من حياته في الشرق؛ إذ شكّلت أسفاره حقبةً مهمة في تاريخ الاكتشاف الجغرافي، وتأتي في المرتبة الثانية بعد رحلات كولومبوس.

في العام (1260 ميلادي)، باشر اثنان من أعمامه، هما (نيكولو ومافيو بولو Nicolo and Maffeo Polo)، بمشروع تجاري بدّاه من مدينة القسطنطينية إلى شبه جزيرة القرم، وقاما بعد ذلك بزيارة مدينة (بخارى Bokhara)<sup>(18)</sup>، ومنها إلى بلاط الخان العظيم (كوبلاي Kublai)<sup>(19)</sup>، الذي استقبلهم بحفاوة بالغة، وأبدى رغبته بإدخال الحضارة الغربية في الإمبراطورية المغولية الجديدة، وأوكل إليهما إيصال رسالة للبابا مطالباً فيها بمائة من حكماء الغربيين لتعليم المنغوليين الدين المسيحي والفنون الغربية. عاد الأخوان إلى موطنهما الأصلي (فينيسيا Venice)<sup>(20)</sup> «البندقية»، في العام (1269 ميلادي)، لكنهما لم يعثرا على البابا للامتنال إلى طلب الخان العظيم؛ وهو البابا (كليمنت الرابع Clement IV)<sup>(21)</sup>، إذ كان قد توفي في العام السابق، ولم يتم تعيين

خلف له، فاضطرا للانتظار لبضع سنواتٍ حتى تمَّ انتخاب (غريغوريوس العاشر Gregory X)<sup>(22)</sup> الذي استجاب بشكلٍ فاطرٍ لمطالب الخان العظيم، وكلّف اثنين من الدومنيكان مرافقة الأخوين بولو اللذين اصطحبا معهما في هذه المناسبة ابن شقيقهما الصغير (ماركو)، وكان فتىً في السابعة عشرة من العمر، وانطلقوا في نوفمبر العام (1271 ميلادي)، لكنهم سرعان ما ضلّوا رفقة الدومنيكان الذين فقدوا صوابهم وعادوا أدراجهم.

ذهبوا أولاً إلى مضيق (هرمز Ormuz)<sup>(23)</sup>، عند مصبّ الخليج العربي، ثم اتجهوا شمالاً عبر خراسان بلخ إلى نهر جيحون، ومنه إلى هضبة (بامير Pomir)<sup>(24)</sup>، ومن ثم اجتازوا الصحراء الكبرى من (غوبي Gobi)<sup>(25)</sup>، ووصلوا أخيراً إلى كوبلاي، في شهر مايو/ أيار العام (1275 ميلادي)، في مقرّه الصيفي في (كاينغ فو Kaipingfu)<sup>(26)</sup>. بالرغم من أنهم لم ينفذوا له طلبه، استقبلهم الخان بطريقةٍ ودية، واحتفى بشكلٍ خاصٍ بماركو الذي اتخذه في خدمته الخاصة. ولقد تمّ العثور مؤخراً على سجلٍ ضمن السجلات الصينية، يشير إلى أنّه - في العام (1277 ميلادي) - جرى ترشيح (ماركو بولو) مفوضاً من الدرجة الثانية لمجلس شورى الملك، وكان واجبه أن يسافر في مهمّات مختلفة إلى بلاد التبت الشرقية، وإلى كوشين الصين، وحتى إلى الهند. جمع الإخوة بولو ثروةً كبيرة، نتيجة إحسان الخان العظيم، لكنهم وجدوا أنه غير راغبٍ في السماح لهم بالعودة إلى أوروبا. تولى ماركو بولو العديد من المناصب المهمّة؛ لمدة ثلاث سنوات، وكان محافظاً للمدينة العظيمة (يانتشو Yanchau)<sup>(27)</sup>، وبدا أنه سوف يموت وهو في خدمة كوبلاي خان.

لكنّ الفرصة سنحت لهم أخيراً، فتمكنوا من الحصول على الإذن بالعودة إلى أوروبا، ذلك أنّ الخان الفارسي رغب في الزواج بأميرة من أسرة الخان العظيم، كان قد تعلّق بها. وبما أنّ السيدة الشابة التي وقع عليها الاختيار لا يمكنها تحمّل مشاق الرحلة برّاً من الصين إلى بلاد فارس، تقرّر إرسالها

عن طريق البحر في رحلةٍ عبر سواحل آسيا. ولأن (التتار Tatars)<sup>(28)</sup> لم يكونوا بحارةً جيدين، حصل الأخوان بولو وابن أخيهما على الإذن بمرافقة الأميرة الشابة في رحلةٍ مليئة بالمخاطر، إلى حدّ ما؛ وانطلقوا في العام (1292 ميلادي) من (زيتون Zayton)<sup>(29)</sup>، وهو ميناء في (فوكين Fokien)<sup>(30)</sup>. وبعد رحلةٍ لأكثر من عامين، عبر الساحل الجنوبي لآسيا، وصلت السيدة بسلام إلى المنزل المقدّر لها، مع أنها - في نهاية المطاف - تزوّجت بالابن بدلاً من والده الذي كان قد لقي حتفه. بعد ذلك طلبوا الإذن منها، وسافروا عن طريق بلاد فارس إلى بلادهم التي وصلوها في العام (1295 ميلادي). وعندما وصلوا إلى قصر أسلافهم من آل بولو، بملابس التتار الخشنة، رفض أقاربهم لبعض الوقت أن يصدّقوا أنهم كانوا بالفعل تجارهم المفقودين منذ زمنٍ طويل، لكن «الثلاثي بولو» دعوهم إلى مأدبة، ارتدوا فيها أفضل ما لديهم من ثياب، وأعطوا العبيد ملابسهم القديمة. وفي ختام المأدبة، أحضروا الثياب الرثة التي وصلوا فيها لأول مرة، وأخذوا السكاكين الحادة، وبدؤوا بتمزيق طيات الثياب، ليستخرجوا منها كمياتٍ هائلةً من الياقوت الأحمر الرماني الداكن، والياقوت الأزرق، والماس، والزمرد، والتي تشكّل جميع ممتلكاتهم. هذا العرض غيّر بشكلٍ فعالٍ من طابع الترحيب الذي لقوه من أقاربهم الذين صاروا مهتمين بمعرفة كيف جاؤوا بمثل هذه الثروة.

في وصفه لثروة خان العظيم، اضطر ماركو بولو - الذي كان كبير المتحدثين في «الثلاثي» - لاستخدام الرقم «مليون» للتعبير عن مقدار ثروته، وعن عدد الناس الذين كان يحكمهم، ويُعتبر هذا الجزء من حكايات المسافرين المعهودة، فأصبح ماركو بولو معروفاً بشكلٍ عامٍ من قبل أصدقائه بأنه «ميسير ماركو المليونى».

لم يكن مثل هذا الاستقبال لرواياته قد أمدّ ماركو بولو بالتشجيع الكافي كي ينقل حكاية أسفاره الرائعة. غير أنه، في العام الذي وصل إلى فينيسيا،

اندلعت حربٌ بين جنوة وملكة البحر الأدرياتيكي، فتمّ القبض عليه، وألقي به بالسجن في جنوى. هناك وجد سجيناً واحداً اعتبره كزميل له، يدعى (روستيكانو بيزا Rusticano of Pisa)<sup>(31)</sup>، وهو رجلٌ يمتلك بعض العلم على أسلوب سلفه السير (توماس مالوري Thomas Malory)<sup>(32)</sup>، إذ كان قد كرس الكثير من الوقت لإعادة كتابة الثريات والملخصات للعديد من الرومانسيات التي تتعلّق بالمائدة المستديرة، لكنه لم يكتبها باللغة الإيطالية (التي نادراً ما يقال إنها كانت معتمدة للأغراض الأدبية في تلك الأيام)، إنما باللغة الفرنسية، اللغة المشتركة للفروسية في جميع أنحاء أوروبا الغربية. أثناء وجوده في السجن مع ماركو بولو، دوّن توماس - باللغة الفرنسية - رواية المسافر العظيم، واحتفظ بها كل الوقت. أطلق سراح ماركو بولو في العام (1299 ميلادي)، فعاد إلى فينيسيا، حيث توفي بعد سنوات قليلة، في 9 يناير/ كانون الثاني العام (1334 ميلادي)، وهو تاريخ كتابة وصيته.

وهكذا، فإنّ الأسفار التي تمّ تفصيلها في كتاب ماركو بولو، بالرغم من أهميتها ودلالاتها في تاريخ الاكتشاف الجغرافي، من المستحيل أن تعطي أيّ وصف كافٍ عن هذا المكان. وعليه، قد يكفي أن نعطي ملخصاً لمقالاته المعطاة من قبل العقيد السير (هنري يول Henry Yule)<sup>(33)</sup>، والتي تُعدّ طبعةً من كتاب رحلاته، وبمثابة واحدٍ من أهم الآثار العظيمة المعتمدة في التعليم الإنجليزي، حيث يقول:

«كان أول مسافرٍ تتبع طريقاً عبر خط الطول الكامل لآسيا، حيث قام بتسمية ووصف المملكة، بعد المملكة التي رآها بأمّ عينيه: صحاري بلاد فارس، والهضاب المزهرة والوديان البرية في (داخستان)، واليشم التي تحمل أنهار خوتان، وسهوب منغوليا، مهد القوة التي كانت قد هدّدت في الآونة الأخيرة بابتلاع المملكة المسيحية، البلاط الجديد والرائع الذي أنشئ بد-خانباليق (Cambaluc)؛ وهو المسافر الأول للكشف عن الصين بجميع

ثرواتها واتساعها، وأنهارها العظيمة، ومدنها الضخمة، وصناعاتها الغنية، وحشود سكانها، وأساطيلها الواسعة التي تتسارع بشكل لا يصدق، والبحار والمياه الداخلية فيها؛ ليخبرنا عن الدول التي على حدودها، بكل غرابة أطوار شعوبها، وعن أساليب وعبادة شعوب التبت، بتعصّبهم الدنيء، وعن (بورما Burma)<sup>(34)</sup> ومعابدها الذهبية والتيجان الرنانة؛ وعن لاوس، بسيام، وكوشين الصين، واليابان، وثول الشرقية، مع لآلئها الوردية والقصور ذات الأسطح الذهبية؛ وهو أول من تحدّث عن هذا المتحف بالجمال والروعة، ولا يزال ينقصه حقه، وعن الأرخييل الهندي، مصدر تلك المواد العطرية والنفيسة للغاية، والتي كانت غامضة المنشأ؛ وعن جاوة، لأولؤة الجزر؛ وعن (سومطرة Sumatra)<sup>(35)</sup>، بملوكها العديدين، ومنتجاتها الغالية الغريبة، وأجناسها الآكلة للحوم البشر، والمتوحشين العراة من نيكوبار واندامان، وسيلان، وجزيرة الأحجار الكريمة، بجبلها المقدّس، وقبر آدم «عليه السلام»؛ والهند الكبرى، ليست كأرض أحلام في خرافات الإسكندرانيين، ولكن كما شاهدها واستكشفتها شخصياً، بما لديها من البراهمة الفاضلين، الزاهدين في الفاحشة، وألماسهم، والحكايات الغريبة عن اقتنائهم له، وقيعان بحرهما من اللؤلؤ، والشمس القوية: البداية في وقت العصور الوسطى لإعطاء وصفٍ متميز عن الإمبراطورية المسيحية المعزولة عن الحبشة، والجزيرة شبه المسيحية (سوقطرى)<sup>(36)</sup>. لتتكلّم - بالرغم من ذلك في الواقع، بشكل مبهم - عن زنجبار، بزنجها وعاجها، ومدغشقر الواسعة والبعيدة، المطلّة على المحيط المظلم من الجنوب، وعن حربائها نجم الروك والوحوش الأخرى، في المنطقة المقابلة عن بعد، وعن سيبيريا والمحيط المتجمّد الشمالي، وعن كلاب الزلاجات، والدببة البيضاء، وشعب (التونغوس Tunguses)<sup>(37)</sup> راكبي الرّنة.

ماركو بولو هو بالتالي واحدٌ من أكبر الأسماء في تاريخ الجغرافيا، وقد يكون ثمة شكٌ في الواقع حول ما إذا كان أيّ مسافرٍ آخر قد أضاف على

نطاق واسع جداً إلى معرفتنا التفصيلية عن سطح الأرض. لكن المؤكد أنه - حتى عصر السيد (ستانلي) - لم يكن من رجل على وجه الأرض قد زار مثله العديد من الأماكن المجهولة، والتي لم تكن معروفة لأوروبا المتحضرة من قبل. وبالرغم من أن الأراضي التي اكتشفها مأهولة بالسكان، فإنها كانت إلى وقت قريب واقعة في الفوضى، ومغلقة أمام أي تأثيرات حضارية. ولفترة طويلة، لم يل هذه الاكتشافات أي شيء، وحتى الوقت الحاضر، استقبلت رواياته بالتشكيك، في الواقع، وهو نفسه كان يُعرف باسم «ماركو المليونى»، أكثر من ماركو بولو.



خريطة «فرا ماورو» 1457 م



كانت رحلات ماركو بولو واسعة النطاق، إلا أنها لم تتجاوز المدى في نوعها، كي تُقارن بأعظم الرحالة العرب (محمد بن بطوطة Mohammed Ibn Batuta)<sup>(38)</sup>، وهو مواطنٌ من (طنجة Tangier)<sup>(39)</sup>، بدأ رحلاته في العام (1334 ميلادي)، كجزءٍ من واجب المسلم لزيارة الأراضي المقدسة في مكة المكرمة. وفي الإسكندرية التقى بحكيم عالم يدعى (برهان الدين) أعرب له عن رغبته في السفر. وقال له برهان الدين: «يجب أن تقوم بزيارة أخي (فريد الدين) وأخي (ركن الدين) في (السند)، وأخي (برهان الدين) في الصين، وعندما تراهم، قدّم لهم تحياتي». ويرجع ذلك أصلاً إلى حقيقة أنّ الأمراء التتار قد اعتمدوا الإسلام بدلاً من المسيحية، بعد فشل البابا غريغوري العاشر في إرسال المعلمين المسيحيين إلى الصين، وتمكّن ابن بطوطة في نهاية المطاف من أن يحيي جميع الإخوة الثلاثة لبرهان الدين. والواقع أنّه أدّى مهمةً استثنائية، إذ تمكّن من نقل تحيات الشيخ (كاوان الدين Kawan Eddin) الذي التقى به في الصين، لقريب له مقيم في السودان. خلال ثلاثين عاماً من أسفاره، زار الأراضي المقدسة و(أرمينيا Armenia)<sup>(40)</sup>، وشبه جزيرة القرم، والقسطنطينية (زارها ضمن مجموعة، مع أميرة يونانية تزوجت أحد خانات التتار)، وبخارى، و(أفغانستان Afghanistan)<sup>(41)</sup>، و(دلهي Delhi)<sup>(42)</sup>، حيث وجد التكریم من الإمبراطور (محمد إنغلاك Mohammed Inghlak)<sup>(43)</sup>، الذي عينه قاضياً، وأرسله على رأس سفارة إلى الصين، في بادئ الأمر برّاً، ولكن - عندما وجد أنّ هذا الطريق خطيراً جداً - ذهب في نهاية المطاف من (كاليكوت Calicut)<sup>(44)</sup> عن طريق سيلان، وجزر (المالديف Maldives)<sup>(45)</sup>، وسومطرة، وزيتون، ثم ميناء الصين العظيم. بعدما اندلعت الحرب الأهلية، عاد من الطريق ذاته إلى كاليكوت، لكنه لم يجرؤ على مواجهة الإمبراطور، وذهب إلى هرمز ومكة المكرمة، وعاد إلى طنجة في العام (1349 ميلادي)، وحتى ذلك الحين، لم يستنفد حبّه للسفر، فسرعان ما بدأ بإسبانيا، وجعل



طريقه عبر المغرب، وعبر الصحراء، إلى السودان؛ وسافر على طول نهر النيجر (الذي اعتبره نهر النيل)، وزار تيمبكتو، وعاد في نهاية المطاف إلى مدينة (فاس Fez)<sup>(46)</sup> في العام (1353 ميلادي)، أي بعد ثمانية وعشرين عاماً من بداية رحلاته. كانت مصلحته الرئيسة هي إظهار المدى الواسع للإسلام في عصره، والوسائل التي قدمت العقيدة المشتركة للسفر الواسع النطاق. لكن رواية رحلاته كُتبت باللغة العربية، ولم يكن لها من تأثير على المعرفة الأوروبية التي لم تجد ما تتعلمه منه بعد ماركو بولو، إلا في ما يتعلّق بالسودان. ومعه يمكننا القول بإنصاف إن تاريخ الجغرافيا في العصور الوسطى قد انتهى. وبعد ثمانين عاماً من وفاته، بدأ الأمير هنري الملاح نشاطه، ومعه بدأ العصر الحديث.

وفي الوقت نفسه، أصبحت الهند معروفة أكثر إلى حدّ ما، وذلك بشكل أساسي من خلال سفر الرهبان الرحالة الذين قصدوها في الأصل لزيارة ضريح القديس (توماس St. Thomas)<sup>(47)</sup> الذي كان من المفترض أنه استشهد في الهند. كما تنبغي الإشارة إلى الانتشار المبكر للكنيسة النسطورية في جميع أنحاء آسيا الوسطى. في وقت مبكر من القرن السابع الميلادي، بدأ المسيحيون السوريون الذين اتبعوا آراء نسطور بنشرها شرقاً، وأسسوا آراءهم في بلاد فارس وتركستان، وبذلك انتشرت حتى بيكين. كان ثمة إحياء مؤكّد للنشاط التبشيري في ظلّ الخانات المغوليين، لكن الطبيعة المقيدة للغة التي كُتبت بها تقاريرهم، حالت دون أن يكون لها أيّ تأثير على المعرفة الجغرافية، إلا في لغة معينة تحظى ببعض الاهتمام. ولطالما أثار مصير القبائل العشر المفقودة من بني إسرائيل الاهتمام، ونشأت أسطورة أنّهم قد تحوّلوا إلى المسيحية، وهم موجودون بمكان ما في الشرق تحت حكم الملك الذي كان كاهناً أيضاً، والمعروف باسم الكاهن (يوحنا John)<sup>(48)</sup>. في التقارير التي رفعها بعض الكهنة النسطوريين غرباً، قيل إن واحداً من أمراء المغول، اسمه

(أونغ خان Ung Khan)<sup>(49)</sup>، قد اعتنق المسيحية، وفي السريانية بدا هذا شيئاً مثل حكاية «جون كوهين»، أو «الكاهن»، والتي تتطابق مع أسطورة الكاهن يوحنا. ومنذ فترة طويلة، كان أحد هذه المبررات السفر إلى الشرق، لاكتشاف هذه المملكة المسيحية؛ ومع ذلك، تأكد لاحقاً وجود مثل هذه المملكة المسيحية في الحبشة. وبسبب وجهات النظر الخطأ لبطليموس، يليه العرب، اعتُبر امتداد الحبشة أبعد نحو الهند، وتمّ تحديد أرض الكاهن يوحنا في الحبشة، وسنرى لاحقاً كيف ساعد هذا الخطأ في تقدّم الاكتشاف الجغرافي.

الإضافة الكليّة لهذه الرحلات من العصور الوسطى إلى المعرفة الجغرافية، تألفت أساساً في إضافة قدر أكبر من الأراضي في الصين، وأرخييل اليابان، أو (سييانغو Cipangu)<sup>(50)</sup>، إلى خريطة العالم. تعرض الخريطة المصاحبة مختلف الأسفار وأهمية الرحلات، وسوف تُمكن القارئ من فهم كيف أنّ دارسي الجغرافيا الذين أضافوا إلى تخمينات بطليموس بامتداد العالم شرقاً وغرباً، المعارف الجديدة التي حصلوا عليها عن طريق ماركو بولو، قد قلّصوا المسافة غرباً بين أوروبا وسييانغو، وبالتالي إعداد الرجال لرحلة كولومبوس.

[Authorities: Sir Henry Yule, Cathay and the Way Thither, 1865; The Book of Ser Marco Polo, 1875].



## (هوامش الفصل الرابع)

- (1) جنكيز خان Chinchiz Khan (1165-1227م): مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية التي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة، بعد وفاته، والتي توسعت بعد قتله الملايين من سكان البلاد التي يحتلها، ولقد ارتكب مجازر كبيرة بحق المسلمين، وبرز بعد توحيد قبائل رحل لشمال شرق آسيا. فبعد إنشائه إمبراطورية المغول، وتسميته بـ «جنكيز خان»، هاجم خانات قراخيستان والقوقاز والدولة الخوارزمية وزيا الغربية وإمبراطورية جين، وفي نهاية حياته كانت إمبراطوريته قد احتلت جزءاً ضخماً من أواسط آسيا والصين.
- (2) أوكوداي أو أوقطاي Okkodai (1186-1241م): أول خلفاء جنكيز خان وثالث أبنائه (جوتشي - شقطاي - أوقطاي - تولوي) من زوجته الإمبراطورة بورتة. تولى حكم الإمبراطورية المغولية مباشرة بعد وفاة جنكيز خان، في 18 أغسطس 1227م.
- (3) باتو خان Batu (1207-1255م): المعروف أيضاً باسم الخان والقيصر باتو. كان حاكم المغول ومؤسس القبيلة الذهبية، وهو ابن جوشي وحفيد جنكيز خان. بعد وفاة أبناء جنكيز خان، أصبح الأمير باتو الأكثر احتراماً، ودُعي بالآغا (الأخ الأكبر) في الإمبراطورية المغولية.
- (4) جون بلانو كاريني John of Planocarpini أو جيوفاني دابيان ديل كاريني Giovanni da Pian del Carpine (1185 - 1 أغسطس 1252م): دبلوماسي إيطالي من القرون الوسطى، رئيس أساقفة ومستكشف وأحد أول الأوروبيين الذين دخلوا بلاط الخان الكبير للإمبراطورية المغولية. هو مؤلف أول تقرير غربي هام عن شمال ووسط آسيا، وروسيا، ومناطق أخرى تحت الهيمنة المغولية، وكان رئيس صربيا، ومقرها أنتيفاري، من 1247 إلى 1252م.
- (5) ليون Lyons: ثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان، بعد مدينة باريس ومدينة مارسيليا، عاصمة إقليم الرون ومنطقة رون ألب في جنوب شرق البلاد. تقع بين مدينتي باريس ومارسيليا. تبعد ليون 470 كلم عن باريس، ولقد بنيت في موقع قرب مصب نهر الرون في البحر، وأصبحت عاصمة لبلاد الغال القديمة، وتعتبر في الوقت الحاضر أقدم موقع أثري روماني بعد روما ذاتها، وهي تقع على أعماق نقطة في وادي الرون، وتعتبر المدينة عاصمة الحرير، حيث اخترعت فيها طريقة الجاكار في النسيج، وهي حالياً عاصمة منطقة الرون ألب، وتتمتع بموقع فريد في وسط أوروبا، وهي مدينة كبيرة تزخر بالمصانع والمؤسسات التجارية والأسواق.

(6) كاراكوروم Karacorum أو Karakorum: كانت عاصمة الإمبراطورية المغولية بين العامين 1235 و1260م، وهي يوان الشمالية في القرنين 14-15. تقع أطلالها في الزاوية الشمالية الغربية لمقاطعة أوفوركانجي في منغوليا، بالقرب من بلدة خرخورين اليوم، وبالقرب من دير إردين زو، وهي جزء من مواقع التراث الثقافي العالمي.

(7) نهر أورخون Orkhon: أحد أنهار منغوليا وأطولها، يبلغ طوله 1124 كلم.

(8) بحيرة بايكال Baikal: بحيرة عظيمة تقع جنوب سيبيريا في روسيا، وهي أعمق بحيرة مياه عذبة في العالم، يبلغ عمقها 1642 م، وتضم أكبر حجم للمياه العذبة السطحية في العالم، وهي أيضاً أقدم البحيرات في العالم، وقد تكونت قبل 25 مليون سنة تقريباً، نتيجة تحركات القشرة الأرضية، وثمة أنواع فريدة من الحيوانات البرية والبحرية التي تعيش فيها وبالقرب منها. يبلغ طول هذه البحيرة 395 ميلاً ومتوسط عرضها 3 أميال، ويصب فيها 336 نهراً، وهي مدرجة منذ العام 1996م على لائحة التراث العالمي لليونسكو.

(9) وليام رويسبروك William Ruysbroek: مبشر ومستكشف فرنسيسكاني، معروف أيضاً بأسماء أخرى: وليام روبروك William of Rubruk، وليام فان رويسبروك Willem van Ruysbroeck، وويليلموس دي روبروكيس Willielmus de Rubruquis. مؤلفه هو إحدى روائع الأدب الجغرافي في العصور الوسطى، مماثلة لمؤلفات ماركو بولو وابن بطوطة. ولد في روبروك-فلاندرز، وقام بالترحال إلى أماكن مختلفة من الإمبراطورية المغولية في آسيا، قبل عودته إلى أوروبا.

(10) لويس التاسع (Louis IX) أو لويس القديس (Saint Louis) (1214م-1270م): كان ملك فرنسا، وهو ابن لويس الثامن.

(11) السيريس Seres: شعب يقطنون في منطقة سيريك Serica، أحد بلدان شرق آسيا التي عرفها الجغرافيون اليونانيون والرومان، وعادة ما تؤخذ التسمية على أنها تشير إلى شمال الصين خلال فترات حكم أسر تشو، تشين، وهان، ويتم الوصول إليها عبر طريق الحرير البري.

(12) الملايو Malay: مجموعة عرقية من الشعوب الأسترونيزية، يعيشون في شبه جزيرة ملايو (ماليزيا حالياً) وفي جزيرة سومطرة (سنغافورة حالياً) وجزيرة سنغافورة وفي أقصى جنوب تايلاند، وعلى السواحل الجنوبية لبورما، وفي سواحل جزيرة بورنيو المقسمة بين إندونيسيا وماليزيا، ومن ضمنها بروناي، وفي كالميتان الغربية و سواحل سراوق وصباح، ويسمي الملايون هذه الجزر بعالم ملايو.

(13) جون مونتيكورفينو John of Montecorvino أو باللغة الإيطالية جيوفاني دا مونتيكورفينو Giovanni da Montecorvino (1247-1328م): مبشر ورّحالة فرنسيسكاني إيطالي،

ورجل دولة، مؤسس أقدم البعثات الكاثوليكية الرومانية في الهند والصين، ورئيس أساقفة بكين، والبطريرك اللاتيني في الشرق.

(14) **خانباليق Khanbalig**: كانت خانباليق أو دادو عاصمة لسلالة يوان، المركز الرئيس للإمبراطورية المغولية التي أسسها كوبلاي خان في ما يُعرف ببكين، عاصمة الصين اليوم. كانت تقع في وسط بكين الحديثة، فيما الأمانة العامة (زونغشو شنغ) تدار مباشرة من المنطقة الوسطى من الإمبراطورية يوان.

(15) **بكين** أو **بيجين** وهو النطق الصيني للمدينة ويعني العاصمة الشمالية، أما بيكين فهو مصطلح عائد إلى زمن حملات التنصير الفرنسية، قبل أربعمئة سنة سبقت تغييراً في النطق بلغة الماندرين؛ هي عاصمة جمهورية الصين الشعبية، ومن أكبر مدنها. تقع بكين في الطرف الشمالي من سهل شمال الصين، ويعود تاريخها إلى فترة سلالة «تشو الغربية»، وكانت تعرف باسم «جي».

(16) **أودوريك بوردينون Odoric of Pordenone** (1286-1331م) المعروف أيضاً باسم **أودوريكو ماتيوستي Odorico Mattiussi** أو **ماتيوستي Mattiuzzi**: مُبَشِّر ومُستكشف إيطالي فرنسيسكاني، كانت روايته لزيارته الصين مصدراً هاماً لكتاب جون مانديفيل.

(17) **فريولي Friuli**: منطقة تقع في شمال شرق إيطاليا، لها هويتها الثقافية والتاريخية الخاصة، وهي تضم الجزء الأكبر من المنطقة المتمتعة بالحكم الذاتي في فريولي-فينيتسيا جوليا، أي المقاطعات الإدارية في أوديني وبوردينوني وغوريزيا، باستثناء تريستا.

(18) **بخاري Bokhara**: عاصمة ولاية بخاري، وتعدّ خامس مدن أوزبكستان بعدد السكان. تقع بخاري على طريق الحرير، ولقد اتسمت بكونها مركزاً تجارياً هاماً، بالإضافة إلى كونها مركزاً للدراسة والثقافة وعلوم الدين. الجزء القديم من المدينة، والذي يحتوي على مساجد ومدارس عتيقة، تم إعلانه موقع تراث عالمياً، من قبل اليونسكو. يشكل سكان المدينة من الطاجيك الناطقين بالفارسية والأوزبك.

(19) **الإمبراطور كوبلاي خان أو كوبلاي خان Kublai** (23 سبتمبر 1215-18 فبراير 1294م): هو خامس إمبراطور للإمبراطورية المغولية، وإمبراطور الصين. تولى الحكم خلفاً لأخيه مونكو خان، اشتهر بعلاقاته الدبلوماسية، وعُرف عنه أنه كان واسع الأفق حر الفكر، بعيداً عن التعصب، متسامحاً مع جميع الأديان، وقد أمر بترجمة أجزاء من القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وتعاليم بوذا، كما اهتم بالتجارة ومهد لها الطرق، فازدهرت في عصره، واهتم اهتماماً بالغاً بحركة العمران.

(20) **فينيسيا أو البندقية Venice**: هي مدينة في شمال إيطاليا، عاصمة منطقة فينيتو، وتعرف

بأسماء عدة: «ملكة الأدياتيكي»، «مدينة المياه»، «مدينة الجسور» و«مدينة النور». المدينة عبارة عن مجموعة جزر متصلة ببعضها البعض عن طريق جسور، وتطل على البحر الأدياتيكي. تعتبر من أهم المدن الإيطالية وأكثرها جمالاً، لما تتمتع به من مبانٍ تاريخية يعود معظمها إلى عصر النهضة في إيطاليا، إلى جانب قنواتها المائية المتعددة، ما يجعلها فريدةً من نوعها على مستوى العالم. يقع المركز التاريخي للمدينة على مساحة أربع كلم<sup>2</sup> من اليابسة، على 118 جزيرة من منطقة الفينيتو الشاطئية. المنظر الفريد من نوعه والكنوز الفنية الموجودة فيها تجعل منها مدينةً مميزة في العالم.

(21) البابا كليمنت الرابع Clement IV واسمه «غوي فوكويز»، والمعروف أيضاً باسم «غي لو غروس» (23 نوفمبر 1190 - 29 نوفمبر 1268): كان أسقف لبوي خلال الأعوام 1257-1260م، ورئيس أساقفة ناربون (1259-1261م)، وكاردينال ساينا (1261-1265)، والبابا من 5 فبراير 1265م حتى وفاته. كان انتخاب البابا قد وقع في مجمع عُقد في بيروجيا، واستمر لأربعة أشهر، وكان البابا كليمنت راعياً للعالمين توماس الأكويني وروجر بيكون، ومشجعاً لمؤلفاتهما التي تضمنت أطروحات هامة في البصريات والمنهج العلمي.

(22) البابا غريغوريوس العاشر Gregory X (1210-1276م): أصبح بابا روما خلال الأعوام 1271-1276م، وشارك العام 1270م في إحدى الحملات الصليبية. وفيما كان في عكا، أبلغ نبأ انتخابه بابا للكنيسة الكاثوليكية. دعا إلى عقد مجمع ليون الثاني في العام 1274م، والذي أعلن فيه وحدة الكنيستين الشرقية والغربية، لكن أساقفة الكنيسة الشرقية سرعان ما أعلنوا رفضهم لهذه الوحدة.

(23) مضيق هرمز Ormuz: أحد أهم الممرات المائية في العالم وأكثرها حركة للسفن. يقع في منطقة الخليج العربي، فاصلاً ما بين مياه الخليج العربي من جهة، ومياه خليج عمان وبحر العرب والمحيط الهندي من جهة أخرى، وهو المنفذ البحري الوحيد لدول الخليج.

(24) هضبة وجبال بامير Pamir Mountains: تقع في أواسط القارة الآسيوية، محاطة بمجموعة من سلاسلها الجبلية الشاهقة. تقع هضبة بامير تحديداً في أقصى جنوب شرقي جمهورية كازاخستان، وتتقاسمها جمهوريتا طاجيكستان وقيرغيزستان، وتدفع باستطلااتٍ مهمة باتجاه الشمال الغربي لجمهورية الصين الشعبية، وباتجاه أقصى شمال شرقي أفغانستان، ويحيط بها شمالاً وادي فرغانه، وجنوباً كل من بحيرة زوركول ووادي وِخان الأعلى الأفغاني، وشرقاً وادي كاشغر، وغرباً سمرقند، وتتخذ الهضبة مظهراً متطاولاً يمتد من الشرق إلى الغرب على مسافةٍ تصل إلى نحو 400 كلم، مقابل 225 كلم لأقصى اتساع لها من الشمال إلى الجنوب، وتبلغ مساحتها الإجمالية نحو 8400 كلم<sup>2</sup>، ومتوسط ارتفاعها بين 4000 و5000م فوق مستوى سطح البحر.

(25) غوبي Gobi: صحراء مترامية الأطراف، في الجزء الشرقي من وسط آسيا، تفصل بين

منغوليا الداخلية ومنغوليا الخارجية، وتتخذ شكل قوس يبلغ طوله 1,600 كلم، ويتراوح عرضه ما بين 480 و960 كلم، ومساحتها 1,300,000 كلم<sup>2</sup>، وتشهد توسعاً سريعاً.

(26) **كايبينغ فو Kaipingfu**: مدينة على مستوى المحافظة في مقاطعة غوانغدونغ الصينية، تقع غرب دلتا نهر اللؤلؤ، وتدار كجزء من مدينة على مستوى محافظة جيانغمن.

(27) **يانتشو Yanchau**: مدينة صينية عريقة، يمتد تاريخها لقرون عديدة قبل الميلاد، وتعتبر جزءاً هاماً من الاقتصاد الصيني على مرّ القرون، حيث كانت طريقاً أساسياً لقوافل الحرير والذهب والبضائع الصينية المختلفة.

(28) **التتار Tatars**: يُرجع كثير من المؤرخين أصل التتار إلى مجموعات عرقية مغولية استوطنت بلاد وسط آسيا، وتحديداً جنوب شرق بحيرة بايكال، في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وقد شكّل التتار المغول قبيلة سمّيت بالقبيلة الذهبية، حين اتحدت مع عرقيات أخرى، كالأتراك. والتتار تعبير غير محدد المعنى بشكل دقيق، حيث أطلق العرب والمسلمون هذا اللفظ على تلك الجيوش المغولية التي توجّهت نحو المشرق من أجل غزوه واحتلاله.

(29) **تشوانتشو**: أو مدينة الزيتون: كما سماها العرب، مدينة تجارية في مقاطعة فوجين، وميناء هام على ساحل بحر الصين الجنوبي، عند مصبّ نهر جن.

(30) **فوكين Fokien**: الاسم السابق لمقاطعة فوجين، وهي مقاطعة على الساحل الجنوبي الشرقي من البر الرئيس للصين، تحدّها أربع مقاطعات هي تشجيانغ من الشمال، وجيانغشي من الغرب، وتايوان من الشرق، وغوانغدونغ من الجنوب، وهي واحدة من المحافظات المتنوعة ثقافياً ولغوياً في الصين.

(31) **روستيكانو بيزا Rusticano of Pisa** أو **روستيشيلو دا بيسا Rustichello da Pisa**: كاتب إيطالي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، اشتهر بكتابة سجل رحلات ماركو بولو المعروفة باسم إيميليون.

(32) **السير توماس مالوري Sir Thomas Malory** (1415-1471م): كاتب إنجليزي، مؤلف أو مترجم رواية «الملك آرثر».

(33) **السير هنري يول Sir Henry Yule** (1 مايو 1820-30 ديسمبر 1889م): مستشرق اسكتلندي، نشر العديد من كتب السفر، بما في ذلك الترجمات لعمل ماركو بولو وميرابيليا من القرن الرابع عشر، وكان أيضاً مترجماً لمعجم المصطلحات الأنجلو-هنديّة، بالتعاون مع آرثر كوك برنيل.

(34) **بورما Burma** أو **ميانمار Myanmar**: إحدى دول شرق آسيا، تقع على امتداد خليج البنغال. تحد بورما من الشمال الشرقي الصين، وتحدها الهند وبنغلاديش من الشمال الغربي، وتشترك حدود بورما مع كل من لاوس وتايلاند، أما حدودها الجنوبية فسواحل



تطل على خليج البنغال والمحيط الهندي، ويمتدّ ذراع من بورما نحو الجنوب الشرقي في شبه جزيرة الملايو، وتنحصر أرضها بين دائرتي عشرة شمال الاستواء وثمانية وعشرين شمالاً، ولقد احتلت بريطانيا بورما في نهاية القرن التاسع عشر حتى استقلالها في العام 1948م، وتعدّ يانغون (رانغون حالياً) أكبر مدنها، كما كانت العاصمة السابقة للبلاد.

(35) **سومطرة Sumatra**: سادس جزر العالم مساحةً، حوالي 470 ألف كلم<sup>2</sup>، وثالث جزر إندونيسيا حجماً، بعد بورنيو وبابوا. تقع جزيرة سومطرة في أقصى غربي الجزر الإندونيسية الرئيسة، وذلك إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوه، وإلى الجنوب الغربي من شبه جزيرة الملايو.

(36) **سوقطرى Socotra**: هي أرخبيلٌ يمّني مكون من أربع جزر على المحيط الهندي، قبالة سواحل القرن الأفريقي، بالقرب من خليج عدن، على بعد 350 كلم جنوب شبه الجزيرة العربية.

(37) **شعب التونغوس Tunguses**: هم من الشعوب التي تتكلم لغات التونغوسية، يعيشون في شرق سيبيريا وشمال شرق آسيا، وهم متميزون عن الشعبين التركي والمنغولي، ولا صلة لهم بهما. أول وصف نشر للشعب التونغوسي كان من قبل المسافر الهولندي إسحاق ماسا، في العام 1612م.

(38) **محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي**، المشهور بابن بطوطة (ولد في 24 فبراير 1304- توفي في طنجة 1377م): رحالة ومؤرخ وقاضٍ وفقه مغربي أمازيغي مسلم، لُقّب بأمير الرحالة المسلمين، خرج من طنجة العام 725هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر والهند والصين وجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا، واتصل بالكثيرين من الملوك والأمراء، فكان يمدحهم ويستعين بهباتهم على أسفاره.

(39) **طنجة Tangier**: مدينة مغربية تقع شمال المملكة المغربية على ساحلي البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. تعدّ طنجة من بين أقدم مدن المغرب، أسسها الملك الأمازيغي سوفاكس ابن الأميرة طنجيس حوالي 1320 سنة قبل الميلاد، واستوطنها التجار الفينيقيون في القرن الخامس قبل الميلاد، وسرعان ما تبوّأت مركزاً تجارياً على سواحل البحر الأبيض المتوسط. ضمّتها الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وأصبحت في العام 42 م عاصمة المقاطعة الرومانية (موريطانيا الطنجية). بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية استولى الفاندال على طنجة، وذلك في العام 429 م، حيث استولى عليها الملك «غايسيريك» وقام بجعلها عاصمةً لمملكة الفاندال ومنطلقاً لشنّ هجماته على أراضي الإمبراطورية الرومانية شرقاً، بعد أن قطنها نحو 80,000 من الفاندال. بعد انهيار مملكة الفاندال، سنة 534م، استولى البيزنطيون على المدينة التي فوض حكمها لمملكة القوط الغربيين بإسبانيا، وذلك باسم قيصر القسطنطينية، حتى فتحها الأمويون العام 702هـ.

(40) **أرمينيا Armenia**: بلد جبلي غير ساحلي يقع في القوقاز من أوراسيا، عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا. تحدّها تركيا من الغرب وجورجيا من الشمال وجمهورية ناغورني كاراباخ وأذربيجان من الشرق، أما من الجنوب فتحدها إيران ومكتنف ناخيتشيفان الأذربيجاني. الاسم الأرمني الأصلي للبلاد هو (هايك)، وجرى تمديد الاسم في العصور الوسطى ليصبح هايستان، بإضافة اللاحقة «ستان» الإيرانية التي تعني (الأرض).

(41) **أفغانستان Afghanistan**: رسمياً جمهورية أفغانستان الإسلامية، بلد غير ساحلي يقع داخل جنوب آسيا وآسيا الوسطى. تحدّها باكستان من الجنوب والشرق، وإيران من الغرب، وتركمانستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان في الشمال، والصين في أقصى الشمال الشرقي، وتغطي أراضيها 652,000 كلم<sup>2</sup> (252,000 ميل مربع)، ما يجعلها ضمن أكبر 41 دولة في العالم. يرجع تاريخ السكن البشري في أفغانستان إلى العصر الحجري القديم الأوسط، والموقع الاستراتيجي للبلد على طول طريق الحرير ربطه بثقافات الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من آسيا. كانت الأرض تاريخياً موطناً لشعوب مختلفة، وشهدت العديد من الحملات العسكرية، بما في ذلك تلك التي قام بها الإسكندر الأكبر، والعرب المسلمون، والمغول، والبريطانيون، والروس، والقوى الغربية في العصر الحديث.

(42) **دلهي Delhi**: ثاني أكبر مدينة هندية بعد مومباي، والثامنة عالمياً من حيث الكثافة السكانية، وهي العاصمة السياسية للدولة. تقع دلهي في شمال الهند على ضفاف نهر يمتنا، ويقتننها حوالي 13 مليون نسمة، وهي مقر جامعة دلهي. تتمتع دلهي باستقلال ذاتي، ولها برلمان منذ العام 1991م.

(43) **محمد بن توغلوك Muhammad bin Tughluq** (في متن الكتاب ورد الاسم كالتالي محمد إنغلاك (Mohammed Inghlak): سلطان دلهي من العام 1325م حتى العام 1351م. كان الحاكم الأكبر بين سلالته، والابن الأكبر لغيث الدين توغلوك، التركي - الهندي، مؤسس سلالة توغلوك.

(44) **كاليكوت Calicut**: مدينة في جنوب الهند، تقع في ولاية كيرالا على ساحل مالابار، وتبعد حوالي 380 كلم شمال عاصمة الولاية ثيروفانثابورام. عُرفت خلال العصور الوسطى باسم مدينة التوابل، وهي عاصمة سابقة لإحدى الممالك القديمة في الهند، وكانت مدينة مهمة خلال القرن السابع الميلادي، بالنسبة إلى التجار العرب، وتعتبر مدينة ناشطة في توفير الوظائف في الهند، وهي مدينة مهمة في مجال تجارة التوابل والبن والمطاط وجوز الهند والقطن والمنسوجات.

(45) **جزر المالديف Maldives**: مجموعة جزر صغيرة تقع في قارة آسيا في المحيط الهندي، وهي دولة مسلمة، يمر عليها خط الاستواء جنوباً، وكان العرب قديماً يسمونها ذببة المَهَل أو محلديب، ويُرجح أنه قد تم تحريف هذا اللقب فأصبح يُنطق بالمديف.

(46) **فاس Fez**: رابع أكبر مدن المملكة المغربية. تشكل مدينة فاس جزءاً أساسياً من التراث الوطني المغربي، ويعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري، عندما قام إدريس بن عبد الله، مؤسس دولة الأدارسة العام 172 هـ، الموافق للعام 789 م، ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس، وفدت إليها عشرات العائلات العربية من القرويين ليقموا أول الأحياء فيها، والذي عرف باسم عدوة القرويين، كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليكونوا حي عدوة الأندلسيين. وكان ثمة حي خاص لليهود، هو حي «الملاح». بعد وفاة إدريس الأول بعشرين سنة، أسس ابنه إدريس الثاني المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر. وقد ظلت المدينة مقسمة هكذا إلى أن دخلها المرابطون، فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيد طريفيها وجعلهما مدينة واحدة، فصارت القاعدة الحربية الرئيسة في شمال المغرب للدول المتتالية التي حكمت المنطقة، بالإضافة إلى كونها مركزاً دينياً وعلمياً في شمال أفريقيا، وأسست فيها جامعة القرويين العام 859م، والتي كانت مقصد الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي ومن أوروبا. كانت مدينة فاس إحدى ركائز الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين الذين حكموا مصر وليبيا وتونس، وظلت تحت سيطرة الأمويين في الأندلس لمدة تزيد عن الثلاثين عاماً، تمتعت خلالها بالازدهار الكبير.

(47) **القديس توما بالإنجليزية (توماس)** ويُدعى أيضاً يهوذا توما ديديموس (توفي 72م): هو أحد رسل المسيح الاثني عشر، وقد ورد ذكره في قائمة أسماء الرسل في الأناجيل الإزائية (متى - مرقس - لوقا) وفي سفر أعمال الرسل، ولم تتحدث الأناجيل الإزائية عنه أكثر من ذلك، على العكس من إنجيل يوحنا.

(48) **الكاهن يوحنا Prester John**: هو البطريك المسيحي الأسطوري، قيل أنه كان يحكم آسيا الوسطى أو إثيوبيا في القرون الوسطى، وقد حيكت حول أعماله وصفاته الكثير من الحكايات، وانشغل الكثير من الرحالة في البحث عنه، والكثير من الباحثين الحديثين في أصل أسطوره.

(49) **أونغ خان Ung Khan** ويسمى أيضاً **توغرول Toghrul** (1130-1203م): كان أونغ خان شقيق الدم لأب جنكيز خان، والده يسوجي. في العام 1188م وافق على التحالف مع جنكيز خان، وواصل الاثنان تحالفهما على مدى العقد المقبل، وانضموا مع قوات جورشد لغارة التتار في العام 1196م. انضم أونغ خان إلى جنكيز لهزيمة جاموخا، واقترح مصاهرة أونغ خان الذي رفض الأمر في البداية، قبل أن يعود ويوافق على التحالف بقصد نصب كمين لجنكيز خان وقتله، لكن هذا الأخير هرب وأعاد تجميع قواته، وهزم قوات أونغ خان بشكل حاسم في أكتوبر 1203م. هرب أونغ، لكنه قتل على يد جنود نيمان. كان أونغ خان مسيحياً نسطورياً، وهو أحد القادة المرتبطين بأسطورة الكاهن جون.

(50) **سيبانغو Cipangu** أو **زيبانغو Zipango**: هو الاسم القديم الذي أطلقه الأوروبيون على اليابان خلال العصور الوسطى.

## الفصل الخامس

### الطرق والتجارة



لقد أجرينا مسارات بحوثنا عبر العصور القديمة والعصور الوسطى، حتى عشية الاكتشافات الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، وأشرنا تقريباً إلى ما عرفه الرجال عن الأرض خلال تلك الفترة الطويلة، وكيف عرفوه. ولكن لا يزال يتعين علينا النظر في أيّ طريقة وصلوا إلى علمهم، ولماذا طلبوا ذلك؟ إلى حدّ، قد نكون أجبنّا عن السؤال الأخير، عند تعاملنا مع التقدّم في الغزو، لكنّ الرجال لم يقوموا بالفتح لمجرّد الغزو، ولا يزال يتعين علينا النظر في الفوائد المادية المترتبة على الحرب. ومرةً أخرى، عندما يواصل الرجال حروبهم من أجل الاكتشاف، فإنّه يجب عليهم أن يتقدّموا إلى الجزء الأكبر، على طول الطرق المضروبة لهم من قبل مواطني تلك البلاد التي ينوون فتحها؛ وعندما ينجحون في حروبهم، فغالباً ما يجب عليهم أن يدعموا قاعدة حكمهم، من خلال خلق وسائل جديدة وأكثر ملاءمة للاتصال، لوضع هذه البلاد قريبة منهم.. ولا يزال أماننا مناقشة الطرق في العوالم القديمة والعصور الوسطى، والتجارة التي كانت تُستخدم فيها تلك الطرق، بشكلٍ أساسي.

وللوصول إلى مقاصدنا، قد نحدد بكلّ سهولةٍ طريقاً ما، باعتباره الوسيلة الأكثر ملاءمةً للاتصال بين مدينتين، وهذا يعني منطقياً أنّ المدن كانت موجودةً قبل وجود الطرق. وعند إجراء استقصاءٍ أوفى لأيّ من الطرق المعيّنة، سيكون من الضروري أن نبدأ بالبحث عن سبب تجميع البشر لمساكنهم في بعض البقاع المعيّنة؟ ففي البداية، كانت تجمّعات

البشر قد جُعِلَتْ بصورة رئيسة أو كَلِيَّة لأغراضٍ دفاعية؛ وأولى المدن هي تلك التي يمكن الدفاع عنها بسهولة، بفضل موقعها الطبيعي، مثل أثينا أو القدس؛ ثم مرةً أخرى، كان للدوافع الدينية تأثيرها - في معظم الأحيان - في العصور المبكرة، وكانت المدن ستتمو حول المعابد أو الأديرة، لكن اعتبارات سهولة الوصول إليها سرعان ما تتحكم في اختيار المستوطنات، ولأجل ذلك أُقيمت المدن على الأنهار، وخصوصاً في معابر الأنهار، مثل (وستمنستر Westminster)<sup>(1)</sup>، أو في الموانئ المحميّة بشكل جيّد، مثل مدينة (نابولي Naples)<sup>(2)</sup>، أو في وسط منطقة، كمدينة (نورمبرغ Nuremberg)<sup>(3)</sup> أو مدينة (فيينا Vienna)<sup>(4)</sup>، والتي من شأنها أن تُشكل الأماكن الأكثر ملاءمةً للاجتماع وتبادل السلع. وسواءً أكانت على النهر، أم على شاطئ البحر، فإنّ أفضل وسيلة للاتصال ستكون عن طريق السفن أو القوارب. ولكن بمجرد إنشاء هذه المدن، سيكون من الضروري ربطها بعضها ببعض من خلال الطرق البرية، وسيُحدّد هذا بشكل رئيس عن طريق موقع الأرض. وحيث تتداخل الجبال، فإنّ التفافاً كبيراً يجب أن يتمّ، كما هي الحال - على سبيل المثال - حول جبال البرانس. وإذا ما تداخلت الأنهار، فإنّه يجب البحث عن المعابر، وقد يتمّ بناء مدينة جديدة في المكان الأكثر ملاءمةً للعبور. وحالما يؤسس طريقاً ما معترف به بين كلّ من المكانين، فإنّ الغرائز المحافظة للبشر ستُبقيه في الوجود، بالرغم من العثور على طريق أفضل بعد ذلك.

تأثير الاتصالات المائية يكتسي الأهمية القصوى في تحديد حالة المدن في الأوقات المبكرة. المدن التي في زوايا الخلجان، مثل مدينة (الملائكة Archangel)<sup>(5)</sup>، و(ريغا Riga)<sup>(6)</sup>، و(فينيسيا البندقية)، و(جنوة Genoa)<sup>(7)</sup>، و(نابولي)، و(تونس Tunis)<sup>(8)</sup>، و(البصرة Bassorah)<sup>(9)</sup>، و(كلكتوتا Calcutta)<sup>(10)</sup>، فمن الطبيعي أن تكون النقاط المركزية للتجارة في الخليج. أما على الأنهار، فستكون البقعة المناسبة حيث ينتهي المد والجزر، مثل

(لندن London)<sup>(11)</sup>، أو في المنعطفات البارزة لنهر، أو في نقاط الاتصال مع الروافد، مثل (كوبلنتز Coblentz)<sup>(12)</sup> أو (الخرطوم Khartoum)<sup>(13)</sup>. بشكلٍ تقريبي يجد المرء دائماً المدن الهامة في طرفي شبه الجزيرة، مثل (هامبورغ Hamburg)<sup>(14)</sup> و(لوبيك Lubeck)<sup>(15)</sup> وفينيسيا (البندقية) وجنوة. وإذا كان من المستصوب - للأغراض البحرية - أن تكون ثمة محطة على رأس شبه الجزيرة، لتسيطر على كل السنة البحر، كما في (تشيروبرغ Cherbourg)<sup>(16)</sup>، و(سيفاستوبول Sevastopol)<sup>(17)</sup>، أو (جبل طارق Gibraltar)<sup>(18)</sup>، عندئذ سوف تتشكل الطرق بسهولة، عبر قاعدة شبه الجزيرة، وإلى نقطتها القصوى.

في بادئ الأمر؛ فإن سكان أي مدينة وحيدة سيحترون الآخرين كلهم بمثابة أعداء لهم، لكنهم سيجدون - بعد فترة من الزمن - أنه من الملائم تبادل بعض الأشياء الضرورية مع جيرانهم، وبهذه الطريقة تبدأ التجارة، فتصبح الأسواق أرضاً محايدة، ولبعض الوقت توضع العداوات المتبادلة جانباً أمام المصلحة المشتركة، وقد يحدث، في الكثير من الأحيان، أن يتم اختيار نواح على خط الحدود بين الدولتين كأماكن لتبادل البضائع، ما يؤدي في نهاية المطاف إلى وجود مدينة جديدة. ومع ازدياد الاتصال التجاري، فإن عدم إمكانية الوصول إلى المدن المتحصنة على المرتفعات سيؤدي إلى إهمالها من المستوطنات، في الوديان أو على جانبي النهر؛ وكقاعدة عامة، ينتقون طرق الوديان أو الأرض المستوية لمسارهم الطبيعي. بيد أنه - للأغراض العسكرية - قد يكون من الضروري، في بعض الأحيان، الابتعاد عن طرق الوديان، وكما سنرى، فإن الطرق الرومانية لم تعط هذه المتطلبات أي اعتبار.

الاتصال الأسبق بين الأمم، كما رأينا، كان من قبل الفينيقيين عن طريق البحر، حيث أسسوا محطات تجارية، أو أراضي محايدة للتجارة، في المواضع المناسبة على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط، وسرعان ما تبعهم الإغريق، وحذوا حذوهم في منطقة بحر إيجه والبحر



الأسود. ولكن، في وقتٍ مبكرٍ، وكما علمنا من الكتاب المقدس، أنشئت طرق القوافل بين مصر وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وفي وقتٍ لاحقٍ تمّ تمديدّها في عمق آسيا. أما في أوروبا، فكان الرومان هم كبارُ بُناة الطرق، واستحقّت روما أهمّيتها في العالم القديم لموقعها المركزي، بالبداية في إيطاليا، ثم في كل البحر الأبيض المتوسط، فهي تجمع بين مختلف المزايا اللازمة لبلدة، إذ كانت في مُنعطف النهر، ولكن يمكن الوصول إليها من البحر، وجعلت تلالها الطبيعية من الممكن الدفاع عنها بسهولة، كما وجد هانيبال أنها ستكلّفه الكثير، بينما جعلها موقعها المركزي في سهل اللاتين المنتجع الطبيعي لجميع التجار اللاتينيين؛ وسرعان ما وجد الرومان أنّه من الضروري الاستفادة من الموقع المركزي، من خلال جعل أنفسهم في متناول بقية إيطاليا، وشرعوا ببناء تلك الطرق الرائعة التي دامت، في معظم الحالات، بفضل بنائها الصلب، وكلمة «البناء» هي المناسبة للاستخدام هنا. وفي ما يتعلق بالطريق الروماني، فهو في الحقيقة جدارٌ واسعٌ، بُني في خندقٍ عميقٍ، وذلك من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب لسطح الأرض، وكل حركة مرور، مهما بلغت، لا يمكنها أن تؤثر على هذا التركيب الصلب. وحتى يومنا هذا، يمكن العثور في جميع أنحاء أوروبا على آثارٍ من الطرق الرومانية التي بُنيت قبل حوالي ألفي عام. وكلما امتدت الإمبراطورية الرومانية، شكلت هذه الطرق إحدى الوسائل الرئيسة التي مكّنت لُوردات العالم من الحفاظ على فتوحاتهم، عن طريق وضع الفيلق في نقطةٍ مركزية، حيث تتلاقى العديد من هذه الطرق، ليتمكنوا من الضرب بسرعة في أيّ اتجاه، وبالتالي إخضاع البلاد. وبطبيعة الحال، تمّ بناء محطاتٍ على طول هذه الطرق، وإلى يومنا هذا، تتبع العديد من الطرق السريعة الرئيسة في أوروبا مسار الطرق الرومانية القديمة. حضارتنا الحديثة هي - إلى حدٍّ كبير - نتيجةٌ لهذه الشبكة من الطرق، ويمكننا أن نميّز بوضوح

الاختلاف في ثقافة الأمة التي لم تكن مثل هذه الطرق موجودة فيها، كما هي الحال في روسيا و(المجر Hungary)<sup>(19)</sup>، على النقيض من غرب أوروبا، حيث شكلت أفضل وسيلة للاتصال. غير أنه - في جوار هذه الطرق - تم الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن مواقع المدن، والانقسامات بين الشعوب، وعلى خريطة مرسومة، مثل تلك التي قُدمت سابقاً عن الطرق الرومانية الرئيسة في العصور القديمة، لتعطينا أيضاً - إذا جاز التعبير - مخطط بحث عن المعرفة الجغرافية التي لُخصت في العمل الكبير لبطليموس.

لكن الأهمية في التطور المستقبلي للمعرفة الجغرافية، تكمن بدرجة أكبر في طرق القوافل الكبرى في آسيا، والتي علينا الآن أن نوجه اهتمامنا إليها. آسيا هي عبارة عن قارة من الهضاب تبلغ ذروة ارتفاعها في سهوب البامير، والتي دُعيت بشكل ملائم من قبل سكانها بـ «سقف العالم». وإلى الشرق من هذه السهوب، أربع سلاسل جبلية عظيمة امتدت بشكل تقريبي، على طول يوازي خط العرض جنوب جبال (الهمالايا Himalayas)<sup>(20)</sup>، وجبال (الكوين لون Kuen Lun)<sup>(21)</sup>، و(تيان شان Thian Shan)<sup>(22)</sup>، و(آلتاي Altai)<sup>(23)</sup> إلى الشمال. وبين جبال الهمالايا وكوين لون، تقع هضبة التبت الكبيرة التي تنحدر على شكل طريقٍ مسدود في نهاية طرفها الغربي في (كشمير Kashmir)<sup>(24)</sup>. بين كوين لون و(تيان شان) لدينا سهوب غوبي المنغولية التي تمتد غرباً من (كاشغر Kashgar)<sup>(25)</sup> و(ياركاند Yarkand)<sup>(26)</sup>، في حين أنه، بين تيان شان و(آلتاي)، لدينا سهوب (القيرغيز Kirghiz)<sup>(27)</sup> العظيمة. ومن الواضح وجود اثنين فقط من هذه الطرق الممكنة بين شرق وغرب آسيا، هما: الأول الطريق بين كوين لون و(تيان شان) عبر كاشغر وبخارى، والثاني جنوب آلتاي، ويُحاذي شمال البحيرات الكبرى (بالكاش Balkash)<sup>(28)</sup>، وبحر (آرال Aral)<sup>(29)</sup>، وبحر (قزوين Caspian)<sup>(30)</sup>، إلى الجنوب من روسيا؛ الأول سيؤدي إلى البصرة أو هرمز،

ومن هناك عن طريق البحر، أو البر، حول بلاد العرب، إلى الإسكندرية، فيما الطريق الآخر والأطول يصل إلى أوروبا عن طريق القسطنطينية. الاتصالات بين جنوب آسيا وأوروبا ستكون، بشكل رئيس، عن طريق البحر، وعلى طول ساحل الهند، والاستفادة من الرياح الموسمية من سيلان إلى (عدن Aden)<sup>(31)</sup>، ومن ثم عن طريق البحر الأحمر. وبالتالي فإنّه من الطبيعي أن تكون الإسكندرية، و(الموصل Mussul)<sup>(32)</sup>، وهرمز، من المراكز الرئيسة للتجارة الشرقية، في حين أن الاتصال مع المنغوليين أو مع الصين سوف يستمرّ على طول الطريقين المذكورين أعلاه، واللذين يبدو أنهما كانا موجودين عبر كلّ العصور التاريخية. ومن خلال هذه الطرق الأخيرة، وصل آل بولو ورعاية العصور الوسطى الآخرون إلى تلك البلاد البعيدة (مملكة كاثي). ولكن، كما نعرف من رحلات ماركو بولو، يمكن أيضاً الوصول إلى الصين عن طريق رحلة بحرية. وبالنسبة إلى جميع الأغراض العملية في أواخر العصور الوسطى، عندما تحطّمت الإمبراطورية المغولية، وحركة المرور من خلال منتصف آسيا غير الآمنة، فإنّ التواصل مع الشرق أصبح عن طريق الإسكندرية.

والآن، من المهمّ لبحثنا الحالي إدراك كم كانت أوروبا، بعد الحروب الصليبية، تعتمد على منطقة الشرق في غالبية كماليات الحياة. فلا شيء تنتجه أنوال أوروبا يمكن أن يساوي حرير الصين، وقماش كاليكو من الهند، والشاش من الموصل. وجاءت المجوهرات الأساسية التي زيّنت تيجان الملوك والنبلاء، والزمرد، والتوباز، والياقوت، والماس، كلّها من الشرق، وبشكل رئيس من الهند. وقد اشتقت كلّ العلوم الطبية في العصور الوسطى من العرب الذين جلبوا معظم أدويتهم من بلاد العرب أو الهند. وحتى البخور الذي أُحرق على المذابح التي لا حصر لها في أوروبا الرومانية الكاثوليكية، كان لا بد للتجار من الحصول عليه وعلى كل هذه المواد من بلاد الشام. أما بالنسبة إلى العديد من الحرف اليدوية الأكثر دقة، فكان لا بد

للفنانين من الحصول على أفضل المواد الخاصة بهم من التُّجار الشرقيين: مثل (الشيلاك shellac)<sup>(33)</sup> لطلاء الأظافر، أو المصطكى لألوان الفنانين (اللون الجامبوجي «صبغة صفراء» من كمبوديا، ولون الأتراماريني من اللازورد)؛ في حين أنه غالباً ما يكون من الضروري - في ظل ظروف القرون الوسطى - اللجوء إلى المسك أو (الجاي opopanax) من الشرق، لمواجهة الروائح الناتجة عن العادات الصحية السيئة للغرب الأوروبي. ولكن، قبل كل شيء، فالتوابل كانت ضرورية للصحة في الغالب، ومرغوباً فيها بالتأكيد لتبيل الطعام المملح لفصل الشتاء، والسّمك المملح للصوم الكبير، وكان الأوروبيون يعتمدون في ذلك على توابل الجزر الآسيوية. وفي العمل الكبير للكاتب (ريتشارد هاكلوت Hakluyt Richard)<sup>(34)</sup>، بعنوان «الرحلات والملاحات الإنجليزية»، يقدّم في مجلده الثاني قائمةً مكتوبةً من قبل تاجر حلب (ويليام باريت William Barrett)<sup>(35)</sup>، في العام (1584 ميلادي)، عن الأماكن التي جاءت منها المواد الغذائية الرئيسة للتجارة الشرقية، وسوف يكون مثيراً للاهتمام تقديم مجموعةٍ مختارةٍ من قائمةٍ حسابه الطويل.

(الفُصُوص) من (جزر الملوك Maluco)، و(تارينات Tarenate)، و(أمبونا Amboyna)، عن طريق (جاوا Java).

(جَوْزُ الطَّيْب) من جزيرة (باندال Bandal).

(قَشْرَةُ جَوْز الطَّيْب) من جزيرة باندال، و(جاوا)، و(ملقا Malacca).

(فُلْفُل المائدة) من (مالابار Malabar).

(القَرْفَةُ Cinnamon)<sup>(\*)</sup> من (سيلان Seilan).

(الكَرْكُم Spicknard) من (زندي Zindi) و(Scinde) و(لاهور Lahor).

(\*) ورد خطأ في هذه الكلمة، حيث ذكرها المؤلف باسم (Sinnamon)، وتم تصحيحها بالكلمة (Cinnamon) (المترجم).

(الزَنْجَبِيلُ السُّورَاتِي) من (سورات Sorat) (سورة) داخل (كامبايا Cambaia) (خليج البنغال).

(المَرْجَانُ الشرقي Corall) من مالابار.

(مِلْحُ الأُمُونِيَا Ammoniacke) من زندي و (كامبايا Cambaia).

(الكافور Camphora) من (بريميو Brimeo) (بورنيو) بالقرب من الصين.

(اللُّوبَانُ المُرَّ Myrah) من شبه الجزيرة العربية.

(البُورَاكُس Borazo) من كامبايا ولاهور.

(الرَّوْثِيَا أو الروبيا Ruvia)، من (شالانجي Chalangi).

(حجر الشَّب Allumme) من الصين والقسطنطينية.

(الجَاوي Oppopanax) من بلاد فارس.

(العُود Lignum Aloes) من كوشين، والصين وملقا.

(راتنجُ الَّلَاك Laccha) من (بيغو Pegu) و (بالاغوات Balaguate).

(فِطْرُ الغَارِيقُون Agaricum) من ألمانيا.

(المقل Bdellium) من شبه الجزيرة العربية.

(التَّمْرُ الهِنْدِي Tamarinda) من (البصرة Bassorah) (Balsara).

(الرَّغَفَرَان Saffron) (Safran) من البصرة وبلاد فارس، وكذلك من (سوقطرى Secutra).

(جوز القيء Nux Vomica) من مالابار.

(دم التنين Sanguis Draconis) من (سوقطرى).

(المِسْك Musk) من (تارتاري Tartarie) عن طريق الصين.

(صبغة النيل Indico) من (زندى Zindi) و (كامبايا Cambaia).

- (الحرير الممتاز Silkes Fine) من الصين.
- (زيت الخروع Castorium) من Almania.
- (المُصطَكِّي Masticke) من (سيو Sio).
- (الأفيون Opium) من (بوجيا Pugia) أو (بيغو Pegu) وكامبايا.
- (التُّمور Date) من شبه الجزيرة العربية والإسكندرية.
- (السِّينا Sena) من مَكَّة المَكْرَمَة.
- (الصَّمغ العربي Gumme Arabicke) من (يافا Zaffo or Jaffa).
- (راتنج اللودانوم Ladanum) من (قبرص Cyprus) و(كانديا Candia).
- (اللازورد Lazzudis) من بلاد فارس.
- (طِّلاء الذهب Auripigmentum) من أماكن كثيرة في تركيا.
- (الرَّأُونْد Rubarbe) من بلاد فارس والصين.

هذه ليست سوى بضعة اختيارات من القائمة التي ذكرها باريت، لكنها تُشير بما فيه الكفاية إلى عددٍ كبير من الكماليات المنزلية، وحتى الضروريات التي استمدت من آسيا في العصور الوسطى. كان العرب، بشكل عمليٍّ، مُحترِكين لهذه التجارة، ونادراً ما كان بإمكان أوروبا أن تُقدِّم شيئاً في مقابل هذا، ما عدا الذهب والفضة، وكان ثمة استنزافٌ مستمر للمعادن الثمينة من الغرب الأوروبي إلى الشرق، ما جعل السلاطين والخلفاء أثرياء بشكلٍ مستمر، وبلغت الأمور ذروتها في عظمة (سليمان العظيم Solomon the Magnificent)<sup>(36)</sup>، وكانت الإسكندرية عملياً مركز كل هذه التجارة، ووجدت معظم دول أوروبا أنه من الضروري إنشاء محطاتٍ تجارية في تلك المدينة، لحماية مصالح تجارها الذين سعوا إلى جميع الكماليات الشرقية في مينائها، وقد

زارها (بنيامين توديلّا Benjamin of Tudela)<sup>(37)</sup>، وهو يهوديّ، حوالي العام (1172 ميلادي)، وأعطاهما الوصف التالي:

«المدينة تجارية إلى حدٍّ بعيدٍ جداً، وتتيح سوقاً ممتازاً لجميع الدول، حيث يلجأ جميع الناس من الممالك المسيحية إلى الإسكندرية، من (فالنسيا Valencia)<sup>(38)</sup>، و(توسكانا Tuscany)<sup>(39)</sup>، ولومباردي، و(بوليا Apulia)<sup>(40)</sup>، وأمالفي، وصقلية، و(راغوفا Raguvia)<sup>(41)</sup>، و(كاتالونيا Catalonia)<sup>(42)</sup>، وإسبانيا، و(روسيلون Roussillon)<sup>(43)</sup>، وألمانيا، و(ساكسونيا Saxony)<sup>(44)</sup>، والدنمارك، وإنجلترا، و(فلاندرز Flandres)<sup>(45)</sup>، و(هينولت Hainault)<sup>(46)</sup>، ونورماندي، وفرنسا، و(بويتو Poitou)<sup>(47)</sup>، و(أنجو Anjou)<sup>(48)</sup>، وبوروغندي، و(ميديانا Mediana)<sup>(49)</sup>، و(بروفانس Provence)<sup>(50)</sup>، وجنوة و(بيزا Pisa)<sup>(51)</sup>، و(غاسكوني Gascony)<sup>(52)</sup>، و(آراغون Arragon)<sup>(53)</sup>، و(نافار Navarre)<sup>(54)</sup>. ومن الغريب أن تلتقي بالمسلمين من الأندلس، و(الغارث Algarve)<sup>(55)</sup> «وهي المنطقة الغربية من البرتغال» وأفريقيا والجزيرة العربية، وكذلك من البلدان نحو الهند، و(إشبيليا Savila)<sup>(56)</sup>، والحبشة والنوبة واليمن وبلاد ما بين النهرين، وسوريا، إلى جانب اليونانيين والأثراك... يستوردون من الهند كلّ أنواع التوابل التي يتم شراؤها من قبل التجار المسيحيين. والمدينة مليئة بالنشاط، ولكل أمةٍ منطقة إقامة خاصة بها أو (نزل) هناك».

من بين كل هذه الدول، كان للإيطاليين أقصر رحلة للوصول قبلهم إلى الإسكندرية، وبذلك وقعت التجارة الشرقية عملياً في أيديهم قبل نهاية القرن الثالث عشر. وفي أمالفي وبيزا، كانت أول الموانئ الرئيسة، كما رأينا، في أمالفي، حيث أول معرفة وإتقان لبوصلة البحارة. ولكن سرعان ما تقدمت اثنتان من المدن البحرية الواقعة في رؤوس اثنين من البحار المحيطة بإيطاليا إلى الأمام، نظراً لمزايا موقعهما الطبيعي: جنوة وفينيسيا

(البندقية)، تنافست كلُّ منهما مع الأخرى لفترةٍ طويلة، بهدف احتكار هذه التجارة، لكن الرحلة من فينيسيا كانت مباشرةً أكثر. وبعد فترةٍ من الزمن، كان لا بد لجنوة من أن تكتفي بالتجارة مع القسطنطينية، وبالطريق البرّي الشمالي للصين. ومن فينيسيا نُقلت التوابل، والمجوهرات، والعطور، والمواد المجلوبة من الشرق إلى الشمال، من خلال (أوغسبورغ Augsburg)<sup>(57)</sup> ونورمبرغ إلى (أنويرب Antwerp)<sup>(58)</sup> و(بروج Bruges)<sup>(59)</sup> وقرى (هانز Hanse)<sup>(60)</sup>، لتلقى منها الذهب الذي كانت مصائد الأسماك قد اكتسبته، ومعه السلع النسيجية، وتُرسل إنجلترا صوفها إلى إيطاليا، من أجل لتتمتع بتوابل وعطور الشرق.

كان ثراء وأهمية فينيسيا يتمثلان بشكلٍ كلي في احتكار التجارة الشرقية المربحة. وبحلول القرن الخامس عشر، وسّعت هيمنتها على طول الوادي السفلي من (بو Po)<sup>(61)</sup>، وفي (دالماشيا Dalmatia)<sup>(62)</sup>، وأجزاء من (موريا Morea)<sup>(63)</sup>، و(كريت Crete)<sup>(64)</sup>، حتى تحصّلت أخيراً، في العام (1489 ميلادي)، على امتلاك قبرص، وأصبح لديها بالتالي المحطات على طول الطريق من حلب والإسكندرية، إلى الشمال من البحر الأدرياتيكي. ولكن ما إن بدا أنّها قد وصلت إلى ذروة ازدهارها - عندما كانت (ألدي Aldi) المطابع الرئيسة في أوروبا، و(بيليني Bellini)<sup>(65)</sup> كان قد بدأ بالمدرسة الفينيسية العظيمة لفن الرسم - حتى تقدّم منافسٌ قويٌّ إلى الواجهة، وبدأ ببطء إعداد طريقةٍ جديدة للمنافسة في التجارة الشرقية بكاملها تقريباً، في القرن الخامس عشر الميلادي... مع هذه الطريقة يبدأ عصرٌ عظيم من الاكتشاف الجغرافي الحديث.

[Authorities: Heyd, Commerce du Levant, 2 vols. 1878].





## (هوامش الفصل الخامس)

- (1) وستمنستر **Westminster**: منطقة وسط لندن، داخل مدينة وستمنستر، وهي جزء من ويست إند، على الضفة الشمالية لنهر التايمز.
- (2) نابولي **Naples** بمعنى «المدينة الجديدة»: هي عاصمة المنطقة الإيطالية كامبانيا، وثالث أكبر بلدية في إيطاليا، بعد روما وميلانو.
- (3) نورمبرغ **Nuremberg**: مدينة على نهر بيغيتز وعلى قناة نهر الدانوب الرئيسة في ولاية بافاريا الألمانية، في المنطقة الإدارية فرانكونيا الوسطى، على بعد حوالي 170 كلم (110 أميال) شمال ميونخ، وهي ثاني أكبر مدينة في بافاريا (بعد ميونخ)، وأكبر مدينة في فرانكونيا.
- (4) فيينا **Vienna**: العاصمة وأكبر مدينة في النمسا، وواحدة من ولايات النمسا التسع. فيينا هي المدينة الرئيسة في النمسا، ومركزها الثقافي والاقتصادي والسياسي، والمدينة السابعة لناعية عدد السكان، ضمن حدود المدينة في الاتحاد الأوروبي.
- (5) مدينة الملائكة **Archangel** بالروسية أرخانجيلسك **Arkhangelsk** والمعروفة أيضاً باللغة الإنجليزية باسم الملائكة: هي المدينة والمركز الإداري في أرخانجيلسك أوبلاست، شمال روسيا الأوروبية، تقع على ضفتي نهر دفينا الشمالي بالقرب من مصبه إلى البحر الأبيض. تمتد المدينة على أكثر من 40 كلم (25 ميلاً) على طول ضفاف النهر. كانت مدينة الملائكة الميناء الرئيسي للروس في القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث، حتى العام 1703م.
- (6) ريغا **Riga**: هي عاصمة لاتفيا وأكبر مدنها، وأكبر مدينة في دول البلطيق. تقع على خليج ريغا، عند مصب دوغافا، وتغطي أراضيها 17, 307 كلم<sup>2</sup> (60, 118 ميلاً مربعاً) وتقع بين متر واحد وعشرة أمتار (3 أقدام و3 بوصات و32 قدماً و10 بوصات) فوق مستوى سطح البحر، على سهل رملي مسطح.
- (7) جنوة **Genoa**: عاصمة منطقة ليغوريا الإيطالية، وسادس أكبر مدن إيطاليا.
- (8) تونس **Tunis**: بلادٌ في شمال أفريقيا، تغطي 165,000 كلم<sup>2</sup> (64,000 ميل مربع)، وهي النقطة الشمالية في القارة الأفريقية، تحدّها الجزائر من الجنوب إلى الغرب والجنوب

الغربي، وليبيا من الجنوب الشرقي، والبحر الأبيض المتوسط من الشمال والشرق. اسم تونس مستمد من العاصمة التونسية التي تقع على الساحل الشمالي الشرقي لتونس.

(9) البصرة Bassorah: مدينة عراقية تقع على شط العرب بين الكويت وإيران، وهي الميناء الرئيس للعراق، بالرغم من أن لا إمكانية لها للوصول إلى المياه العميقة التي يتم التعامل معها في ميناء أم قصر.

(10) كلكتا Calcutta: عاصمة ولاية البنغال الغربية الهندية، تقع على الضفة الشرقية لنهر هولي، وهي المركز التجاري والثقافي والتعليمي الرئيس في الهند الشرقية، وميناء كلكتا هو أقدم ميناء في الهند، وميناء النهر الرئيس الوحيد فيها.

(11) لندن London: العاصمة والمدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان في إنجلترا والمملكة المتحدة. تقع لندن على نهر التايمز، جنوب شرق جزيرة بريطانيا العظمى، وكانت مستوطنة رئيسة لمدة ألفي سنة. تأسست لندن من قبل الرومان الذين أطلقوا عليها اسم (لوندنيوم Londinium). قلب لندن القديم، مدينة لندن، تحتفظ إلى حد كبير حدودها 12, 1 ميلاً مربعاً (2,9 كم) في القرون الوسطى.

(12) كوبلنتز Coblenz أو كوبلنز Koblenz: مدينة ألمانية تقع على ضفتي نهر الراين عند التقائه بنهر موسيل، يوجد فيها نصب الإمبراطور «وليام الأول» ممتطياً صهوة جواده.

(13) الخرطوم Khartoum: هي العاصمة وأكبر مدينة في دولة السودان، تقع عند التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق. الموقع الذي يجتمع فيه النيلان يعرف باسم «المقران» (الالتقاء)، ويستمر النيل الرئيس بالتدفق شمالاً نحو مصر والبحر الأبيض المتوسط.

(14) هامبورغ Hamburg: ثاني أكبر مدينة في ألمانيا. يعكس الاسم الرسمي تاريخ هامبورغ كعضو في الرابطة الهانزية التي تعود إلى القرون الوسطى، وهي مدينة إمبراطورية حرة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومدينة دولة، وواحدة من ولايات ألمانيا الـ 16. قبل توحيد ألمانيا العام 1871م، كانت دولة ذات سيادة كاملة، قبل التغييرات الدستورية في العام 1919م.

(15) لوبيك Lubeck: مدينة ألمانية في شليسفيغ هولشتاين، شمال ألمانيا، وأحد الموانئ الرئيسة في ألمانيا. على نهر تريرف، كانت المدينة الرائدة في الرابطة الهانزية، وبسبب العمارة القوطية، جرى اعتمادها من قبل اليونسكو كموقع للتراث العالمي. الجزء القديم من لوبيك يقع على جزيرة محاطة بنهر تريرف. الذي تربطه قناة إلب لوبيك بنهر إلبه. وثمة نهر هام آخر بالقرب من وسط المدينة هو نهر واكينيتز، يربط لوبيك بهامبورغ والدنمارك.

(16) تشيربورغ-أوكتيفيل Cherbourg-Octeville: مدينة وبلدة سابقة تقع في الطرف الشمالي من شبه جزيرة كوتنتين في مقاطعة مانش، شمال غرب فرنسا، وهي مقاطعة

فرعية من إدارتها، تشكلت رسمياً عندما ضُمَّت إلى بلدية شيربورغ وكتيفيل في 28 فبراير 2000م. يحظى ميناء شيربورج بحماية من خلال موقعه بين لاهاي وفال دي ساير، وكانت المدينة موقعاً استراتيجياً على مر القرون، متنازع عليها بين الإنجليز والفرنسيين. كانت شيربورج نقطة توقف للبطلات المرموقة عبر الأطلنطي في النصف الأول من القرن العشرين، وكانت الهدف الرئيس للقوات الأمريكية خلال غزو النورماندي في العام 1944م.

(17) سيفاستوبول Sevastopol أو تقليدياً سيياستوبول: هي أكبر مدينة في شبه جزيرة القرم، وميناء رئيس على البحر الأسود. تدار المدينة حالياً كمدينة اتحادية في الاتحاد الروسي، بعد ضمّ القرم من قبل روسيا في العام 2014م، بالرغم من أن أوكرانيا ومعظم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لا تزال تعتبر سيفاستوبول مدينة ذات وضع خاص داخل أوكرانيا.

(18) جبل طارق Gibraltar: هو إقليم ما وراء البحار البريطانية، يقع على الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية، وتبلغ مساحته 6,7 كلم<sup>2</sup> (2,6 أميال مربعة) وتشارك حدوده الشمالية مع إسبانيا. صخرة جبل طارق هي المعلم الرئيس في المنطقة، وفي سفحها منطقة مكتظة بالسكان تضم أكثر من 30 000 من سكان جبل طارق والجنسيات الأخرى. في السابق، استولت قوة أنجلو- هولندية على جبل طارق من إسبانيا، في العام 1704م، خلال حرب الخلافة الإسبانية نيابةً عن مطالبة هابسبورغ بالعرش الإسباني. تمّ التنازل عن الإقليم لاحقاً إلى بريطانيا العظمى «إلى الأبد»، بموجب معاهدة أوترخت 1713م. خلال الحرب العالمية الثانية كان جبل طارق قاعدة هامة للبحرية الملكية لأنه يسيطر على الدخول والخروج إلى البحر الأبيض المتوسط الذي لا يبعد سوى ثمانية أميال (13 كلم)، وهذا المضيق البحري لا يزال مهماً استراتيجياً حتى يومنا هذا، فنصف التجارة البحرية في العالم تمر عبره. واليوم يعتمد اقتصاد جبل طارق إلى حدّ كبير على السياحة، والمراهنات عبر الإنترنت، والخدمات المالية، وخدمات إعادة تزويد السفن بالوقود.

(19) المجر Hungary: جمهورية برلمانية وحدوية في أوروبا الوسطى، تغطي مساحة قدرها 93,030 كلم<sup>2</sup> (35,920 ميلاً مربعاً)، وتقع في حوض الكاربات، وتحدها سلوفاكيا من الشمال، رومانيا من الشرق، صربيا من الجنوب، وكرواتيا من الجنوب الغربي، سلوفينيا من الغرب، النمسا من الشمال الغربي، وأوكرانيا من الشمال الشرقي. تعتبر المجر التي يبلغ عدد سكانها نحو 10 ملايين نسمة، دولة عضواً متوسطياً في الاتحاد الأوروبي. اللغة الرسمية هي المجرية، وهي اللغة الأورالية الأكثر انتشاراً على نطاق واسع في العالم. عاصمة المجر وأكبر مدنها هي بودابست، وهي مركز اقتصادي كبير، ومصنفة كمدينة عالمية رائدة.

(20) **الهمالايا Himalayas**: سلسلة جبال في آسيا، تفصل سهول شبه القارة الهندية عن هضبة التبت.

(21) **جبال كونلون Kuen Lun**: واحدة من أطول سلاسل الجبال في آسيا، تمتد لأكثر من 3000 كلم (1,900 ميل)، وبمعنى أوسع، فإنها تشكل الحافة الشمالية للهضبة التبتية جنوب حوض تاريم.

(22) **تيان شان Thian Shan**، وهذا يعني جبل السماء أو الجبل السماوي: هي نظام كبير من السلاسل الجبلية الواقعة في آسيا الوسطى. أعلى قمة في تيان شان هي جنجيش تشوكوسو، بارتفاع حوالي 7,439 متر (24406 قدم)، وأدنى نقطة لها هي منخفض توربان الذي يقع عند مستوى 154 م (505 قدم) تحت مستوى سطح البحر.

(23) **آلتاي Altai**: سلسلة جبال في وسط وشرق آسيا، حيث تجتمع في روسيا والصين ومنغوليا وكازاخستان معاً، وحيث توجد منابع نهري إرتيش وأوب. يقع الطرف الشمالي الغربي منها في النطاق عند 52° شمالاً وبين 84° و 90° درجة شرقاً (حيث تندمج مع جبال سايان في الشرق) وتمتد من الجنوب الشرقي من هناك إلى حوالي 45° شمالاً و 99° شرقاً، حيث تصبح تدريجياً أقل، وتندمج في هضبة عالية من صحراء غوبي.

(24) **كشمير Kashmir**: المنطقة الجغرافية الشمالية لشبه القارة الهندية. حتى منتصف القرن التاسع عشر، كان مصطلح «كشمير» يشير فقط إلى وادي كشمير بين جبال الهمالايا الكبرى وسلسلة بير بانجال، واليوم تشير إلى منطقة أكبر، تشمل إقليم جامو وكشمير الذي تديره الهند (مقسم إلى جامو وكشمير ولاداخ)، وإقليم آزاد كشمير الذي تسيطر عليه باكستان، وجيلجيت بالتستان، والأقاليم الصينية التي تديرها أكسي تشين و ترانس كاراكورام.

(25) **كاشغر Kashgar**: هي واحة المدينة في شينجيانغ، بجمهورية الصين الشعبية، وواحدة من مدن غرب الصين، تقع بالقرب من الحدود مع أفغانستان وقيرغيزستان وباكستان وطاجيكستان. يعود تاريخ كاشغر إلى أكثر من 2000 عام، كما كانت بمثابة مركز تجاري ومدينة ذات أهمية استراتيجية على طريق الحرير بين الصين والشرق الأوسط وأوروبا.

(26) **مقاطعة ياركاند Yarkand** أو (شاش ياركانت Shache Yarkant): مقاطعة في منطقة شينجيانغ أو يغور الذاتية الحكم، في الصين، وتقع على الحافة الجنوبية لصحراء تاكلاماكان في حوض تاريم، وهي واحدة من 11 مقاطعة تدار تحت ولاية كاشغار. كانت ياركاند مقراً لمملكة بودية قديمة في الفرع الجنوبي من طريق الحرير.

(27) **قيرغيز Kirghiz** وتعرف باسم كيرغيزيا، وحديثاً باسم قيرغيزستان: بلد غير ساحلي، مع تضاريس جبلية. دولة ذات سيادة في آسيا الوسطى، تحدّها كازاخستان من

الشمال، أوزبكستان من الغرب والجنوب الغربي، طاجيكستان من الجنوب الغربي، والصين من الشرق. عاصمتها وأكبر مدينة فيها هي بيشكيك.

(28) بحيرة بالكاش أو بلخاش **Balkhash**: واحدة من أكبر البحيرات في آسيا، والخامسة عشرة على مستوى بحيرات العالم. تقع في آسيا الوسطى، جنوب شرق كازاخستان، وتنتمي إلى حوض إندورهييك المشترك بين كازاخستان والصين، مع جزء صغير في قيرغيزستان. يتصرف الحوض في البحيرة عبر سبعة أنهار، أهمها نهر إيلي.

(29) بحر آرال **Aral** ويعني (بحر الجزر): يقع في آسيا الوسطى، بين الجزء الجنوبي من كازاخستان وشمال أوزبكستان. حتى الربع الثالث من القرن العشرين كان رابع أكبر بحيرة مالحة في العالم، حيث يحتوي كل لتر فيه على 10 غرام من الملح، يغذيه نهرا أموداريا وسير داريا، ويصل إلى البحر من خلال الجنوب والشمال. في الستينيات، قررت الحكومة السوفياتية تحويل مسار تلك الأنهار كي تتمكن من ري المنطقة الصحراوية المحيطة بالبحر، لدعم الزراعة بمياهها، بدلاً من تزويد حوض بحر آرال بها.

(30) بحر قزوين **Caspian**: أكبر المياه الداخلية المغلقة على الأرض، حسب المنطقة، ويُصنّف على نحو آخر كأكبر بحيرة في العالم أو بحر كامل. وهو في حوض إندورهييك (حوض دون تدفقات) يقع بين أوروبا وآسيا، وتحده كازاخستان من الشمال الشرقي، روسيا من الشمال الغربي، أذربيجان من الغرب، إيران من الجنوب، وتركمانستان من الجنوب الشرقي.

(31) عدن **Aden**: مدينة وميناء في اليمن، تقع على طريق شرق البحر الأحمر (خليج عدن)، على بعد 170 كلم (110 أميال) شرق باب المندب. يقع ميناء عدن الطبيعي القديم في حفرة بركانية خاملة تشكل الآن شبه جزيرة انضمت إلى البر الرئيس لبرزخ منخفض.

(32) الموصل **Mussul**: مدينة عراقية ومركز محافظة نينوى وثاني أكبر مدينة في العراق، يرجح من جهة أخرى أن تكون الكلمة ذات أصل عربي بمعنى «ما يوصل بين شيئين»، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل لأنها تصل بين نهري دجلة والفرات.

(33) الشيلاك أو اللك **shellac**: هو الراتنج الذي تفرزه إنث حشرة اللاك التي تعيش على الأشجار في غابات الهند وتايلاند. تتمّ معالجته وبيعه كرقائق جافة أو ذائبة في الإيثانول، لجعل الشيلاك سائلاً.

(34) ريتشارد هاكلويت **Hakluyt Richard** (1553 – 23 نوفمبر 1616م): كاتب إنجليزي، معروف بتشجيعه الاستعمار الإنجليزي لأمريكا الشمالية، من خلال مؤلفاته.

(35) ويليام باريت **William Barrett** (توفي 1584م): كان القنصل الإنجليزي في حلب.

- (36) سليمان الأول **Solomon the Magnificent** (6 نوفمبر 1494م - 6 سبتمبر 1566م): السلطان التركي العثماني المعروف باسم سليمان العظيم في الغرب وسليمان القانوني أو سليمان المُسَرَّع في دولته. كان السلطان العاشر والأطول حكماً في الإمبراطورية العثمانية، من العام 1520م حتى وفاته في العام 1566م.
- (37) بنيامين توديل **Benjamin of Tudela** (مملكة نافار، 1130 - قشتالة 1173م) كان رحالة يهودياً من القرون الوسطى، زار أوروبا وآسيا وأفريقيا في القرن الثاني عشر. قدّم وصفاً حياً لغرب آسيا سبق به ماركو بولو بمائة سنة. كان ذا علم واسع ومعرفة كبيرة باللغات. يعتبر بنيامين توديل شخصية رئيسة في الجغرافيا في العصور الوسطى والتاريخ اليهودي.
- (38) فالنسيا **Valencia**: تقع على الساحل الشرقي لإسبانيا، وهي عاصمة مجتمع فالنسيا المتمتع بالحكم الذاتي، وثالث أكبر مدينة في إسبانيا، بعد مدريد وبرشلونة.
- (39) توسكانا **Tuscany**: منطقة في وسط إيطاليا، تبلغ مساحتها حوالي 23,000 كلم<sup>2</sup> (8,900 ميل مربع) ويبلغ عدد سكانها حوالي 3,8 مليون نسمة (2013م)، عاصمتها الإقليمية هي فلورنسا (فيرنز).
- (40) بوليا **Apulia**: منطقة في جنوب إيطاليا المتاخمة للبحر الأدرياتيكي من الشرق، والبحر الأيوني من الجنوب الشرقي، ومضيق أوترانتو وخليج تارانتو إلى الجنوب، وتضم حوالي 1945 كلم<sup>2</sup> (4669 ميلاً مربعاً).
- (41) راغوف **Raguvia** (هكذا ورت في النص): بلدة صغيرة في مقاطعة بانيفيس، في شمال شرق ليتوانيا.
- (42) كاتالونيا **Catalonia**: مجتمع مستقل في إسبانيا، يقع على أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية، ويتكون من أربع مقاطعات: برشلونة، جيرونا، لييدا وتاراغونا. العاصمة وأكبر مدينة هي برشلونة.
- (43) روسيلون **Roussillon**: واحدة من المقاطعات التاريخية للإمارة السابقة لكاتالونيا، المقابلة تقريباً إلى القسم الفرنسي الجنوبي من بيرينيه أوريينتاليس (البرانس الشرقية)، وقد يشار إليها أيضاً بكاتالونيا الشمالية أو كاتالونيا الفرنسية.
- (44) ولاية ساكسونيا الحرة **Saxony**: دولة اتحادية غير ساحلية في ألمانيا، متاخمة للولايات الاتحادية في براندنبورغ وساكسونيا -أنهالت وتورينجيا وبافاريا، بالإضافة إلى دول بولندا (سيليزيا السفلى ولوبوس فوفوديشيس) وجمهورية التشيك. عاصمتها درسدن، وأكبر مدنها لايبزيغ. ساكسونيا هي العاشرة الأكبر في ولايات ألمانيا الست عشرة، وتبلغ مساحتها 18,413 كلم<sup>2</sup>. يمتد تاريخ ولاية ساكسونيا لأكثر من ألف عام، ولقد كانت دوقية ومملكة في القرون الوسطى.

(45) **فلاندرز Flandres**: الجزء الشمالي الناطق بالهولندية من بلجيكا، بالرغم من وجود تعريفات عدّة متداخلة، بما فيها التعريفات المتعلقة بالثقافة واللغة والسياسة والتاريخ، وهي واحدة من المجتمعات والمناطق اللغوية في بلجيكا.

(46) **هينولت Hainault**: منطقة الضواحي في لندن بورو ريبريدج، شمال شرق لندن، تقع على بعد 12,5 أميال (20 كلم) شمال شرق شارينغ كروس. في العام 1965م، تمّ جمع المنطقة بمنطقة واحدة مع لندن، وأصبحت جزءاً من لندن الكبرى، وهي مجاورة للحزام الأخضر متروبوليتان، يحدها من الشرق هينولت فورست كانتري بارك، ومن الشمال الأرض المفتوحة والحدود مع منطقة الغابات إينينغ من إسكس.

(47) **بويتو Poitou** بالفرنسية (بواتو): كانت مقاطعة في وسط غرب فرنسا، عاصمتها بواتيه.

(48) **أنجو Anjou**: مقاطعة تاريخية من فرنسا، تمتدّ على نهر اللوار. كانت عاصمتها أنجرس، وهي قرية من أبرشية أنجرس، تحدّها بريتانيا من الغرب، مين من الشمال، تورين من الشرق، وبويتو من الجنوب. سكان أنجو معروفون باسم الأنجيفيين. خلال العصور الوسطى، كانت مقاطعة أنجو إرثاً بارزاً للتاج الفرنسي.

(49) **ميديانا Mediana**: موقع أثري هام من الفترة الرومانية المتأخرة، يقع في الضاحية الشرقية لمدينة نيش الصربية. في العام 1979م، تمّت إضافة ميديانا إلى قائمة المواقع الأثرية ذات الأهمية الاستثنائية التي تحميها جمهورية صربيا.

(50) **بروفانس Provence**: منطقة جغرافية ومقاطعة تاريخية في جنوب شرق فرنسا، تمتد من الضفة اليسرى من نهر الرون السفلي من الغرب، حتى الحدود الإيطالية من الشرق، يحدها البحر الأبيض المتوسط من الجنوب، وأكبر مدينة في المنطقة هي مرسيليا.

(51) **بيزا Pisa**: مدينة في منطقة توسكانيا وسط إيطاليا، تمتد على نهر أرنو، قبل أن تفرغ في بحر ليغوريا، وهي عاصمة مقاطعة بيزا. مع أن بيزا معروفة في جميع أنحاء العالم ببرجها المائل (برج جرس كاتدرائية المدينة)، إلا أنها تحتوي على أكثر من 20 كنيسة تاريخية أخرى، والعديد من القصور من القرون الوسطى والجسور المختلفة عبر أرنو.

(52) **غاسكوني Gascony**: منطقة في جنوب غرب فرنسا التي كانت جزءاً من «مقاطعة غوين وجاسكوني»، قبل الثورة الفرنسية. التمييز بين غوين وغاسكوني غير واضح، والبعض ينظر إليها على أنها متداخلة، في حين يعتبرها غاسكوني جزءاً من غوين.

(53) **مملكة أراغون Arragon**: كانت مملكة القرون الوسطى والمبكرة الحديثة في شبه الجزيرة الأيبيرية في إسبانيا. ينبغي عدم الخلط بينها وبين التاج الأكبر في أراغون، والذي يشمل أيضاً أقاليم أخرى - إمارة كاتالونيا (التي تضم مقاطعة برشلونة والمقاطعات الكاتالونية الأخرى)، ومملكة فالنسيا، ومملكة مايوركا، والممتلكات



الأخرى التي هي حالياً جزءاً من فرنسا وإيطاليا واليونان - التي كانت أيضاً تحت حكم ملك أراغون - لكنها كانت تُدار بشكل منفصل عن مملكة أراغون.

(54) نافار **Navarre**: رسمياً مجتمع تشارترد بنافار، وهو مجتمع مستقل ومحافظة في شمال إسبانيا، على الحدود مع مجتمع الباسك المستقل، ولاريوخا **La Rioja**، وأراغون في إسبانيا ونوفيل -أكيتين في فرنسا. العاصمة هي بامبلونا (أو إيرونيا في الباسك).

(55) الغارف **Algarve**: هي المنطقة الجنوبية من البرتغال القارية، تبلغ مساحتها 4,997 كلم<sup>2</sup> (1,929 ميلاً مربعاً).

(56) سيفيل **Savila** أو إشبيلية: العاصمة وأكبر مدينة بمنطقة الحكم الذاتي في الأندلس ومقاطعة سيفيل الإسبانية. تقع على سهل نهر غوادالكيفير، والاسم الروماني للمدينة هو هيسباليس. تضم المدينة القديمة التي تبلغ مساحتها 4 كلم<sup>2</sup> (ميلان مربعان)، ثلاثة مواقع للتراث العالمي لليونسكو: مجمع قصر الكازار والكاتدرائية والأرشفيف العام للجزر الهندية. يقع ميناء سيفيل على بعد حوالي 80 كلم من المحيط الأطلنطي.

(57) أوغسبورغ **Augsburg**: مدينة في سوابيا، بافاريا، ألمانيا، كانت المدينة الإمبراطورية الحرة لأكثر من 500 سنة. أوغسبورغ هي منطقة حضرية وموطن لمؤسسات لانكريس أوغسبورغ، وهي ثالث أكبر مدينة في بافاريا (بعد ميونيخ ونيورمبرغ). أوغسبورغ هي ثالث أقدم مدينة في ألمانيا، أسسها الرومان وسميت باسم الإمبراطور الروماني أوغسطس.

(58) أنتويرب **Antwerp**: مدينة فلمنكية في بلجيكا، عاصمة مقاطعة أنتويرب في مجتمع فلاندرز، وهي الثانية بعد بروكسل.

(59) بروج **Bruges**: العاصمة وأكبر مدينة في مقاطعة فلاندرز الغربية بالمنطقة الفلمنكية في بلجيكا، شمال غرب البلاد.

(60) الرابطة الهانزية **Hanse**: المعروفة أيضاً باسم هانز أو هانزا، كانت كونفدرالية تجارية ودفاعية تكوّنت من النقابات التجارية، وتطورت من عدد قليل من المدن الألمانية الشمالية في أواخر القرن الحادي عشر، لتهيمن على التجارة البحرية في بحر البلطيق لمدة ثلاثة قرون على طول ساحل أوروبا الشمالية. امتدت من بحر البلطيق إلى بحر الشمال، خلال العصور الوسطى المتأخرة، وانخفضت ببطء بعد العام 1450م. كان الاسم هانز الذي كتب لاحقاً باسم هانزا هو المعنى الألماني لكلمة (قافلة)، وتم تطبيق هذه الكلمة على مجموعات من التجار المسافرين بين المدن الهانزية، سواء عن طريق البر أم البحر. للمدن الهانزية نظامها القانوني الخاص بها.

(61) **نهر بو Po**: هو نهر يتدفق شرقاً عبر شمال إيطاليا، على بعد 652 كلم (405 أميال) أو 682 كلم (424 ميلاً)، وينحدر من نبع ينزلق من تلال حجرية في بيان ديل ري، وهو مكان مسطح على رأس فال بو، تحت وجه شمال غرب مونفيزو (في جبال الألب الكوتية). ينتهي بو بدلتا تسقط في البحر الأدرياتيكي بالقرب من البندقية. بو هو أطول نهر في إيطاليا، وأوسع نقطة لعرضه هي 503 م (1,650 قدماً).

(62) **دالماتيا Dalmatia** أو **دالماشيا**: واحدة من المناطق التاريخية الأربع في كرواتيا، بالإضافة إلى سلافونيا وأستريا. دالماتيا هي حزام ضيق من الشاطئ الشرقي للبحر الأدرياتيكي، يمتد من جزيرة راب في الشمال إلى خليج كوتور في الجنوب، وتتراوح المناطق النائية (الدلماسية زاغورا) بين عرض خمسين كيلومتراً في الشمال، وبضعة كيلومترات فقط في الجنوب؛ وهي مغطاة بجبال ديناريك الوعرة، وفيها 79 جزيرة موازية للساحل، وأكبر مدنها سبليت.

(63) **موريا Morea**: اسم شبه جزيرة البيلوبونيز في جنوب اليونان، خلال العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث، ولقد استخدم للمقاطعة البيزنطية المعروفة باسم ديسبوتات موريا، والتي سميت من قبل الدولة العثمانية بإيالة موريا.

(64) **كريت Crete**: أكبر الجزر اليونانية، وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، بعد صقلية وسردينيا وقبرص وكورسيكا. كريت وعدد من الجزر والجزر المحيطة تشكل منطقة كريت، عاصمتها وأكبر مدنها هيراكليون.

(65) **جيوفاني بيليني Giovanni Bellini** (1430-26 نوفمبر 1516م): رسّام عصر النهضة الإيطالية، وقد يكون من أشهر أفراد عائلة بيليني من الرسّامين الفينيسيين. والده جاكوبو بيليني، وشقيقه جنتيل بيليني، ويعرف جيوفاني بأنه أحدث ثورة في اللوحة الفينيسية، وفي تحولها نحو أسلوب أكثر حسية، من خلال استخدامه الواضح للصبغات الفاخرة والتظليل المفصل؛ وكان له تلوين أكثر بذكاً وطلاقة، كما كان للمناظر الطبيعية للسماء تأثير كبير على مدرسة اللوحة البندقية، وخصوصاً على تلميذه جيورجيون وتيتيان.



## الفصل السادس

إلى جزر الهند شرقاً  
الأمير هنري، وفاسكو دا جاما



حتى القرن الخامس عشر كان سُكَّان شبه الجزيرة الإيبيرية قد انشغلوا بصورة رئيسة في دفع بطيء لإرجاع مدّ الغزو الإسلامي<sup>(\*)</sup> الذي انتشر تقريباً في جميع أنحاء البلاد من العام (711 ميلادي) فصاعداً. وكانت التهيئة الأخيرة للمغاربة في إسبانيا قد لُفِظَتْ في العام (1492 ميلادي)، وهو عام صنع عهدٍ جديد، سواء في التاريخ أم الجغرافيا؛ غير أنَّ البرتغاليين، على الجانب الغربي من شبه الجزيرة، كانوا قد خلَّصوا أراضيهم من المغاربة، في وقتٍ أسبق من ذلك التاريخ بكثير، أكثر من (200) سنة سابقة، بالرغم من أنهم وجدوا صعوبة في الحفاظ على استقلالها عن المملكة المجاورة لقشتالة. وتمَّ صدّ محاولة للملك (خوان Juan)<sup>(1)</sup> ملك قشتالة للاستيلاء على البلاد من قبل (جواو João)<sup>(2)</sup>، وهو ابنٌ غير شرعيٍّ للملك السابق للبرتغال، أصبح ملكاً في العام (1385 ميلادي)، وحرر البرتغال من كلِّ خطرٍ على جانب قشتالة، بانتصاره في معركة (الجوباروتا Aljubarrota)<sup>(3)</sup>، ثم تزوج من (فيليبا Philippa)<sup>(4)</sup>، ابنة (جون غاونت John of Gaunt)<sup>(5)</sup>، وكان مقدراً لابنه الثالث (هنري الملاح) أن يكون وسيلةً لإحداث ثورةٍ في وجهات نظر الرجال من العالم المأهول بالسكان. وكان أول من أظهر حماسه وهمته في احتلال «سبتة»، قبالة جبل طارق، وقت معركة (أجينكورت Agincourt)<sup>(6)</sup> العام (1415 ميلادي)، وهذا يعني أنه غرز، لأول مرة، الراية البرتغالية على الساحل

---

(\*) هنا يستخدم المؤلف مصطلح كلمة: (المحمدي)، واستبدلناها بمصطلح كلمة: الإسلامي (المترجم).

المغاربي. هذا الاتصال بالمغاربة قد يكون أول ما أوحى للأمير هنري بفكرة زرع محطات تجارية مُحَصَّنَة مماثلة بين مسلمي الهند؛ ولكن، أياً يكن السبب، فقد بدأ منذ حوالي العام (1418 ميلادي) بتكريس كل أفكاره وتركيز انتباهه على إمكانية الوصول إلى الهند بطريقة أخرى، من خلال الطرق المعروفة، ولهذا الغرض أسَّس لنفسه بقعة على التواء الصخري (ساغرز Sagres)<sup>(7)</sup>، وهي أبعد بقعة غربي قارة أوروبا.

هنا أنشأ مرصداً، ومعهداً لتدريب الملاحين نظرياً وعملياً، واستدعى علماء الفلك ورسامي الخرائط والبحارة المهرة، وتطلَّب ذلك بناء سُفنٍ أقوى وأكبر، لغرض مُخصَّصٍ للاستكشاف. لقد أتقن اعتماد الإسطرلاب (السلف الساذج لآلة السدس الحديثة) الذي يمكن بواسطته تحديد خط العرض ببعض الدقة، وكان قد جهز جميع سفنه بالبوصلة، والتي بموجبها يتم تحديد وجهتهم بالضبط؛ وأحضر من مايوركا (التي كانت، كما سبق أن ذكرنا، مركزاً لصنع الخرائط العملية في القرن الرابع عشر) شخصاً يدعى (ميس تري جاكمي Mestre Jacme)<sup>(8)</sup>، «وهو رجلٌ ماهرٌ جداً في فنّ الملاحة، وفي صنْع الخرائط والمعدّات» وبمساعده، مع أشخاص آخرين بلا شك، كرّس نفسه لدراسة المشكلة في إمكانية القيام برحلة بحرية إلى الهند، حول الساحل الأفريقي.

لقد رأينا أنّ بطليموس، وبحذرٍ علميٍّ حقيقيٍّ، قد ترك امتداد أفريقيا إلى الجنوب غير محدد، لكن إراتوستينيس، والعديد من الجغرافيين الرومان، حتى بعد بطليموس، لم يكونوا راضين بمثل هذه اللاأدرية، لكنهم افترضوا بشكل واضح أنّ الساحل الأفريقي يمتدّ بشكل نصف دائريٍّ من القرن الأيمن لأفريقيا، جنوب البحر الأحمر، الذين كانوا ملّمين بمعرفته، وحول الشاطئ الشمالي الغربي، قرب ما نُطلق عليه اليوم مُصطلح (المغرب Morocco)<sup>(9)</sup>. إذا كانت هذه هي الحقيقة، فإنّ





تقع في الجنوب منها، والتي كانت، بأية حال، في المنطقة الإستوائية الملتهبة، وغير الصالحة تماماً للسكنى.

كان الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا معروفاً في أيام الأمير هنري، حتى رأس (بوجادور Cape Bojador)<sup>(10)</sup>، ويبدو أن البحارة النورمان قد تقدّموا إلى ما بعد (الرأس نون Cape Non)<sup>(11)</sup>، أو (نان Nun)، الذي كان قد سُمّي هكذا لأنه كان من المتصور أن لا شيء يوجد بعده، وبالتالي فإن المشاكل التي كان ينبغي على الأمير هنري حلّها، هي ما إذا كان ساحل أفريقيا يتجه بشكل حادّ إلى الشرق بعد رأس بوجادور، أو ما إذا كانت أفكار القدماء عن المنطقة الملتهبة غير القابلة للسكنى سيتم إثباتها بشكل حقيقي. حاول الأمير هنري حلّ هذه المشاكل عن طريق إرسال-سنة بعد الأخرى- البعثات على طول الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا، وكل واحدة منها تجاوزت إلى أبعد من سابقتها. في البداية كُوفئ وفقاً لاكتشافه- أو إعادة اكتشافه- جزر (ماديرا Madeira)<sup>(12)</sup> في العام (1420 ميلادي)، عن طريق (جواو غونسالفيز زاركو João Gonsalvez Zarco)<sup>(13)</sup>، وهو أحد الإقطاعيين من عائلته. ولبعض الوقت كان قد حظي باحتلال هذه الجزيرة المجاورة لجزيرة (بورتو سانتو Porto Santo)<sup>(14)</sup>، والتي، بالرغم من ذلك، قد خُربّت من قبل الأرانب الطليقة عليها. وُزِعَت كروم العنب المجلوبة من (بورغوندي) على جزيرة ماديرا، وهي تُشكّل الصناعة الرئيسة في الجزيرة حتى يومنا هذا. في العام (1435 ميلادي) كان قد عبر رأس بوجادور، وفي العام (1441 ميلادي) اكتشف (رأس برانكو Cape Branco)<sup>(15)</sup>. وبعد عامين تمّ الوصول إلى الرأس الأخضر وعبره من قبل المستكشف (نونو تريستاو Nuno Tristão)<sup>(16)</sup>، وللمرة الأولى كانت ثمة دلائل على أن الساحل الأفريقي يميل متجهاً إلى الشرق. وبحلول ذلك الوقت، أصبح رجال الأمير هنري متآلفين مع المواطنين على طول الشاطئ، وما لا يقلّ عن ألفٍ منهم قد جرى جلبهم وتوزيعهم بين

النُّبلاء البرتغاليين، كغلمانٍ وخدم. في العام (1455 ميلادي)، قام رجلٌ فينيسي، يدعى (ألفيز كاداموستو Cadamosto Alves)<sup>(17)</sup>، برحلةٍ ثانيةٍ إلى أقصى الجنوب، لأغراضٍ تجارية، وزوّده الأمير برأس المال، واتفق معه على تحقيق نصف الأرباح، بناءً على النتائج، ووصلوا إلى مصبّ نهر (غامبيا Gambia)<sup>(18)</sup>، لكنهم وجدوا أنّ المواطنين المحليين عدائيون. هنا، ولأول مرة، فقدَ الملاحون الأوروبيون رؤية النجم القطبي، ورأوا كوكبة البرج الرائعة للصليب الجنوبي. أما الاكتشاف الأخير الذي قُدّم خلال حياة الأمير هنري، فكان في جزر الرأس الأخضر، من قبل أحد نُقبائه، (ديوغو غوميز Diogo Gomez)<sup>(19)</sup>، في العام (1460 ميلادي)، وهي سنة وفاته ذتها. كما قُدّمت الاكتشافات المتتالية، ودُوّنت من قبل رسامي خرائط الأمير هنري على (البورتولانو portulanos)<sup>(20)</sup>. وقبل وفاته، أرسل ملك البرتغال إلى راهبٍ فينيسي، وهو (فرا ماورو Fra Mauro)<sup>(21)</sup>، بتفاصيل كلّ الاكتشافات حتى ذلك الوقت، ليتمّ تسجيلها على خرائط مابًا موندي.

وهكذا، استمرّ ذلك الحافز المُعطى بالتحقق الصبور للساحل الأفريقي، من قبل الأمير هنري، لفترةٍ طويلة بعد وفاته. ففي سنة (1471 ميلادي) اكتشف (فرناندو دي بو Fernando de Poo)<sup>(22)</sup> الجزيرة التي تحمل اسمه الآن، بينما - في العام نفسه - قام المستكشف (بيدرو دي إسكوبار Pedro de Escobar)<sup>(23)</sup> بعبور خط الإستواء. وأينما حطَّ المستكشفون البرتغاليون، فإنّهم تركوا بصماتٍ تدلّ على وجودهم، في البداية من خلال نصبهم الصُّلبان، ومن ثمّ نحتهم شعار الأمير هنري على الأشجار، «موهبة القيام بعملٍ جديد»، وأخيراً اعتمدوا طريقة نصب الأعمدة الحجرية التي يعلوها الصليب، والمنقوشة عليها أسلحة الملك واسمه، وتُسمّى هذه الركائز (بادراوز padraos)<sup>(24)</sup>. وفي العام (1484 ميلادي)، قام (دييغو كام Diego Cam)<sup>(25)</sup>، وهو فارسٌ من أسرة الملك، بوضع واحدةٍ من هذه الركائز

عند مصبّ النهر الكبير الذي سُمّي بالتالي باسم (ريو دو بادراو Rio do Padrao)، وكان يُطلق عليه من قبل المواطنين اسم (زائير Zaire)، ويُعرف اليوم باسم نهر (الكونغو Congo)<sup>(26)</sup>. رافق ديغو كام في هذه الحملة، (مارتن بيهام Martin Behaim)<sup>(27)</sup>، من مدينة نورمبرغ، الذي يحتفل به العالم في التاريخ الجغرافي باعتباره السجل الأخير من وجهات النظر القديمة، أنظر (ص 115).

وفي تلك الأثناء، وردت من أحد المبعوثين من الملوك المحليين، والذي زار البلاط البرتغالي، وردت معلومات بأنه - في أقصى شرق البلدان التي اكتشفت حتى الآن - ثمة ملكٌ مسيحيّ عظيم، ما أعاد للأذهان تقليد العصور الوسطى حول الكاهن يوحنا. وفقاً لذلك، صمّم البرتغاليون على القيام بمحاولة مزدوجة، عن طريق البحر والبر، للوصول إلى هذا الملك. وعن طريق البحر، أرسل الملك سفينتين تحت قيادة المستكشف (بارثولوميو دياز Bartholomew Diaz)<sup>(28)</sup>، بينما بعث عن طريق البر، في السنة التالية، رجلين ضالعين باللغة العربية، هما: (بيدرو دي كوفيلهام Pedro di Covilham)<sup>(29)</sup> و(أفونسو دي باييا Affonso de Payba)<sup>(30)</sup>. وصل كوفيلهام إلى عدن، وأخذ من هناك سفينةً إلى كاليكوت، ليكون أول برتغالي يُبحر في المحيط الهندي، ثم عاد إلى (سوفالا Sofala)<sup>(31)</sup>، وحصل على أنباء عن (جزر القمر Islands of the Moon)<sup>(32)</sup>، والتي تُعرف الآن باسم (مدغشقر Madagascar)<sup>(33)</sup>. بهذه المعلومات عاد إلى القاهرة، حيث وجد سُفراء من جواو، واثنين من اليهود، هما أبراهام من (باجة Beja)<sup>(34)</sup> ويوسف من (لاميجو Lamejo)<sup>(35)</sup>، وكان هؤلاء قد عادوا بمعلومة مفادها أن السفن التي أبحرت أسفل ساحل غينيا وصلت بالتأكيد إلى نهاية أفريقيا. وعندما وصلوا في المحيط الشرقي الذي ينبغي أن يسألوا فيه عن سوفالا وجزر القمر، عاد كوفيلهام إلى البحر الأحمر، ووجد طريقه إلى الحبشة، حيث تزوج واستقر هناك، وأصبح يرسل من وقتٍ لآخر بالمعلومات للبرتغال التي أعطت الأوروبيين أفكارهم الأولى عن بلاد الحبشة.

وهكذا، فإنَّ الرحلة عن طريق البر بحثاً عن الكاهن يوحنا كانت ناجحةً تماماً، في حين تمَّ الحصول على معلوماتٍ معينة تعطي في الوقت نفسه آمالاً بالرحلة عن طريق البحر، وهذا بدوره كان قد مهَّد الطريق لنجاح - على سبيل المثال - رحلة دياز، حيث قام بالدوران حول الرأس المعروف الآن باسم (رأس الرجاء الصالح Cape of Good Hope)<sup>(36)</sup> - لأنَّ من اقترح منحه هذا الاسم، بدلاً من اسم «رأس العواصف Stormy Cape» أو (Cabo Tormentoso)، هو الملك (جواو João)<sup>(37)</sup> - وعلى أية حال - ثمة اعترافٌ بأنَّ رحلة دياز قد وضعت الختم على كلِّ التوقعات التي كانت لدى الأمير هنري قبل سبعين عاماً، وبدأت سلسلة استكشافاته، وأعطته الاسم الأكثر حظاً ويمناً الذي عُرف به إلى الآن.

لسببٍ ما، لم يتَّضح لدينا بشكلٍ كافٍ، لم تجرَّ أية محاولةٍ أخرى لما يقرب من عشر سنواتٍ، لتنفيذ الإتمام النهائي لخطة الأمير هنري بإرسال بعثةٍ أخرى. في تلك الأثناء، كما سنرى، غادر كولومبوس البرتغال، بعدما تمَّ إجراء محاولةٍ عادية من قبل الملك، لتنفيذ خطته الجديدة للوصول إلى الهند دون مساعدته. وكنتيجةً عادلة، فإنَّ رحلة استكشاف غربية إلى جزر الهند (كما كان يعتقد في ذلك الوقت) قد أُنجزت بنجاح من قبل كولومبوس، في خدمة الملوك الكاثوليك في إسبانيا، في العام (1492 ميلادي)، ومن شأن ذلك أن يفرض، بشكلٍ طبيعي، التردد على أيِّ محاولةٍ للوصول إلى الهند، عن طريق المسار الأكثر تعقيداً من الملاحة الساحلية على طول سواحل أفريقيا، والذي أثبت في النهاية أنَّ العملية كانت أطول مما كان يعتقد الأمير هنري. بعد ثلاث سنوات من اكتشاف كولومبوس مات الملك (جواو João)، ولم يوافق ابنه وخليفته (إيمانويل Emmanuel)<sup>(38)</sup> على الأسلوب التقليدي البرتغالي للوصول إلى الهند، حتى السنة الثالثة من حكمه.

وبحلول ذلك الوقت أصبح واضحاً، من رحلة كولومبوس الثانية، أن الكثير من الصعوبات في طريق الوصول إلى جزر الهند هي أكثر مما كان يُعتقد. وبعد عام من عودته من رحلته الثانية في العام (1496 ميلادي)، قرّر الملك إيمانويل، مرةً أخرى، تناول الطريقة القديمة، وكلّف (فاسكو دا جاما Vasco da Gama)<sup>(39)</sup> - وهو رجلٌ نبيلٌ من حاشيته - بمحاولة التوجه شرقاً في الطريق إلى الهند، مع ثلاث سفن تحمل حوالي ستين رجلاً. وبالفعل، شجّع مشروع كولومبوس الجريء في البحار المجهولة هذه المرة على ظهور مشاريع جريئةٍ مماثلة في بلدانٍ أخرى؛ وبدلاً من أن يُبحر منحدرًا بمحاذاة الساحل على الامتداد الكامل للساحل الغربي لأفريقيا، اتجه فاسكو دا جاما مباشرةً إلى جزر الرأس الأخضر، ومنها خرج إلى المحيط، حتى وصل إلى الخليج المعروف باسم (سانت هيلانة St. Helena)<sup>(40)</sup>، الواقع إلى الشمال قليلاً من رأس الرجاء الصالح.

لفترةٍ من الوقت، كان فاسكو دا جاما قد احتار في محاولته الدوران حول الرأس، بسبب الرياح الجنوبية الشرقية القوية التي تضرب هناك باستمرار، خلال موسم الصيف. غير أنّه، في نهاية المطاف، انطلق في رحلته الساحلية على طول الشواطئ الشرقية لأفريقيا، وفي كلّ بقعة مناسبة كان يُنزل بعض بحارته، لإجراء تحقيقات حول كوفيلهام وبلاط الكاهن يوحنا؛ ليجد أن كلّ الموانئ مسكونةٌ من قبل المغاربة المتعصبين الذين - حالما اكتشفوا أنّ زوارهم كانوا من المسيحيين - حاولوا إيذاءهم، ورفضوا تزويدهم بالمرشدين كي يواصلوا رحلتهم إلى الهند من جديد. حدث هذا في (موزامبيق Mozambique)<sup>(41)</sup>، وفي جزيرة (كيلوا Quilwa أو Kilwa)<sup>(42)</sup>، وفي (مومباسا Mombasa)<sup>(43)</sup>، ولم يكد فاسكو دا جاما يصل إلى (ميليندا Melinda)<sup>(44)</sup>، حتى تمكن من الحصول على المؤن، وعلى مُرشدٍ يدعى (ماليمو كانا Malemo Cana)<sup>(45)</sup>، وهو هندي من (جوزيرات Guzarat)<sup>(46)</sup>، كان على درايةٍ تامة بالرحلة إلى كاليكوت. وفي

ظل قيادته، انطلق أسطول فاسكو دا جاما من ميليندا إلى كاليكوت في ثلاثة وعشرين يوماً، وهنا تعرّض (زامورين Zamorin)<sup>(47)</sup>، أو ملك البحر، بأسلوب الكراهية ذاته مع زواره المسيحيين. في ذلك المكان، أدرك التجار المسلمون في لحظة، مدى التنافس الخطير الذي تنطوي عليه الزيارة البرتغالية، باحتكارها التجارة الشرقية، وتصوّروا أنّ فاسكو دا جاما وأتباعه هم مجرد قرصنة. وبالرغم من ذلك، ومن خلال سلوكه الثابت، تمكن فاسكو دا جاما من الإفلات من مكائد منافسيه التجاريين، وأقنع الزامورين بكونه حليفاً إيجابياً للملك البرتغالي.

مكتفياً بهذه النتيجة، ركب البحر مرةً أخرى. وبعد زيارة ميليندا، البقعة الصديقة الوحيدة التي وُجِدَت على الساحل الشرقي لأفريقيا، عاد إلى لشبونة، في سبتمبر/ أيلول العام (1499 ميلادي)، بعدما أمضى ما لا يقل عن ستين في رحلته، ولقيه الملك إيمانويل بالإحسان العظيم، وعيّنه أميراً للبحار في جزر الهند.

تكمن أهمية رحلة فاسكو دا جاما في النظرة إليها من قبل الأشخاص الذين هدّدت احتكارهم التجاري، أي الفينيسيين (البنادقة)، وسُلطان مصر. ويروي المؤرخ الإخباري الفينيسي (بريولي Priuli)<sup>(48)</sup>، قائلاً: «عندما وصلت هذه الأخبار إلى فينيسيا، تأثرت المدينة كلّها تأثرت بهذا الأمر إلى حدٍّ كبير، وظلّت مُنذهلة، واعتبرتها كأشوأ الأخبار التي وصلتها». كما بدا في الواقع أنّه تنبأ بسقوط الإمبراطورية الفينيسية. وكان سلطان مصر قد تحرّك بدوره، فاستمدّ المصدر الأكبر لثرواته من ضريبة الخمسة في المائة الذي فَرَضه على جميع البضائع التي تدخل منطقة سيادته، وعشرة في المائة على كل السلع المصدّرة منها. حتى ذلك الوقت، قامت بين فينيسيا ومصر كلّ أنواع وأساليب المشاحنات، لكنّ هذا الخطر المشترك جمعهما؛ فأبدى السلطان لفينيسيا حرصه على ضرورة العمل المشترك من أجل إبعاد التجارة الجديدة؛ لكنّ مصر كانت بلا

قوة بحرية، ولم تكن في الواقع تملك الخشب المناسب لبناء السفن، فأخذت فينيسيا على عاتقها عناء نقل الأخشاب إلى القاهرة، لتحملها الجمال من هناك إلى السويس، حيث يتم إعداد أسطول صغير، للهجوم على البرتغاليين عند زيارتهم القادمة للمحيط الهندي.

وفي تلك الأثناء، أتبع البرتغاليون رحلة فاسكو دا جاما البحرية بمحاولة أخرى، كانت أكثر أهمية، في طريقها. ففي العام (1500 ميلادي) أرسل الملك ما لا يقل عن ثلاث عشرة سفينة، تحت قيادة (بيدرو ألفاريز كابرال Pedro Alvarez Cabral)<sup>(49)</sup> ومعه الفرنسيسكان، لغرض التبشير، ومائة واثنى عشر رجلاً مُقاتلاً لترهيب المسلمين في المحيط الهندي، وقرّر التوجه في مسار غرباً أكثر من فاسكو دا جاما. وعندما وصل إلى (17 درجة) جنوب الخط، قام باكتشاف الأرض التي استولى عليها باسم البرتغال، وتدعى (سانتا كروز Santa Cruz)<sup>(50)</sup>. الصليب الحقيقي الذي نُصب بتلك المناسبة لا يزال محفوظاً في البرازيل، ورسا كابرال على الأرض المعروفة اليوم بهذا الاسم. والحقيقة أنّ واحداً من أصحاب كولومبوس، هو (بينزون Pinzon)<sup>(51)</sup>، كان قد رسا سابقاً على ساحل البرازيل، قبل كابرال، لكنّ الواضح من تجربته تلك - بغض النظر عن كولومبوس - أنّ البرتغاليين كانوا سيكتشفون العالم الجديد عاجلاً أم آجلاً. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّه، عند ذكر هذا، كما يفعل معظم المؤرخين، يُسقطون من اعتبارهم حقيقة أنّ البحارة - باستثناء كولومبوس - لا يزالون يواصلون الطريقة القديمة للملاحة الساحلية على طول الشاطئ، فكأنّهم لم يغادروا العالم القديم.

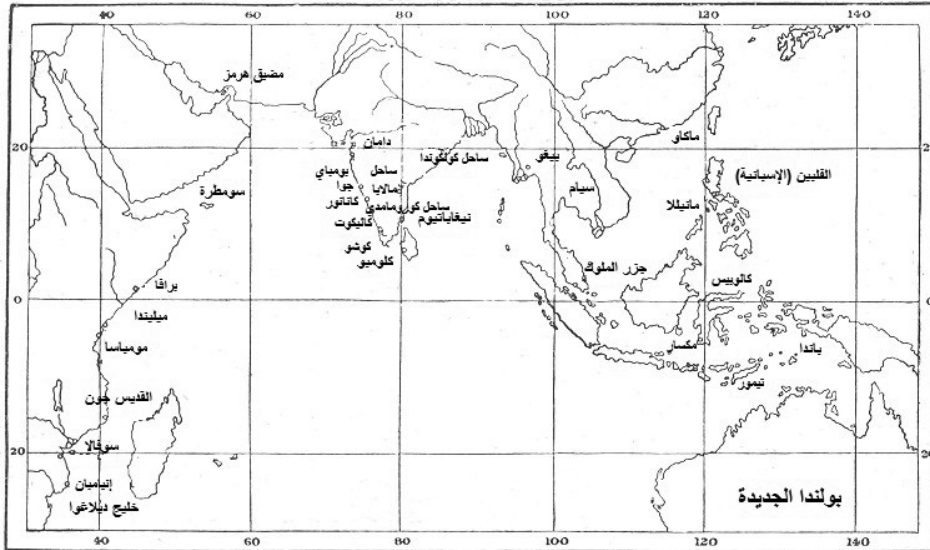
فقد كابرال العديد من سفنه والكثير من رجاله. ومع أنّه عاد إلى أرض الوطن بحمولةٍ ثمينة، فلم يُعتبر ذلك نجاحاً، وأُرسل فاسكو دا جاما مجدداً، مع أسطول كبير في العام (1502 ميلادي)، غزا به زامورين



كاليكوت، وحصل على الكنوز الثمينة. وفي رحلاتٍ ثانوية، اكتشف البحارة البرتغاليون جزر سانت هيلانة، وجزيرة (أسينشون Ascension)<sup>(52)</sup>، وجزر (سيشيل Seychelles)<sup>(53)</sup>، وسوقطرى، و(تريستان دا كونا Tristan da Cunha)<sup>(54)</sup>، وجزر المالديف، ومدغشقر.

وفي الوقت نفسه، كان الملك إيمانويل قد تبنى الطريقة الفينيسية للاستعمار، والتي تمثلت في إرسال نائب رئيس القضاة لكلٍ من مستعمراته، لمدة عامين، تكون مهمته خلالهما أن يشجع على التجارة وجمع الجزية؛ وعلى نحوٍ مماثل، عيّن إيمانويل نائب الملك لتجارته الشرقية. وفي العام (1505 ميلادي) استقرّ (فرانيسكو دي ألميدا Francisco de Almeida)<sup>(55)</sup> في سيلان، بهدف احتكار تجارة القرفة في ذلك المكان.

لكنّ (أفونسو دي ألبوكيرك Affonso de Albuquerque)<sup>(56)</sup> كان من أعظم نواب الملوك البرتغاليين، فاستولى على منصب (جوا Goa) المهم، على البرّ الرئيس للهند، والذي لا يزال يعود إلى البرتغال، وميناء هرمز،



جزر الهند البرتغالية



الذي رأينا سابقاً أنه كان أحد مراكز التجارة الشرقية. والأهم من ذلك هو الاستيلاء على جزر الملوك، أو جزر التوابل التي تم اكتشافها في العام (1511 ميلادي)، بعد أن استولى البرتغاليون على (ملقا Malacca)<sup>(57)</sup>. خلال العام (1521 ميلادي) كان البرتغاليون قد تمكنوا من حيازة كامل جزر التوابل، وقبضوا بالتالي على تجارة التوابل تماماً في أيديهم، فكانت النتيجة ارتفاعاً سريعاً بالأسعار في الأسواق الأوروبية، فسعر الرطل الواحد من الفلفل في نهاية القرن الخامس عشر - على سبيل المثال - كان يبلغ حوالي 17 سنتاً، ومن العام (1521 ميلادي) وما بعده، ارتفع متوسط سعره ليصبح حوالي 25 سنتاً، إلى جانب غالبية المكونات التي يمكن أن تجعل من الطعام أكثر لذة. إلا أن أحد الظروف التي ألقت بالاحتكار في أيدي البرتغاليين، كانت الاستيلاء على مصر في العام (1521 ميلادي)، على يد الأتراك تحت حكم السلطان العثماني (سليم الأول Selim I)<sup>(58)</sup>، الذي كان من شأنه - بطبيعة الحال - أن عطل مسار التجارة عبر الطريق القديم، من خلال الإسكندرية. ومن الصين تم التعرف إلى سهولة الوصول لجزر الملوك، وفي نهاية المطاف إلى اليابان، وبالتالي قبض البرتغاليون لفترة من الوقت بزمام أيديهم على كل التجارة الشرقية، والتي اعتمدت عليها أوروبا في أكثر كمالياتها.

كما رأينا، فاز البرتغاليون برقبة الجواد فقط؛ إذا استخدمنا التعبير الرياضي في سباق التنافس على ملكية جزر التوابل. ففي السنة نفسها التي حصلوا على حيازتها، وصل (ماجلان Magellan)<sup>(59)</sup> - وهو في طريقه حول العالم - إلى الفلبين، في غضون بضعة مئات من الأميال منها، وأبحرت سفينته (فيكتوريا Victoria)، من خلالها تلك السنة. والواقع أن العام (1521 ميلادي) يُعتبر عاماً حاسماً في اكتشاف العالم، إذ أن الإسبان والبرتغاليين (الدولتين اللتين حاولتا الوصول إلى جزر الهند شرقاً وغرباً) وصلوا إلى تحقيق أهدافهم وغاياتهم، أي جزر التوابل، في ذلك العام

نفسه، في حين أن إغلاق تجارة مصر وقع في الوقت المناسب لتحوّل التجارة وتُصبح في أيدي البرتغاليين. وأخيراً، فإن العام (1521 ميلادي) تميّز بموت الملك إيمانويل، عاهل البرتغال الذي - تحت رعايته - تمّ الانتهاء من أعمال الأمير هنري الملاح.

هنا لا بد أن نتوقع الأمور من جديد. فحالما جرى الإعلان عن اكتشاف العالم الجديد، نُوشِد البابا لتحديد الحصص النسبية لإسبانيا والبرتغال في الاكتشافات التي توالى بشكل واضح على رحلة كولومبوس البحرية، من خلال مرسومه المؤرخ بتاريخ 4 / مايو (1493 ميلادي)، فَمَنَح (ألكسندر السادس Alexander VI)<sup>(60)</sup> كل الاكتشافات نحو الغرب لإسبانيا، وبشكل مفهوم، ترك كل الشرق يعود إلى البرتغال، وكان الخط الفاصل قد رُسِمَ بشكل وهمي من القطب إلى القطب، ويمر حوالي (مائة فرسخ) غرب جزر (الأزور Azores)<sup>(61)</sup> وجزر الرأس الأخضر، والتي كان من المفترض، في الجغرافية غير الدقيقة في ذلك الوقت، أن تكون في خط الطول ذاته. في السنة التالية، طالب الملك البرتغالي بإعادة النظر في موقع الراية، وكان من شأن هذا أن يبعده بشكل كامل عن كلّ المكتشفات في العالم الجديد، ويؤدي من ثمّ إلى تحويل خط ترسيم الحدود (270 فرسخاً) نحو الغرب، أو بمسافة (110 و 1 ميلاً) إلى الغرب من الرأس الأخضر. من خلال صدفة غريبة، وفي غضون ست سنوات، كان كابرال قد اكتشف البرازيل التي تقع ضمن هذه النقطة من الزاوية المقطوعة بالراية من أمريكا الجنوبية. هل كان الأمر عن طريق الصدفة؟ أم قد يكون كابرال توجه لاتخاذ هذا المسار بشكل غير عادي نحو الغرب، كي يتأكد مما إذا كانت ثمة أرض تقع ضمن الادعاءات البرتغالية؟ في أيّ حال، لقد تم اكتشاف جزر التوابل، وبقي علينا أن نناقش ما إذا كان خط ترسيم الحدود - عندما استمر على الجانب الآخر من الكرة الأرضية - قد جلبهم داخل الحدّ الإسباني أو «دائرة النفوذ البرتغالية»، كما ينبغي

لنا أن نقول في الوقت الحاضر. وبواسطة فرصة غريبة، كان أن وُجدوا قريبين جداً من الخط. ونتيجة الخرائط غير الدقيقة في تلك الفترة، أتاح موضوعٌ ظريف وقوع مشاجرة بين المفوضين البرتغاليين والإسبان الذين اجتمعوا في (بطليروس Badajos)<sup>(62)</sup> لتحديد هذه المسألة، ولم يتركوا لتقرير هذا الأمر أن يتم عن طريق المجلس العسكري، إنما عن طريق الميثاق العائلي.. ففي العام (1529 ميلادي)، تنازل (شارلز الخامس Charles V)<sup>(63)</sup> لشقيقه في القانون، ملك البرتغال، عن أيّ حقوقٍ كانت له في جزر الملوك، لقاء مبلغ قدره (350000) قطعة ذهبية، في حين احتفظ لنفسه بالفيليبين التي أصبحت إسبانيةً، منذ ذلك الحين.

بهذه الطريقة، أصبح المحيط الهندي - لجميع الأغراض التجارية - بحيرةً برتغالية، خلال القرن السادس عشر الميلادي، كما سيتبين من الخريطة السابقة، والتي تُظهر محطات التداول للبرتغاليين على طول شواطئ المحيط، لكنها تمتلك احتكارها لمدة خمسين سنة فقط. واعتباراً من العام (1580 ميلادي)، أصبحت التيجان الإسبانية والبرتغالية متحدةً على رأس (فيليب الثاني Philip II)<sup>(64)</sup>؛ وبحلول الوقت الذي استعادت فيه البرتغال استقلالها، في العام (1640 ميلادي)، كان منافسون جدد قد ظهرت للتنافس معها هي وإسبانيا، في احتكار التجارة الشرقية.

[Authorities: Major, Prince Henry the Navigator, 1869; Beazeley, Prince Henry the Navigator, 1895; F. Hummerich, Vasco da Gama, 1896].

## (هوامش الفصل السادس)

- (1) **خوان الأول John I** أو **جون الأول** (24 أغسطس 1358 – 9 أكتوبر 1390م): كان ملك تاج قشتالة منذ 1379م حتى 1390م، وهو ابن هنري الثاني وزوجته خوانا مانويل، وكان آخر ملك في قشتالة يتلقى التتويج الرسمي.
- (2) **جواو الأول João** (11 أبريل 1357 – 14 أغسطس 1433م): كان ملك البرتغال والغارف في الفترة 1385–1433م. ويُشار إليه في البرتغال باسم «الطيب» أو «الذاكرة السعيدة»، وأحياناً باسم «النذل»! معترفٌ به أساساً لدوره في الحفاظ على استقلال مملكة البرتغال عن مملكة قشتالة. وكجزءٍ من جهوده للحصول على الأراضي البرتغالية في أفريقيا، أصبح أول ملك في البرتغال يحمل لقب «سيد سبتة».
- (3) **معركة ألجوباروتّا Aljubarrota**: التي وقعت بين الإسبان والبرتغاليين في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي - كما يذكرها التاريخ - معركة وقعت يوم 14 أغسطس 1385م في نواحي مدينة الجوباروتّا في وسط البرتغال، وكانت الحرب جزءاً من حروب الخلافة البرتغالية الأولى التي انتصر فيها الأمير جواو وأصبح ملك البرتغال ومؤسس أسرة جديدة حكمت البرتغال لثلاثة قرون (1385–1580م)، وكانت بداية هذه الأسرة أزمة في الخلافة، وكذلك نهايتها، وتولى فيها قيادة الجيش البرتغالي «جواو» أمير فرسان أفيز، وهو ابن غير شرعي لوالده العاشق بيتر الأول ملك البرتغال، مُدعماً بالجيش الإنجليزي، بينما قاد الجيش القشتالي خوان الأول، ملك قشتالة، والأميرة بياتريس من البرتغال، الابنة الوحيدة لوالدها الملك فرديناند الأول ملك البرتغال، وكان معزراً بوحدات من الجيش الفرنسي.
- (4) **فيليبا لانكستر Philippa of Lancaster** (31 مارس 1360 – 19 يوليو 1415): هي ملكة البرتغال من 1387 حتى 1415م، بزواجها من الملك البرتغالي جواو الأول. ولدت فيليبيا للعائلة المالكة في إنجلترا، وحصل زواجها على معاهدة ويندسور، وأنجبت العديد من الأولاد الذين أصبحوا يعرفون في البرتغال باسم «جيل إلوستريوس».
- (5) **جون غاونت John of Gaunt**، **دوق لانكستر الأول** (6 مارس 1340 – 3 فبراير 1399م): كان نبلاً إنجليزياً وعضواً في بيت بلانتاجينيت، وهو الثالث من خمسة أبناء للملك إدوارد الثالث من إنجلترا فيليبيا من هاينولت، دعي «جون غاونت» لأنه ولد في مدينة غنت، ثم حُرِفَت باللغة الإنجليزية إلى غاونت.

(6) معركة أجينكورت Agincourt: كانت معركة حرب المائة عام التي أسفرت عن انتصار الإنجليز. وقعت في 25 أكتوبر 1415م (يوم القديس كريستين) في مقاطعة سانت بول، أرتوا، على بعد حوالي 40 كلم جنوب كاليه (تعرف اليوم بأزينكورت في شمال فرنسا)، وكانت واحدة من أهم الانتصارات الإنجليزية في الصراع، بالإضافة إلى معركتي كريسبي (1346م) وبواتييه (1356م)، فيها انتصرت إنجلترا في منطقة أجينكورت على الجيش الفرنسي المتفوق عدداً، فبدأت فترة جديدة في الحرب التي هيمنت عليها النجاحات العسكرية الإنجليزية.

(7) ساغرز Sagres: يقع هذا التواء الصخري في أقصى جنوب غرب أوروبا القارية، في الغارف الجنوبية من البرتغال، ويتميز باثنين من الهياكل الجيومورفولوجية: كيب سانت فنسنت ونقطة ساغريس التي تشكل انتقالاً بين المناطق الساحلية الشرقية ومناطق الزوال، ويتميز بمنحدرات عالية تؤدي إلى منصة تتراوح ما بين 10-50 متراً (160 قدماً) -200 متر (330-660 قدماً) (في الشمال).

(8) ذكره المؤلف في الكتاب باسم Mestre Jacme، ولكن بعد البحث عن ترجمته وجدناه باسم ميستري جاكومي Mestre Jácome أو جاكومي دي مايوركا Jácome de Mallorca: هو اسم رسام خرائط غير مشهور، استشهد به في تأريخ عصر النهضة البرتغالي، ويُعتقد بأن هنري الملاح استدعاه لنشر المعرفة الخرائطية والملاحية في البلاط البرتغالي، حوالي العام 1420م.

(9) المغرب Morocco: المعروفة رسمياً باسم المملكة المغربية، دولة ذات سيادة تقع في منطقة المغرب العربي في شمال أفريقيا. جغرافياً، يتميز المغرب بجبال داخلية وعرة، ومساحات كبيرة من الصحراء وساحل طويل يمتد على طول المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط.

(10) الرأس بوجادور Cape Bojador: هو رأس على الساحل الشمالي للصحراء الغربية: 26° 07' N، 14° 29' W، وقد استمدت المقاطعة المحيطة به اسمها أيضاً من الرأس (مقاطعة بوجادور)، وهو يظهر على الخرائط الملاحية بالاسم البرتغالي الأصلي «كابو بوجادور»، إنما تكتب أحياناً «كيب بوجادور»، بالرغم من عدم وجود إشارات إلى هذا الاستخدام في المراجع الجغرافية القياسية، ولعل الاسم يعود إلى التسمية العربية «أبو الخطر».

(11) هو الرأس تشونار Cape Chaunar، أو رأس أورسيغ Cap Uarsig، أو رأس نون Nun: رأس على ساحل المحيط الأطلسي من أفريقيا، في جنوب المغرب، بين ترفيا وسيدي إفني. بحلول القرن الخامس عشر، اعتبره العرب والأوروبيون مكاناً لا يمكن بلوغه، ما أدى إلى تسميته بالرأس «لا» باللغة البرتغالية. رأس تشونار هو الحد الساحلي الشمالي الحقيقي للصحراء، وبسبب وقوعه بالقرب من رأس بوجادور، غالباً ما يطلق عليه هذا الاسم بالخطأ.

- (12) ماديرا **Madeira**: أرخبيل برتغالي يقع في شمال المحيط الأطلسي، جنوب غرب البرتغال.
- (13) جواو غونسالفيز زاركو **João Gonsalvez Zarco** (1390 - 21 نوفمبر 1471م): كان مُستكشفاً ومُستعمراً برتغالياً، اهتم بالمستوطنات وأنشأها في جزر ماديرا، وعيّن أول قبطان بفونشال من قبل هنري الملاح.
- (14) جزيرة بورتو سانتو **Porto Santo**: جزيرة برتغالية في المحيط الأطلسي غرب أوروبا وأفريقيا، تقع في أقصى الشمال الشرقي من أرخبيل ماديرا، وتبعد عنه 43 كلم (27 ميلاً) شمال شرق جزيرة ماديرا.
- (15) الرأس برانكو **Cape Branco** ويُعرف أيضاً باسم بونتا دو سيكساس **Ponta do Seixas**: هو رأس على ساحل المحيط الأطلسي من ولاية بارايا، شرق البرازيل، يشكل النقطة الشرقية للقارات الأمريكية، على بعد حوالي 8 كلم (5 أميال) جنوب شرق جواو بيسوا، عاصمة الولاية.
- (16) نونو تريستاو **Nuno Tristão** (1446): مُستكشف ومُستعمِر برتغالي، وتاجر رقيق، عاش في القرن الخامس عشر، وكان يُعتقد تقليدياً أنه أول أوروبي يصل إلى منطقة غينيا حتى غينيا بيساو، حيث بدأت بين البرتغال وشعوب تلك المنطقة علاقة تجارية واستعمارية استمرت حتى العام 1974 (لكن المؤرخين الأكثر حداثة يعتقدون أنه لم يتجاوز نهر غامبيا).
- (17) ألفيز كاداموستو **Cadamosto Alves** أو ألفيد دا كادا موستو **Alvide da Ca da Mosto** (1432 - 18 يوليو 1488م): تاجر رقيق ومُستكشف ومُستعمِر إيطالي، كان قد استؤجر من قبل الأمير البرتغالي هنري الملاح، وأجرى رحلتين معروفتين إلى غرب أفريقيا بين العامين 1455م و 1456م، يرافقه الكابتن أنطونيوتو أوسوديمار. يرجع الفضل إلى كاداموستو ورفاقه في اكتشاف جزر الرأس الأخضر والنقاط الواقعة على طول ساحل غينيا، من نهر غامبيا إلى نهر جيبي (في غينيا بيساو)، وهي أكبر قفزة في اكتشافات هنري، منذ العام 1446م. روايات رحلة كاداموستو، بما في ذلك ملاحظاته التفصيلية لمجتمعات غرب أفريقيا، أثبتت قيمة لا تقدر بثمن للمؤرخين.
- (18) نهر غامبيا **Gambia**: من أهم الأنهار في أفريقيا عمومًا، وفي شمال غرب القارة خصوصاً، حيث يمتد النهر لمسافة 1130 كلم (700 ميل) من منبعه في هضبة فوتا جالو الواقعة في شمال غرب غينيا، ليصب في المحيط الأطلسي عند مدينة بانجول، عاصمة غامبيا.
- (19) ديوغو غوميز **Diogo Gomez** (1420 - 1500م): ملاح ومستكشف وكاتب برتغالي. كان ديوغو غوميز خادماً ومستكشفاً للأمير البرتغالي هنري الملاح، وقد أملى مذكراته في وقت متأخر من حياته لمارتن بهيم، وهي رواية لا تقدر بثمن (إن لم تكن متناقضة أحياناً) للاكتشافات البرتغالية تحت رعاية الأمير هنري الملاح، وأحد المصادر الرئيسة

التي استخدمها المؤرخون. قام ديوغو باستكشاف نهر غامبيا وصعوده، وباكتشاف بعض جزر الرأس الأخضر.

(20) **بورتولانوس portulanos** من اللفظ اللاتيني «بورتوس»، وتعني «الميناء» أو بورتولانو: هي مخططات بحرية أوروبية قديمة، أو رسوم بيانية بحرية، أمكن معها استخدام البوصلة، ويعود تاريخها إلى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، كانت وظيفتها توفير الاتجاهات والمسافات التقريبية بين الموانئ الأوروبية والأفريقية الكبرى.

(21) **فرا ماورو Fra Mauro** (توفي 1464م): هو رسّام خرائط إيطالي عاش في جمهورية فينيسيا (البندقية)، كوّن خريطة أكثر تفصيلاً ودقةً للعالم حتى ذلك الوقت، تسمى بخريطة فرا ماورو.

(22) **فرناندو دي بو Fernando de Poo**، المعروف أيضاً باسم **فيرناو بو Fernão Pó**: ملاح ومُستكشف ومُستعمر برتغالي، قام باستكشاف ساحل غرب أفريقيا في القرن الخامس عشر. اكتشف جزراً في خليج غينيا حوالي العام 1472م، واحدة منها كانت تحمل اسمه حتى منتصف التسعينيات، وتسمى اليوم بيوكو، وهي جزء من غينيا الاستوائية. كما أطلق اسمه على أماكن أخرى في الكاميرون المجاورة: قرية فيرناندو بو، البرتغال؛ وقرية فرناندو بو. لا يعرف عن سيرته وحياته سوى القليل، وكان من بين عدد من الملاحين الذين استكشفوا خليج غينيا خلال تلك الفترة، نيابةً عن الملك ألفونسو الخامس البرتغالي. يعتبر فيرناندو بو أول مستكشف أوروبي يكتشف الساحل الجنوبي الغربي لأفريقيا، وقبله اعتقد الأوروبيون أن أفريقيا جزيرة كبيرة.

(23) **بيدرو دي إسكوبار Pedro de Escobar**، المعروف أيضاً باسم **بيرو إسكوبار Pêro Escobar**: ملاح ومُستعمر برتغالي في القرن الخامس عشر، اكتشف ساو تومي (21 ديسمبر 1471م)، وأنوبون (1 يناير 1472م)، وبرنسيبي (17 يناير 1472م). تم اختياره للإبحار مع ديوغو كاو في رحلته الأولى العام 1482م، وكذلك كقبطان للسفينة بيريو الشهيرة، في أول بعثة لفاسكو دا غاما العام 1497م، للإبحار مباشرةً من أوروبا إلى الهند. وكان أيضاً في رحلة اكتشاف بيدرو ألفاريس كابرال للبرازيل العام 1500م.

(24) **بادراوز padraos**: هو عبارة عن صليب حجري كبير مدرج، مع معطف من الأسلحة البرتغالية التي كانت توضع كجزء للدعاء بملكية الأرض من قبل العديد من المستكشفين البرتغاليين، خلال العصر البرتغالي للاكتشاف. ومن المستكشفين البارزين المعروفين الذين اشتهروا بنصبها: ديوغو كاو، بارتولوميو دياز، فاسكو دا غاما وألفاريس.

(25) **ديغو كام Diego Cam**، المعروف أيضاً باسم **ديوغو كام Diogo Cão**: مُستكشف ومُستعمر برتغالي، وواحد من أبرز الملاحين في عصر الاكتشاف. قام برحلتين بالإبحار على طول الساحل الغربي لأفريقيا، في ثمانينيات القرن الخامس عشر،

واستكشف نهر الكونغو وسواحل أنغولا وناميبيا الحالية.

(26) **نهر الكونغو The Congo River**: ثاني أطول نهر في أفريقيا، بعد النيل، وثاني أكبر نهر في العالم من حيث حجم تصريف المياه (بعد الأمازون)، وأعمق نهر في العالم بأعماقٍ مقاسة تتجاوز 220 متراً (720 قدماً). يبلغ طول نهر الكونغو - تشامبشي حوالي 4700 كلم (2,920 ميلاً)، ما يجعله تاسع أطول نهر، ويقاس طول نهر الكونغو - إلى جانب نهر لولابا - بـ 4,370 كلم (2,715 ميلاً)، وهو يعبر خط الاستواء مرتين، ويبلغ مجموع مساحة حوض الكونغو حوالي 4 ملايين كلم²، أي 13٪ من مساحة اليابسة الأفريقية بكاملها.

(27) **مارتن بيهام Martin Behaim** (6 أكتوبر 1459 - 29 يوليو 1507م): بحّار وفنان وكوزموغرافي وفلكي وفيلسوف وجغرافي ألماني، ومُستكشف في خدمة الملك جون الثاني. كانت خرائطه مؤثرة في عصر الاكتشاف، وهو أقدم عالم أنتجت مدينة نورمبرغ الإمبراطورية.

(28) **بارثولوميو دياز Bartholomew Diaz** (1450 - 29 مايو 1500م): مُستكشف ومُستعمر برتغالي، ونيل من العائلة الملكية البرتغالية. أبحر حول الطرف الجنوبي من أفريقيا في العام 1488م، ووصل إلى المحيط الهندي من المحيط الأطلسي، وهو أول أوروبي يفعل هذا.

(29) **بيدرو دي كوفيلهام Pedro di Covilham**، ويكتب في بعض الأحيان بيرو دي كوفيلهاو **Pero de Covilhão** (1460 - بعد 1526م)، كان دبلوماسياً ومُستكشفاً برتغالياً، وهو مواطن من كوفيلها، في بيررا. في حياته المبكرة ذهب إلى قشتالة ودخل في خدمة دون خوان دي غوزمان، شقيق إنريك دي غوزمان، دوق المدينة الثانية سيدونيا. وفي وقتٍ لاحق، عندما اندلعت الحرب بين قشتالة والبرتغال، عاد إلى بلده، وعمل أولاً كسائس، ثم كمرافق لألفونسو الخامس البرتغالي وخليفته جون الثاني البرتغالي.

(30) **أفونسو دي بايبا Affonso de Payba** ويكتب أيضاً أفونسو بايبا **Afonso Paiva** (1490 أو 1491م): مُستكشف ومُستعمر برتغالي، كان في خدمة الملك جواو الثاني الذي أرسله في العام 1487م كرفيق لبيدرو دي كوفيلها، في رحلة خفية إلى الشرق، لجمع المعلومات عن الطرق التجارية. توفي أفونسو بالطاعون في مكانٍ ما من إثيوبيا، بعد عامين ونصف العام، دون أن يكون قادراً على إرسال تقارير عن حملته. كان بيدرو دي كوفيلها أكثر حظاً وأكمل المهمة، بالرغم من أنه لم يعد إلى البرتغال.

(31) **سوفالا Sofala**: معروفة في الوقت الحاضر باسم **نوفلا سوفالا**، كانت الميناء البحري الرئيس لمملكة موينموتابا التي كانت عاصمتها في جبل فورا، وهي تقع على ضاحية سوفالا، في مقاطعة سوفالا - الموزامبيق. أسسها تجار أفريقيا والمحيط الهندي المرتبطون بالرياح الموسمية، بما في ذلك التجار السواحيليون والصوماليون والبحارة.



- (32) **جزر القمر Islands of the Moon** أو **كوموروز Comoros**: أرخبيل من الجزر البركانية التي تقع قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا، إلى الشرق من موزامبيق وشمال غرب مدغشقر. وتُعدّ جزيرة بانك دو جيسر وجزر غلوريوسو جزءاً من الأرخبيل.
- (33) **مدغشقر Madagascar**، أو جمهورية مدغشقر، الاسم القديم لها الجمهورية المالاجاشية: هي دولة جزرية في المحيط الهندي قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا، والجزيرة الرئيسة. اسمها أيضاً مدغشقر، وهي رابع أكبر جزيرة في العالم.
- (34) **باجة Beja**: مدينة وبلدية في منطقة أليتيخو - البرتغال.
- (35) **لاميجو Lamejo**: مدينة وبلدية في فيسيو، في منطقة نورتي من دورو، شمال البرتغال. تقع على ضفاف نهر بالسيماو.
- (36) **رأس الرجاء الصالح Cape of Good Hope**: هو رأس صخري على الساحل الأطلسي لشبه جزيرة كيب، جنوب أفريقيا. من المفاهيم الخاطئة الشائعة أن رأس الرجاء الصالح هو الطرف الجنوبي لأفريقيا، وكان هذا الفهم يستند إلى الاعتقاد الخاطئ بأن الرأس كان نقطة الانقسام بين المحيطين الأطلسي والهندي.
- (37) **جون الثاني John II** أو **جواو الثاني João II** (3 مارس 1455 - 25 أكتوبر 1495 م): الأمير المثالي، ملك البرتغال والغارف (1477 / 1481 - 1495 م). وهو معروف بإعادته تأسيس قوة العرش البرتغالي، وتنشيط الاقتصاد البرتغالي، وتجديد استكشاف بلاده لأفريقيا والشرق.
- (38) **مانويل الأول Manuel I** أو **إيمانويل Emmanuel** (31 مايو 1469 - 13 ديسمبر 1521 م): الملقب بالسعيد، ملك البرتغال والغارف، كان ابن فرديناند، دوق فيسيو، من زوجته إنفانتا بياتريس من البرتغال. يرتبط اسمه بفترة حضارة برتغالية تميزت بإنجازات هامة في الشؤون السياسية والفنون. بالرغم من صغر حجمها وعدد سكانها، ومقارنة بالقوى البرية الكبرى في أوروبا، تمكنت البرتغال - خلال عهد مانويل - من الحصول على إمبراطورية في الخارج ذات أبعاد كبيرة، نتيجة اهتمام هذا الملك بحركة الاكتشاف الجغرافي.
- (39) **فاسكو دا جاما Vasco da Gama** (24 ديسمبر 1469 - 24 ديسمبر 1524 م): مُستكشف ومُستعمر برتغالي، وأول أوروبي يصل إلى الهند عن طريق البحر. كانت رحلته الأولى إلى الهند في الفترة من 1497 إلى 1499 م، وهو أول من ربط أوروبا وآسيا بطريق المحيط، وربط بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، وبالتالي ربط بين الغرب والشرق. اكتشاف دا جاما للطريق البحري إلى الهند كان إنجازاً كبيراً، وفتح الطريق أمام عصر الإمبريالية العالمية والبرتغاليين لإنشاء إمبراطورية استعمارية طويلة الأمد في آسيا.
- (40) **سانت هيلانة أو سانت هيلينا Saint Helena** جزيرة تقع في المحيط الأطلسي، تابعة لبريطانيا. سميت نسبة إلى القديسة هيلينا، وتتميز بأنها جزيرة بركانية.
- (41) **موزامبيق Mozambique**: رسمياً جمهورية موزمبيق، وهي دولة في جنوب شرق

أفريقيا، يحدها المحيط الهندي من الشرق، تنزانيا من الشمال، ملاوي وزامبيا من الشمال الغربي، زيمبابوي من الغرب، سوازيلاند وجنوب أفريقيا من الجنوب الغربي، وتفصلها قناة موزامبيق عن مدغشقر من الشرق. عاصمتها وأكبر مدنها هي مابوتو (المعروفة باسم «لورينسو ماركيس» قبل الاستقلال).

(42) جزيرة كيلوا **Quilwa**، وتُعرف بـ **كيلوا كيسيواني Kilwa Kisiwani**: تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا، على المحيط الهندي، وتتبع لجمهورية تنزانيا. يفصل الجزيرة عن بقية الأرض التنزانية مضيقٌ بحريّ عرضه 3 كلم. هاجر العرب إلى مدينة كيلوا منذ العصر الأموي، واستوطنوها وتردّدوا عليها للتجارة بالبضائع بين شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، وخالطوا سكانها الأصليين وتعلّموا لغتهم، ما أدى إلى نشر اللغة العربية التي تحوّرت لاحقاً إلى السواحيلية، وإلى انتشار الدين الإسلامي بين أهل المدينة. ومع توافد العرب المستمر، أخذت المدينة في الازدهار والتطور، وأصبحت من أعظم مرفئ شرق أفريقيا. تم اعتماد كيلوا كيسيواني من قبل اليونسكو، كموقع للتراث العالمي.

(43) مومباسا **Mombasa**: مدينة على ساحل كينيا، وثاني أكبر مدينة في البلاد، بعد العاصمة نيروبي، وهي مركز سياحي إقليمي هام. تقع مومباسا على المحيط الهندي على الساحل الشرقي لكينيا ومقاطعة مومباسا ومقاطعة الساحل السابقة، ما جعلها مركزاً تجارياً تاريخياً، ولقد خضعت لسيطرة العديد من البلدان، بسبب موقعها الاستراتيجي.

(44) ميليندي **Melinde**، وليس كما ذكرها المؤلف (Melinda)، وتسمى أيضاً ماليندي **Malindi**: مدينة كينية تقع في خليج ميليندي، على مصب نهر غالانا، على ساحل المحيط الهندي، وهي عاصمة منطقة ميليندي، وتقع على بعد 120 كلم من مومباسا.

(45) ماليمو كانا **Malemo Cana**: هو اسم الملاح المسلم الذي ساعد فاسكو دا غاما للوصول إلى الهند، بدءاً من ميليندي، وعاش بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

(46) جوزيرات **Guzerat**، أو غوجارات **Gujarat**: ولاية في غرب الهند، تبلغ مساحتها 196,024 كلم<sup>2</sup> (75,685 ميلاً مربعاً) مع خط ساحلي يبلغ طوله 1,600 كلم (990 ميلاً)، ومعظمها يقع في شبه جزيرة كاثياوار. تحدها ولاية راجستان من الشمال، ماهاراشترا من الجنوب، ماديا براديش من الشرق، وبحر العرب ومقاطعة السند الباكستانية من الغرب. عاصمتها غانديناغار، في حين أن أكبر مدنها هي أحمد آباد. غوجارات هي المكان الأصلي للشعب الناطق باللغة الغوجاراتية في الهند.

(47) ساموثيري الكاليكوتي **Zamorin of Calicut**: هو زامورين كاليكوت. الزامورين هو اللقب الملكي الوراثي الذي استخدمه حكام الهند في مملكة القرون الوسطى (كوزيه كود أو كاليكوت)، على ساحل مالابار (كيرالا حالياً)، وهي واحدة من المراكز

التجارية الأكثر أهميةً في جنوب الهند.

(48) **جيرولامو بريولي Girolamo Priuli** (1476-1547م): نبيل ومؤرخ فينيسي، تجنّب مسؤوليات الحياة العامة، لكنه احتفظ بمذكراتٍ شخصية مفصلة: يوميات جيرولامو بريولي هي من المصادر الخاصة الأولية لتاريخ جمهورية البندقية، خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر، العصر الذهبي للبندقية.

(49) **بيدرو ألفاريز كابرال Pedro Álvarez Cabral** (1467 أو 1468-1520م): نبيل برتغالي، وقائد عسكري وملاح ومُستعمر ومُستكشف، يعتبر مكتشف البرازيل. قام كابرال بأول استكشافٍ كبير للساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الجنوبية، وادعى ملكيته باسم البرتغال، في حين أن تفاصيل حياة كابرال المبكرة غير واضحة، والمعروف فقط أنه جاء من عائلة نبيلة، وحصل على تعليم جيد. تمّ تعيينه لرئاسة بعثةٍ استكشافيةٍ إلى الهند، في العام 1500م، في أعقاب طريقٍ فاسكو دا غاما الذي افتتحه حول أفريقيا؛ وكان الهدف من الرحلة العودة بالتوابل القيّمة، وإنشاء علاقاتٍ تجارية في الهند، لتجاوز احتكار تجارة التوابل التي كانت في أيدي التجار العرب والترك والإيطاليين. يعتبر كابرال أول قبطان يلمس أربع قارات، ما أدى إلى الحملة الأولى التي وُحِدت أوروبا وأفريقيا وأمريكا وآسيا.

(50) **سانتا كروز Santa Cruz**: مدينة على ساحل وسط كاليفورنيا. قبل وصول الجنود الإسبان والمبشرين والمستعمرين، في أواخر القرن الثامن عشر، كانت مقاطعة سانتا كروز موطناً للأواسواس الأصليين؛ في حين غالباً ما تُستخدم سانتا كروز لوصف السكان الأصليين في المنطقة، وهو اسمٌ معمّم للجماعات المتنوعة الكثيرة التي عاشت في المنطقة الممتدة من سان فرانسيسكو إلى خليج مونتييري. وفي وقتٍ سابق، كان يشار إلى هذه القبائل المتنوعة والعديدة في هذه المنطقة قبل الإسبان بـ «ككواستانوان».

(51) **فيستي يانيز بينزون Vicente Yanez Pinzon** (1462-1514م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إسباني، شارك في اكتشاف أمريكا، وهو أول الملاحين الأوروبيين الذين وصلوا إلى البرازيل، والأصغر سناً من بين الإخوة بينزون. أبحر مع كريستوفر كولومبوس في رحلته الأولى إلى العالم الجديد، في العام 1492م، كما كان قبطان المركب الشراعي النينا. اكتشف سواحل الطرف الشمالي من البرازيل، في كانون الثاني 1500م، قبل ثلاثة أشهر من وصول بيدرو ألفاريز كابرال إليها.

(52) **جزيرة أسينشون Ascension Island**، أو جزيرة الصعود: جزيرة بركانية معزولة،  $7^{\circ} 56'$  جنوب خط الاستواء في جنوب المحيط الأطلسي. تبعد حوالي 1600 كلم عن ساحل أفريقيا، و 2250 كلم (1,400 ميل) عن ساحل البرازيل، وهي في منتصف الطريق تقريباً

بين قرن أمريكا الجنوبية وأفريقيا.

(53) جزر سيشيل **Seychelles**: رسمياً جمهورية سيشيل، وهي أرخبيل وبلد في المحيط الهندي. دولة واقعة في 115 جزيرة، عاصمتها فيكتوريا، وتقع على بعد 1500 كلم شرق البرّ الرئيس لشرق أفريقيا.

(54) جزر تريستان دا كونا **Tristan da Cunha**: مجموعة أرخبيلات من الجزر البعيدة في جنوب المحيط الأطلسي، تبعد 2816 كلم (1750 ميلاً) عن جنوب أفريقيا، و3360 كلم (2088 ميلاً) عن أمريكا الجنوبية، وتعتبر هذه الجزر تابعة لإقليم ما وراء البحار سانت هيلينا البريطانية، والتي تبعد عنها 2173 كلم (1350 ميلاً) إلى الشمال، ويتكون الإقليم من الجزيرة الرئيسة التي سميت تريستان دا كونا، ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 27, 11 كلم (7,00 ميل).

(55) فرانسيسكو دي ألميدا **Francisco de Almeida**، المعروف أيضاً باسم «فرانسيسكو العظيم» (1450-1 مارس 1510م): نبيل وجندي ومُستعمر ومُستكشف برتغالي، ميز نفسه كمستشارٍ للملك يوحنا الثاني، أثناء الحروب ضد المغاربة وفتح غرناطة في العام 1492م. في العام 1505م، تمّ تعيينه أول حاكم ونائب للملك في ولاية الهند البرتغالية. يرجع الفضل إلى ألميدا في تكريس الهيمنة البرتغالية في المحيط الهندي، مع انتصاره في معركة ديو البحرية العام 1509م. قبل أن يعود ألميدا إلى البرتغال، فقد حياته في العام 1510م، كما قتل ابنه لورينسو دي ألميدا في فراكاس، من قبل السكان المحليين.

(56) أفونسو دي ألبوكيرك **Afonso de Albuquerque**، وينطق اسمه أحياناً ألفونصو (1453 - 16 ديسمبر 1515م): جنرال ومُستعمر برتغالي، ملقب بـ «الفتاح الكبير»؛ رجل دولة، وباني الإمبراطورية. قدّم أفونسو الخطة البرتغالية الكبرى الثلاثية لمكافحة الإسلام ونشر المسيحية وتأمين تجارة التوابل، من خلال تأسيس إمبراطورية آسيوية برتغالية. من إنجازاته أنه كان أول أوروبي من عصر النهضة يعبر الخليج العربي، ويقود أول رحلة من قبل أسطول أوروبي في البحر الأحمر. تعتبر أعماله العسكرية والإدارية عموماً من بين أكثر الأعمال حيوية لبناء وتأمين الإمبراطورية البرتغالية في الشرق، والشرق الأوسط، وطرق التوابل بأوقيانوسا الشرقية.

(57) سلطنة ملقا **Malacca**: سلطنة ملاوية، بات مركزها يعرف بـ ملقا، ماليزيا، تأسست في العام 1400م تقريباً، من قبل السلطان باراميسوارا الذي كان يعرف أيضاً باسم إسكندر شاه.

(58) سليم الأول **Selim I** (1470-1520م): من سلاطين الإمبراطورية العثمانية، من 1512 إلى 1520م. تميّز حكمه بالتوسع الهائل في الإمبراطورية، ولا سيما غزوه السلطنة المملوكية بكاملها، بين العامين 1516م و 1517م، بما في ذلك بلاد الشام والحجاز وتهامة ومصر نفسها. عشية وفاته العام 1520م، امتدت الإمبراطورية العثمانية حوالي 576,900 ميل مربع (1,494,000 كلم<sup>2</sup>)، بعدما نمت بنسبة سبعين في المائة خلال حكمه.

- (59) فرناندو ماجلان : بالبرتغالية **Fernão de Magalhães** بالإسبانية **Fernando de Magallanes** (واردة في النص **Magellan**) (1480م تقريباً-27 أبريل 1521م): رحالة ومؤستكشف برتغالي، ولد في سبروزا، شمال البرتغال، ثم حصل بعد ذلك على الهوية الإسبانية، نتيجة خدمته الملك الإسباني كارلوس الخامس في الإبحار غرباً، بحثاً عن طريق إلى جزر التوابل، وهي جزر الملوك في إندونيسيا.
- (60) البابا ألكسندر السادس **Alexander VI** (1 يناير 1431-18 أغسطس 1503م): كان البابا من 11 أغسطس 1492م حتى وفاته، وهو أحد الباباوات الأكثر إثارة للجدل في عصر النهضة، ويرجع ذلك إلى اعترافه بأنه أبٌ للعديد من الأبناء، من عشيقته.
- (61) جزر الأزور **Azores**: رسمياً تعتبر أزور من المناطق المتمتعة بالحكم الذاتي في البرتغال، وهي أرخبيل يتكون من تسع جزر بركانية في شمال المحيط الأطلنطي، على بعد 1360 كلم غرب البرتغال القارية، وحوالي 1,643 كلم (1,021 ميلاً) غرب لشبونة، في البرتغال القارية، ويبعد حوالي 1507 كلم (936 ميلاً) من الساحل الأفريقي، وحوالي 1,925 كلم (1,196 ميلاً) جنوب شرق نيو فاوند لاند- كندا.
- (62) بطليوس **Badajos** أو باداخوز **Badajoz**: عاصمة مقاطعة باداخوز، في الحكم الذاتي من إكستريمادورا- إسبانيا، وتقع بالقرب من الحدود البرتغالية، على الضفة اليسرى لنهر غواديانا.
- (63) تشارلز الخامس **Charles V** (24 فبراير 1500- 21 سبتمبر 1558م): كان حاكماً للإمبراطورية الإسبانية، جَمَعَ تحت حكمه أراضي واسعة في غرب ووسط وجنوب أوروبا، والمستعمرات الإسبانية في الأمريكيتين وآسيا؛ ونتيجة لذلك، امتدت مجالاته إلى ما يشمل أربعة ملايين كلم<sup>2</sup>، وكان أول من وصفها بأنها «الإمبراطورية التي لا تحدّها الشمس أبداً».
- (64) فيليب الثاني **Philip II** (21 مايو 1527- 13 سبتمبر 1598م): أطلق عليه اسم «الحكيم». كان ملك إسبانيا في الفترة من 1556 إلى 1598م، وشملت إمبراطوريته الأراضي في كل قارة، بما في ذلك تلك المسماة على اسمه الفيليبين. خلال فترة حكمه، وصلت إسبانيا إلى ذروة نفوذها وقوتها، ويسمى عصره هذا أحياناً بالعصر الذهبي، وقد صيغ التعبير القائل: «الإمبراطورية التي لا تحدّها الشمس أبداً» خلال زمن حكم فيليب، ليعكس مدى هيمنته.

## الفصل السابع

---

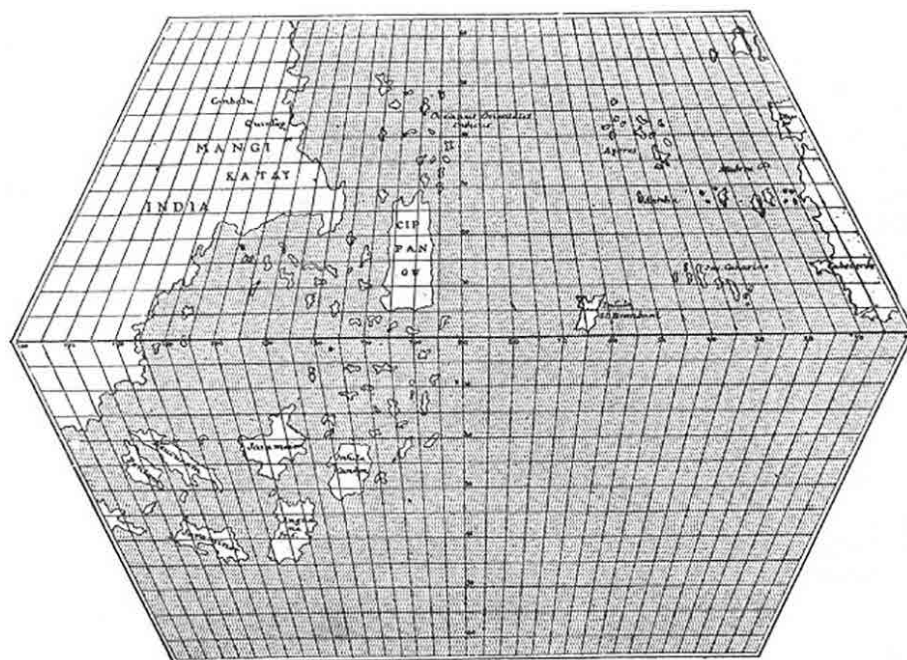
إلى جزر الهند غرباً - الطريق الإسبانية  
كولومبوس وماجلان



في حين كرس البرتغاليون - بثباتٍ بطيء - ما يقرب من قرنٍ لتنفيذ فكرة الأمير هنري للوصول إلى جزر الهند بالطريق الشرقي، فإن فكرةً بسيطة، لكنها جريئة، استولى عليها بحارٌ جنوي، كان يهدف إلى تحقيق الغرض نفسه بالإبحار غرباً. وكما رأينا، كان القدماء قد اعترفوا بتكوّر جسم الأرض، وكان (إراتوستينيس) قد اعترف بإمكانية الوصول إلى الهند عن طريق الإبحار غرباً، لكن بعض التقاليد المعيّنة لليونانيين والإيرلنديين وضعت الجزر الغامضة بعيداً إلى الغرب في المحيط الأطلسي، وكان الفيلسوف العظيم (أفلاطون Plato)<sup>(1)</sup> قد تخيّل بلاداً اسمها (أطلنطس Atlantis)<sup>(2)</sup>، بعيداً في المحيط الهندي، حيثما تجهز الرجال مع كل الهدايا من الطبيعة. آراء القدماء هذه جذبت الأنظار وأثارت انتباه المتعلمين، إثر اختراع الطباعة وإحياء العلوم، عندما بدأت الروائع اليونانية التي يمكن الوصول إليها باللغة اللاتينية بالظهور، وبصورة رئيسة من قبل الإغريق الهاربين من القسطنطينية التي استولى عليها الأتراك في العام (1453 ميلادي)؛ ولقد طُبعت جغرافية (بطليموس) في روما في العام (1462 ميلادي)، ومع الخرائط في العام (1478 ميلادي). ولكن حتى من دون خرائط، فإن الحساب الذي كان قد أدلى به عن طول العالم المعروف، يميل إلى تقصير المسافة بين البرتغال وأقصى الهند بحوالي (2500 ميلاً). ومنذ ذلك الوقت، أضافت رحلات ماركو بولو إلى أوروبا معرفة المدى الواسع من (كاثاي) والجزر البعيدة من زيبانغو (اليابان)، ما من شأنه أن يُقلّل المسافة مرة ثانية بـ (1500 ميل). كما كان لدى الجغرافيين اليونانيين - إلى حدٍّ ما - اعتقادٌ غير كافٍ عن



كانت هذه هي الفكرة التي سيطرت على عقل كريستوفر كولومبوس الذي ولد في جنوة، العام (1446 ميلادي)، من أبوين متواضعين، وكان والده يعمل حائكاً. ويبدو أنه قد حصل على المعرفة الكافية التي تُمكنه من دراسة أعمال السابقين والقدماء في الترجمات اللاتينية. لكنه، في سنواته الأولى، كرّس اهتمامه للحصول على المعرفة العملية في الملاحة



## خريطة توسكانيلى (المُرَمَّة)

البحرية. وفي عصره، كما سبق أن رأينا، كانت البرتغال مركزاً للمعرفة الجغرافية، وكان هو وشقيقه (بارتولوميو Bartolomeo)<sup>(3)</sup>، وبعد رحلات عدة إلى الشمال والجنوب، قد استقرا أخيراً في (لشبونة Lisbon)<sup>(4)</sup>، شقيقه كصانع للخرائط، وهو كبّحارٍ عمليّ. وكان ذلك حوالي العام (1473 ميلادي)، وبعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ تزوّج من ابنة الحاكم المحليّ (فيليبا مونيز Felipa Moñiz)<sup>(5)</sup> ابنة (بارتولوميو بيرستريلو Bartolomeo Perestrello)<sup>(6)</sup>، وهو إيطالي في خدمة ملك البرتغال، وكان لبعض الوقت محافظاً لمدينة ماديرا.

في تلك الأثناء، صودف أن انتشرت شائعةٌ في البرتغال، مفادها أنّ فيلسوفاً إيطالياً، اسمه (توسكانييلي Toscanelli)<sup>(7)</sup>، قد طرح وجهات نظره الخاصة بإمكانية القيام برحلة بحريةٍ غربيةٍ إلى كاثاي، أو الصين؛ وكان الملك البرتغالي، خلال ذلك، قد عيّن الراهب (مارتينيز Martinez)<sup>(8)</sup>، وخصّصه لمعرفة وجهات النظر التي طرحها توسكانييلي، والتي أعطيت في رسالة مؤرخة بتاريخ 25 يونيو/ حزيران (1474 ميلادي). ويبدو أنّ كولومبوس، وبشكل مستقل تماماً، قد سمع كولومبوس بهذه الشائعة، وتقدّم إلى توسكانييلي، في ردّه على رسالته كرجل أعمالٍ جيد، حيث اختصر جوابه بإعطائه نسخةً من الرسالة التي كان قد كتبها لمارتينيز مؤخراً، والتي كانت أكثر أهميةً وأكثر فائدةً. أرسل توسكانييلي عرضاً لخريطة تُظهر ساعات (أو درجات) المسافة المحتملة بين إسبانيا وكاثاي غرباً، مع إضافة المعلومات التي قدّمها ماركو بولو عن وجهات النظر غير الصحيحة لبطليموس حول اتساع العالم المسكون، فخفض توسكانييلي المسافة من جزر الأزور إلى 52°، أو (3120 ميلاً). وغالباً ما أعرب كولومبوس عن امتنانه لخريطة توسكانييلي ولحسن توجيهها؛ وكما سنرى، فلقد اعتمد عليها بشكل وثيقٍ للغاية، سواء في القيادة، أم في تقدير المسافة التي يتعيّن عليه اجتيازها. وللأسف فقدت هذه الخريطة،

غير أنه - مع قائمة المواقع الجغرافية، ومع خطوط الطول والعرض التي تأسست عليها - فإن الجغرافيين الحديثين قادرون على استعادتها في بعض التفاصيل، وقد أمكن إدراج رسم مُبَسَّط لها هنا، كأعظم وثيقة هامة في مسيرة كولومبوس.

بالتأكيد، سواء أكانت لديه فكرة الوصول إلى الهند عن طريق الرحلة غرباً أم لا، فهو على كل حال قد تبنى وجهات نظر لتوسكانييلي بكل حماسة، وكرّس حياته كلها منذ تلك المرحلة فصاعداً لمحاولة تحملها في هذه العملية.

قام كولومبوس بجمع كل المعلومات التي يمكنه أن يحصل عليها حول الجزر الأسطورية في المحيط الأطلسي، وجزيرة القديس (براندن Brandan)<sup>(9)</sup>، حيث وجد القديس الإيرلندي أن جميع الموتى سعداء، وجزيرة (أنتيلا Antilla)<sup>(10)</sup> المتخيّلة من قبل الآخرين، بمدنها السبع، فجَمَعَ كل القيل والقال مما كان يسمعه عن الجثث الغامضة المطروحة أرضاً على جزر الكناري، وعن جنسٍ من الرجال غير المعروفين لأوروبا، من خلال قصبة خيزران ضخمة وُجدت على شواطئ الجزر ذاتها، ومن الواضح أنه قد تمّ نحتها من قبل رجالٍ مهرة. وما يبعث على الغرابة هو أن هذه القطع كانت من الأدلة التي تقابل بشكلٍ منطقيّ كينونة وجود طريقٍ غربيٍّ إلى جزر الهند من عدمه، لأنّها تشير إلى وجود جنسٍ غير معروف. ولكن، بالنسبة إلى عقلٍ متحمّسٍ مثل كولومبوس، فإن أيّ شيءٍ سوف يساعده في تأكيد فكرته الثابتة، وبالتالي، يستطيع دائماً الإجابة بأن هذه العلامات المادية كانت من الجزيرة المجهولة «زيانغو» التي كان ماركو بولو قد وصفها قائلاً أنّها تقع على مسافةٍ من شواطئ كاثاي.

قام كولومبوس أولاً بالتقرب من الملك البرتغالي الذي كان يقيم في أرضه، والذي كانت سياسته التقليدية موجهةً إلى الاستكشاف البحريّ. لكن الملك البرتغالي كان - على مدى نصف قرن - قد اتّبع طريقةً أخرى

للولصول إلى الهند، وكان لا يميل إلى تناول فكرة مبتكرة من شخص غريب، من شأنه أن يغير من استمرار سياستهم القائمة منذ فترة طويلة على الإبحار بمحاذاة السواحل السفلية لأفريقيا. في أية حال، أعطيت له جلسة استماع، لكن التقرير كان غير مناسب، وكان لا بدّ لكولومبوس من تحويل أنظاره إلى مكانٍ آخر. كان ثمة تقليدٌ بأنّ العاهل البرتغالي ومستشاريه يعتقدون أنّ لديهم المزيد من الأفكار، أكثر مما يملك كولومبوس في البداية، وحاولوا سرّاً وضعها موضع التنفيذ، لكن الرُّبَّان الذي عهدوا إليه بقيادة الرحلة المقترحة فقدّ شجاعته، بمجرد أن توارت الأرض عن أنظاره، وعاد بحكم سلبيّ على مخطط الرحلة. ومن غير المعروف ما إذا كان هذا الأمر قد تسبّب في إحباط كولومبوس، حين سمع به، لكننا نجده في العام (1487 ميلادي) يحاول الحصول على المساعدة من البلاط الإسباني، ومنذ ذلك الوقت، وعلى مدى السنوات الخمس التالية، كان منهمكاً في محاولته حتّى الملك الكاثوليكي في إسبانيا، (فرديناند Ferdinand)<sup>(11)</sup> و(إيزابيلا Isabella)<sup>(12)</sup>، السّماح له بتنفيذ خطته المبتكرة للوصول إلى جزر الهند؛ لكنّ العمليات النهائية لطرد المغاربة من إسبانيا كانت قد استحوذت على كلّ اهتمامهم الإسبان واستهلكت جميع رؤوس أموالهم، فعاد كولومبوس من جديد إلى الشعور باليأس، وكان على وشك التخلّي عن كلّ أمل بالنجاح في إسبانيا، عندما قدّم أحد الممولين الكبار، وهو يهودي تحوّل إلى المسيحية، يدعى (لويس دي سانتاغول Luis de Santaguel)<sup>(13)</sup>، عرضاً لإيجاد وسائل للرحلة، فتمّ استدعاء كولومبوس.

في التاسع عشر من أبريل/ نيسان (1492 ميلادي)، تمّ توقيع البنود التي استلمها كولومبوس من الملوك الإسبان، وسندات ملكية الأدميرال ونائب الملك لجميع الأراضي التي قد تُكتشف، وكذلك حقّهم بالعُشر من الجزية التي تُجنى منها. ويوم الجمعة في الثالث من أغسطس/

على العودة، لكنه أقنعهم بالاستمرار. وبعد أربعة أيام سُمِعَتْ صيحةٌ تقول: «اليابسة.. اليابسة!» أبقت الجميع في حالةٍ معنويةٍ مرتفعةٍ لأيامٍ عدَّة؛ وفي الأول من أكتوبر/ تشرين الأول، شوَّهت أعدادٌ كبيرةٌ من الطيور. خلال ذلك الوقت، كان كولومبوس قد حسب أنه قطع مسافة (710 فرسخاً) من جزر الكناري؛ وإذا كانت زيبانغو تقع في ذلك الموقع الذي أشارت إليه خريطة توسكانيلى، فإنه يجب أن يكون قريباً منها، إذ كان يُحسب في تلك الأيام أنه يمكن للسفينة أن تقطع أربع عُقَد في

على العودة، لكنه أقنعهم بالاستمرار. وبعد أربعة أيام سُمِعَتْ صيحةٌ تقول: «اليابسة.. اليابسة!» أبقت الجميع في حالةٍ معنويةٍ مرتفعةٍ لأيامٍ عدَّة؛ وفي الأول من أكتوبر/ تشرين الأول، شوَّهت أعدادٌ كبيرةٌ من الطيور. خلال ذلك الوقت، كان كولومبوس قد حسب أنه قطع مسافة (710 فرسخاً) من جزر الكناري؛ وإذا كانت زيبانغو تقع في ذلك الموقع الذي أشارت إليه خريطة توسكانيلى، فإنه يجب أن يكون قريباً منها، إذ كان يُحسب في تلك الأيام أنه يمكن للسفينة أن تقطع أربع عُقَد في

الساعة، في المتوسط، وكحسابٍ تقديريٍّ، ما من شأنه أن يعطي مسافة حوالي (100 ميل) في اليوم، وبالتالي فإن كولومبوس اعتقد أنه تجاوز أكثر من (3100 ميل) التي كان يظن أنها المسافة الواقعة بين جزر الأزور واليابان؛ والمقدّرة بحوالي ثلاثة وثلاثين يوماً. الأيام الأولى من أكتوبر جعلت كولومبوس يحتفظ بشجاعته أكثر، مع رؤيته الإشارات المختلفة التي تدلّ على اقترابه من اليابسة، وهي الطيور البرية وفروع الأشجار، بينما - في الحادي عشر من أكتوبر / تشرين الأول - وعند غروب الشمس، بدؤوا بقياس العمق، ووجدوا القاع؛ وعند الساعة العاشرة، كان كولومبوس يجلس في مؤخرة سفينته حين رأى نوراً، وهي أول إشارة مؤكدة على قرب اليابسة، بعد خمسة وثلاثين يوماً، وبصورة تقريبية توازي تقديرات كولومبوس الذي تأكد له انطباع بأنه كان يقترب من الأرض الغامضة زيبانغو. صباح اليوم التالي، هبطوا على جزيرة سُمّيت من قبل مواطنيها باسم (غواناهين Guanahain)، وأطلق عليها كولومبوس اسم (سان سلفادور San Salvador)<sup>(16)</sup>، وقد جرت تسميتها لاحقاً بجزيرة (واتلينغ Watling)، وكان أول استفسار له هو عن مصدر تلك الصفائح الذهبية الصغيرة التي رآها في آذان المواطنين، فأجابوه بأنهم جلبوها من الغرب، وهنا تأكد له انطباع آخر، وهو الإبحار باتجاه الغرب، فوصلوا إلى (كوبا Cuba)<sup>(17)</sup>، وبعد ذلك حلّوا في (هايتي Hayti)<sup>(18)</sup> (سانت دومينغو St.Domingo) ... لكن السفينة (سانتا ماريا) غرقت، وصمّم كولومبوس على العودة، لينقل الأخبار الجيدة، بعدما ترك بعض رجاله داخل حصن في هايتي، وجعلت رحلة العودة في السفينة (نينا) بأقصر وقت حتى جزر الأزور، ولكن بعد ذلك ظهرت العواصف الشديدة؛ وفي الخامس عشر من مارس / آذار من العام (1493 ميلادي)، كان كولومبوس قد وصل إلى ميناء (بالوس)، بعد غياب دام سبعة أشهر ونصف الشهر، حيث كان الجميع يعتقدون أنه وسفنه قد اختفوا.



بطبيعة الحال، جرى استقباله بحماسة كبيرة من قبل الإسبان، وبعد دخوله بشكل رسمي إلى (برشلونة)، قدّم لفرديناند وإيزابيلا خزائن الذهب والتحف التي جلبها معه من بعض مواطني تلك الجزر التي زارها.. ومن هنا بدؤوا على الفور بتجهيز أسطول أكبر بكثير، يتكوّن من سبع سفن بدأت رحلتها من ميناء (كاديّز Cadiz)<sup>(19)</sup>، في الخامس والعشرين من سبتمبر/ أيلول العام (1493 ميلادي)، وأخذت مساراً أبعد باتجاه الجنوب، ولكن كولومبوس وصل مرة أخرى إلى الجزر التي تُعرف حالياً باسم جزر الهند الغربية. وأثناء زيارته هايتي، وجد أنّ الحصن الذي تركه قد جرى تدميره، ولا وجود لأي أثر لرجال الذين تركهم فيه. هنا نجد أنه من غير المجدي أن نسهب في سرد تلك المشاهدات البائسة التي وقعت بسبب هذه الحادثة ورحلات كولومبوس اللاحقة، والتي أدت لعودته إلى إسبانيا مهاناً ومكبلاً بالسلاسل، والأجدي بنا فقط أن نقول: إنّه في رحلته الثالثة، في العام (1498 ميلادي)- مرّ على (ترينيداد Trinidad)<sup>(20)</sup>، وشاهد سواحل أمريكا الجنوبية التي كان من المفترض أن تكون منطقة الجنة الأرضية، والتي كانت قد وُضعت بخرائط العصور الوسطى في أقصى الشرق من العالم القديم. وفي رحلته الرابعة، العام (1502 ميلادي)، رسا على البرّ الرئيس، وأبحر بمحاذاة الساحل على طول شواطئ أمريكا الوسطى، بالقرب من (بنما Panama)<sup>(21)</sup>. وبعد الكثير من خيبات الأمل، مات كولومبوس في 20 مايو/ أيار (1506 ميلادي)، في بلدة (فالدوليد Valladolid)<sup>(22)</sup>، مُعتقداً، بقدر ما يمكننا الحكم على ذلك حتى يوم وفاته، أنّ ما اكتشفه هو كان الطريق الغربي إلى الهند، بالرغم من أن شاهد قبره الفاخر يشير إلى العكس من ذلك :

«إلى قشتالة وإلى ليون»

«كولون (\*) قدّم عالماً جديداً»

(\*) كان الاسم الإسباني لـ «كولومبوس» هو «كريستوفال كولون» (المؤلف).

حتى ذلك اليوم، يبدو خطؤه الذي احتفظ به كشيءٍ مُقدَّسٍ في الاسم الذي أعطيناه لجزر الأنتيل الواقعة باتجاه الريح، بأنها هي (جزر الهند الغربية)، وبكلماتٍ أخرى: فإنَّ الجزر التي وصلوا إليها بالطريق المتجه غرباً، لم تكن جزر الهند، في كلِّ الأحوال، بل كانت تقع في أقصى الشرق منها.

حتى ولو كان كولومبوس قد اكتشف طريقاً جديداً إلى الهند البعيدة، فهو لا يستطيع - كما مرَّ ذكره، أن يدَّعي أيَّ حقٍّ له في أنَّه أول من بدأ هذه الفكرة، حتى في التفاصيل، والتي كان قد اتخذها من توسكانييلي. لكنَّ دعواه الحقيقية هي في كونه أعظم وأول من تجاسر على عبور البحار المجهولة دون أن يبحر بالملاحة الساحلية بمحاذاة اليابسة، وكانت سابقة هذه هي السبب المباشر لجميع الاكتشافات الرائعة التي تلت رحلاته السابقة. كما رأينا، فإنَّ كلاً من فاسكو دا جاما وكابرال قد ابتعدا عن الطريق الساحلي البطيء، وكانوا بتلك الوسائل قادرين، بنحوٍ كامل، على تنفيذ أفكار الأمير هنري. ولكن، بينما استغرقت الطريقة البرتغالية، بالإبحار بمحاذاة الساحل، ما يقرب من قرنٍ للوصول إلى رأس الرجاء الصالح، فإنَّها احتاجت ثلاثين عاماً من مغامرة كولومبوس الأولى للإبحار حول العالم كله.

كان الهدف الأول لخلفائه هو التأكيد بمزيدٍ من الوضوح مما إذا كان كولومبوس قد اكتشفه. فمباشرةً بعد رحلة كولومبوس الثالثة، في العام (1498 ميلادي)، وبعد أنباء عن مرور فاسكو دا غاما الناجح إلى جزر الهند، بات من الضروري اكتشاف مضيِّقٍ ما يقود من «جزر الهند الغربية» إلى الهند نفسها، فقام رجلٌ إسبانيٌّ نبيل، اسمه (أوخيدا Hojeda)<sup>(23)</sup>، كان قد جهَّز حملةً على نفقته الخاصة، ومعه مُرشدٌ إيطاليٌّ يدعى (أمريكو فسبوتشي Amerigo Vespucci)<sup>(24)</sup>، للإبحار على متن السفينة، وحاول مرةً أخرى العثور على مضيِّقٍ يؤدِّي إلى الهند قرب (ترينيداد). بطبيعة الحال



لم ينجحاً، لكنهما أبحرا على طول الساحل، وهبطا على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، ونتيجة بعض التشابه، أسماه بـ (ليتل فينيس Little Venice) (فنزويلا Venezuela)<sup>(25)</sup>. وفي العام التالي، كما رأينا، ومتابعة لفاسكو دا جاما، عثر كابرال على البرازيل، والتي انتهت إلى أن تكون ضمن «دائرة النفوذ» البرتغالي، على النحو الذي حدّده خط ترسيم الحدود.

ولكن، بعد الأشهر الثلاثة السابقة لرسوّ كابرال على ساحل البرازيل، كان أحد رفاق كولومبوس في رحلته الأولى، وهو (فيسنت يانيز بينزون)، قد رَسا على ساحل البرازيل، ثماني درجات إلى الجنوب من الخط، ومن هناك شقّ طريقه باتجاه الشمال، سعياً إلى الحصول على الممرّ الذي من شأنه أن يؤدّي إلى جزر الهند الغربية، فاكشف مصب نهر (الأمازون Amazon)<sup>(26)</sup>، لكنه فقد اثنتين من سفنه، وعاد إلى ميناء بالوس الذي وصله في سبتمبر من العام (1500 ميلادي).

خلق اكتشاف قارة مجهولة وغير معروفة حتى الآن جنوب الخط اهتماماً كبيراً. وبعد فترة وجيزة من عودة كابرال، أرسل أمريكو فُسبوتشي في العام (1501 ميلادي) من قبل ملك البرتغال، كُرْبَان للأسطول الذي وجب عليه استكشاف الأراضي الجديدة التي اكتشفها كابرال، ومطالبتها باسم التاج البرتغالي، وكانت تعليماته التأكيد من مقدار ما كان يقع ضمن خط ترسيم الحدود. وصل فُسبوتشي إلى الساحل البرازيلي في (كيب سانت روكي Cape St.Roque)<sup>(27)</sup>، ثم استكشفه كلّ بدقّة، وصولاً إلى نهر (لابلاتا La Plata)<sup>(28)</sup> الذي كان يقع بعيداً جداً لأن يكون ضمن المجال البرتغالي. اندفع أمريكو ورفاقه نحو الجنوب الشرقي، حتى وصلوا إلى جزيرة (سانت جورجيا St.Georgia)<sup>(29)</sup>، (1200 ميلاً) إلى الشرق من الرأس (كيب هورن Cape Horn)<sup>(30)</sup>، حيث اقتادتهما البرودة والجليد العائم إلى الوراء، فعادوا إلى لشبونة، بعد أن ذهبوا أبعد ما يكون جنوباً، وفقاً لعصرهم.



أمريكو فسبوتشي

رحلة أمريكو هذه أَلقت ضوءاً جديداً على طبيعة هذا الاكتشاف الذي أدلى به كولومبوس، فبينما كان يعتقد أنه قد اكتشف طريقاً إلى الهند، ووصل إلى أبعد من الهند، أظهر أميركو ورفاقه وجود أرضٍ لم تكن معروفةً، تداخلت بين اكتشافات كولومبوس وجزر التوابل المطلوبة منذ فترةٍ طويلة، على أبعد من الهند. في وصف اكتشافاته، يقول أمريكو أنهم غامروا إلى حدٍّ أوحى بأنهم

شكلوا عالماً جديداً. كما أشار بروفيسور ألماني، يُدعى (مارتن والديمولر Martin Waldseemüller)<sup>(31)</sup>، الذي كتب مقدمةً لعلم أوصاف الكون في العام (1506 ميلادي)، تضمّنت تقريراً لاكتشافات أمريكو، إلى أنّ هذا العالم الجديد ينبغي أن يُسمّى من بعده بـ (أمريكا AMERICA)، بعد مماثلته بآسيا وأفريقيا وأوروبا. ولفترةٍ طويلة، كانت القارة التي نعرفها اليوم باسم أمريكا الجنوبية، تُسمّى - ببساطة - بالعالم الجديد، وكان من المفترض أن تُضمَّ إلى الساحل الشرقي لآسيا. في بعض الأحيان، استعمل اسم أمريكا بشكل غير مناسبٍ تماماً، منذ أن كانت رحلة أمريكو التي ترسخت قطعاً في تلك الأراضي الجديدة التي تمَّ اكتشافها في الواقع بواسطة الطريق الغربي. وعندما جرى التأكيد كذلك من أنّ ارتباط هذه الأرض الجديدة لم يكن بآسيا، ولكن بقارةٍ أخرى كبيرة مثلها، تميّزت كلتا الأرضين الجديدتين بأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.

في أية حال، كان قد اتضح من اكتشاف أمريكو أن الطريق غرباً إلى جزر التوابل يجب أن يكون من خلال، أو الدوران حول هذا العالم الجديد الذي اكتشفه رجلٌ برتغاليّ نبيل، اسمه فرناندو ماجلان، كان مقدراً له اكتشاف العملية الممكنة لهذا الطريق، وكان قد خدم في موطنه الأم تحت القائد (ألميدا) والنبيل (ألبوكيرك)، في جزر الهند الشرقية، وكان حاضراً عندما تم الاستيلاء على (ملقا) في العام (1511 ميلادي). ومن ذلك الميناء، بُعث من قبل ألبوكيرك بثلاث سفن، لزيارة جزر التوابل المشهورة البعيدة، فقاموا بزيارة جزيرة أمبويانا وجزر (باندا Banda)<sup>(32)</sup>، وتعلّموا ما يكفي عن وفرة ورخص التوابل في الجزر، وأدركوا أهميتها. ولكن، تحت إشراف ألبوكيرك الذي أرسلهم كبعثة استكشافية فقط، وعادوا إليه تاركينها وراءهم، على أية حال، كان واحدٌ من أعظم أصدقاء ماجلان، هو (فرانيسكو سيرّاو Francisco Serrao)<sup>(33)</sup> الذي استقرّ في جزيرة تيرنيت، يقوم من وقتٍ لآخر بإرسال تقارير متوهجة عن (جزر الملوك Moluccas)<sup>(34)</sup> إلى صديقه ماجلان. وفي غضون ذلك، عاد إلى البرتغال، وكان قد وُظف على رحلة استكشافية إلى المغرب. في أية حال، لم يكن يلقي معاملةً حسنة من قبل العاهل البرتغاليّ، وصمّم على تركه والخدمة عند الملك الإسبانيّ تشارلز الخامس، بالرغم من أنه وضع عليه شرطاً لدخوله في خدمته، هو أنّه ينبغي عليه ألا يقوم بأيّ اكتشافاتٍ داخل حدود ملك البرتغال، أو بأيّ شيءٍ من شأنه أن يمس مصالحه.

كان ذلك في العام (1517 ميلادي)، ومضت ستان قبل أن يبدأ ماجلان رحلته الشهيرة، فقد صوّر للإمبراطور أنّه مقتنعٌ بوجود المضيق الذي من شأنه أن يؤدّي إلى المحيط الهندي، إلى أبعد من عالم أمريكو فسبوتشي الجديد وجزر التوابل التي كانت وراء خط ترسيم الحدود وداخل مجال النفوذ الإسباني. ثمة بعض الأدلة على أنّ السفن التجارية الإسبانية التي تداولت التجارة بشكلٍ سرّيٍّ، للحصول على الخشب البرازيلي، قد

شاهدت بالفعل ذلك المضيق الذي أُطْلِقَ عليه في ما بعد اسم مضيق ماجلان؛ ومن المؤكد أنّ هذا المضيق قد تمّ عرضه على (كرة شونر السماوية Schonner's globes)<sup>(35)</sup> بتاريخ (1515 ميلادي) و(1520 ميلادي)، في وقتٍ سابقٍ لاكتشاف ماجلان له. كانت البرتغال تُدرك تماماً المخاطر التي تُهدّد احتكارها لتجارة التوابل - والتي ترسخت بشدة - بسبب وجود فرانسيسكو سيرّاو في تيرنيت، وفعلت كلّ ما في وسعها لثني الإمبراطور تشارلز من إرسال تلك البعثة المهدّدة لها، لافتةً إلى أنها ستُنظر إلى السماح بالبدء بتلك الرحلة الاستكشافية باعتباره عملاً غير وديّ. وبالرغم من هذا، استمرّ الإمبراطور في ذلك المشروع، ويوم الثلاثاء، الموافق لتاريخ 20 سبتمبر / أيلول من العام (1519 ميلادي)، انطلق أسطولٌ من خمس سفن، هي: ترينيداد، وسانت أنطونيو، وكونسيسيون، وفكتوريا، وسانت ياغو، تحرسها مجموعةٌ غير متجانسة من الإسبان، والبرتغاليين، والباسك، والجنوبيين، والصقليين، والفرنسيين، والفلمنكيين، والألمان، واليونانيين، والنابوليين، والكورفيين، والزنج، والملاويين، وإنجليزيّ واحد هو (السيد «أندرو Andrew» من مدينة بريستول Bristol)<sup>(36)</sup>، انطلقوا من إشبيلية ليدؤوا بأهمّ رحلةٍ استكشافيةٍ لم يسبق لها مثيل. كانت الكراهية بين الإسبان والبرتغاليين كبيرةً لدرجة أنّ السخط اندلع بينهم منذ البداية تقريباً. وبعد مصبّ نهر لابلاتا الذي تمّ استكشافه بعناية، للتأكد مما إذا لم يكن هو بالفعل بداية ممرٍّ يعبر إلى العالم الجديد، اندلع تمردٌ في الثاني من أبريل / نيسان من العام (1520 ميلادي)، في ميناء (سانت جوليان St. Julian)<sup>(37)</sup>، حيث كانوا قد صمّموا على القيام به في فصل الشتاء. ولا ريب في أنّه - في هذا الوقت - كان البحارة يدركون أنّ وقت المواسم قد انعكس في نصف الكرة الأرضية الجنوبي. أظهر ماجلان حزمًا ومهارة كبيرين في مواجهة هذا التمرد، وتعامل مع زعمائه المباشرين ما بين إعدام ونفي. وفي الثامن عشر من أكتوبر / تشرين الأول استأنف رحلته؛ وفي غضون ذلك، لاحظ عادات وتقاليد السكان

الأصليين الخاصة بهم، من حيث طولهم الهائل، وأغطية أقدامهم غير المألوفة، فأطلق عليهم اسم (الباتاغونيون Patagonians)<sup>(38)</sup>. في غضون ثلاثة أيام كانوا قد وصلوا إلى مدخل المضيق الذي لا يزال يحمل اسم ماجلان، وبحلول ذلك الوقت، فُقدت واحدة من السفن، هي سانت ياغو، فبقيت معه أربع فقط من سفنه، هي: ترينيداد، وفيكتوريا، وكونسيبسيون، وسانت أنطونيو التي بدأت بالمرور عبر المضيق. كان ثمة العديد من التعرجات والانقسامات في المضيق؛ ولدى وصوله إلى أحد المفترقات، بعث ماجلان بالسفينة سانت أنطونيو لاستكشاف ذلك، في حين واصل مساره مع ثلاث سفن أخرى على طول الطريق المباشر. كان قبطان سانت أنطونيو أحد المتمردين السابقين، فأقنع الطاقم بأن يغتتموا هذه الفرصة ليديروا ظهورهم عائدين، ذلك أنه - عندما وصل ماجلان إلى المكان المعين للالتقاء به، لم يتمكن من التحقق من أية أخبار عن السفينة المفقودة التي اتجهت مباشرة إلى البرتغال. عقد ماجلان العزم على مواصلة بحثه، وقال بتصميم: «سأواصل، حتى لو وصل بي الأمر إلى حدّ أكل السيور الجلدية من أشرعة السفينة»، ولقد أمضى ثمانية وثلاثين يوماً للعبور من خلال المضيق، وبعد ذلك بأربعة أشهر واصل مساره عبر المحيط الذي، بسبب هدوئه، دعاه باسم (الباسفيكي Pacific) (المحيط الهادئ). أخذوا مسار الشمال الغربي بطبيعة الحال، وبالتالي، ومن خلال فرصة غريبة، عثروا على بضع جزر صغيرة غير مأهولة طوال رحلتهم بكاملها، من خلال البحر الذي نعرفه الآن تنتشر فيه الجزر المأهولة التي لا حصر لها. وفي السادس من مارس / آذار من العام (1520 ميلادي)، كانوا قد شاهدوا جزر (لادرونز Ladrones)<sup>(39)</sup>، وحصلوا على المؤن التي اشتدت حاجتهم إليها، لكنّ داء الأسقربوط انتشر بينهم بشكل خطير، ومات الرجل الإنجليزي الوحيد على متن السفينة في لادرونز، ومن هناك ذهبوا إلى الجزر المعروفة الآن باسم جزر (الفيليبين

(Philippines)<sup>(40)</sup>، حيث رحّب بهم أحد الملوك بشكلٍ إيجابيٍّ للغاية. وكمكافأةٍ له، قام ماجلان بالمشاركة بإحدى نزاعاته المحلية، وسقط في معركةٍ غير متكافئةٍ في جزيرة (ماكتان Mactan)<sup>(41)</sup>. وفي السابع والعشرين من أبريل/ نيسان من العام (1521 ميلادي)، واصلت السفن الثلاث مسارها إلى جزر الملوك، ولكن تبين أنّ السفينة كونسيسيون غير صالحة للإبحار، فاضطروا لسحبها إلى الشاطئ وإحراقها. وحين وصلوا إلى (بورنيو Borneo)<sup>(42)</sup>، تمّ تعيين (خوان سيباستيان ديل كانو Juan Sebastian del Cano)<sup>(43)</sup> قائداً للسفينة فيكتوريا.



فيرناندو ماجلان

أخيراً، في السادس من نوفمبر/ تشرين الثاني من العام (1521 ميلادي)، وصلوا إلى الهدف من رحلتهم، ورسوا في جزيرة تيدور، إحدى جزر الملوك، وقاموا بالتجارة مع المواطنين بشروطٍ ميسرةٍ للغاية، وانشغلوا بتحميل التوابل وجوز الطيب التي قد سافروا لأجلها بعيداً إلى هذا الحد؛ لكنهم، عندما

حاولوا استئناف رحلتهم عائدين باتجاه الوطن، تبين أنّ السفينة ترينيداد غير صالحة للإبحار هي الأخرى، فتقرر أن تنطلق السفينة فيكتوريا، بعد هبوب الرياح الموسمية الشرقية الدافعة لها، وهذا ما حصل. وبعد رحلةٍ معتادةٍ حول رأس الرجاء الصالح، وصلت قبالة مرفأٍ إشبيلية يوم الإثنين

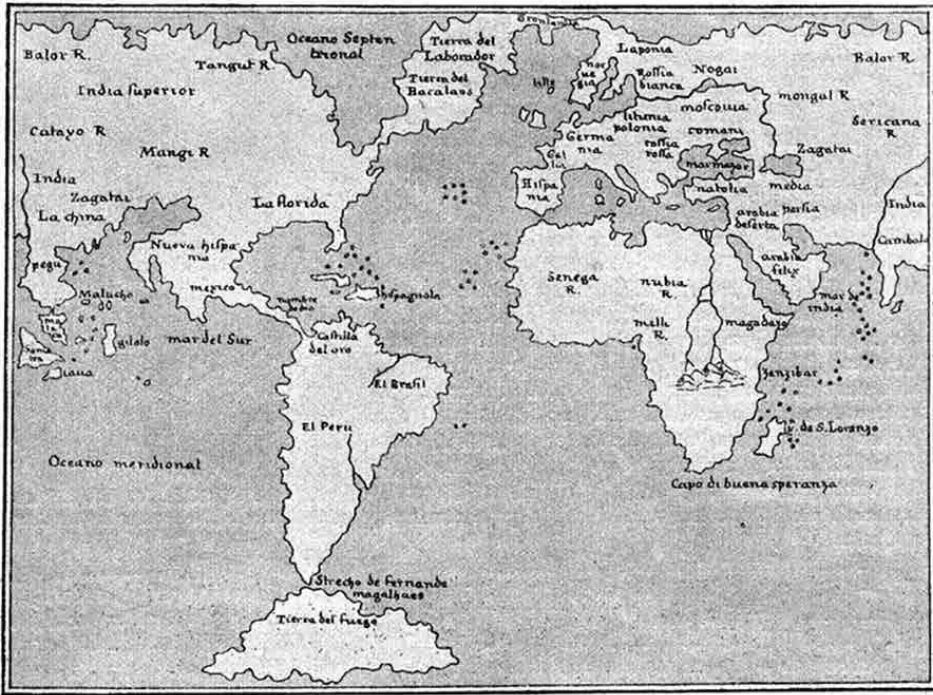
الثامن من شهر سبتمبر/ أيلول من العام (1522 ميلادي)، أي بعد ثلاث سنوات إلا اثني عشر يوماً من تاريخ مغادرتها إسبانيا، ومن الرجال المائتين والسبعين الذين كانوا قد بدؤوا رحلتهم مع الأسطول، عاد فقط ثمانية عشر رجلاً على ظهر السفينة فيكتوريا. وفقاً لحساب السفينة، كانوا قد وصلوا يوم الأحد السابع، ولبعض الوقت شكّل حساب هذا اليوم لغزاً محيراً، وبالتالي فُقد.

وفي غضون ذلك، كانت السفينة ترينيداد، التي كانوا قد تركوها وراءهم في جزر الملوك، قد حاولت الإبحار عائدةً إلى بنما، ووصلت كأقصى حدٍّ إلى 43° شمالاً. وفي مكانٍ ما حوالي خط الطول 175° غرباً، خذلتهم مؤونتهم، وكان لا بد لهم من العودة إلى جزر الملوك، حيث تم احتجازهم بشكل عمليّ كقراصنة، وعن طريق أسطولٍ من السفن البرتغالية التي أرسلت خصيصاً لمنع تدخل الإسبان في احتكار البرتغاليين لتجارة التوابل، تم ضبط طاقم ترينيداد وأخذهم أسرى، وفي نهاية المطاف وصل أربعة منهم فقط إلى إسبانيا من جديد، بعد العديد من المغامرات، ويمكن أيضاً إدراج ثلاثة عشر آخرين من ضمن الناجين من الأسطول، كانوا قد نزلوا في جزر كيب دي فيردي من السفينة فيكتوريا، بحيث يصبح العدد خمسةً وثلاثين، من أصل مائتين وسبعين من مجموع البحارة الأوائل الذين داروا حول الكرة الأرضية.

تكتسب هذه الرحلة أهميةً فريدة، عندما يُنظر إليها من وجهة نظر الاكتشاف الجغرافي، إذ إنها أثبتت بشكل حاسم مسألة وجود عالم جديدٍ مستقلٍّ تماماً عن قارة آسيا. وعلى وجه الخصوص، كانت الرحلة المتأخرة للسفينة ترينيداد (التي قلّ ما لوحظت) قد أظهرت وجود رُقعة واسعة من المحيط شمال خط الاستواء وشرق آسيا، في حين أن رحلة سابقة أظهرت الامتداد الهائل للمحيط إلى الجنوب من خط الاستواء.



وبعد الجولة البحرية للسفينة فيكتوريا، اتضح للكوزموغرافيين أن العالم أكبر بكثير مما كان القدماء يتصورون، أو بالأحرى، يمكن للمرء أن يقول إن آسيا كانت أصغر مما كان الكتاب في العصور الوسطى يعتقدون. الإصرار العنيد الذي أبداه ماجلان في تنفيذ فكرته، أثبت في النهاية وجهة نظره التي تشكل إحدى مبررات رفعه إلى مرتبة أعظم من كولومبوس الذي حملته رحلته الشهيرة بشكل تام ليعتقد أنه سيعثر على الأراضي وفقاً لخريطة توسكانيللي. وبعد ماجلان، كما سيتضح لاحقاً، صارت الخطوط الساحلية للعالم برُمته معروفة تقريباً، باستثناء الدائرة القطبية الشمالية وأستراليا.



العالم وفقاً لبطليموس... من العام 1548 م



كان لإمبراطور مسروراً بشكل طبيعي بنتيجة الرحلة، حتى أنه منح ديل كانو معاشاً تقاعدياً، وشعار النبالة، كـتذكّارٍ لخدماته، وكانت العبارات المرسومة على الهبة بليغة جداً، وهي: عودان من القرفة متقاطران وموافقان لشكل صليب (سولتير saltire)<sup>(44)</sup>، وثلاث حبات من جوز الطيب واثنتا عشرة حبة من القرنفل، وعلى الدرع الرئيسة، صورة قلعة، وعلى قمّتها الكرة الأرضية التي تحمل شعاراً مكتوبةً عليه العبارة التالية باللاتينية: «أنت أول من قام بالدوران حولي»، ويسنده تمثالان، هما ملكان ملاويان متوجّان، يمسكان بيديهما الآخرين جذع التوابل الأصلي. أما القلعة، بطبيعة الحال، فترمز إلى مدينة قشتالة، لكن بقية الشعار ترمز إلى نعت هذه الرحلة المهمة كسبب رئيسٍ للاطمئنان لزيارة جزر التوابل. وكما رأينا، في أية حال، استعاد البرتغاليون على الفور موقعهم في جزر الملوك، بعد مغادرة السفينة فيكتوريا. وبعد سبع سنوات، تخلّى شارل الخامس عن أيّ ادعاءاتٍ امتلكها عن طريق زيارة ماجلان.

إلا أنّه - ولفترةٍ طويلةٍ لاحقة، كان الإسبان لا يزالون يتطلّعون بعيون الشوق إلى جزر التوابل، وكان أفراد عائلة (فيوجر Fuggers)<sup>(45)</sup>، وهم من كبار المصرفيين في أوغسبورغ، كانوا قد مولّوا العاهل الإسباني، قد حاولوا طويلاً الحصول على ملكية الـ (بيرو Peru)<sup>(46)</sup>، لهدفٍ من الصعب إخفاؤه، وهو جعلها «نقطة الانطلاق» التي يمكن من خلالها القيام بمحاولةٍ جديدةٍ للحصول على ملكية جزر الملوك، وثمة تطابقٌ حديث سوف يحدث بلا شك لدى القارئ.

وبالتالي، تميّزت ثلاث مراحل في الاكتشاف المتعاقب وترسيم حدود العالم الجديد :

(1) في بادئ الأمر، تصوّر كولومبوس أنه قد وصل فعلاً إلى زيبانغو أو اليابان، وأنّه حقّق الهدف من رحلته.

(2) أمريكو فسبوتشي، ومن خلال إبحاره على السواحل السفلية لأمريكا الجنوبية، تأكد من وجود أرضٍ مجهولة ضخمة، تدخل بين اكتشافات كولومبوس وجزر التوابل المطلوبة منذ فترةٍ طويلة.

(3) ماجلان يُثبت هذه الفكرة، بعبوره آلاف الأميال جنوب المحيط الهادئ، قبل الوصول إلى جزر الملوك.

ولا تزال ثمة المرحلة الرابعة التي اكتشفت تدريجياً، بأن الشمال الغربي لأمريكا لم يكن مرتبطاً بآسيا، إنما تمّ التوصل إلى هذه المرحلة بشكلٍ تدريجيٍّ، وتحدّدت أخيراً برحلات كلٍّ من المستكشف بيرينغ والقبطان كوك.

[Authorities: Justin Winsor, Christopher Columbus, 1894; Guillemard, Ferdinand Magellan, 1894].



## (هوامش الفصل السابع)

- (1) أفلاطون Plato (427/428 أو 423/424 - 347/348 ق.م): هو فيلسوف اليونان في العصور الكلاسيكية، ومؤسس الأكاديمية الفلسفية في أثينا، أول مؤسسة للتعليم العالي في العالم الغربي. يُعتبر على نطاق واسع الشخصية الأكثر أهمية في تطوير الفلسفة، ولا سيما التقاليد الغربية، بخلاف غالبية معاصريه الفلاسفة. ويُعتقد أن أقدم مخطوطة موجودة يعود تاريخها إلى حوالي 895 م، أي بعد 1100 سنة من وفاة أفلاطون، ما يجعل من الصعب معرفة ما إذا كان قد كتبها بنفسه.
- (2) أطلنطس Atlantis، أو «جزيرة أطلس»: جزيرة خيالية ذُكرت ضمن رواية عن غطرسة الأمم، في أعمال أفلاطون: تيمائوس وكرتياس، حيث تمثل القوة البحرية الخصم الذي حاصر «أثينا القديمة». وفي القصة، صدّت أثينا هجوم أطلنطس، بالعكس من أي دولة أخرى في العالم الغربي (المعروف)، وتختتم القصة بسقوط أطلنطس، بتأييد من الآلهة، وغرقها في المحيط الأطلسي. بالرغم من أهميتها البسيطة في عمل أفلاطون، كان لقصة أطلنطس تأثير كبير على الأدب. تم تناول أطلنطس في أعمال طوباوية، من قبل العديد من كُتّاب عصر النهضة، ونتيجة لذلك، أصبحت أطلنطس كلمة ترد في المواضيع التي تتناول دراسة تاريخ الحضارات المفقودة.
- (3) بارتولوميو كولومبوس Bartholomew Columbus (في النص Bartolomeo) (1461م - 1515م): مُستكشف ومُستعمر إيطالي، من جنوة الإيطالية، هو الشقيق الأصغر لكريستوفر كولومبوس. ولد بارتولوميو في جمهورية جنوة، وكان رسام خرائط في لشبونة التي كانت المركز الرئيس لرسم الخرائط في ذلك الوقت.
- (4) لشبونة Lisbon: العاصمة وأكبر مدينة في البرتغال، وهي عاصمة غرب أوروبا القارية، والوحيدة على طول ساحل المحيط الأطلسي. تقع في شبه الجزيرة الأيبيرية الغربية، على المحيط الأطلسي ونهر تاغوس.
- (5) فيليبا مونيز بيرستريلو (في النص Filipa Moniz Perestrelo) (1455م - 1484م): نبيلة برتغالية من جزيرة بورتو سانتو، في ماديرا - البرتغال، وهي زوجة كريستوفر كولومبوس الذي تزوجها في العام 1479م، في فيلا باليرا على الجزيرة.
- (6) بارتولوميو بيرستريلو Bartolomeu Perestrelo (1395م - 1457م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر برتغالي، كان أمير وحاكم جزيرة بورتو سانتو، ويزعم أنه اكتشف وسكن

جزيرة بورتو سانتو (1419م) مع جواو غونكالفيس وزاركو وترستاو وفاز تيكسيرا، إلا أن بعض المؤرخين يعارضون رواية مشاركته في الاكتشاف.

- (7) **باولو دال بوزو توسكانيلي Paolo dal Pozzo Toscanelli** (1397م - 10 مايو 1482م): مُنجم وعالم رياضيات وكوزموغرافي إيطالي ولد في فلورنسا، للطبيب دومينيكو توسكانيلي. لا توجد معلومات دقيقة عن تعليمه وخلفية حياته، لكنه كان من الشخصيات المركزية في التاريخ الفكري والثقافي لعصر النهضة بفلورنسا، في سنواته الأولى. في العام 1474م أرسل توسكانيلي رسالة وخريطة لمراسله البرتغالي فيرناو مارتينز، وهو كاهن في كاتدرائية لشبونة، تتضمن تفاصيل مخطط للإبحار غرباً، للوصول إلى جزر التوابل وآسيا.
- (8) **الراهب مارتينيز Martinez**: لم نعثر له على ترجمة (المترجم).

(9) **سانت براندن St. Brandan**: جزيرة وهمية، أو جزيرة أسطورية، يُفترض أنها تقع في شمال الأطلسي، في مكانٍ ما غرب شمال أفريقيا. سميت باسم سانت براندان الذي أسس دير كلونفيرت والمدرسة الرهبانية، ويقال أنه قد تم اكتشافها من قبل القديس وأتباعه، أثناء سفرهم عبر المحيط.

(10) **جزيرة أنتيلا Antilla**: جزيرة وهمية، زُعم أثناء القرن الخامس عشر للاكتشاف بأنها تقع في المحيط الأطلسي، بعيداً غرب البرتغال وإسبانيا.

(11) **فرديناند الثاني Ferdinand II** (10 مارس 1452م - 23 يناير 1516م): ويُدعى بالكاثوليكي. كان ملك صقلية من العام 1468م، وملك أراغون من العام 1479م حتى وفاته. نتيجة زواجه من إيزابيلا الأولى، أصبح ملك قشتالة، وبعد حربه مع فرنسا، أصبح ملك نابولي، وجمع نابولي مع صقلية بشكل دائم، وللمرة الأولى منذ العام 1458م. وفي العام 1512م أصبح ملك نافار. يشتهر فرديناند بدوره في اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين، حيث قام هو وإيزابيلا، في العام 1492م، برعاية الرحلة الأولى لكريستوفر كولومبوس (1451-1506م)، وفي تلك السنة أيضاً خاض الحرب الأخيرة مع غرناطة التي شطبت آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية وكل أوروبا الغربية.

(12) **إيزابيلا الأولى Isabella I** (22 أبريل 1451م - 26 نوفمبر 1504م): حكمت كملكة لقشتالة من العام 1474م حتى وفاتها. أصبح زوجها من فرديناند الثاني من أراغون أساس التوحيد السياسي لإسبانيا، تحت قيادة حفيدها تشارلز الأول. بعد صراع من أجل المطالبة بحقها في العرش، أعادت تنظيم النظام الحكومي، وأصبح لإصلاحاتها التي أجرتها مع زوجها فرديناند الثاني نفوذٌ يمتد خارج حدود ممالكها الموحدة. المعروف عن إيزابيلا وفرديناند نفى المسلمين واليهود خارج الأندلس، ودعم وتمويل كريستوفر كولومبوس في رحلته (1492م) التي أدت إلى افتتاح العالم الجديد، وإقامة إسبانيا كأول دولة عالمية السلطنة هيمنت على أوروبا والكثير من العالم، لأكثر من

قرن من الزمان. في العام 1974م لقيت إيزابيلا بلقب «الكاثوليكية» من قبل البابا ألكسندر السادس، كخادمة لله من قبل الكنيسة الكاثوليكية.

(13) لويس دي سانتانغول Luis de Santaguel (توفي 1498م): يهودي مُعَمِّد، ووزير المالية لدى فرديناند الثاني، وهو الذي أقنع إيزابيلا الأولى بدعم رحلة كريستوفر كولومبوس في العام 1492م.

(14) بالوس دي لا فرونتيرا Palos de la Frontera: بلدة وبلدية تقع في مقاطعة هويلفا، جنوب غرب إسبانيا، في منطقة ذاتية الحكم، على بعد 13 كلم (8 أميال) من عاصمة المقاطعة هويلفا، وهي الأكثر شهرة، لكونها المكان الذي أبحر منه كولومبوس.

(15) جزر الكناري Canary Islands: أرخبيل ومدينة مستقلة ذاتياً، تقع على المحيط الأطلسي، على بعد 100 كلم (60 ميلاً) غرب المغرب. جزر الكناري هي من المناطق الخارجية للاتحاد الأوروبي، وإحدى المناطق الثماني التي تعترف الحكومة الإسبانية فيها على وجه الخصوص بالجنسية التاريخية. جزر الكناري هي المنطقة الأبعد جنوب إسبانيا، وأكبر أرخبيل في منطقة ماكارونيزيا.

(16) جزيرة سان سلفادور San Salvador (المعروفة باسم جزيرة واتلينغ منذ ثمانينيات القرن السادس حتى العام 1925م): جزيرة ومنطقة في جزر البهاما، ويُعتقد على نطاق واسع أنه - خلال رحلة كريستوفر كولومبوس الأولى إلى العالم الجديد - كانت جزيرة سان سلفادور هي أول أرض شاهدها وزارها في 12 أكتوبر / تشرين الأول 1492م؛ وأطلق عليها اسم سان سلفادور، على اسم المسيح المخلص.

(17) كوبا Cuba: بلد يضم جزيرة كوبا، فضلاً عن جزيرة لا يوفنتود وعدد من الأرخبيلات الصغيرة. تقع كوبا في منطقة البحر الكاريبي الشمالية، حيث يلتقي البحر الكاريبي بخليج المكسيك والمحيط الأطلسي، وتقع جنوب ولاية فلوريدا الأمريكية وجزر البهاما، غرب هايتي وشمال جامايكا. هافانا هي العاصمة وأكبر مدنها، وتشمل المدن الرئيسة الأخرى سانتياغو دي كوبا وكاماغوي. كوبا هي أكبر جزيرة في منطقة البحر الكاريبي، وتبلغ مساحتها 109 884 كلم<sup>2</sup> (42 426 ميلاً مربعاً) وهي ثاني أكبر جزيرة بعد هسبانيولا.

(18) هايتي Hayti: هي مستعمرة سانت دومينيك الفرنسية، في جزر الكاريبي من هيسبانيولا. كان الفرنسيين قد وضعوا أنفسهم على الجزء الغربي من جزر هيسبانيولا وتورتوغا، بحلول العام 1659م، وفي معاهدة ريسويك (1697م) اعترفت إسبانيا رسمياً بالسيطرة الفرنسية على جزيرة تورتوغا والثلث الغربي من جزيرة هيسبانيولا. في العام 1791م، بدأ العبيد وبعض السكان من لون سانت دومينغو تمرداً ضد السلطة الفرنسية، وأصبحوا متمسكين مع الحكم الفرنسي، بعد إلغاء الرق في المستعمرة العام 1793م،

وكانت فرنسا تسيطر على كامل هيسبانيولا، من 1795م حتى 1802م، عندما اندلع تمردٌ جديد. انسحبت القوات الفرنسية الأخيرة من الجزء الغربي من الجزيرة في أواخر العام 1803م، وأعلنت المستعمرة في وقتٍ لاحقٍ استقلالها باسم (هايتي)، اسمها الأصلي، في العام التالي.

(19) كاديّز Cadix أو بالعربية قádiz: هي مدينة وميناء في جنوب غرب إسبانيا، وعاصمة مقاطعة قادس. واحدة من الثماني التي تشكل مجتمع الحكم الذاتي في الأندلس، وهي أقدم مدينة مأهولة بالسكان في إسبانيا، وإحدى أقدمها في أوروبا الغربية؛ تأسست من قبل الفينيقيين، وكانت الميناء الرئيس للبحرية الإسبانية، منذ انضمام البربنونات لإسبانيا في القرن الـ18.

(20) ترينيداد Trinidad: كبرى الجزيرتين الرئيسيتين ترينيداد وتوباغو، تقع على بعد 11 كلم (6,8 أميال) قبالة الساحل الشمالي الشرقي لفنزويلا، وعلى الجرف القاري لأمريكا الجنوبية. بالرغم من أنها - من الناحية الجغرافية - جزءٌ من قارة أمريكا الجنوبية، إلا أنه غالباً ما يشار إليها بأنها جزيرةٌ إلى أقصى الجنوب في منطقة البحر الكاريبي. تبلغ مساحتها 4,768 كلم<sup>2</sup> (1,841 ميلاً مربعاً)، وهي أيضاً سادس أكبر جزر الهند الغربية.

(21) بنما Panama: بلد في أمريكا الوسطى، تحدّها كوستاريكا من الغرب، كولومبيا (في أمريكا الجنوبية) من الجنوب الشرقي، البحر الكاريبي من الشمال، والمحيط الهادئ من الجنوب، وتُعد العاصمة بنما سيتي أكبر مدنها.

(22) فالدوليد Valladolid، بالعربية «بلد الوليد»: هي مدينة في إسبانيا، تقع عند ملتقى نهري بيسويرغا وإسغويفا. تتكون البلدة القديمة من مجموعة متنوعة من المنازل التاريخية والقصور والكنائس والساحات والسبل والحدائق، وتشمل المتحف الوطني للنحت، ومتحف الفن المعاصر فناء هيريروانو، أو المتحف الشرقي، فضلاً عن منازل خوسيه زوريلا وسرفانتس التي تُفتح كمتاحف.

(23) ألونسودي أوخيدا Alonso de Ojeda (1468)، وبعض المصادر تقول 1466م - 1515م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إسباني، سافر عبر غوايانا وفنزويلا وترينيداد وتوباغو وكوراساو وأروبا وكولومبيا، ويشتهر بتسميته «فنزويلا» التي استكشفها خلال حملتيه الأولى، لأنه كان أول أوروبي يزور غوايانا وكولومبيا وبحيرة ماراكايبو، وبعد ذلك قام بتأسيس سانتا كروز (لا غويريتا).

(24) أميركو فيسبوتشي Amerigo Vespucci (في النص أميركو فسبوتشي Amerigo Vespucci (9 مارس 1454م - 22 فبراير 1512م): مُستكشف ومُستعمر وملاح ورّسام خرائط إيطالي، أظهر لأول مرة أنّ البرازيل وجزر الهند الغربية لا تمثل ضواحي شرق آسيا، كما ظنَّ كولومبوس في البداية، لكنها تشكل أرضاً منفصلة تماماً وغير معروفة حتى

الآن لشعوب العالم القديم. اسم «الأمريكتين» مستمد من اسم أمريكوس، النسخة اللاتينية من الاسم الأول لفيسبوتشي.

(25) فنزويلا Venezuela: رسمياً جمهورية فنزويلا البوليفارية، وهي جمهورية اتحادية تقع على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، تحدّها كولومبيا من الغرب، البرازيل في الجنوب، غيانا في الشرق، جزر كاريك أريك الهولندية في الشمال، وجزر ترينيداد وتوباغو في الشمال الشرقي، وتغطي فنزويلا 916 415 كلم<sup>2</sup> (353 835 ميلاً مربعاً)، وللبلاذ تنوعٌ بيولوجي عالٍ للغاية.

(26) نهر الأمازون Amazon: أعظم نهر في أمريكا الجنوبية، وأكبر نهر من حيث حجم تصريف المياه وتدفقها ومنطقة حوضها في العالم، وثاني أطول نهر في العالم، ويبلغ طوله الكلي (تمّ قياسه من منابع نهر أوكايالي- أبوري ماك في جنوب البيرو- على بعد 4000 ميل على الأقل) 6,400 كلم، ما يجعله أقصر قليلاً من نهر النيل، لكنه لا يزال يعادل المسافة من مدينة نيويورك إلى روما، ومصدره الغربي مرتفع في جبال الأنديز، على بعد 100 ميل (160 كلم) من المحيط الهادئ، ومصبه في المحيط الأطلسي، على الساحل الشمالي الشرقي للبرازيل.

(27) كيب سانت روكي Cape St. Roque: هو الرأس الواقع في الطرف الشمالي الشرقي من البرازيل، على بعد 51 كلم شمال ناتال، في ولاية ريو غراندي دو نورتي في البرازيل، وهو «نقطة» على منحني ساحل البر الرئيس البرازيلي الأقرب إلى قارة أفريقيا.

(28) نهر ريو دي لا بلاتا Río de la Plata (ويُسمى أيضاً نهر الفضة): هو النهر والمصب الذي شكله التقاء نهري أوروغواي وبارانا، ويفرغ في المحيط الأطلسي، وهو على شكل قمع على الساحل الجنوبي الشرقي من أمريكا الجنوبية. واعتماداً على الجغرافيا، يمكن اعتبار نهر ريو دي لا بلاتا نهراً أو مصباً أو خليجاً أو بحراً هامشياً. بالنسبة إلى أولئك الذين يعتبرون أنه نهر- كما هي الحال في معظم الأرجنتين وأوروغواي- فهو أوسع نهر في العالم، ويبلغ طوله حوالي 290 كلم (180 ميلاً)، ويتوسع بحوالي 2 كلم (1,2 ميل) من مصدره، وإلى حوالي 220 كلم (140 ميلاً) في مصبه، وهو يشكل جزءاً من الحدود بين الأرجنتين وأوروغواي.

(29) سانت جورج St. George (في النص سانت جورجيا St. Georgia): هي جزيرة قبالة فلوريدا بانهاندل في خليج المكسيك الشمالي.

(30) كيب هورن Cape Horn: هو الرأس الواقع في أقصى جنوب أرخبيل تيرا ديل فويغو جنوب تشيلي، ويقع على جزيرة هورنوس الصغيرة. وبالرغم من أن كيب هورن ليس النقطة الأقصى جنوباً في أمريكا الجنوبية (وهي جزر ديوغو راميريز)، إلا أنه يمثل الحدود الشمالية لممر دريك، حيث يلتقي المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ.



- (31) **مارتن والدزيمولر Martin Waldseemüller** (11 سبتمبر 1470م - 16 مارس 1520م): رسّام خرائط ألماني، يرجع إليه هو وماتياس رينغمان الفضل في أول استخدام مسجل للكلمة أمريكا، على خريطة العام 1507م. تكريماً للمستكشف الإيطالي أميركو فيسبوتشي.
- (32) **جزر باندا Banda**: مجموعة من عشر جزر بركانية صغيرة في بحر باندا، على بعد 140 كلم (87 ميلاً) جنوب جزيرة سيرام، وحوالي 2000 كلم (1,243 ميلاً) شرق جاوة، وهي جزءٌ من مقاطعة مالوكو الإندونيسية، والمدينة الرئيسة فيها هي باندانيرا. حتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت جزر باندا المصدر الوحيد في العالم لجوز الطيب والتوابل.
- (33) **فرانيسكو سيرراو Francisco Serrao** (توفي 1521م): مُستكشف ومُستعمر برتغالي، وابن عم فرديناند ماجيلان. كانت رحلته في العام 1512م أول رحلة إبحار أوروبية معروفة في شرق مالوكا، عبر إندونيسيا الحديثة وجزر الهند الشرقية. أصبح مرتبطاً بالسلطان بيان سيرولا، حاكم تيرنيت، ليصبح مستشاره الشخصي، وظل في تيرنيت حيث توفي في الوقت نفسه الذي توفي فيه ماجيلان.
- (34) **جزر مالوكو أو جزر الملوك Malacca** (في النص Moluccas): هي أرخبيل في أندونيسيا، تقع على امتداد هالماهيردا داخل المنطقة المتداخلة مع بحر مالوكا. جغرافياً، تقع شرق سولاويزي، غرب غينيا الجديدة، وشمال وشرق تيمور. كانت الجزر أيضاً الجواهر التاريخي لجزر التوابل المعروفة لدى الصينيين والأوروبيين، لكن هذا المصطلح شمل في العادة المناطق المجاورة الأخرى، مثل سولاويزي.
- (35) **كرات يوهانس شونر**: سلسلة من الكرات التي قدّمها يوهانس شونر (1477-1547م) للمرة الأولى في العام 1515م، واثنان من هذه النماذج باقيان حتى اليوم، واحد لدى متحف هيستوريششس في فرانكفورت، والآخر في هيرزوجين آنا أماليا بيليويك، في فايمار. لا شك في أن شونر كان على دراية بالكرة الأرضية التي قدّمها (مارتن بيهيلم) في نورمبرغ العام 1492م، ويمكن العثور على المضيّق بين الطرف الجنوبي من أمريكا والأرض إلى الجنوب في عالم شونر، قبل «اكتشافه الرسمي» من قبل فرديناند ماجيلان في العام 1520م.
- (36) **بريستول Bristol**: مدينة ومقاطعة في جنوب غرب إنجلترا، يحدّها من الشمال سومرست، ومن الجنوب غلوسسترشير، ومدينتا باث وغلوسستر من الجنوب الشرقي والشمال الشرقي.
- (37) **سانت جوليان St. Julian**: ميناء طبيعي في باتاغونيا بمقاطعة سانتا كروز الأرجنتينية. في أيام السفن الشراعية شكل نقطة توقف 180 كلم (112 ميلاً) جنوب بويرتو ديسيادو (ميناء ديزاير).

(38) الباتاغونيون **Patagonians**: هم من الشعوب التي سكنت باتاغونيا، وقد لاحظ أوائل المستكشفين الأوروبيين في باتاغونيا أن السكان الأصليين في المنطقة كانوا أطول من متوسط طول الأوروبيين في ذلك الوقت، ما دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأن الباتاغونيين كانوا عمالقة.

(39) جزر لادرونيز **Ladrones Islands** أو جزر الماريانا: **Mariana Islands** وهو اسم إسباني يعني «جزر اللصوص»، وتختلف بالمسمى عن جزر ماريانا الشمالية التي سميت على اسم ماريانا ملكة إسبانيا.

(40) جزر الفيليبين **islands of the Philippines**: يضم أرخبيل الفيليبين حوالي 7641 جزيرة تتجمع في ثلاث مجموعات: الجزر الرئيسة لوزون، فيساياس، ومينداناو، ولم تتم بعد تسمية أكثر من 5 آلاف جزيرة في الأرخبيل.

(41) **Mactan**: جزيرة مكتظة بالسكان، تقع على بعد بضعة كيلومترات من جزيرة سيبو في الفيليبين، وهي جزء من مقاطعة سيبو، تنقسم إلى مدينة لابو لابو وبلدية كوردوفا، وتغطي حوالي 65 كلم<sup>2</sup> (25 ميلاً مربعاً).

(42) **Borneo**: ثالث أكبر جزيرة في العالم، وأكبر جزيرة في آسيا. في المركز الجغرافي البحري لجنوب شرق آسيا، وبالنسبة إلى الجزر الإندونيسية الرئيسة، تقع شمال جاوة، وغرب سولاويسي، وشرق سومطرة.

(43) **Juan Sebastian del Cano** (1476م - 4 أغسطس 1526م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، من الباسك أصلاً، هو الذي أكمل أطول رحلة على الأرض. بعد وفاة ماجيلان في الفيليبين، تولى كانو قيادة السفينة فيكتوريا من جزر الملوك إلى سانلوكار دي باراميدا في إسبانيا.

(44) **Saltire**: شكل من أشكال الصليب، يسمى أيضاً صليب القديس أندرو، وهو رمز وشعار بشكل حرف X الروماني.

(45) عائلة فيوجر **Fuggers**: عائلة ألمانية كانت مجموعة من مصرفيي التجارة الدولية وأصحاب رؤوس الأموال البارزين تاريخياً بأوغسبورغ في أوروبا، في القرن السادس عشر.

(46) **Peru**: بلد في غرب أمريكا الجنوبية، يحده من الشمال الإكوادور وكولومبيا، من الشرق البرازيل، من الجنوب الشرقي بوليفيا، من الجنوب شيلي، ومن الغرب المحيط الهادئ. البيرو بلد بالغ التنوع البيولوجي، مع سهول قاحلة في منطقة المحيط الهادئ الساحلية في الغرب، تمتد إلى قمم جبال الأنديز، وتمتد عمودياً من الشمال إلى الجنوب الشرقي من البلاد، حتى الغابات الاستوائية المطيرة وحوض الأمازون في الشرق مع نهر الأمازون.



## الفصل الثامن

---

إلى جزر الهند شمالاً  
الطرق الإنجليزية، الفرنسية،  
الهولندية، والروسية



كانت لاكتشاف العالم الجديد عواقب أكثر أهمية نسبياً لمختلف الدول في أوروبا. وحتى تلك الفترة، كانت المراكز الرئيسة لأكثر من ألفي سنة حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وكما رأينا، فإن مدينة فينيسيا (البندقية)، بموقعها المركزي وتجارها الواسعة نحو الشرق، أصبحت مركز العالم، خلال العصور الوسطى الأخيرة. ولكن بعد كولومبوس، وإلى حد ما بعد ماجلان، تبيّن للدول الأوروبية الواقعة على المحيط الأطلسي أنها كانت أقرب إلى العالم الجديد، وإلى حد ما، أقرب إلى جزر التوابل التي يمكنهم أن يصلوا إليها بكل وسيلة عن طريق السفن، بدلاً من الحاجة إلى دفع رسوم الشحن البري الباهظة الثمن. وأصبحت الآن طرق التجارة عبر ألمانيا مهمة، وفي كل حال، هي الوحيدة في القرن الحالي التي قد تعافت من الضربة التي تلقتها باكتشاف الطرق البحرية الجديدة التي لم تتمكن من الانضمام إليها. غير أن إنجلترا وفرنسا والدول الأدنى كانت قد وعدتها بحصة مستقبلية في التجارة وشؤون العالم عموماً، لم تكن تمتلكها حتى حينه، فيما كان البحر المتوسط مركز التجارة. وإذا كانت الهند سيتم الوصول إليها عن طريق البحر، فهم كانوا تقريباً في موقع محظوظ كالبرتغال أو إسبانيا. وحالما تم اكتشاف الطرق الجديدة، حاولت الدول الشمالية الاستفادة منها، بالرغم من مرسوم التقسيم الذي سخر الملك الفرنسي منه، والذي لم يكن لدى الإنجليز البروتستانت والهولنديين سببٌ لاحترامه. في غضون ثلاث سنوات من عودة كولومبوس من رحلته البحرية الأولى، قام الملك (هنري السابع Henry VII)<sup>(1)</sup> بتكليف المستكشف

(جون كابوت John Cabot)<sup>(2)</sup> - وهو فينيسي مستقرّ في بريستول مع أبنائه الثلاثة - لمحاولة القيام برحلةٍ إلى جزر الهند، من الممرّ الشمالي الغربي. ويبدو أنه قد أعاد اكتشاف (نيوفاندلاند Newfoundland)<sup>(3)</sup> في العام (1497 ميلادي)، ثم في العام التالي، أخفق في العثور على ممرّ هناك، وأبحر تقريباً على الساحل أسفل أمريكا الشمالية، وصولاً إلى فلوريدا (Florida)<sup>(4)</sup>.

في العام (1534 ميلادي) تفقّد (جاك كارتيه Jacques Cartier)<sup>(5)</sup> نهر سانت لورانس (St. Lawrence)<sup>(6)</sup>، وتمّت متابعة الاكتشافات في وقتٍ لاحقٍ من قبل (صمويل دي شامبلين Samuel de Champlain)<sup>(7)</sup> الذي اكتشف بعض البحيرات الكبرى بالقرب من نهر سانت لورانس، وأنشأ الحكم الفرنسي في (كندا Canada)<sup>(8)</sup>، أو (أكادي Acadie)<sup>(9)</sup>، كما كانت تُسمى.

وفي الوقت نفسه، قام الإنجليز بمحاولةٍ ثانية للوصول إلى جزر الهند، من الممرّ الشمالي، ولكن هذه المرة باتجاه الشرق. (سيباستيان كابوت Sebastian Cabot)<sup>(10)</sup>، الذي كان قد عُيّن كبير قباطنة إنجلترا من قبل الملك (إدوارد السادس Edward VI)<sup>(11)</sup>، وجه رحلة استكشاف في العام (1553 ميلادي)، تحت قيادة السير (هيو ويلوغبي Hugh Willoughby)<sup>(12)</sup>. واحدة فقط من هذه السفن، كان القبطان (المستشار ريتشارد Richard Chancellor)<sup>(13)</sup> على متنها، نجت من تلك الرحلة، ووصلت إلى جزر الملائكة، فذهب من هناك براً إلى (موسكو Moscow)<sup>(14)</sup>، حيث تمّ استقباله بحظوةٍ من قبل قيصر روسيا (إيثنان الرهيب Ivan the Terrible)<sup>(15)</sup>، غير أنّه غرق في طريق عودته، قبل أن تُكتب له أيّ محاولةٍ للوصول إلى كاثاي عن طريق البحر.

يبدو أن الممرّ الشمالي الغربي كان على موعدٍ أفضل من ذلك الذي في الشمال الشرقي. ففي العام (1576 ميلادي) بدأ (مارتن فروبيشر Martin

(Frobisher)<sup>(16)</sup> رحلة استكشاف، بعدما بعدما حظي بشرف التحية من الملكة (إليزابيث Elizabeth)<sup>(17)</sup>، عندما كان ماراً بـ (غرينتش Greenwich)<sup>(18)</sup>، ووصل إلى غرينلاند، ومن ثم (لابرادور Labrador)<sup>(19)</sup>. وفي رحلة بحرية لاحقة في العام التالي، اكتشف المضيق المسمّى باسمه، وأخذ الموافقة على مشروعه من السير (همفري جلبرت Sir Humphrey Gilbert)<sup>(20)</sup>، كما منحه الملكة إليزابيث، هو وشقيقه (أدريان Adrian)<sup>(21)</sup>، امتياز الوصول إلى ممرّ الصين وجزر الملوك من الشمال الغربي، أو الطريق الشمالي، بدلاً من الشمال الشرقي. في الوقت نفسه، تمّ منحه براءة اكتشاف أراضي غير مأهولة من قبل الأمراء المسيحيين، وإنشاء مستعمرة في (سانت جونز St. John's)<sup>(22)</sup>، نيوفاوندلاند. ولكن، أثناء رحلة العودة، وبالقرب من جزر الأزور، اختفت «فرقاطة» السير همفري (وهي قاربٌ صغير يتسع لعشرة رجال)، بعدما سُمع نداء: «الشجاعة يا أولادي.. نحن نقرب من السماء عن طريق البحر كما عن طريق البر!» حدث هذا في العام (1583 ميلادي).

بعد سنتين، أرسلت بعثةٌ أخرى من قبل تجار لندن، تحت إمرة المستكشف (جون ديفيس John Davis)<sup>(23)</sup>، الذي اكتشف في هذه الرحلة، وفي اثنتين من الرحلات اللاحقة، العديد من الممرات المتجهة غرباً، والتي كفلت أمل العثور على ممرّ الشمال الغربي، إلى جانب المضيق الذي يحمل اسمه. ومن المرجّح أنّه - في رحلته الثالثة في العام (1587 ميلادي) - قد مرّ عبر الممرّ الذي سُمّي الآن باسم هدرسون، ولم تتمّ متابعة اكتشافاته لمدة عشرين عاماً، عندما جرى إرسال (هنري هدرسون Henry Hudson)<sup>(24)</sup> في العام (1607 ميلادي)، مع طاقم من عشرة رجالٍ وصبيّ، فوصل إلى (سبيتزبرغن Spitzbergen)<sup>(25)</sup>، إلى 80° شمالاً. وفي العام التالي، وصل إلى القطب الشمالي (المغناطيسي)، الذي كان يقع في 75° N، وكان اثنان من رجاله محظوظين بما فيه الكفاية لرؤية حورية البحر أيضاً، أو لعلّهما شاهداً امرأةً من الإسكيمو في قارب



الكايك. وفي رحلةٍ ثالثة، في العام (1609 ميلادي)، اكتشف المضيق والخليج الذي يحمل اسمه الآن، ولكن تمّ تركه على الشاطئ من قبل طاقمه، ولم يُسمع عنه شيءٌ بعد ذلك، وكان قد سبق له أن أمضى فترةً من الوقت في خدمة الهولنديين، وأرشدتهم إلى النهر المسمّى باسمه (نهر هدسون) الذي تقع عليه مدينة (نيويورك New York)<sup>(26)</sup> اليوم. كان مسار الاكتشافات الإنجليزية في الشمال قد اكتمل برحلة (ويليام بافن William Baffin)<sup>(27)</sup> في العام (1615 ميلادي)، ما أدى إلى اكتشاف الأرض المسماة باسمه، فضلاً عن العديد من الجزر في الشمال الأمريكي.

وفي الوقت نفسه، شارك الهولنديون في أعمال الاكتشاف نحو الشمال، وثاروا ضد استبداد فيليب الثاني الذي كان - في تلك الآونة - ملكاً على كلٍّ من إسبانيا والبرتغال. في البداية، حاولوا تبني طريقٍ لا يجعلهم يصطدمون بأسيادهم القدامى، وفي ثلاث رحلات، بين العامين (1594 و 1597 ميلادي)، حاول (ويليام بارنتز William Barentz)<sup>(28)</sup> المرور من الشمال الشرقي، تحت رعاية الدول العامة، واكتشف (جزيرة شيري Cherry Island)<sup>(29)</sup>، واقترب من سبيتزبيرجين، لكنه فشل في الهدف الرئيس من بحثه.. بات اهتمام الهولنديين موجهاً منذ ذلك الحين فصاعداً، نحو الاستيلاء على الطريق البرتغالي، بدلاً من إيجاد طريقٍ جديدٍ لأنفسهم.

السبب الذي جعلهم قادرين على القيام بذلك؛ هو النموذج الغريب من العداوة في التاريخ. ونتيجة سلسلةٍ من حالات الزواج المقصودة التي خطّط لها فرديناند في أراغون؛ ضمّ التاج البرتغالي وجميع ممتلكاته إلى إسبانيا، في العام (1580 ميلادي)، تحت حكم فيليب الثاني. وبعد عام واحد، تراجعت المقاطعات الشمالية الهولندية عن الولاء لإسبانيا، فصارت لهم بالتالي الحرية في الهجوم ليس على السفن والمستعمرات الإسبانية فحسب، بل أيضاً على تلك التي كانت تنتمي سابقاً إلى البرتغال. وفي وقتٍ مبكرٍ من العام (1596 ميلادي)، دار (كورنيليوس

هوتمان (Cornelius Houtman)<sup>(30)</sup> حول رأس الرجاء الصالح، وزار سومطرة و(باننام Bantam)<sup>(31)</sup>. وخلال الخمسين عاماً التالية، حلّ الهولنديون محل البرتغاليين في العديد من ممتلكاتهم الشرقية؛ وفي العام (1614 ميلادي) استولوا على (ملقا)، وبها تمّت السيطرة على جزر التوابل. وبحلول العام (1658 ميلادي) حصلوا على حيازة كاملة لسيلان. في وقتٍ سابقٍ لذلك بكثير، أي في العام (1619 ميلادي)، قاموا بتأسيس (باتافيا Batavia)<sup>(32)</sup> في جاوة، وجعلوها مركزاً لممتلكاتهم الهندية الشرقية، كما لا تزال حتى يومنا هذا.

في بادئ الأمر، حاول الإنجليز أن يُقلّدوا الهولنديين في سياستهم الهندية الشرقية، فتأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية من قبل إليزابيث، في العام (1600 ميلادي). وفي وقتٍ مبكرٍ من العام (1619 ميلادي) اضطرّ الهولنديون للسماح لهم بأن يأخذوا حصّةً ثالثة من عوائد جزر التوابل. ومن أجل القيام بذلك، استقرّ العديد من المزارعين الإنجليز في جزيرة أمبويانا. ولكن، في غضون أربع سنوات، وصلت المنافسات التجارية إلى ذروتها، بأن قتل الهولنديون بعض هؤلاء التجار الإنجليز، واقتادوا الباقين من تلك الجزر. ونتيجةً لذلك، صبّت الشركة الإنجليزية اهتمامها على البرّ الرئيس من الهند نفسها، حيث سرعان ما حصلت على ملكية كلّ من (مادراس Madras)<sup>(33)</sup> و(بومباي Bombay)<sup>(34)</sup>، وتركت جزر المحيط الهندي، بالمقام الأول، في حيازة الهولنديين؛ وسنرى لاحقاً أثر ذلك على تاريخ الجغرافيا. امتلاكها جزر الهند الشرقية يرجع إلى أن الهولنديين كانوا عملياً هم المكتشفين لأستراليا، ولقد تركت إحدى نتائج سياسة الهند الشرقية الهولندية آثارها حتى يومنا هذا. وفي العام (1651 ميلادي)، قاموا بإنشاء مستعمرة في رأس الرجاء الصالح، سقطت في أيدي الإنجليز خلال الحروب النابليونية، عندما امتلك (نابوليون Napoleon)<sup>(35)</sup> هولندا.

وفي الوقت ذاته، لم يتغاض الإنجليز عن إمكانيات الممر الشمالي الشرقي.. إن لم يكن للوصول إلى جزر التوابل، فلكي يكون- في كل الأحوال- وسيلة للاستفادة من الطريق البري إلى الصين، والذي احتكرته جنوة حتى الآن. في العام (1558 ميلادي)، تم إرسال رجل إنجليزي نبيل - اسمه (أنثوني جينكينسون Anthony Jenkinson)<sup>(36)</sup> - سفيراً إلى قيصر موسكو، وسافر من موسكو إلى بخارى، لكنه لم يكن موفقاً بشكل جيد في مشروعه، فكان على إنجلترا أن تكون مقتنعةً لبعض الوقت بتلقي بضائعها الهندية والصينية من الأساطيل التجارية الفينيسية، كما في السابق، لكنهم في النهاية لم يجدوا سبباً يمنعهم من إقامة علاقات مباشرة مع الشرق، فتأسست شركة من التجار في بلاد الشام، في العام (1583 ميلادي)، لفتح اتصالات مباشرة مع حلب و(بغداد Bagdad)<sup>(37)</sup> وهرمز و(غوا Goa)<sup>(38)</sup>، لكنهم فشلوا في المكانين الأخيرين، بسبب غيرة البرتغاليين، فقاموا بترتيبات لعبور أرخص البضائع الشرقية إلى إنجلترا. وفي العام (1587 ميلادي)، كانت آخر سفينة تجارية فينيسية من نوع (أرغوسي argosy)<sup>(39)</sup>، وهي سفينة عظيمة وزن 1100 طن، قد تحطمت قبالة جزيرة (وايت Wight)<sup>(40)</sup>. ومن هذه اللحظة، أجرى الإنجليز مشاريعهم التجارية مع الشرق، وكان احتكار فينيسيا والبرتغال في نهايته.

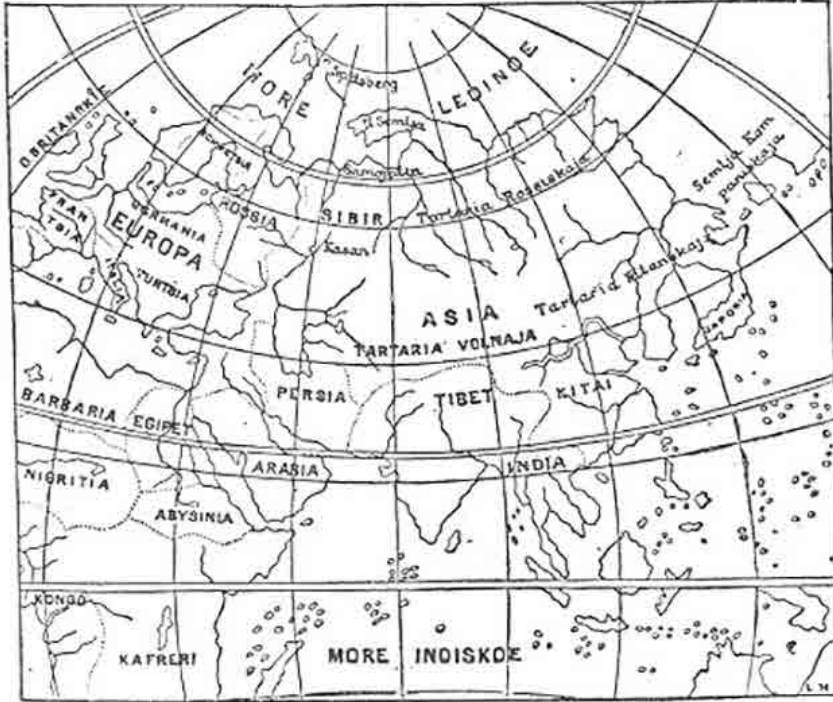
لكن رحلات المستشار جينكينسون إلى بلاط موسكو كانت لها تأثيرات بعيدة المدى. فالروس أنفسهم شغلهم التفكير في الاستفادة من قربهم من إحدى الطرق الأكثر شهرة في الشرق الأقصى. وبعد فترة وجيزة من زيارة جينكينسون، بدأ القيصر إيفان الرهيب بتوسيع سيطرته شرقاً، حيث أرسل في البداية عدداً من القوات لمرافقة التاجر

الروسي (ستروغونوف Strogonof)<sup>(41)</sup>، وصولاً إلى نهر (أوبي Obi)<sup>(42)</sup>، بحثاً عن حيوان السمور<sup>(\*)</sup>. وكان من بين القوات سلاحٌ من ستة آلاف من القوزاق، بقيادة (فاسيلي يرماك Vassili Yermak)<sup>(43)</sup>، الذي وجد التتار لقمةً سائغة، فقرر في البداية إقامة مملكةٍ جديدة لنفسه. وفي العام (1579 ميلادي) نجح في التغلب على التتار وبلدتم الرئيسة (سيبير Sibir)<sup>(44)</sup>، بالقرب من (توبولسك Tobolsk)<sup>(45)</sup>؛ لكنه وجد صعوبةً في الاحتفاظ بمركزه، وعزم على العودة إلى ولائه للقيصر، شرط أن يحصل على الدعم الذي مُنحَ له بسهولة، ومُنذ ذلك الحين، اندفع الروس بشكل مُتَّردٍ إلى تلك البلاد المجهولة في شمال آسيا، حيث سُميت بلدةٌ صغيرة غزاها يرماك على اسمه، ويكاد لا يوجد لها أي أثر اليوم. وفي وقتٍ مبكرٍ من العام (1639 ميلادي)، وصلت إلى المحيط الهادئ- تحت قيادة (كوبيلوف Kupilof)<sup>(46)</sup> - قوةٌ تم إرسالها من ميناء (يوكوتز Yakutz)<sup>(47)</sup>، على نهر (لينا Lena)<sup>(48)</sup>. وفي العام (1643 ميلادي) وصلت إلى نهر (آمور Amur)<sup>(49)</sup>، وأصبح الروس لأول مرة على اتصالٍ بالصينيين، وبالتالي تم الحصول على طريقةٍ جديدة للوصول إلى كاثاي، في حين اكتسبت الجغرافيا معرفةً عن مدى امتداد شمال آسيا. وفي الوقت نفسه تقريباً، في العام (1648 ميلادي)، تم الوصول إلى المحيط المتجمّد الشمالي، على الشواطئ الشمالية لـ (سيبيريا Siberia)<sup>(50)</sup>، وأبحر أسطولٌ بقيادة قوزاق ديشينف من (كولما Kolyma)<sup>(51)</sup>، ليصل إلى المضيق المعروف باسم مضيق (بيرينغ Behring)<sup>(52)</sup>. وفي جميع الأحوال، لم تنقُص 50 سنة، حتى كان الروس قد وصلوا إلى كامتشاتكا، في العام (1696 ميلادي).

بالرغم من وصول المعرفة التي اكتسبتها هذه الحملات الجريئة

(\*) حيوان السمور من فصيلة الثدييات، يتبع جنس الخنزير من فصيلة العرسيات، يتم صيده للحصول على فروه غالي الثمن، والذي لا يزال سلعةً كمالية حتى يومنا هذا (المترجم).

المتعاقبة باتجاه الشمال والشرق، لا يزال من غير المؤكد ما إذا كانت سيبيريا لم تنضم إلى الجزء الشمالي من العالم الجديد الذي اكتشفه كولومبوس وأمريكو. وفي العام (1728 ميلادي)، كان (بُطرس الكبير Peter the Great) <sup>(53)</sup> قد أرسل بعثة تحت قيادة (فيتوس بيرينغ Vitus Behring) <sup>(54)</sup> - وهو دنماركي كان في الخدمة الروسية - بهدف سريع للتأكد من هذه النقطة، فوصل إلى كامتشاتكا، وبنى هناك سفينتين حسب توجيهات القيصر، وبدأ في رحلته شمالاً، مبحراً بمحاذاة الساحل على طول الأرض. وعندما وصل إلى أقل من 67° شمالاً، لم يجد أرضاً في الشمال أو الشرق، وتصور أنه وصل إلى نهاية القارة. والواقع أنه كان في دائرة 30 ميلاً من الساحل الغربي لأمريكا، إنما يبدو أنه لم يكن على بينة من هذا، كونه مقتنعاً فقط بحل مشكلة



الخريطة الروسية لآسيا... 1737م

خاصة وُضِعَتْ أمامه من قبل القيصر؛ ومن ثم فإنّ المضيق الذي اكتشفه بيرينغ، وبالرغم من عدم معرفته بأنه مضيق، أصبح منذ ذلك الحين معروفاً باسمه. وفي العام (1741 ميلادي)، قام بيرينغ مرةً أخرى برحلة استكشافية للتأكد من المسافة إلى شرق أمريكا، وفي غضون أسبوعين، بات على مرأى من جبل شامخ أطلق عليه اسم جبل (سانت إلياس St. Elias)<sup>(55)</sup>. أثناء هذه الرحلة، مات بيرينغ نفسه، على الجزيرة التي سميت باسمه أيضاً، وكان قد حل أخيراً العلاقة بين العالمين الجديد والقديم.

ومع ذلك، فإنّ هذه الرحلات من قبل بيرينغ، تنتمي إلى مرحلة استكشاف متأخرة أكثر من تلك التي عالجناها في الفصول الثلاثة السابقة، فلقد أجريت استكشافاته بشكل أساسي لأغراض علمية، وحلّ مشكلة علمية، في حين أنّ جميع الدراسات الأخرى، من إسبانية وبرتغالية وإنجليزية وهولندية، توجهت إلى غاية واحدة، هي الوصول إلى جزر التوابل وكاثاي. بدأ البرتغاليون البحث بطريقة بطيئة، وذلك بالسير ببطء على ساحل أفريقيا؛ ومن خلال تبنّيهم فكرة كولومبوس الجريئة، ومحاولتهم تطبيقها بالطريق الغربي، وتحت تصور ماجلان الأكثر جرأة، نجح الإسبان بالقدر ذاته في الوصول إليها بهذه الطريقة، بينما سعى الإنجليز والفرنسيون للحصول على الممر الشمالي الغربي لجزر الملوك، في حين حاول الإنجليز والهولنديون بالطريق الشمالي الشرقي. وفي كلا الاتجاهين، منعتهم الحواجز الجليدية في الشمال من النجاح. وكما سنرى، تمّ تأجيل استكمال الممر الشمالي الغربي في القرن الحالي للمستكشف (ماكلور Maclure)<sup>(56)</sup>، والشمال الشرقي للمستكشف (نوردنسكيولد Nordenskiöld)<sup>(57)</sup>، اللذين أبحرا بدوافع مختلفة تماماً عن تلك التي جَلَبَتْ لأول مرة الملاحين من إنجلترا وفرنسا وهولندا، إلى داخل الدائرة القطبية الشمالية.

وكانت النتيجة الصافية لجميع هذه المحاولات، من قبل دول أوروبا، لنزع احتكار التجارة الشرقية من الفينيسيين؛ هي إضافة المعرفة إلى الجغرافيا، بوجود عالم جديد يتداخل بين الشواطئ الغربية لأوروبا، والشواطئ الشرقية لآسيا. ولا يزال يتعين علينا أن نتعلم الوسائل التي اكتُشِفَ بها العالم الجديد، والذي استكشفتها الأمم الأوروبية وامتلكته.

**[Authorities: Cooley and Beazeley, John and Sebastian Cabot, 1898].**

## (هوامش الفصل الثامن)

- (1) هنري السابع Henry VII (28 يناير 1457م - 21 أبريل 1509م): ملك إنجلترا، تمكن من الاستيلاء على التاج في 22 أغسطس 1485م حتى وفاته في 21 أبريل 1509م، والملك الأول من بيت تيودور. حكم إمارة ويلز حتى 29 نوفمبر 1489م، وكان لورد إيرلندا. فاز هنري بالعرش عندما هزمت قواته الملك ريتشارد الثالث في معركة بوسورث، وكان آخر ملك لإنجلترا يكسب عرشه في ميدان المعركة، ولقد عزز سلطته بالزواج من إليزابيث يورك، ابنة إدوارد الرابع وابنة شقيق ريتشارد الثالث. نجح هنري في استعادة قوة واستقرار النظام الملكي الإنجليزي بعد الحرب الأهلية، وإليه يُنسب عددٌ من المبادرات الإدارية والاقتصادية والدبلوماسية.
- (2) جون كابوت John Cabot أو بالفينيسية جيوفاني كابوتو Giovanni Caboto (1450م - 1500م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر فينيسي، كان قد اكتشف في العام 1497م ساحل أمريكا الشمالية، بقيادة لجنة هنري السابع ملك إنجلترا، وكان أول مستكشف أوروبي يصل إلى البرّ الرئيس لأمريكا الشمالية، منذ زيارة الإسكندنافيين لفينلاندا في القرن الحادي عشر.
- (3) جزيرة نيوفاوندلاند Newfoundland: جزيرة كندية بالقرب من الساحل الشرقي لكندا، تشكل مع منطقة لابرادور في البرّ الكندي ما يُعرف بمقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور، إحدى مقاطعات كندا، اكتشفت العام 1497م على يد جون كابوت.
- (4) فلوريدا Florida وتعني بالإسبانية «أرض الزهور»: هي الآن ولاية تقع في أقصى الجنوب من المنطقة الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة، يحدها من الغرب خليج المكسيك وألاباما، من الشمال ألاباما وجورجيا، من الشرق المحيط الأطلسي، ومن الجنوب مضيق فلوريدا.
- (5) جاك كارتيه Jacques Cartier (31 ديسمبر 1491م - 1 سبتمبر 1557م): مستكشف ومُستعمر بريتوني، ادعى ما يُعرف الآن بكندا ملكيةً لفرنسا، وكان أول أوروبي يصف ويضع خريطة لخليج سانت لورانس وشواطئ نهر سانت لورانس الذي أطلق عليه اسم «بلد القندس».
- (6) نهر سانت لورانس St. Lawrence (كان يسمى «الممر المائي الكبير» باللغة المحلية): نهرٌ كبير في خطوط العرض الوسطى من أمريكا الشمالية، يتدفق باتجاه الشمال الشرقي، ويربط البحيرات العظمى بالمحيط الأطلسي، ويتشكل من تدفق الصرف الرئيس لحوض البحيرات الكبرى، كما يجتاز المقاطعات الكندية في كيبيك وأونتاريو، وهي جزء من الحدود الدولية بين أونتاريو - كندا، ونيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية.



- (7) صمويل دي شامبلين **Samuel de Champlain** (في أو قبل 13 أغسطس 1574م - 25 ديسمبر 1635م) ويُلقب «والد فرنسا الجديدة»: ملاح ورسام خرائط وجندي ومستكشف ومستعمر وعالم جغرافيا وعالم في علم الأعراق ودبلوماسي ومراسل. أسس فرنسا الجديدة ومدينة كيبيك في 3 يوليو 1608م، وهو أمر مهم للتاريخ الكندي، لأنه قدّم أول خريطة دقيقة للساحل، وساعد في إنشاء المستوطنات.
- (8) كندا **Canada**: ولاية في أمريكا الشمالية، تمتدّ من الولايات المتحدة الأمريكية في الجنوب إلى الدائرة القطبية الشمالية في الشمال، وتشمل مدنها الرئيسة تورونتو، ومونتريال الناطقة بالفرنسية ومدينة كيبيك، والعاصمة أوتاوا. تشتمل كندا على مساحات شاسعة من البرّ وحديقة وطنية مليئة بالبحيرات في جبال روكي، كما أنها موطن لشلالات نياغارا، وهي مجموعة مشهورة من الشلالات الضخمة.
- (9) أكادي **Acadie**: الاسم القديم لكندا.
- (10) سيباستيان كابوت **Sebastian Cabot** (1474م - ديسمبر 1557م): مُستكشف ومُستعمر إيطالي فينيسي، من المحتمل أنه ولد في جمهورية فينيسيا. كان ابن المستكشف الإيطالي جون كابوت (جيوفاني كابوتو). بعد وفاة والده، أجرى كابوت رحلته الخاصة لاكتشاف والسعي إلى الممر الشمالي الغربي من خلال أمريكا الشمالية إلى إنجلترا، ثم أبحر في وقتٍ لاحقٍ إلى إسبانيا، وسافر إلى أمريكا الجنوبية، حيث استكشف ريودي لابلاتا وأنشأ اثنتين من الحصون الجديدة.
- (11) إدوارد السادس **Edward VI** (12 أكتوبر 1537م - 6 يوليو 1553م): ملك إنجلترا وإيرلندا من 28 يناير 1547م حتى وفاته. هو ابن إدوارد هنري الثامن وجين سيمور، تمّ تنويجه في 20 شباط / فبراير وكان في التاسعة من العمر، وهو أول ملك في إنجلترا يتم تنصيبه على أنه بروتستانتي.
- (12) السير هيو ويلوغبي **Hugh Willoughby** (توفي 1554م): رحالة ومُستعمر إنجليزي، من ريسلي - ديربيشاير، كان من أوائل الرحالة الإنجليز للقطب الشمالي. أبحر ويلوغبي كقبطان لبونا إسبيرانزا مع اثنتين من السفن الأخرى تحت قيادته والرائد ريتشارد تشانسيلور، من قبل شركة من تجار لندن المعروفين باسم شركة التجار المغامرين إلى الأراضي الجديدة التي أصبحت في ما بعد شركة مسكوفي.
- (13) المستشار ريتشارد **Richard Chancellor** (توفي 1556م): مستكشف وملاح ومُستعمر إنجليزي؛ أول من اخترق البحر الأبيض وأقام علاقات مع روسيا.
- (14) موسكو **Moscow**: هي العاصمة ومن أعظم المدن في روسيا، ولديها مركز مدينة اتحادية روسية، كما أنها مركز سياسي واقتصادي وثقافي وعلمي رئيس لروسيا وأوروبا الشرقية، وتعدّ من بين أكبر المدن في العالم.

(15) إيشان الرابع فاسيليفيتش **Ivan IV Vasilyevich** (25 أغسطس 1530م - 28 مارس 1584م) والمعروف بلقب إيشان الرهيب أو إيشان المخيف أو إيشان المُهاب: كان الأمير الكبير لموسكو، من 1533م إلى 1547م، ثم «القيصر على جميع الروس» حتى وفاته في العام 1584م. جرى استخدام لقبه الأخير من قبل جميع خلفائه. خلال عهده، احتلت روسيا خانات كازان، وأستراخان وسيبير، لتصبح دولةً متعددة الأعراق ومتعددة القارات تمتد حوالي 4,050,000 كلم<sup>2</sup> (1,560,000 ميل مربع). مارس السيطرة الاستبدادية على النبلاء الوراثيين الروس، ووضع بيروقراطية لإدارة الأراضي الجديدة، وحوّل روسيا من دولة من العصور الوسطى إلى إمبراطورية. تقدّم المصادر التاريخية روايات متباينة عن شخصية إيفان المعقدة، إذ كان دبلوماسياً قديراً، وراعياً للفنون والتجارة، ومؤسساً لساحة الطباعة في موسكو، أول دار نشر في روسيا، ولكن لوحظ فيه جنون العظمة والمعاملة القاسية لطبقة النبلاء الروس.

(16) السير مارتن فروبيشر **Martin Frobisher** (1535 أو 1539م - 15 نوفمبر 1594م): بحّار ومُستعمر إنجليزي، قام بثلاث رحلات إلى العالم الجديد، للبحث عن الممر الشمالي الغربي. هبط في شمال شرق كندا، حول جزيرة القرار اليوم وخليج فروبيشر. في رحلته الثانية، وجد فروبيشر ما كان يُعتقد أنه خام الذهب، وحمل 200 طنّ منه إلى موطنه على متن ثلاث سفن، وبعد صهره تبين أنه نوع من الحديد البيريت. وبصفته قائداً للقراصنة الإنجليز، قام بنهب ثروات من السفن الفرنسية، وفي وقتٍ لاحق مُنح لقب فارس، لخدمته في صدّ الأرمادا الإسبانية في العام 1588م.

(17) إليزابيث الأولى **Elizabeth I** (7 سبتمبر 1533م - 24 مارس 1603م): ملكة إنجلترا وإيرلندا من 17 نوفمبر 1558م حتى وفاتها. في بعض الأحيان تسمى بالملكة العذراء، وكانت آخر ملكة من بيت تودور.

(18) خط غرينيتش أو مدار غرينيتش **Greenwich**: هو خط افتراضي لحساب التوقيت، سمّي بذلك لأنه يمرّ في مدينة غرينيتش اللندنية، ويقسم الكرة الأرضية إلى قسمين: شرقي وغربي، وثمة 360 خط طول، منها 180 خطاً شرقي خط غرينيتش، و180 خطاً غربي خط غرينيتش. غرينيتش ضاحية تقع جنوب شرق لندن، وهي حالياً جزء من لندن، يمكن تمييزها بسهولة من أول نظرة على خريطة لندن، وذلك لوقوعها تحت الانحناء المميز لنهر التايمز. يمر خط غرينيتش على أوروبا وأفريقيا، وهو يفصل بعض الدول إلى قسمين، مثل الجزائر وبريطانيا وفرنسا ومالي وغانا، ويمر على مناطق لديها التوقيت ذاته.

(19) لابرادور **Labrador**: منطقة تتبع نيوفاوندلاند، تبلغ مساحتها 284,900 كلم<sup>2</sup>، تقع عند مصب نهر سانت لورنس، عاصمتها باتل هاربر، ومعظم سكانها هنود الجونكوين والإسكيمو ينتشرون على طول ساحل الأطلنطي.

- (20) السير همفري جيلبرت **Sir Humphrey Gilbert** (1539م - 9 سبتمبر 1583م): مُغامر ومُستكشف ومُستعمر إنجليزي، وعضو في البرلمان وجندي خدم في عهد الملكة إليزابيث الأولى التي كانت رائدة في الإمبراطورية الاستعمارية الإنجليزية وفي أمريكا الشمالية ومزارع إيرلندا، وهو الأخ غير الشقيق للسير والتر رالي، وابن عم السير ريتشارد غرينفيل.
- (21) أدريان **Adrian** (1541م): ملاح ومستكشف إنجليزي، كان قد شارك أخاه همفري اكتشافاته.
- (22) سانت جون **St. John's**: مدينة في جزيرة نيوفاوندلاند، قبالة ساحل كندا الأطلسي، وهي عاصمة مقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور، وقد استقر الإنجليز في هذا الميناء في القرن السابع عشر.
- (23) جون ديفيس **John Davis** (1550م - 29 ديسمبر 1605م): كان واحداً من كبار الملاحين الإنجليز لإليزابيث الأولى. قاد رحلات عدة لاكتشاف الممر الشمالي الغربي، وعمل كقبطان في كل من الرحلات الهولندية والإنجليزية إلى جزر الهند الشرقية. اكتشف جزر فوكلاند (اليوم إقليم ما وراء البحار البريطاني) في أغسطس 1592م.
- (24) هنري هدسون **Henry Hudson** (1565م - 1611م): مُستكشف وملاح ومُستعمر لدى البحرية الإنجليزية، خلال أوائل القرن السابع عشر. اشتهر باكتشافاته في كندا الحالية وأجزاء من شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية. وضع حجر الأساس للاستعمار الهولندي للمنطقة، واكتشف مضيق هدسون وخليج هدسون الهائل في رحلته النهائية، أثناء بحثه عن الممرات الشمالية الغربية في العام 1611م.
- (25) سبيتسبيرغن **Spitzbergen**: الجزيرة الأكبر والوحيدة المأهولة بالسكان في أرخبيل سفالبارد- النرويج. هذه الجزيرة التي تكسوها الثلوج بالكامل خلال فصل الشتاء، تمتع بطبيعة ساحرة تتألف بالشفق القطبي الذي يعدّ إحدى الظواهر الكونية النادرة، كما تقدّم للسائح فرصة عيش مغامرات تحبس الأنفاس، من خلال جولات الكهوف الجليدية. خلال فصل الشتاء، يبلغ متوسط الحرارة في جزيرة سبيتسبيرغن حوالي 15° تحت الصفر، وتزداد فترات الظلام التي تغطيها، ولا تشرق الشمس أبداً في الفترة من منتصف تشرين الأول / أكتوبر إلى منتصف شباط / فبراير من كل عام.
- (26) نيويورك **New York**: هي الآن ولاية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية، كانت واحدة من المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية التي شكلت الولايات المتحدة الأمريكية.
- (27) ويليام بافن **William Baffin** (1584م - 23 يناير 1622م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إنجليزي، معروف بمحاولته اكتشاف ممر شمال غرب المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ، وخلالها اكتشف خليج بافن في كندا الحالية. كما كان مسؤولاً عن مسوحات استثنائية للبحر الأحمر والخليج العربي، نيابةً عن شركة الهند الشرقية.

(28) ويليام بارنتز **William Barentz** (1550م - 20 يونيو 1597م): ملاح ورّسام خرائط ومُستكشف ومُستعمر هولندي في القطب الشمالي. ذهب بثلاث رحلات إلى أقصى الشمال، باحثاً عن الممر الشمالي الشرقي، وخلال حملته الثالثة، تقطعت السبل بالطاقم على السفينة نوافيا زيمليا لمدة عام تقريباً. توفي بارنتز أثناء رحلة العودة في العام 1597م، فتُمت تسمية بحر بارنتز على اسمه.

(29) جزيرة شيري **Cherry Island**، اسمها السابق جزيرة الدب القطبي **Bear Island**: هي الجزيرة الواقعة في أقصى جنوب أرخبيل سفالبارد النرويجي، وتقع في الجزء الغربي من بحر بارنتز، في منتصف الطريق تقريباً بين سبيتسبيرغين ورأس الشمال. تم اكتشاف جزيرة شيري من قبل المستكشفين الهولنديين ويليم بارنتس ويكوب فان هيمسكيرك في 10 يونيو 1596م. وسميت باسم الدب القطبي الذي شوهد يسبح في مكان قريب منها. تغيّر اسمها في العام 1603م على اسم السير فرنسيس شيري **Francis Cherry**، حسب ما وجدته من معلومات وردت في موسوعة القطب الشمالي **Encyclopaedia of arctic** (المترجم).

(30) كورنيليوس دي هوتمان **Cornelius Houtman** (2 أبريل 1565م - 1 سبتمبر 1599م): هو شقيق فريديريك دي هوتمان، مستكشف ومستعمر هولندي، اكتشف طريقاً بحرية جديدة من أوروبا إلى إندونيسيا، مهدت لتجارة التوابل الهولندية. في ذلك الوقت، احتكرت الإمبراطورية البرتغالية تجارة التوابل، وكانت الرحلة انتصاراً رمزياً لهولندا، بالرغم من أن الرحلة نفسها كانت كارثة. كان هوتمان أيضاً جاسوساً، بعدما عمل ضد البرتغاليين عن طريق العودة إلى هولندا بمعلومات بحرية متميزة حصل عليها خلال إقامته في البرتغال.

(31) باننام **Bantam**: ميناء في غرب جاوا، بالقرب من مضيق سوندا الذي كان مهماً لتجارة الفلفل في العصر التجاري، حيث غالباً ما كانت السفن الأوروبية تتواجد.

(32) باتافيا **Batavia**: اسم عاصمة جزر الهند الشرقية الهولندية، وتتوافق مع مدينة جاكارتا الحالية. كما أن جاكارتا الحديثة قد تشير إما إلى المدينة نفسها أو إلى مساحة أكبر من المدينة، مع محيطها الجغرافي، والتي كانت واحدة من مقاطعات إندونيسيا.

(33) مادراس **Madras**، تُسمى حالياً تشيناي **Chennai**: هي عاصمة ولاية تاميل نادو الهندية، تقع على ساحل كورومانديل قبالة خليج البنغال، وهي واحدة من أكبر المراكز الثقافية والاقتصادية والتعليمية في جنوب الهند، وخامس أكبر مدينة، والرابعة الأكثر اكتظاظاً بالسكان في الهند.

(34) بومباي **Bombay** المعروفة حالياً باسم مومباي **Mumbai** (تغير اسمها اعتباراً من 1995م): هي عاصمة ولاية ماهاراشترا الهندية، والمدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان في الهند، وتقع على كونكان عند الساحل الغربي للهند، ولديها ميناء طبيعي عميق.

- (35) نابوليون بوناپرت **Napoléon Bonaparte** (15 أغسطس 1769م - 5 مايو 1821م): رجل دولة فرنسا الأول، وزعيم عسكري ومُستعمر فرنسي، ارتفع إلى المكانة البارزة خلال الثورة الفرنسية، وقاد العديد من الحملات الناجحة خلال الحروب الثورية الفرنسية. كما كان نابليون إمبراطور الفرنسيين من العام 1804م حتى العام 1814م، ولفترة وجيزة في العام 1815م (لمائة يوم). هيمن نابليون على الشؤون الأوروبية والعالمية لأكثر من عقدٍ من الزمن، في حين قاد فرنسا ضد سلسلة من الائتلافات في الحروب النابليونية، وانتصر في معظم هذه الحروب والغالبية العظمى من معاركه، وقام ببناء إمبراطورية كبيرة حكمت على القارة القارية قبل انهيارها النهائي في العام 1815م، ويعتبر أحد أكبر القادة في التاريخ، كما أنَّ حروبه وحملاته تدرّس في المدارس العسكرية في جميع أنحاء العالم، وهو من أكثر القادة شهرةً وإثارةً للجدل في تاريخ البشرية.
- (36) أنثوني جينكينسون **Anthony Jenkinson** (1529م - 1610/1611م): رحالة ومُستكشف ومُستعمر إنجليزي، ولد في ماركيت هاربورو- ليسسترشاير، وكان واحداً من أوائل الرجال الإنجليز الذين استكشفوا موسكو في (روسيا الآن). كان جينكينسون رحالة ومستكشفاً نيابةً عن شركة مسكوفي والتاج الإنجليزي، كما التقى إيفان الرهيب مرات عدة خلال رحلاته لموسكو وروسيا، وقام بتسجيل روايات سفره من خلال مجموعة أعمال مكتوبة في حياته.
- (37) بغداد **Baghdad**: مدينة عراقية، هي عاصمة دولة العراق وثاني أكبر مدينة في العالم العربي (بعد القاهرة- مصر)، وثاني أكبر مدينة في غرب آسيا (بعد طهران- إيران)، تقع على طول نهر دجلة. تأسست المدينة في القرن الثامن الميلادي، وأصبحت عاصمة الخلافة العباسية. وفي غضون فترة وجيزة من إنشائها، تحولت بغداد إلى مركز ثقافي وتجاري وفكري كبير للعالم الإسلامي، بالإضافة إلى تأسيس العديد من المؤسسات الأكاديمية الرئيسة بها (على سبيل المثال: بيت الحكمة)، وحصلت على سمعة عالمية، وسميت باسم «مركز العلم».
- (38) غوا **Goa**: ولاية في الهند داخل المنطقة الساحلية المعروفة باسم كونكان في غرب الهند، تحدّها ماهاراشترا من الشمال وكارناتاكا من الشرق والجنوب، وتُشكل الساحل الغربي مع بحر العرب.
- (39) آرغوسي **Argosy**: هي نوعٌ من السفن التجارية التي تنقل البضائع أو الركاب بالإيجار.
- (40) وايت **Wight**: ثاني أكبر جزيرة من حيث عدد السكان في إنجلترا، تقع في القناة الإنجليزية، على بعد حوالي ميلين (2, 3 كلم) قبالة ساحل هامبشاير، وهي مفصولة عن سولنت.
- (41) ستروغانوفس **Stroganovs**، أو ستروغونوفس **Strogonovs**: هي عائلة من التجار الروس الناجحين والصناعيين وملّاك الأراضي ورجال الدولة. في عصر إيفان الرهيب

في القرن السادس عشر، كانوا أغنى رجال الأعمال في تساردوم بروسيا، وقاموا بتمويل الغزو الروسي لسيبيريا والأمير بوزارسكي. بيتر الكبير رفع ستروغانوفس إلى رتبة النبلاء البارونات في الإمبراطورية الروسية. توفي آخر فرد من أفراد الأسرة في قصر ستروغانوف العام 1923م.

(42) **نهر أوبي Obi**، ويُسمى أيضاً **أوب Ob**: هو النهر الرئيس في غرب سيبيريا - روسيا، وسابع أطول نهر في العالم، وهو يتشكل عند التقاء نهري بيا وكاتون اللذين ينبعان من جبال ألثاي، وهو أقصى غرب الأنهار الثلاثة السيبيرية العظيمة التي تندفق إلى المحيط المتجمد الشمالي (نهر ينيسي ونهر لينا).

(43) **فاسيلي يرماك Vassili Yermak**، ذكره المؤلف بهذا الاسم، ولكن بعد البحث والتحقيق من معلومات ترجمته وجدته كما يلي **يرماك تيموفيتش Yermak Timofeyevich** (المترجم): ولد 1532م أو 1542م، توفي 5 أو 6 أغسطس 1585م)، هو القائد القوزاقي الذي بدأ بالغزو الروسي لسيبيريا، في عهد القيصر إيفان الرهيب. نتيجة اهتمامات المصالح الروسية التجارية بالفراء، ازدادت رغبتها في التوسع شرقاً إلى سيبيريا، وجند ستروغانوف مقاتلي القوزاق لغزو آسيا، نيابةً عن القيصر، وانتخب هؤلاء القوزاق يرماك رئيساً لقواتهم المسلحة. في 26 أكتوبر 1582م، أطاح يرماك وجنوده بإمبراطورية تاتار كوتشوم خان في قشليق، خلال معركة سُميت بـ «غزو سيبيريا». بقي يرماك في سيبيريا، وواصل كفاحه ضد التتار حتى العام 1584م، عندما اقتحمته غارة نظمها كوتشوم خان وقتلته هو وفرقتة. خصوصيات حياة يرماك، مثل ظهوره، وخلفيته، ومواعيد الأحداث، تبقى نقاط خلاف بالنسبة إلى المؤرخين، لأن النصوص التي تؤثّق حياته غير موثوق بها.

(44) **سيبير Sibir** وتُسمى أيضاً **إيسكر Isker** أو **قشليق Qashliq**: كانت في القرون الوسطى (القرن 14) قلعة السبيرانية التتار، وفي القرن السادس عشر عاصمة خانات سيبير، وتقع على الضفة اليمنى لنهر إرتيش، عند التقائه مع ريشوليت سيبيركا، على بعد 17 كلم من مدينة توبولسك. تمّ ذكر القلعة للمرة الأولى في المصادر الروسية من القرن الرابع عشر.

(45) **توبولسك Tobolsk**: بلدة في منطقة تيومين - روسيا، تقع عند التقاء نهري توبول وإيرتيش. تأسست توبولسك في العام 1590م، وهي ثاني أقدم مستوطنة روسية شرق جبال الأورال في روسيا الآسيوية، وعاصمة تاريخية لمنطقة سيبيريا.

(46) ذكره المؤلف باسم **كوبيلوف Kupilof**، ولكن بعد البحث والتحقيق بالمعلومات وجدنا أن الشخصية هي **فاسيلي دانيلوفيتش بوياركوف Vassili Danilovich Poyarkov** (المترجم) (؟ - بعد 1668م): كان أول مستكشف روسي لمنطقة أمور، بدأ التوسع الروسي في سيبيريا بغزو خانات سيبير في العام 1582م. وبحلول العام 1639م، وصل إلى المحيط الهادئ، 65 ميلاً جنوب شرقي مصب نهر أوليا. كان ثمة القليل

من الأراضي الصالحة للزراعة شرق نهر ينيسي، باستثناء دوريا، والأرض بين جبال ستانوفوي ونهر أمور التي كانت اسمياً تحت سيطرة الصين، ولقد أرسل بوياركوف لاستكشاف هذه الأرض.

(47) **يوكوتز Yakutz**، أو **ياكوتسك Yakutsk**: عاصمة جمهورية ساخا في روسيا، وتقع على بعد حوالي 450 كلم (280 ميلاً) جنوب الدائرة القطبية الشمالية. ياكوتسك هي ميناء رئيس على نهر لينا.

(48) **نهر لينا Lena**: من الأنهار الثلاثة السiberية العظيمة التي تتدفق من أقصى الشرق إلى المحيط المتجمد الشمالي (والآخران هما أوب وينيسي). ترتيبه الحادي عشر في أطول أنهار العالم، وهو أيضاً ثالث أكبر نهر في آسيا، والأكبر بين الأنهار التي تقع مستجمعاتها بالكامل داخل الحدود الإقليمية الروسية.

(49) **أمور Amur**، أو نهر هيلونغ جيانغ / أي النين الأسود: هو عاشر أطول نهر في العالم، ويشكل الحدود بين الشرق الأقصى الروسي وشمال شرق الصين (الداخلية منشوريا).

(50) **سبيريا Siberia**: منطقة جغرافية واسعة، تُعرف أيضاً باسم شمال آسيا. تاريخياً كانت سبيريا جزءاً من روسيا، منذ القرن السابع عشر. تمتد أراضي سبيريا من جبال الأورال شرقاً إلى مستجمعات المياه بين أحواض تصريف المحيط الهادئ والقطب الشمالي. يقسم نهر ينيسي شطري سبيريا إلى جزأين: غربي وشرقي. تمتد سبيريا من المحيط المتجمد الشمالي جنوباً إلى تلال شمال وسط كازاخستان، وإلى الحدود الوطنية لمنغوليا والصين، وتبلغ مساحتها حوالي 1, 13 مليون كلم<sup>2</sup> (5, 100,000 ميل مربع).

(51) **كوليميا Kolyma**: منطقة تقع في الشرق الأقصى الروسي، يحدها شرقاً بحر سبيريا والمحيط المتجمد الشمالي من الشمال وبحر أوخوتسك من الجنوب، تحصلت المنطقة على اسمها من نهر كوليميا، وسلسلة الجبال لم تكتشف أجزاء منها حتى العام 1926م.

(52) **مضيق بيرينغ Bering Strait**: يقع في المحيط الهادئ الذي يحده القطب الشمالي من الشمال، بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، سمي على اسم مكتشفه فيتوس بيرينغ، المستكشف الدنماركي في خدمة الإمبراطورية الروسية.

(53) **بطرس الكبير Peter the Great** (9 يونيو 1672م - 8 فبراير 1725م): حكم تسار دوم - روسيا، وبعد ذلك الإمبراطورية الروسية من 7 مايو 1682م حتى وفاته، بالاشتراك في الحكم قبل العام 1696م، مع أخيه الأكبر الشقيق إيشان الخامس. من خلال عددٍ من الحروب الناجحة، توسعت تسار دوم إلى إمبراطورية أكبر بكثير، وأصبحت قوةً أوروبية رئيسة. قاد بطرس ثورة ثقافية استبدلت بعض النظم الاجتماعية والسياسية التقليدية للقرون الوسطى، بأخرى حديثة وعلمية وغربية ومبنية على التنوير. أدت إصلاحات بيتر إلى تأثير دائم على روسيا، وترجع العديد من مؤسسات الحكومة الروسية بأصولها إلى عصره.

(54) **فيتوس جوناسن بيرينغ Vitus Jonassen Bering** (عُمِدَ 5 أغسطس 1681م، توفي 19 ديسمبر 1741م) معروف أيضاً باسم إيثان إيثانوفيتش بيرينغ: رسام خرائط ومُستكشف ومُستعمر دنماركي في الخدمة الروسية، وضابط في البحرية الروسية. معروف بأنه قائد لبعثتين روسيتين، هما بعثة كامتشاتكا الأولى، وبعثة شمال الصين الكبرى، واستكشف الساحل الشمالي الشرقي للقارة الآسيوية، ومن هناك الساحل الغربي في قارة أمريكا الشمالية، وواضع موطئ القدم الروسية في شمال القارة الأمريكية. تَمَّت تسمية كلِّ من مضيق بيرينغ، وبحر بيرينغ، وجزيرة بيرينغ، وجبل بيرينغ الجليدي، وجسر بيرينغ البري، تـشـريفاً لـه.

(55) **سانت إلياس St. Elias**: هو رأس يقع في الولايات المتحدة الأمريكية - ألاسكا، في الطرف الجنوبي الغربي من جزيرة كاياك، على بعد 104 كلم (65 ميلاً) جنوب شرق كوردوفا. وجبل سانت إلياس هو ثاني أعلى جبل في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

(56) **السير روبرت جون لي ميسوريه ماكلور Sir Robert John Le Mesurier McClure** (28 يناير 1807م - 17 أكتوبر 1873م): مستكشف ومُستعمر إيرلندي للقطب الشمالي. ولد في مدينة وكسفورد، وكان في العام 1854م أول من عبر ممر الشمال الغربي (عن طريق القوارب والمزلجة)، وكذلك أول من أبحر حول الأمريكيتين.

(57) **البارون نيلس أدولف إريك نوردنسكيولد Nils Adolf Erik Nordenskiöld** (18 نوفمبر 1832م - 12 أغسطس 1901م): بارون فنلندي/ سويدي، عالم جيولوجي، وعالم معادن ومستكشف ومُستعمر القطب الشمالي. كان من عائلة نوردنسكيولد الشهيرة السويدية، الفنلندية، ولد في هلسنكي، في دوقية فنلندا الكبرى عندما كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية. وفي وقتٍ لاحقٍ، وبسبب نشاطه السياسي، اضطر للانتقال إلى السويد، حيث أصبح لاحقاً عضواً في برلمان السويد. قاد حملة فيغا على طول الساحل الشمالي لأوراسيا، في الأعوام 1878-1879م، وكان هذا أول عبور كامل للممر الشمالي الشرقي.





## الفصل التاسع

### تقسيم أمريكا



حتى الآن، كنا نتعامل مع الاكتشافات التي قام بها الإسبان والبرتغاليون على طول ساحل العالم الجديد.. لكنهم، في وقتٍ مبكرٍ من القرن السادس عشر الميلادي، بدؤوا بوضع أقدامهم على اليابسة واستكشفوا المناطق الداخلية. في وقتٍ مبكرٍ من العام (1513 ميلادي) صعد المستكشف (فاسكو نونيز دي بالبوا Vasco Nunez de Balboa)<sup>(1)</sup> أعلى قمة جبل في مجموعة سلسلة الجبال المتتالية من برزخ بنما؛ وللمرة الأولى، وبعيونٍ أوروبية، رأى المحيط العظيم الذي تمت تسميته في ما بعد من قبل ماجلان بالمحيط (الباسفيكي) الهادئ. لقد سمع أن البلد في الجنوب يمتد إلى ما لانهاية، وتقطنه أممٌ عظيمة، مع وفرة معدن الذهب فيه، ومن بين رفاقه الذين سمعوا عن هذه البلاد الذهبية، أو بلاد الإلدورادو، كان (فرانيسكو بيزارو Francisco Pizarro)<sup>(2)</sup> الذي كان مُستعداً للتأكد من هذا الخبر. لكنّ خبراً مماثلاً بلغ أسماع (دييغو فيلاسكيز Diego Velasquez)<sup>(3)</sup>، حاكم كوبا، عن أمةٍ عظيمة تمتلك الكثير من الذهب، إلى شمال منطقة (دارين Darien)<sup>(4)</sup>. وبناءً عليه، أوفد مُلازمه (هيرناندو كورتيس Hernando Cortes)<sup>(5)</sup> في (1519 ميلادي) للبحث، مع عشر سفن وستمائة وخمسين رجلاً، وحوالي ثمانية عشر من الخيول. عندما نزل في الميناء الذي أطلق عليه اسم (فيراكروز Vera Cruz)<sup>(6)</sup>، وظهر رجاله، وخصوصاً مع خيولهم، اندهش المواطنون المحليون المكسيكيون، وأصابهم الذعر، فثمة دولةٌ كبرى وشبه متحضرة في ظلّ حكم (مونتيوزوما Montezuma)<sup>(7)</sup>، وهو آخر ممثل للآزتيك (Aztecs)<sup>(8)</sup>، والذي ورث في القرن الثاني عشر إمبراطورية (تولتيك Toltecs)<sup>(9)</sup>، وهم

شعبٌ استقروا في السهل المكسيكي، في وقتٍ مبكرٍ قد يكون في القرن السابع، وأدخلوا استخدام المعادن والطرق والكثير من مقومات الحضارة. وتفيد التقارير بأن مونتيروما كان قادراً على أن يجمع ما لا يقلّ عن مائتي ألف رجل تحت لوائه، لكنه أبدى رأيه تجاه الإسبان، بأن يرسل إليهم الهدايا النفيسة والذهب والفضة والمواد الخام، غير أنّ هذا التصرف أثار طمع كورتيس الذي عزم على القيام بخطوة جريئة للاستيلاء على كلّ هذه الغنائم القيّمة، فأحرق سفنه وتوغّل في المناطق الداخلية للبلاد، وفي طريقه انتصر على قبيلة (تلاسكالا Tlascala)<sup>(10)</sup> التي كانت في حالة حرب مع المكسيكيين، وعندما تغلّب عليهم، أبدوا استعدادهم لمساعدته ضد هؤلاء؛ وبفضل مساعدتهم، نجح في أسر الملك المكسيكي الذي اضطرّ إلى تقديم جزية كبيرة. وبعد العديد من الصراعات، وجد كورتيس نفسه سيد العاصمة، ومالك جميع ثروات الإمبراطورية المكسيكية (1521 ميلادي)، والتي سرعان ما وضعها تحت أقدام الإمبراطور تشارلز الخامس الذي قام بدوره بتعيينه حاكماً وقائداً عاماً للمكسيك. ومن الخصائص المميزة، طوال فترة تاريخ هذا العالم الجديد، أنّ أيّاً من هؤلاء الجنود المحظوظين - الذين وجدوه لقمةً سائغةً - لم يفكر في أن يؤسس إمبراطوريةً لنفسه، وهذا دليلٌ على تأثير الشعور الوطني في العقول، حتى لدى أكثر الرجال الخارجين عن القانون، فكانت النتيجة أن تمّ جلب أوروبا والأفكار الأوروبية إلى أمريكا، أو بالأحرى، أصبحت أوروبا من روافد العالم الجديد.

وحالما وطد كورتيس نفسه، قام بتجهيز رحلاتٍ لاستكشاف البلاد، ووصل إلى (هندوراس Honduras)<sup>(11)</sup>، بعد رحلةٍ رائعة لأكثر من 1000 ميل)، حيث استرشد فقط بخريطةٍ على قماشٍ قطنيٍّ، رَسَمَ عليها زعيمٌ قبليٌّ من منطقة (تاباسكو Tabasco)<sup>(12)</sup> كلّ المدن والأنهار والجبال التي في البلاد، وصولاً إلى (نيكاراغوا Nicaragua)<sup>(13)</sup>، كما أرسل أسطولاً

صغيراً تحت قيادة (ألفارو دي سافيدرا Alvarro de Saavedra)<sup>(14)</sup> لدعم البعثة الإسبانية التي أرسلت إلى جزر الملوك تحت إمرة البحار (خوان سيباستيان ديل كانو Joan Sebastian del Cano)<sup>(15)</sup>، والتي وصلت إلى جزيرة تيدور في العام (1527 ميلادي)، ما أثار دهشة الإسبانين والبرتغاليين على حدٍ سواء، عندما سمعوا أنه كان قد بدأ من (قشتالة الجديدة New Castile)<sup>(16)</sup>. وفي العام (1536 ميلادي)، قام كورتيس - الذي كان في تلك الأثناء قد خفّض كثيراً من قوته - بتشكيل بعثة عن طريق البحر على طول الساحل الشمالي الغربي للمكسيك، ووصل إلى ما اعتبره جزيرة كبيرة، حدّدها بجزيرة وهمية في الشرق الأقصى، بالقرب من الجنة الأرضية التي أعطي لها اسم (كاليفورنيا California)<sup>(17)</sup> في الرومانسية المعاصرة. وهكذا، وبسبب كورتيس، أصبحت جميع أمريكا الوسطى تقريباً معروفة قبل وفاته في العام (1540 ميلادي)؛ وبشكل مُماثل، وفي فترة أسبق من ذلك بكثير، كان المستكشف (بونس دي ليون Ponce de Leon)<sup>(18)</sup> يعتقد أنه اكتشف جزيرة كبيرة أخرى في فلوريدا في العام (1512 ميلادي)، حين كان ذاهباً للبحث عن (بايوكا Bayuca)<sup>(19)</sup>، الجزيرة الأسطورية للهنود، والتي ذُكر أنه يوجد فيها ينبوع الشباب الدائم. وفي وقت محاولة كورتيس الأولى في المكسيك، كان (بينيدا Pineda)<sup>(20)</sup> قد أبحر حول ساحل فلوريدا، وربطها مع بقية ساحل المكسيك الذي اجتازه حتى وصل إلى فيراكروز.

كانت مآثر كورتيس كلها مهمة في تأثيراتها، ولقد أثبتت - بكل سهولة - كيف أنّ حفنة من الرجال قد يتغلبون على إمبراطورية، ويكسبون منها ثرواتٍ لم يسبق لها مثيل. نجاح كورتيس شجّع فرانسيسكو بيزارو لمحاولة اكتشاف بلاد الإلدورادو التي سمع بها عندما كان في حملة بالبوا. ومع رفيقٍ له يدعى (دييغو دي ألميغرو Diego de Almagro)<sup>(21)</sup> قام بحملات ساحلية عدة على طول الساحل الشمالي الغربي لأمريكا

الجنوبية، حيث سمعوا بإمبراطورية (الإنكا Incas)<sup>(22)</sup> التي تقع على سهل واسع مُرتفع في البيرو، كما حصلوا على كمية وافرة من الذهب والفضة؛ ما يكفي لرفع آمالهم بإثراء بلادهم، فعادوا إلى إسبانيا ليرفعوا تقريرهم إلى الإمبراطور. تمكن بيزارو من الحصول على إذن من تشارلز الخامس بالاستيلاء على البيرو، وأطلق عليه لقب الحاكم والكابتن العام، شرط دفعه إتاوة من خمس الكنز الذي سيحصل عليه. وفي فبراير/ شباط من العام (1531 ميلادي)، بدأ مع قوة صغيرة من مائة وثمانين رجلاً، منهم ستة وثلاثون فارساً، وتبنى سياسة كورتيس، مندفعاً مباشرة نحو العاصمة (كوزكو Cuzco)<sup>(23)</sup>، حيث تمكنوا من القبض على (آتاهوالبا Atahualpa)<sup>(24)</sup>، ملك الإنكا في ذلك الوقت، والذي حاول فدية نفسه بالموافقة على ملء الغرفة التي كان محجوزاً فيها - وهي بمساحة اثنتين وعشرين قدماً في الطول، وست عشرة قدماً في العرض - بسبائك الذهب، وبالارتفاع الذي وصلت إليه يده، ولقد نفذ هذا الوعد المذهل بالفعل، فوجد بيزارو ورفاقه أنفسهم يمتلكون غنائم تساوي ثلاثة ملايين جنيه استرليني.

بالرغم من ذلك، لم يتم الإفراج عن الملك آتاهوالبا، بل حُكم عليه بالإعدام لحجة تافهة! وعندما قام بيزارو بتسريح أتباعه، كان واثقاً تماماً من أن الثروات التي حملوها ستجذب العديد من الرجال إلى بلاد الإلدورادو، فوطد نفسه في (ليما Lima)<sup>(25)</sup>، بالقرب من الساحل، في العام (1534 ميلادي). وفي الأثناء التي أرسل فيها ألميغرو إلى الجنوب، وجعل من نفسه حاكماً على (تشيلي Chili)<sup>(26)</sup>، كما جرى إطلاق حملة أخرى في العام (1539 ميلادي) من قبل (غونزاليس Gonzales)<sup>(27)</sup> شقيق بيزارو، عبر جبال الأنديز، وصلت إلى مصادر نهر الأمازون، حيث قام أحد رفاقه، (فرانيسكو دي أوريلانا Francisco de Orellana)<sup>(28)</sup>، بالعبور وصولاً إلى مصب النهر، وكان ذلك في شهر أغسطس/ آب من العام (1541 ميلادي)،

بعد رحلة لمسافة ألف فرسخ. سُمي النهر باسم أوريلانا، لكن روايات أخرى تفيد بوجود قبيلة من النساء المحاربات، ما جعل النهر يُعرف في ما بعد باسم نهر الأمازون. وقام مؤلفٌ بنشر تقارير عن بلاد إلدورادو أخرى إلى الشمال، حيث تمت تغطية أسطح المعابد بالذهب، وأدى هذا التقرير لاحقاً إلى قيام الحملة الكارثية للسير (والتر رالي Walter Raleigh)<sup>(29)</sup> إلى (غويانا Guiana)<sup>(30)</sup>. وبرحلته تلك، ربط أوريلانا «مناطق النفوذ» الإسبانية والبرتغالية بعالم أميريكو فيسبوتشي الجديد. وبحلول العام (1540 ميلادي)، كانت الخطوط العريضة لأمريكا الوسطى والجنوبية وبعض الداخل قد أعلنت من قبل المغامرين الإسبان، في غضون نصف قرنٍ من أول رحلة بحرية لكولومبوس. وبسبب المرسوم البابوي، امتلكت البرتغال البرازيل، لكن كل ما تبقى من الامتداد الضخم للبلاد طالبت به إسبانيا. تعامل البرتغاليون بحكمة مع البرازيل التي جعلوها كمُتنقّسٍ للفائض من سكانهم الذين استقروا هناك بأعدادٍ كبيرة، وأسسوا المزارع. من ناحية أخرى، اعتبر الإسبان ممتلكاتهم الضخمة كأسواقٍ خاصة يقومون بزيارتها فقط. تم اكتشاف مناجم غنية بالذهب والفضة والزئبق في المكسيك والبيرو، وخصوصاً في مناجم (بوتوسي Potosi)<sup>(31)</sup> الشهيرة جداً، ولقد جرى استغلالها تماماً لمصلحة إسبانيا التي كانت بمثابة الغربال الذي حوى المعادن الثمينة في أوروبا، كما رفعت الأسعار في جميع أنحاء العالم القديم. في المقابل، تم إرسال البضائع الأوروبية في رحلات العودة لسفن (الغليونات Galleon)<sup>(32)</sup> الإسبانية الضخمة إلى إسبانيا الجديدة، والتي أتاحت شراء القماش الفلمنكي - على سبيل المثال - من خلال الوسطاء الإسبان فقط، الذين رفعوا سعره إلى ثلاثة أضعاف التكلفة الأصلية. هذه السياسة القصيرة النظر من جانب إسبانيا، شجعت بشكلٍ طبيعيٍّ على التهريب، وجذبت السفن من جميع الدول، لتحقيق هذا المسعى.



لقد رأينا بالفعل المحاولات الأولى من جانب الفرنسيين والإنجليز، في مجال استكشاف الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الشمالية؛ ولكن، خلال القرن السادس عشر، كان سعيهم قليلاً جداً للاستقرار على كل هذه الشواطئ المجذبة، والتي لم توفر لهم أي شيء من الغنائم النفيسة التي وفرتها أمريكا الاستوائية؛ فلا استكشاف كارتية في العام (1534 ميلادي)، ولا كابوت قبل ذلك بكثير، تبعتهما أي محاولة لامتلاك الأرض. وزار الصيادون (البريتونيون Breton)<sup>(33)</sup> مصائد الأسماك قبالة نيوفاوندلاند، وحاول الكثير من المستكشفين العثور على الثغرات التي من شأنها أن تمنحهم الممر الشمال الغربي؛ ما عدا ذلك الجزء الشمالي من القارة الذي ترك غير مأهول حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي. أول مدينة جرى تأسيسها كانت مدينة (القديس أوغستين St. Augustine)<sup>(34)</sup> في فلوريدا، العام (1565 ميلادي)، ولكن تم تخريبها بعد ثلاث سنوات من قبل حملة فرنسية. حاول السير والتر رالي تأسيس مستعمرة في العام (1584 ميلادي)، بالقرب من المكان الذي تقع عليه (فيرجينيا Virginia)<sup>(35)</sup> الآن، لكنها تلاشت بعد ثلاث سنوات، ولم يحلّ عهد (جيمس الأول James I)<sup>(36)</sup> حتى جرى القيام بمحاولة منظمة من قبل إنجلترا لإنشاء مستعمرات زراعية - كما أطلقوا عليها في ذلك الوقت - على ساحل أمريكا الشمالية.

اثنتان من الشركات المؤجرة، واحدة في الشمال تسمى شركة (بليموث Plymouth)<sup>(37)</sup>، وواحدة في الجنوب تسمى (شركة لندن London Company)<sup>(38)</sup> (كلتاهما تأسست في العام 1606 ميلادي)، تم تقسيم الساحل اسمياً بينهما، من (نوفا سكوتيا Nova Scotia)<sup>(39)</sup> إلى فلوريدا، وكانت هذه المساحات الواسعة من البلاد، خلال القرن السابع عشر الميلادي، تنقسم بشكل بطيء إلى ولايات صغيرة: البيوريتاني أساساً في الشمال (إنجلترا الجديدة New England)<sup>(40)</sup>، الكنيسة العليا والكاثوليكية في الجنوب، فيرجينيا و(ماريلاند Maryland)<sup>(41)</sup>. ولكن بين الاثنتين، وعلى

ضفاف نهر (هدسون Hudson)<sup>(42)</sup> ونهر (ديلاوير Delaware)<sup>(43)</sup>، كانت دولتان أوروبيتان أخريان قد شكّلتا أيضاً مستعمراتٍ زراعية هولندية على طول نهر هدسون. واعتباراً من العام (1609 ميلادي)، تمّ تشكيل (هولندا الجديدة New Netherlands)<sup>(44)</sup>، وقم السويدون، من العام (1636 ميلادي) بتشكيل (السويد الجديدة New Sweden)<sup>(45)</sup> على طول ولاية ديلاوير، والتي لم تدم سوى بضع سنوات، إذ تمّ استيعابها من قبل الهولنديين في العام (1655 ميلادي). تأسست عاصمة هولندا الجديدة في جزيرة (مانهاتن Manhattan)<sup>(46)</sup>، إلى الجنوب من الحاجز الذي لا يزال يُعرف باسم (وول ستريت Wall street)<sup>(47)</sup>، وُسّمت المدينة باسم (أمستردام الجديدة New Amsterdam)<sup>(48)</sup>. أما نهر هدسون، ذلك الشريان الهام للتجارة بين المحيط الأطلسي ومنطقة البحيرات الكبرى، فكان ذلك الإسفين الذي دُقَّ بين مجموعتين من المستعمرات الإنجليزية، وكان عائقاً أمام أيّ تقدّم في المستقبل، ولقد اعترف بذلك الملك (تشارلز الثاني Charles II)<sup>(49)</sup> الذي أرسل في العام (1664 ميلادي) حملةً استكشافية للمطالبة بتسليمه، بالرغم من أن إنجلترا وهولندا كانتا، في ذلك الوقت، في حالة سلام؛ فجرى أخذ أمستردام الجديدة، وُسّمت باسم (نيويورك New York)<sup>(50)</sup>، على اسم شقيق الملك دوق (يورك York)<sup>(51)</sup>، وبعد ذلك، سقطت السويد الجديدة في أيدي الإنجليز، وقام الملك جيمس الثاني ببيعها كمزرعة مملوكة لرجلٍ جيرسي، هو السير (جورج كارتريت George Carteret)<sup>(52)</sup>، والبروتستانتي السيد (ويليام بن William Penn)<sup>(53)</sup>. من خلال هذا الإجراء الحاسم، إلى حدّ ما، بات الخط الساحلي بكامله، وصولاً إلى فلوريدا، في أيدي الإنجليز.

كلا الشركتين، لندن وليموث، بدأت بتكوين مستعمراتٍ زراعية في العام (1607 ميلادي)، وفي هذا العام بالذات، قام الفرنسيون بإنشاء أولى مستوطناتهم الفعالة في أمريكا، في (بورت رويال Port Royal)<sup>(54)</sup> وفي نوفا

سكوتيا، وُسِّمَتْ حينذاك باسم أركادي. بينما، في العام التالي، قام صمويل دي شامبلين بإنشاء المستوطنات في (كيبك Quebec)<sup>(55)</sup>، وأسس (كندا الفرنسية)، واستكشف البحيرة التي في البلاد، وأقام مستوطنات على ضفاف نهر سانت لورانس، وعلى طول هذه المستوطنات انحصر نشاط الفرنسيين لفترةٍ طويلة، وتجولت بين الفرنسيين والمستوطنات الإنجليزية الشعوب الخمسة المحاربة من الهنود (الإيروكوا Iroquois)<sup>(56)</sup>، واضطر شامبلين - الذي كانت مستوطناته تقع في بلاد (الغونكوين Algonquins)<sup>(57)</sup> - لأن ينحاز إلى جانب الإنجليز، ويجعل من الإيروكوا أعداءً لفرنسا، الأمر الذي كانت له آثارٌ هامة على الصراع النهائي بين إنجلترا وفرنسا، في القرن الثامن عشر الميلادي. واصل الفرنسيون استكشافهم للمناطق الداخلية من القارة. وفي العام (1673 ميلادي) اكتشف المستكشف الفرنسي (ماركيت Marquette)<sup>(58)</sup> نهر (الميسيسيبي Mississippi)<sup>(59)</sup> (ميسي سيبى Missi sippi، «الماء العظيم»)، وانحدر نازلاً به وصولاً إلى مصبه في (أركنساس Arkansas)<sup>(60)</sup>، لكن المستكشف الفرنسي (روبرت دي لا سال Robert de la Salle)<sup>(61)</sup> أتمّ تنفيذ أعمال الاستكشاف لوادي الميسيسيبي، وكان قبل ذلك قد اكتشف نهري (أوهايو Ohio)<sup>(62)</sup> و(إلينوي Illinois)<sup>(63)</sup>، وفي ثلاث حملات، بين العامين (1680 و 1682 ميلادي)، سعى إلى إنجاح طريقه بشكل تام إلى مصب نهر الميسيسيبي، معطياً هذه المنطقة الضخمة للبلاد التي اجتازها اسم (لويزيانا Louisiana)<sup>(64)</sup> على اسم (لويس الرابع عشر Louis XIV)<sup>(65)</sup>.

منذ ذلك الحين، طالبت فرنسا بملكية المناطق الداخلية بالكامل، وهي ما يجب أن نُطلق عليها الآن اسم «أمريكا الشمالية»، وانحصر الإنجليز في شريط ضيق نسبياً من شرق بلاد (الأليغاني Alleghanies)<sup>(66)</sup>، وتأسست (نيو أورليانز New Orleans)<sup>(67)</sup> عند مصب نهر الميسيسيبي في العام (1716 ميلادي)، وُسِّمَتْ باسم الأمير (ريجنت Regent)<sup>(68)</sup>؛ وتراوح النشاط الفرنسي بين كيبك ونيو أورليانز، وترك آثاراً كثيرة حتى

يومنا هذا، منها الأسماء الفرنسية، مثل (موبايل Mobile)<sup>(69)</sup>، و(ديترويت Detroit)<sup>(70)</sup>، وما شابه ذلك، من خلال البلاد الفاصلة. في بداية القرن الثامن عشر، كان الوضع مُماثلاً للوضع في الساحل الذهبي لأفريقيا، في نهاية القرن التاسع عشر. حاول الفرنسيون باستمرار الانقضاض على دائرة النفوذ الإنجليزية، وأثناء هذه المحاولة لتحديد دائرتي النفوذ، تعلّم (جورج واشنطن George Washington)<sup>(71)</sup> أول درس له في الدبلوماسية والاستراتيجية. وكانت المستعمرات الفرنسية والإنجليزية الأمريكية في حالة حربٍ دائمة، والسبب من ذلك هو البُقعة التي تقف عليها (بيتسبورغ Pittsburg)<sup>(72)</sup> الآن، والتي كانت تُعتبر بوابةً للغرب، وكذلك لإطالتها على وادي أوهايو.. هناك تأسس حصن (دوكسين Duquesne)<sup>(73)</sup> الذي تحمل المدينة اسمه، ولم يحلّ العام (1758 ميلادي)، حتى انتزع هذا الحصن أخيراً من أيدي الفرنسيين. وفي العام التالي، أطاح اللواء (وولف Wolfe)<sup>(74)</sup> - من خلال استيلائه على كيبيك - بالقوة الفرنسية بكاملها في أمريكا الشمالية، وطوال هذه الفترة الطويلة من القتال، ساعدت الإنجليز كثيراً حربُ العصابات التي قام بها الإيروكوا ضد الفرنسيين.

بموجب معاهدة باريس، في العام (1763 ميلادي)، تمّ التنازل عن كلّ أمريكا الفرنسية لإنجلترا التي حصلت على ملكية فلوريدا من إسبانيا، في مقابل الفيليبين التي استُولى عليها خلال الحرب، كتعويضٍ عن البلاد الواقعة غربيّ نهر المسيسيبي، والتي ضُمَّت إلى الأملاك الإسبانية في المكسيك، وبالطبع أصبحت هذه فرنسيةً بالاسم فقط، عندما نصَّب شقيق نابليون (جوزيف Joseph)<sup>(75)</sup> على العرش الإسباني. لكن نابليون قام ببيعها إلى الولايات المتحدة، في العام (1803 ميلادي)، وذلك لعدم وجود أيّ عائقٍ أمام انتشار الدول غرباً. وقبل وقتٍ طويلٍ من هذا، تشكّلت شركةٌ مؤجرة في العام (1670 ميلادي)، تولّى الأمير (روبرت Rupert)<sup>(76)</sup> رئاستها، ليتداول تجارة الفراء مع الهنود في خليج هدرسون، ثم أُسميت بعد ذلك باسم

(روبيرتزلاند Rupertsland)<sup>(77)</sup>. امتدّت معرفة شركة خليج هدسون بالأجزاء الشمالية من أمريكا تدريجياً نحو جبال (روكي Rocky)<sup>(78)</sup>، ولم يكد العام (1740 ميلادي) يحلّ، حتى قام المستكشف (فارين دي لا فارانديري Varenne de la Varanderye)<sup>(79)</sup> باستكشاف رقعتها الممتدة. وفي العام (1769-1771 ميلادي)، قام تاجر فراء اسمه (هيرن Hearne)<sup>(80)</sup> بتتبع نهر (كبرمين Coppermine)<sup>(81)</sup> إلى البحر، في حين إنه - حتى العام (1793 ميلادي) - لم يكن السيد (ماكينزي Mackenzie)<sup>(82)</sup> قد قام باكتشاف النهر الذي سُمي باسمه إلى الآن، وعبور قارة أمريكا الشمالية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ. ومن أسباب هذا الاستكشاف المتأخر لشمال غرب أمريكا الشمالية، أسطورةٌ جغرافية بدأها مسافرٌ إسبانيّ يدعى (خوان دي فوكا Juan de Fuca)<sup>(83)</sup> في وقتٍ مبكرٍ من العام (1592 ميلادي)، حيث كان مبحراً على الساحل، حتى وصل إلى جزيرة (فانكوفر Vancouver)<sup>(84)</sup>، ودخل من مدخل في جنوبها. ونتيجةً لعدم تمكنه من رؤية الأرض في الشمال، عاد حاملاً معه تقريراً عن بحرٍ ضخمٍ يمتدّ في جميع أنحاء هذا الجزء من البلاد، والذي افترض معظم الجغرافيين أنه يمرّ على خليج هدسون، أو بالقرب منه. وكان هذا التقرير أكثر ما أحيى الآمال في العثور على ممرّ الشمال الغربي، في خط عرض منخفضٍ بما فيه الكفاية ليكون خالياً من الجليد.

وحالما امتلكت الولايات المتحدة الأرض التي تقع غرب نهر الميسيسيبي؛ بدأت في استكشافها. وبين العامين (1804 و 1807 ميلادي) اكتشف (لويس Lewis)<sup>(85)</sup> و (كلارك Clarke)<sup>(86)</sup> حوض نهر (ميسوري Missouri)<sup>(87)</sup> بكامله، في حين أن (بايك Pike)<sup>(88)</sup> كان قد تحقق من البلاد التي تقع بين مصادر الميسيسيبي و (النهر الأحمر Red River)<sup>(89)</sup>. لقد رأينا بالفعل أن بيرينغ قد حمل على عاتقه الاكتشافات الروسية والسيطرة على (ألاسكا Alaska)<sup>(90)</sup>، وكان من أجل تجنب التعديات وصولاً نحو ساحل كاليفورنيا التي طرحها الرئيس (مونرو Monroe)<sup>(91)</sup> في العام (1823)

ميلادي)، في المبدأ الذي ينص على أن الولايات المتحدة لن تسمح بالمزيد من الاستعمار للأمريكتين. في ذلك العام، وافقت روسيا على الحد من مطالباتها بالبلاد شمال 40، 54، وبعد ذلك، استحوذت الولايات المتحدة على ولاية كاليفورنيا وغيرها من الدول المجاورة خلال حربها مع المكسيك في العام (1848 ميلادي)، قبل اكتشاف الذهب في وادي (ساكرامنتو Sacramento)<sup>(92)</sup>. كانت الأراضي الواقعة بين كاليفورنيا وألاسكا في ملكية مشتركة بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، وكانت تُعرف باسم إقليم (أوريغون Oregon)<sup>(93)</sup>. وكان لويس وكلارك قد استكشفوا نهر (كولومبيا Columbia)<sup>(94)</sup>، بينما كان (فانكوفر Vancouver)<sup>(95)</sup> قد اكتشف قبل ذلك الجزيرة التي تحمل اسمه الآن، بحيث يبدو أن كلا البلدين يتمتع ببعض الحقوق لاستكشاف المنطقة. وفي وقت واحد، اتجهت تعاملات سكان الولايات للمطالبة بجميع البلاد حتى الحدود الروسية (40، 54)، لتعلن الحرب أو القتال عند (40، 54). ولكن في العام (1846 ميلادي) انقسمت المنطقة على خط العرض (49) الموازي، وفي هذا التاريخ يمكن القول أن تقسيم أمريكا قد اكتمل، وكل ما تبقى لمعرفته منها كان ذلك الساحل الشمالي المحصور بالجليد، والذي من خلاله سيتم عرض كل المغامرات البطولية.

وهكذا، فإن تاريخ الاكتشاف الجغرافي في أمريكا، هو تاريخ للغزو، إلى حد كبير؛ ولقد عرف الرجال كلاً من الخططين الساحلي والداخلي، بينما كانوا يحاولون التجارة أو الاستيطان، حيث كانت الطبيعة مناسبة، أو لأن البلد يوفر ثروة معدنية أو نباتية يمكن نقلها بسهولة. وأما ما يتعلق بالمعرفة الساحلية المبكرة، فقد تم الحصول عليها من أجل الجغرافيا. ولكن حيثما تتوسع القارة شمالاً أو جنوباً، فإن ذلك يجعل من المتعذر اتصال المناطق الداخلية بالسواحل للأغراض التجارية، والتي ظلت مجهولة حتى القرن الحالي. وحتى في يومنا الحالي، قد تكون البلاد جنوب وادي

الأمازون من أقلّ الأماكن معرفةً من أيّ جزءٍ آخر على سطح الأرض. وكما رأينا سابقاً، لم يأتِ مطلع هذا القرن، حتى تمّ إحراز كلّ المعرفة عن المسالك الضخمة للبلاد التي تقع بين الميسيسيبي وجبال روكي. كان التوسع الطبيعي للدول عائداً إلى تنازل نابليون عن هذه المسالك للولايات المتحدة، في العام (1803 ميلادي)، والذي شجعها على الانتشار غرباً، ويُعزى هذا التوسع أساساً إلى تحسين وسائل الاتصال التي أعطتها المخترعات البخارية للجنس البشري، في غضون هذا القرن فقط. ومع ذلك، فإنّ المنطقة الشرقية لجبال الروكي قد تكون من أقلّ الأماكن المعروفة لدى الأوروبيين، حتى في الوقت الحاضر، كالسودان أو أرض الصومال. وبسبب هذا التوسع الطبيعي للدول، وبقدر ضئيل بكندا، فإنّ عدداً قليلاً من الأسماء الكبيرة للمستكشفين الجغرافيين مرتبطٌ بمعرفتنا بداخل أمريكا الشمالية. المستوطنون المجهولون كانوا هم رواد الجغرافيا، ولم تكن هذه الحالة تنعكس على كلّ مكان. ففي القارتين الأخريين اللتين لا يزال يتعيّن علينا تتبّع تاريخهما الجغرافي - أستراليا وأفريقيا - كان المستكشفون يسبقون المستوطنين أو الغزاة، ويمكننا عموماً أن نتبّع مسار الاكتشاف الجغرافي في مسألّتهم، دون الحاجة إلى مناقشة تاريخهم السياسي.

[Authorities: Winsor, From Cartier to Frontenac; Gelcich, in Mittheilungen of Geographical Society of Vienna, 1892].

## (هوامش الفصل التاسع)

- (1) فاسكو نونيز دي بالبوا **Vasco Nunez de Balboa** (1475م - حوالي 12-21 يناير 1519م): مُستكشف ومُستعمر وحاكم إسباني. المعروف أنه عبّر برزخ بنما إلى المحيط الهادئ في العام 1513م، ليصبح أول أوروبي يقود حملةً استكشافية للوصول إلى المحيط الهادئ من العالم الجديد الذي سافر إليه في 1500م، وبعد بعض الاستكشاف، استقر في جزيرة هيسبانيولا. أسس مستوطنة سانتا ماريا لا أنتيغوا ديل دارين في بنما الحالية، في العام 1510م، وكانت أول مستوطنة أوروبية دائمة في البرّ الرئيس للأمريكتين.
- (2) فرانسيسكو بيزارو غونزاليس **Francisco Pizarro González** (1471م - 26 يونيو 1541م): كان من الغزاة المستعمرين الإسبان الذين قادوا الحملة التي غزت إمبراطورية الإنكا، قبض على إمبراطور الإنكا (أتاهولبا) وقتله، وادعى ملكية إسبانيا لأراضي المكسيك.
- (3) ديفغو فيلاسكيز دي كويار **Diego Velázquez de Cuéllar** (1465م - 1524م): غازٍ ومُستكشف ومُستعمر إسباني، وأول حاكم إسباني لكوبا. أبحر فيلاسكيز إلى العالم الجديد في العام 1493م، في الرحلة الثانية لكريستوفر كولومبوس. ومع هرناندو كورتيس، غادر فيلاسكيز إلى كوبا في العام 1511م، ليؤسس، في السنوات الأربع التالية مستوطنات باراكوا، وبايامو، وسانتياغو دي كوبا، وهافانا (لا هابانا). بعد الانتهاء من غزواته، حوالي العام 1514م، شجع على الاستعمار وأصبح حاكماً لكوبا.
- (4) دارين **Darien**: بلدة في مقاطعة فيريلد، كونيتيكت - الولايات المتحدة الأمريكية، تقع في كونيتيكت «ساحل الذهب»، بين مدينتي نوروالك وستامفورد.
- (5) هرناندو كورتيس دي مونروي **Hernando Cortes de Monroy** (1485م - 2 ديسمبر 1547م): مُستكشف وغازٍ ومُستعمر إسباني، قاد بعثةً استكشافية تسببت في سقوط الإمبراطورية الأزتكية، ووضعت أجزاءً كبيرة من البر الرئيس للمكسيك تحت حكم ملك قشتالة، أوائل القرن السادس عشر. كان كورتيس جزءاً من جيل المستعمرين الإسبان الذين بدؤوا المرحلة الأولى من الاستعمار الإسباني للأمريكتين.
- (6) فيراكروز **Veracruz**: والمعروفة اليوم رسمياً باسم هيرويكا فيراكروز **Heroica Veracruz**: هي مدينة الميناء الرئيسة والبلدية على خليج المكسيك في ولاية فيراكروز المكسيكية، تقع على طول الساحل في الجزء المركزي من الولاية، على بعد 90 كلم جنوب شرقي زالايا، عاصمة الولاية، على الطريق الفيدرالي 140.



(7) **موكتيزوما الثاني Moctezuma II** (1466م - 29 يونيو 1520م): التلاتواني التاسع أو حاكم تينوكيتلان من 1502م إلى 1520م. أول اتصال حدث بين الحضارات الأصلية في أمريكا الوسطى والأوروبيين كان خلال حكمه، وقتل خلال المراحل الأولى من الغزو الإسباني للمكسيك، عندما قاتل المحارب هرناندو كورتيس ورجاله للهروب من عاصمة الأزتيك تينوكيتلان.

(8) **ثقافة الأزتيك Aztec** المعروفة أيضاً باسم «الثقافة المكسيكية»: كانت ثقافة أمريكا الوسطى التي ازدهرت وسط المكسيك في الفترة ما بعد الكلاسيكية، من 1300م إلى 1521م، خلال الوقت الذي تحالف فيه الثلاثي من القبائل المكسيكية، وتيكسوكا، وتيبانكا، وأنشؤوا إمبراطورية الأزتيك. كان شعب الأزتيك عبارة عن مجموعات عرقية معينة من وسط المكسيك، ولاسيما تلك المجموعات التي تحدثت بلغة الناهواتل وهيمنت على أجزاء كبيرة من أمريكا الوسطى، من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر.

(9) **تولتيك Toltecs**: ثقافة أمريكا الوسطى الأثرية التي هيمنت على دولة تتركز في تولا وهيدالغو والمكسيك، خلال الفترة ما بعد الكلاسيكية (حوالي 900م - 1168م).

(10) **تلاسكالا**: كان شعباً وضع حضارة رائعة ومنظمة اجتماعياً وعسكرياً، أقرب إلى تلك التي للأزتيك.

(11) **هندوراس Honduras**، رسمياً جمهورية هندوراس: جمهورية في أمريكا الوسطى، يشار إليها أحياناً باسم هندوراس الإسبانية، لتمييزها عن هندوراس البريطانية التي أصبحت بليز الحديثة. تحدّها هندوراس غرباً إلى الجنوب الغربي من السلفادور، ومن الجنوب الشرقي نيكاراغوا، ومن الجنوب المحيط الهادئ في خليج فونسيكا، ومن الشمال خليج هندوراس، وهو مدخل كبير من البحر الكاريبي.

(12) **تاباسكو Tabasco**: رسمياً دولة تاباسكو الحرة، واحدة من 31 ولاية، وتضم المقاطعة الاتحادية 32 كياناً اتحادياً للمكسيك، وهي مقسمة إلى 17 بلدية وعاصمتها فيلاهيرموسا. تقع في جنوب شرق البلاد المتاخمة لولاية كامبشي في الشمال الشرقي وفيراكروز من الغرب وشياباس إلى الجنوب، وتنقسم إلى جزأين في غواتيمالا إلى الجنوب الشرقي، ولديها ساحل إلى الشمال مع خليج المكسيك.

(13) **نيكاراغوا Nicaragua**: رسمياً جمهورية نيكاراغوا، وهي أكبر بلد في برزخ أمريكا الوسطى، تحدّها هندوراس من الشمال، ومنطقة البحر الكاريبي من الشرق، وكوستاريكا من الجنوب، والمحيط الهادئ من الغرب. عاصمة نيكاراغوا «ماناغوا»، وهي أكبر مدينة في البلاد، وثالث أكبر مدينة في أمريكا الوسطى.

(14) **ألفارو دي سافيدرا Alvarro de Saavedra** (1529م): أحد المستكشفين الإسبان في المحيط الهادئ. من غير المعروف تاريخ ومكان ميلاده بالضبط، لكنه ولد في إسبانيا

- أواخر القرن الخامس عشر، أو أوائل القرن السادس عشر. كان هيرناندو كورتيس قريه، وقد رافقه إلى المكسيك (إسبانيا الجديدة) في العام 1526م.
- (15) خوان سيباستيان ديل كانو **Juan Sebastian del Cano** (1476م-4 أغسطس 1526م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، من الباسك أصلاً، هو الذي أكمل أطول رحلة للدوران حول الأرض. بعد وفاة ماجيلان في الفيليبين، تولى كانو قيادة السفينة فيكتوريا من جزر الملوك إلى سانلوكار دي باراميدا في إسبانيا.
- (16) قشتالة الجديدة **New Castile**: منطقة تاريخية في إسبانيا، كانت تسمى مملكة توليدو عندما كانت في تاج قشتالة، ثم بدأ يطلق عليها اسم قشتالة الجديدة في القرن الثامن عشر.
- (17) كاليفورنيا **California**: ولاية في منطقة المحيط الهادئ في الولايات المتحدة الأمريكية. عاصمة الولاية «سكرامنتو». منطقة لوس أنجلوس الكبرى أو منطقة خليج سان فرانسيسكو هي ثاني أكبر المدن الحضرية في العالم.
- (18) خوان بونس دي ليون **Juan Ponce de León** (1474م-يوليو 1521م): مُستكشف وغازٍ ومُستعمر إسباني. أصبح أول حاكم لبورتوريكو، بتعيين من التاج الإسباني. قاد أول رحلة أوروبية معروفة إلى ولاية فلوريدا، والتي أطلق عليها اسمه خلال رحلته الأولى إلى المنطقة، في العام 1513م. مع أن المعروف في الثقافة الشعبية أنه كان يبحث عن نافورة الشباب، ولكن لا توجد أدلة معاصرة لدعم هذه القصة، والتي من المرجح أن تكون مجرد أسطورة.
- (19) بايوكا **Bayuca**: هي الجزيرة التي ورد في الأساطير الهندية بأن فيها نافورة تعيد الشباب لكل من يشرب منها.
- (20) ألونسو ألفاريز دي بينيدا **Alonso Álvarez de Pineda** (1494م-1520م): مستكشف ومُستعمر ورّسام خرائط إسباني، تم توثيقه للمرة الأولى في تاريخ تكساس. في العام 1519م قاد دي بينيدا حملات عدة لتعيين السواحل الغربية لخليج المكسيك، من شبه جزيرة يوكاتان إلى نهر بانوكو، شمال فيراكروز.
- (21) ديجو دي ألميغرو **Diego de Almagro** المعروف أيضاً باسم إل أديلانتادو و إل فيجو (1475م-8 يوليو 1538م): مُستكشف وغازٍ ومُستعمر إسباني، ورفيق ومنافس لاحق لفرانسيسكو بيزارو، شارك في الغزو الإسباني للبيرو. قُتِل ألميغرو عينه اليسرى في قتالٍ مع المواطنين الساحليين في العالم الجديد. وفي العام 1525م التحق بالإخوة هيرناندو دي لوك في بنما، لغزو البيرو.
- (22) إمبراطورية الإنكا **Inca Empire**: أكبر إمبراطورية في أمريكا، وربما أكبر إمبراطورية في العالم في أوائل القرن السادس عشر. كان لها الهيكل السياسي والإداري «الأكثر تطوراً

بين الشعوب الأصلية» في الأمريكيتين. يقع المركز الإداري والسياسي والعسكري للإمبراطورية في كوزكو، بيرو الحديثة. نشأت حضارة الإنكا في مرتفعات بيرو، في وقتٍ ما من أوائل القرن الثالث عشر، وقد تمَّ غزوها في معقلها الأخير العام 1572م.

(23) كوزكو Cuzco، أو كوسكو Cusco: مدينةٌ في جنوب شرق بيرو، بالقرب من وادي أوروبامبا من جبال الأنديز، وهي عاصمة إقليم كوسكو، وكذلك مقاطعة كوسكو. يبلغ ارتفاعها حوالي 3,400 م (11,200 قدم).

(24) أتاهوالبا (1502م - 26 يوليو 1533م): إمبراطور الإنكا، ورث حكم كيتو من والده سابا إنكا هوينكا كاباك، في العام 1525م. حكم كيتو لمدة خمس سنوات، قبل قهر إمبراطورية الإنكا من قبل الإسبان.

(25) ليما Lima: هي العاصمة وأكبر مدينة في بيرو، تقع في وديان نهر تشيلون وريماك لورين، في الجزء الساحلي الأوسط من البلاد، وتطل على المحيط الهادئ، وهي تشكل - إلى جانب ميناء كالاو - منطقة حضرية متجاورة تُعرف باسم منطقة ليما الحضرية.

(26) تشيلي Chile: تعرف اليوم رسمياً بجمهورية تشيلي، وهي ولاية في أمريكا الجنوبية، تحتل قطاعاً ضيقاً طويلاً من الأرض بين جبال الأنديز من الشرق، والمحيط الهادئ من الغرب، وتحدها بيرو من الشمال، وبوليفيا من الشمال الشرقي، والأرجنتين من الشرق، وممر دريك في أقصى الجنوب. تشمل الأراضي التشيلية جزر المحيط الهادئ خوان فرنانديز، سالاسي غوميز، ديسفنتوراداس، وجزيرة الفصح في أوقيانوسيا.

(27) غونزالو بيزارو Gonzalo Pizarro Alonso (1510م - 10 أبريل 1548م): مُستكشف وبحار ومُستعمر وغازٍ إسباني، وهو الأخ غير الشقيق لفرانيسكو بيزارو الذي خدم معه في احتلال البيرو، في العامين 1531م و 1533م. قاد قواته في تمرد ضد الملك، وهو ما اعتبره الباحثون أول نضال لاستقلال أمريكا الجنوبية عن إسبانيا.

(28) فرانيسكو دي أوريلانا Francisco de Orellana (1511م - نوفمبر 1546م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، أكمل أول ملاحية مشهورة على طول نهر الأمازون الذي كان اسمه في البداية «ريو دي أوريلانا»، كما أسس مدينة غواياكيل Guayaquil في ما يُعرف الآن بالإكوادور.

(29) السير والتر رالي Walter Raleigh (1554م - 29 أكتوبر 1618م): رجل نبيل إنجليزي، كاتب وشاعر وجندي وسياسي وقانوني وجاسوس ومستكشف. كان ابن عمه السير ريتشارد غرينفيل والأخ الأصغر سناً من السير همفري جيلبرت، وهو معروف أيضاً بنشره التبغ في إنجلترا.

(30) غويانا البريطانية British Guiana: اسم المستعمرة البريطانية في جزر الهند الغربية البريطانية وفي منطقة البحر الكاريبي، على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية، سكانها الأصليون هم اللوكايان الناطقون بلغة أرواك، وهم جزء من شعب تاينو.

(31) **بوتوسي Potosi**: مدينة وعاصمة مقاطعة بوتوسي في بوليفيا، وهي واحدة من أعلى المدن في العالم، إذ يبلغ ارتفاعها حوالي 4,090 متراً (13,420 قدماً). لقرون عديدة، كانت المدينة هي موقع سك العملة الاستعمارية الإسبانية.

(32) **الغليونات Galleons**: سفن إبحار كبيرة ومتعددة الطوابق، استخدمت كحاملات شحن في المقام الأول من قبل الدول الأوروبية، من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، خلال عصر الشراع، وكانت وحدات الأساطيل الرئيسة التي كُفّت استخدامها كسفن حربية، حين اندلعت الحروب الأنجلو- هولندية في منتصف الستينيات، وكانت الغليونات تتميز عادة بثلاث أو أكثر من الصواري.

(33) **البريتون Breton**: هم مجموعة عرقية تقع في منطقة بريتاني الفرنسية، تابعة في الكثير من تراثها لمجموعات من المتحدثين بلغة البريتونيك الذين هاجروا من جنوب غرب بريطانيا العظمى، وخصوصاً كورنوال وديفون، لتوسيع أراضيهم في القارة، وهم ينحدرون أيضاً من الإغريق، وبعضهم من الفايكنج، ولقد هاجروا في موجات من القرن الثالث إلى التاسع الميلادي.

(34) **القديس أوغسطين St. Augustine**: مدينة في جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية، على الساحل الأطلسي شمال شرق ولاية فلوريدا. تأسست في العام 1565م، من قبل المستكشفين الإسبان.

(35) **فيرجينيا Virginia**: رسمياً كومونولث ولاية فيرجينيا، ولاية في منطقتي جنوب شرق ووسط المحيط الأطلسي في الولايات المتحدة الأمريكية، تقع بين ساحل المحيط الأطلسي وجبال الأبلاش، وتسمى فيرجينيا «دومينيون القديمة»، بسبب وضعها كأول حيازة استعمارية إنجليزية أنشئت في البر الرئيس لأمريكا الشمالية، وتسمى «أم الرؤساء»، لأن ثمانية رؤساء من الولايات المتحدة الأمريكية ولدوا فيها.

(36) **جيمس الأول James VI and I**، ويسمى كذلك **جيمس السادس** (19 يونيو 1566م - 27 مارس 1625م): كان ملك إنجلترا وإيرلندا باسم «جيمس الأول»، وملك اسكتلندا باسم «جيمس السادس»، وكان أول ملك يسمى ملك بريطانيا العظمى. حكم في اسكتلندا باسم جيمس السادس من 24 يوليو 1567م حتى وفاته، وحكم في إنجلترا وإيرلندا من 24 مارس 1603م حتى وفاته. كان حكمه مهماً، لأنه كانت المرة الأولى التي يحكم فيها الملك نفسه إنجلترا واسكتلندا، وكان أول ملك إنجليزي من بيت ستيوارت.

(37) **شركة بليموث The Plymouth Company**: شركة مساهمة إنجليزية، تأسست العام 1606م من قبل الملك جيمس الأول في إنجلترا، بغرض إقامة مستوطنات على ساحل أمريكا الشمالية.

(38) **شركة لندن The London Company** وتسمى أيضاً «ميثاق شركة فيرجينيا في لندن»:

شركة مساهمة إنجليزية أنشئت في العام 1606م وفق الميثاق الملكي من قبل الملك جيمس الأول، لغرض إنشاء المستوطنات الاستعمارية في أمريكا الشمالية.

(39) نوفا سكوتيا Nova Scotia (اسكتلندا الجديدة): واحدة من المقاطعات البحرية الثلاث في كندا، وإحدى المقاطعات الأربع التي تشكل كندا الأطلسية، وعاصمتها المقاطعة هاليفاكس. تعتبر نوفا سكوتيا ثاني أصغر مقاطعات كندا العشر، إذ تبلغ مساحتها 55284 كلم<sup>2</sup>.

(40) إنجلترا الجديدة New England: منطقة جغرافية تضم ست ولايات في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية: ماين، فيرمونت، نيو هامبشاير، ماساتشوستس، رود آيلاند، وكونيتيكت، تحدّها ولاية نيويورك من الغرب، ومقاطعتا نيو برونزويك وكويك الكنديتان من الشمال الشرقي والشمال. بوسطن هي أكبر مدينة في إنجلترا الجديدة، وكذلك العاصمة ماساتشوستس.

(41) ماريلاند Maryland: ولاية في منطقة وسط المحيط الأطلسي في الولايات المتحدة الأمريكية، متاخمة لفيرجينيا، وتقع اشنطن العاصمة إلى جنوبها وغربها؛ وبنسلفانيا إلى شمالها، وديلاوير إلى الشرق. أكبر مدينة في الولاية هي بالتيمور، وعاصمتها أنابوليس.

(42) نهر هدسون The Hudson River: يمتد على مسافة 315 ميلاً (507 كلم)، ويتدفق من الشمال إلى الجنوب من خلال شرق نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية. ينبع النهر من جبال أديرونداك أوف أوبستيت نيويورك، ويتدفق عبر وادي هدسون، وينتهي إلى المحيط الأطلسي، بين مدينتي نيويورك وجيرسي سيتي.

(43) نهر ديلاوير The Delaware River: نهر رئيس على ساحل المحيط الأطلسي للولايات المتحدة الأمريكية، يشغل مساحة 14,119 ميلاً مربعاً (36,570 كلم<sup>2</sup>) في خمس ولايات أمريكية هي: نيويورك ونيوجيرسي وبنسلفانيا وماريلاند وديلاوير. يتدفق النهر في فرعين من جبال كاتسكيل بولاية نيويورك، على بعد 419 ميلاً (674 كلم) إلى خليج ديلاوير، حيث تدخل مياهه المحيط الأطلسي بالقرب من «كيب ماي» في نيوجيرسي و«كيب هينلوبين» في ديلاوير.

(44) هولندا الجديدة New Netherlands: مستعمرة من القرن السابع عشر في الجمهورية الهولندية التي كانت تقع على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية. تمتد الأراضي المزعومة من شبه جزيرة دلمارفا إلى أقصى جنوب غرب الرأس كيب كود، في حين أن المناطق الأكثر استقراراً هي الآن جزءاً من دول وسط المحيط الأطلسي في نيويورك ونيوجيرسي وديلاوير وكونيتيكت، مع البؤر الاستيطانية الصغيرة في بنسلفانيا ورود آيلاند.

(45) السويد الجديدة New Sweden: مستعمرة سويدية على طول الروافد الدنيا لنهر ديلاوير في أمريكا الشمالية، من العام 1638م إلى 1655م، أنشئت خلال حرب الثلاثين

عاماً المدمرة، عندما كانت السويد قوةً عسكرية كبيرة في شمال أوروبا. كانت السويد الجديدة جزءاً من جهود الاستعمار السويدي في الأمريكيتين.

(46) **مانهاتن Manhattan**: مدينة تأسست في 1 نوفمبر 1683م، باعتبارها واحدة من المقاطعات الأصلية لولاية نيويورك الأمريكية. تتألف هذه المنطقة، بمعظمها، من جزيرة مانهاتن التي يحدها نهر هدسون، ومن الشرق نهر هارلم وجزر صغيرة مجاورة.

(47) **ول ستريت Wall street**: شارع في مانهاتن السفلى، هو الموطن الأصلي لبورصة نيويورك، والمقر التاريخي لأكبر شركات الوساطة المالية والبنوك الاستثمارية.

(48) **أمستردام الجديدة New Amsterdam**: مستوطنة هولندية من القرن السابع عشر، أنشئت في الطرف الجنوبي من جزيرة مانهاتن التي كانت مقراً للحكومة الاستعمارية في هولندا الجديدة.

(49) **تشارلز الثاني Charles II** (29 مايو 1630م - 6 فبراير 1685م): ملك إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا. كان ملك اسكتلندا من العام 1649م حتى خلعه في العام 1651م، وملك إنجلترا واسكتلندا وإيرلندا، إثر استعادة النظام الملكي في العام 1660م حتى وفاته.

(50) **نيويورك New York**: حالياً ولاية في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت واحدة من المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية التي شكلت الولايات المتحدة الأمريكية.

(51) هو الملك **جيمس الثاني والسابع James II and VII** (14 أكتوبر 1633م - 16 سبتمبر 1701م): كان ملك إنجلترا وإيرلندا «جيمس الثاني» وملك اسكتلندا «جيمس السابع»، من 6 فبراير 1685م حتى تم عزله خلال الثورة المجيدة العام 1688م، وكان آخر ملك كاثوليكي روماني في إنجلترا وأسكتلندا وإيرلندا.

(52) نائب الأدميرال السير **جورج جورج Carteret**، البارونيت الأول (1610-18 يناير 1680م): ابن إلياس دي كارتيريت، رجل دولة ملكية في جيرسي وإنجلترا، خدم كأمين للخزانة في وزارة كلارندون، وكان أيضاً واحداً من اللوردات للمستعمرة البريطانية السابقة كارولينا ونيوجيرسي. تقع كارتيريت، ونيو جيرسي، وكذلك مقاطعة كارتيريت، وولاية كارولينا الشمالية، في الولايات المتحدة الأمريكية.

(53) **ويليام بن William Penn** (14 أكتوبر 1644م - 30 يوليو 1718م): رجل أعمال عقاري إنجليزي، فيلسوف، وأحد أفراد جماعة البروتستانتية في وقت سابق، ومؤسس ولاية بنسلفانيا ومستعمرة أمريكا الشمالية الإنجليزية وكونولث ولاية بنسلفانيا. كان من أوائل الدعاة إلى الديمقراطية والحرية الدينية، وتحت إشرافه تم التخطيط لمدينة فيلادلفيا وتطويرها.

(54) **بورت رويال Port Royal**: قرية تقع في نهاية باليسادوز، عند مصب ميناء كينغستون، في جنوب شرق جامايكا. تأسست في العام 1518م من قبل الإسبان، وكانت أكبر مدينة في منطقة البحر الكاريبي، وتعمل كمركز للشحن والتجارة في البحر الكاريبي، بحلول النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي. دمرها زلزال في 7 يونيو 1692م، صاحبه تسونامي، كما تضررت المدينة بالأعاصير الشديدة، وحدث فيها زلزال حاد نهاية العام 1907م.

(55) **كيبك Quebec**: واحدة من ثلاث عشرة مقاطعة وإقليماً في كندا. تحدّها من الغرب مقاطعة أونتاريو وخليج جيمس وخليج هدسون، من الشمال مضيق هدسون ومضيق أنغافا؛ من الشرق خليج سانت لورانس ومقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور؛ ومن الجنوب مقاطعة نيو برونزويك وولاية ماين، ونيو هامبشاير، وفيرمونت، ونيويورك. كيبك هي أكبر مقاطعة في كندا، حسب المنطقة، وثاني أكبر قسم إداري، وتُعتبر تاريخياً وسياسياً جزءاً من وسط كندا (مع أونتاريو).

(56) **إيروكوا Iroquois**: المعروفون أيضاً باسم هودينوسوني أو «شعب لونغوس»، هم مجموعة من قبائل السكان الأصليين في أمريكا الشمالية. لطالما عرفت رابطة إيروكوا الأولى باسم الأمم الخمس، كما أنها تتكون من قبائل: موهوك، أونيدا، أونونداغا، كايوغا وسينيكا. بعد انضمام أمة توسكارورا إلى العصبة، في العام 1722م، أصبح الإيروكوا يُعرفون باسم الأمم الست.

(57) **الغونكوين Algonquins**: هم السكان الأصليون في أمريكا الشمالية الذين يتحدثون لغة الغونكوين، وهي لهجة متباينة عن لغة أوجيبوي التي هي جزء من عائلة اللغة الغونكويانية.

(58) **الأب جاك ماركيه Jacques Marquette**، يُعرف أحياناً باسم بير ماركيه أو جيمس ماركيه (1 يونيو 1637م - 18 مايو 1675م): مُبشر يسوعي ومستعمر فرنسي، أسس أول مستوطنة أوروبية في ميشيغان وسولت ستي، وماري، وأسس في وقت لاحق سانت إغناس وميشيغان. في العام 1673م كان الأب ماركيه ولويس جوليت أول الأوروبيين الذين قاموا باستكشاف ورسم خريطة للجزء الشمالي من نهر المسيسيبي.

(59) **نهر المسيسيبي The Mississippi Rive**: النهر الرئيس وثاني أكبر نهر بتصريف المياه في قارة أمريكا الشمالية، يقع داخل الولايات المتحدة الأمريكية (مع أن حوض تصريفه يصل إلى كندا)، ويقع مصدره في شمال ولاية مينيسوتا، ويتدفق جنوباً لمسافة 2,320 ميلاً (3,730 كلم) إلى دلتا نهر المسيسيبي في خليج المكسيك، مع روافده الكثيرة. يصنّف المسيسيبي بأنه رابع أطول وخامس عشر أكبر نهر في العالم، من حيث تصريف المياه، وهو يمر عبر ولايات: مينيسوتا، ويسكونسن، أيوا، إلينوي، مسوري، كنتاكي، تينيسي، أركنساس، مسيسيبي ولوزيانا.

(60) أركنساس **Arkansas**: ولاية في المنطقة الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية، تتنوع فيها الجغرافيا بدءاً من المناطق الجبلية في أوزارك وجبال أوشيتا التي تشكل المرتفعات الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى الأراضي الكثيفة الغابات في الجنوب، والمعروفة باسم أموكساس أركنساس، إلى الأراضي المنخفضة الشرقية على طول نهر المسيسيبي ودلتا أركنساس.

(61) روبرت دي لا سال **Robert de la Salle**، أو رينيه روبرت كافيلير **René-Robert Cavelier**، أو سيور دي لا سال **Sieur de La Salle** (22 نوفمبر 1643م - 19 مارس 1687م): مستكشف ومُستعمر فرنسي، استكشف منطقة البحيرات الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ونهر المسيسيبي وخليج المكسيك، وادعى ملكية فرنسا لكامل حوض نهر المسيسيبي.

(62) نهر أوهايو **The Ohio River**: واحدٌ من أهم روافد نهر المسيسيبي، يبلغ طوله 981 ميلاً، وهو يشكل حدود ولاية أوهايو، وكتاكي، وإلينوي، وإنديانا، وفرجينيا الغربية، قبل أن يذهب أخيراً إلى مصبه في ولاية بنسلفانيا.

(63) نهر إلينوي **The Illinois River**: رافدٌ رئيس لنهر المسيسيبي، حوالي 273 ميلاً (439 كلم)، في ولاية إلينوي الأمريكية. ينبعث قسمٌ كبير من النهر من وسط إلينوي، مع حوض تصريف 6,756,28 أميال مربعة (479,74 كلم<sup>2</sup>)، ويمتد حوض الصرف إلى ولاية ويسكونسن وإنديانا. كان هذا النهر مهماً للأمريكيين الأصليين وأوائل التجار الفرنسيين، باعتباره الطريق المائي الرئيس الذي يربط البحيرات الكبرى بالمسيبي. شكلت المستوطنات الاستعمارية الفرنسية على طول النهر قلب المنطقة المعروفة باسم ولاية إلينوي. بعد بناء قناة إلينوي وميشيغان وقناة هنييس في القرن التاسع عشر، تم توسيع دور النهر كحلقة وصل بين بحيرة ميشيغان والمسيبي، حتى عصر الشحن الصناعي الحديث، ويشكل اليوم الأساس لممر إلينوي المائي.

(64) لويزيانا **Louisiana**: ولاية في منطقة جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية. عاصمة لويزيانا هي باتون روج، وأكبر مدنها نيو أورليانز. يحدها أركنساس من الشمال، المسيسيبي من الشرق، تكساس من الغرب، وخليج المكسيك من الجنوب.

(65) لويس الرابع عشر **Louis XIV** (5 سبتمبر 1638م - 1 سبتمبر 1715م) والمعروف باسم لويس الأكبر أو ملك الشمس: كان ملكاً من بيت بوروبون، حكم ملك فرنسا من العام 1643م حتى وفاته في العام 1715م. ابتداءً من سن الخامسة، دام حكمه حوالي 72 عاماً و 110 أيام، وهي أطول فترة حكم سجلت لأي ملك لبلاد ذات سيادة في التاريخ الأوروبي. في عصر الاستبداد في أوروبا، كان لويس الرابع عشر رائداً في تزايد مركزية السلطة في فرنسا.



- (66) سلسلة جبال أليغاني أو أليغاني **Alleghanies**: جزءٌ من سلسلة جبال أبالاشيان الشاسعة من الولايات المتحدة الشرقية وكندا، شكلت عائقاً كبيراً أمام السفر البري في عصورٍ أقل تقدماً من الناحية التكنولوجية، وهي نطاق حاجز له اتجاه شمال شرق- جنوب غرب، وتقع على بعد حوالي 400 ميل (640 كلم) من شمال وسط ولاية بنسلفانيا، من خلال غرب ولاية ماريلاند وشرق ولاية فرجينيا الغربية، إلى جنوب غرب ولاية فرجينيا.
- (67) نيو أورليانز **New Orleans**: ميناءٌ رئيس للولايات المتحدة الأمريكية وأكبر مدينة ومنطقة حضرية في ولاية لويزيانا.
- (68) لم أَعثر على أيّ معلومات بهذا الخصوص، لكن المعلومات التي توفرت لديّ تقول أنها سميت على اسم المدينة الفرنسية أورليانز (المترجم).
- (69) موبایل **Mobile**: تأسست مدينة موبایل كأول عاصمة للويزيانا الفرنسية الاستعمارية، في العام 1702م، خلال السنوات المائة الأولى، وكانت موبایل مستعمرة فرنسية، ثم بريطانية، وأخيراً إسبانية، ولقد أصبحت أول جزء من الولايات المتحدة الأمريكية في العام 1813م، مع ضمّ ولاية فلوريدا الغربية تحت ولاية الرئيس جيمس ماديسون. وفي العام 1861م، انضمت ألاباما إلى الولايات الكونفدرالية الأمريكية التي سلمت في العام 1865م.
- (70) ديترويت **Detroit**: هي المدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان حالياً، في ولاية ميشيغان الأمريكية، وأكبر مدينة تقع على الحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، ومقر مقاطعة واين. سميت المدينة من قبل المستعمرين الفرنسيين على اسم نهر ديترويت.
- (71) جورج واشنطن **George Washington** (22 فبراير 1732م - 14 ديسمبر 1799م): جندي ورجل دولة أمريكي، كان أول رئيس للولايات المتحدة من العام 1789م حتى العام 1797م، وواحداً من الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية. شغل منصب القائد العام للجيش القاري خلال الحرب الأمريكية الثورية، وترأس في ما بعد اتفاقية العام 1787م التي صاغت دستور الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر شعبياً القوة الدافعة وراء تأسيس البلاد، وبات يعرف باسم «والد البلاد»، خلال حياته وحتى يومنا هذا.
- (72) بيتسبورغ **Pittsburg**: مدينة في كونولث ولاية بنسلفانيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، ومقر مقاطعة أليغني.
- (73) دو كسين **Duquesne**: حصنٌ أنشأه الفرنسيون في العام 1754م، عند التقاء نهري أليغني ومونونغاھيلا- ثم استولى عليه الإنجليز، وبعد ذلك الأمريكيون، وتحول إلى مدينة بيتسبورغ في ولاية بنسلفانيا الأمريكية.
- (74) اللواء جيمس وولف **James Wolfe** (2 يناير 1727م - 13 سبتمبر 1759م): ضابط في

الجيش البريطاني، اشتهر بإصلاحاته التدريبية وانتصاره في العام 1759م على الفرنسيين في معركة سهول أبراهام في كيبيك، وكان ابن جنرال بارز. تلقى أول رتبة له في سن مبكرة وشهد خدمة واسعة في أوروبا حيث قاتل خلال حرب الخلافة النمساوية، وكانت خدمته في فلاندرز وفي اسكتلندا، حيث شارك في قمع التمرد اليقوبي. توقفت مسيرة حياته المهنية عن طريق معاهدة السلام للعام 1748م، وقضى معظم السنوات الثماني التالية ضمن الحامية في المرتفعات الأسكتلندية.

(75) جوزيف نابليون بونابرت **Joseph-Napoléon Bonaparte** (7 يناير 1768م - 28 يوليو 1844م): نبيل ودبلوماسي فرنسي، هو الشقيق الأكبر لنابليون بونابرت الذي جعله ملك نابولي وصقلية (1806-1808م)، وبعد ذلك ملك إسبانيا (1808-1813م) وحكم باسم «خوسيه الأول». بعد سقوط نابليون، نصّب جوزيف نفسه كونت دي سورفيليه.

(76) الأمير روبرت من الراين **Prince Rupert of the Rhine** (17 ديسمبر 1619م - 29 نوفمبر 1682م): جندي ألماني، أميرال وعالم رياضي وحاكم استعماري وفنان. وصل خلال القرن السابع عشر إلى مكانة بارزة كقائدٍ لسلاح الفرسان، خلال الحرب الأهلية الإنجليزية.

(77) قانون أراضي روبرت للعام 1868م: قانون صادر عن برلمان المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، يأذن بنقل أراضي روبرت من سيطرة شركة خليج هدسون إلى سيادة كندا، وهي أكبر عملية شراء أراضٍ في تاريخ كندا. بوشر بالنقل في العام 1869م، وتم الانتهاء منه في العام 1870م، من خلال دفع مبلغ 300,000 جنيه إسترليني لشركة خليج هدسون.

(78) جبال روكي **The Rocky Mountains**: المعروفة باسم الروكيز، وهي سلسلة جبال رئيسة في غرب أمريكا الشمالية. تمتد جبال روكي أكثر من 3,000 ميل (4800 كلم) من الجزء الشمالي من كولومبيا البريطانية، في غرب كندا، إلى نيو مكسيكو، في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية. داخل جبال الكورديليرا في أمريكا الشمالية، تختلف جبال الروكيز إلى حد ما عن نطاقات ساحل المحيط الهادئ ومجموعة كاسكيد وسييرا نيفادا التي تقع جميعها في الغرب.

(79) فارين دي لا فارانديري، أو بيير غولتير دي فارينس **Pierre Gaultier de Varennes**، أو سيور دي لا فيرنندري **sieur de La Vérendrye** (17 نوفمبر 1685م - 5 ديسمبر 1749م): ضابط عسكري فرنسي/ كندي، وتاجر فراء ومُستكشف ومُستعمر. قام هو وأبناؤه الأربعة بفتح المنطقة غرب بحيرة سوبيريور، وبالتالي بدأت العملية التي أضافت غرب كندا إلى فرنسا الجديدة في حوض سانت لورانس. وكان أيضاً أول أوروبي يصل إلى داکوتا الشمالية ونهر ميسوري العلوي. في العام 1740م قام اثنان من أبنائه بعبور البراري، وصولاً إلى وايومنغ، فكانا أول الأوروبيين الذين يشاهدون جبال روكي، شمال نيو مكسيكو.

- (80) صموئيل هيرن Samuel Hearne (1745-1792م): مُستكشف إنجليزي، تاجر فرو و مؤلف وعالم طبيعي. كان أول أوروبي يقوم برحلة برية عبر شمال كندا إلى المحيط المتجمد الشمالي، عبر نهر كبرمين. في العام 1774م، بنى هيرن «كمبرلاند هاوس» لشركة خليج هدسون، ليكون أول مركز تجاري داخلي، وأول مستوطنة دائمة في ساسكاتشوان الحالية.
- (81) نهر كبرمين The Coppermine River: نهر في الشمال ومناطق كيتيكميوت، من الأقاليم الشمالية الغربية ونونافوت في كندا. يبلغ طوله 845 كلم (525 ميلاً)، يندفع من بحيرة لاك دي غراس، وهي بحيرة صغيرة بالقرب من بحيرة العبيد الكبرى، ويتدفق عموماً شمالاً إلى خليج التتويج، وهو لسان من المحيط المتجمد الشمالي، يتجمد في فصل الشتاء، لكنه يستمر بالتدفق تحت الجليد.
- (82) السير ألكسندر ماكينزي Sir Alexander Mackenzie (1764م- 12 مارس 1820م): مُستكشف اسكتلندي، اشتهر بعبوره البري لما يُعرف الآن بكندا، للوصول إلى المحيط الهادئ في العام 1793م. وكان هذا أول عبور من الشرق إلى الغرب، وسبق اكتشافات لويس وكلاارك بـ 12 عاماً. اكتشف نهر ماكينزي الذي سُمي باسمه.
- (83) خوان دي فوكا Juan de Fuca (1536م- 1602م): قبطان بحرية يوناني، دخل في خدمة ملك إسبانيا فيليب الثاني، واشتهر بادعائه استكشاف مضيق أنيان المعروف الآن باسم مضيق خوان دي فوكا، بين جزيرة فانكوفر (التي أصبحت الآن جزءاً من كولومبيا البريطانية وكندا) وشبه الجزيرة الأولمبية (ولاية شمال غرب واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية).
- (84) فانكوفر Vancouver: تقع في شمال شرق المحيط الهادئ، قبالة ساحل كندا، وهي جزء من المقاطعة الكندية في كولومبيا البريطانية. يبلغ طول الجزيرة 460 كلم (290 ميلاً) وعرضها 100 كلم في أوسع نقطة لها، وهي أكبر جزيرة على الساحل الغربي لأمريكا الشمالية.
- (85) ميريوذر لويس Meriwether Lewis (18 أغسطس 1774م- 11 أكتوبر 1809م): مستكشف وجندي أمريكي، وسياسي ومدير عام، اشتهر بدوره كزعيم لاستكشافات لويس وكلاارك، المعروفة أيضاً باسم فيلق الاكتشاف، مع وليام كلاارك، وكانت مهمتهما استكشاف أراضي لويزيانا للشراء، وإقامة التجارة مع السكان الأصليين بالقرب من نهر ميسوري، وجمع بيانات علمية ومعلومات عن الشعوب الأصلية. عينه الرئيس توماس جيفرسون حاكماً لولاية لويزيانا العليا في العام 1806م، وتوفي جراء إصابته بطلق نارية في ما يشبه جريمة القتل أو الانتحار، في العام 1809م.
- (86) وليام كلاارك William Clark (1 أغسطس 1770م- 1 سبتمبر 1838م): مستكشف أمريكي، جندي ووكيل هندي وحاكم إقليم. هو مواطن من ولاية فيرجينيا، نشأ في بريستاتهود

كتاكي، قبل أن يستقرّ في ما أصبح ولاية ميسوري. بالتعاون مع ميريويندر لويس، ساعد كلارك بعثة استكشافات لويس وكلارك (1804-1806م) عبر شراء لويزيانا إلى المحيط الهادئ، وادعى ملكية الولايات المتحدة الأمريكية لشمال غرب المحيط الهادئ. قبل البعثة، عمل في ميليشيات وجيش الولايات المتحدة الأمريكية، وخدم بعدها في ميليشيا، وكحاكم لإقليم ميسوري، من 1822م حتى وفاته في العام 1838، وشغل منصب المشرف على الشؤون الهندية.

(87) **نهر ميسوري The Missouri River**: أطول نهر في أمريكا الشمالية. في جبال روكي، غرب مونتانا، يتدفق ميسوري نحو الشرق والجنوب لمسافة 2,341 ميلاً (3,767 كلم) قبل دخوله نهر المسيسيبي شمال سانت لويس في ولاية ميسوري.

(88) **زيبولون مونتغمري بايك Zebulon Montgomery Pike** (5 يناير 1779م - 27 أبريل 1813م): عميد أمريكي، مستكشف ومُستعمر قاد بعثتين تحت سلطة الرئيس الثالث توماس جيفرسون، عبر الأراضي الجديدة، لشراء لويزيانا، للمرة الأولى في الفترة 1805-1806م لاستطلاع الروافد العليا شمال نهر المسيسيبي، ثم في 1806-1807م لاستكشاف الجنوب الغربي لضواحي المستعمرات الإسبانية الاستعمارية الشمالية في نيو مكسيكو وتكساس. تزامنت حملات بايك مع بعثات جيفرسون الأخرى، بما في ذلك بعثة لويس وكلارك (1804-1806م) وحملة توماس فريمان وبيتر كوستيس في النهر الأحمر.

(89) **النهر الأحمر The Red River**، وفي بعض الأحيان النهر الأحمر الجنوبي: نهرٌ رئيس في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية. تَمَّت تسمية النهر للبلد الأحمر في مستجمعات المياه. وهو واحد من أنهار عدة بهذا الاسم. بالرغم من أنه رافداً لنهر المسيسيبي، فإنّ النهر الأحمر هو الآن رافداً لنهر أتشافالاي، وهو قناة رفد فرعية للميسيسيبي الذي يتدفق بشكلٍ منفصل إلى خليج المكسيك.

(90) **ألاسكا Alaska**: أكبر ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي منفصلة عن بقية البلاد. تقع ألاسكا على الدائرة القطبية الشمالية، ولا تزال الولاية الأقل اكتظاظاً بالسكان، مع أن حجمها يعادل حجم كاليفورنيا وتكساس ومونتانا مجتمعة، ما يجعلها ضخمة، مقارنة بباقي الولايات.

(91) **جيمس مونرو James Monroe** (28 أبريل 1758م - 4 يوليو 1831م): رجل دولة أمريكي، شغل منصب الرئيس الخامس للولايات المتحدة الأمريكية، من العام 1817 إلى العام 1825م. كان مونرو آخر رئيس بين الأباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك سلالة فيرجينيا. كما أنه يمثل نهاية الجيل الديمقراطي - الجمهوري في ذلك المنصب. ولد مونرو في مقاطعة ويستمورلاند بولاية فيرجينيا، وكان من فئة الغراس

وقاتل في الحرب الثورية الأمريكية، وأصيب بجروح في معركة ترينتون. بعد دراسته القانون في عهد توماس جيفرسون، من العام 1780م إلى 1783م، عمل كمندوب في الكونغرس القاري.

(92) وادي ساكرامنتو Sacramento valley: هو منطقة الوادي المركزي لولاية كاليفورنيا الأمريكية التي تقع شمال دلتا نهر ساكرامنتو سان جواكين، ويتمّ تصريفه بواسطة نهر ساكرامنتو. يشمل أجزاء من عشر مقاطعات من شمال كاليفورنيا. بالرغم من أن العديد من المناطق في وادي ساكرامنتو ريفية، فإنه يحتوي على العديد من المناطق الحضرية، بما في ذلك عاصمة الولاية «ساكرامنتو».

(93) إقليم أوريغون Oregon Territory: كان إقليم أوريغون من أغسطس 1848م حتى فبراير 1859م، وبنهاية تلك الفترة، أصبحت ولاية أوريغون دولةً أمريكية، في 14 فبراير 1859م. شمل إقليم ولاية أوريغون أجزاء من أيداهو الحالية وأوريغون وواشنطن وإيومنغ ومونتانا، وكذلك أجزاء من كولومبيا البريطانية التي هي الآن مقاطعة كندية، وكان أول مبنى في الإقليم هو مدينة أوريغون. كانت العاصمة التالية سالم وأصبحت كورفاليس العاصمة بعدها. عندما أصبحت ولاية أوريغون دولةً أمريكية، تمّ نقل مقر الحكومة إلى سالم من جديد.

(94) نهر كولومبيا The Columbia River: أكبر نهر في منطقة شمال غرب المحيط الهادئ في أمريكا الشمالية، يتدفق من جبال روكي في كولومبيا البريطانية وكندا، ويتجه شمال غرب البلاد، ثم جنوبها إلى ولاية واشنطن الأمريكية، ليتحول غرباً لتشكيل معظم الحدود بين واشنطن ودولة ولاية أوريغون، قبل أن يصب في المحيط الهادئ. يبلغ طول النهر حوالي 1,243 ميلاً (2,000 كلم)، ومن أكبر روافده نهر الأفعى. حوض الصرف الخاص به هو تقريباً بحجم فرنسا، ويمتد إلى سبع ولايات أمريكية ومقاطعة كندية، وهو رابع أكبر نهر في الولايات المتحدة الأمريكية، من حيث الحجم.

(95) القبطان جورج فانكوفر Captain George Vancouver (22 يونيو 1757م - 10 مايو 1798م): ضابط بريطاني من البحرية الملكية، اشتهر ببعثته (1791-1795م) التي استكشفت ورسمت مناطق شمال غرب المحيط الهادئ وشمال أمريكا الشمالية، بما في ذلك سواحل ألaska، وكولومبيا البريطانية، وواشنطن، وأوريغون. كما استكشف جزر هاواي والساحل الجنوبي الغربي لأستراليا. في كندا، سميت جزيرة فانكوفر ومدينة فانكوفر باسمه، وكذلك جبل فانكوفر على حدود يوكون / ألaska، وهو سادس أعلى جبل في نيوزيلندا.

## الفصل العاشر

---

أستراليا وجنوب البحار..  
«تاسمان» و«القبطان كوك»



إذا نظر المرء إلى الساحل الغربي لأستراليا، سيلفت نظره العدد الكبير من الأسماء الهولندية المدونة على الساحل. فثمة جزيرة (هوغ <sup>(1)</sup> Hoog)، وخليج (ديمن <sup>(2)</sup> Diemen)، و (هوتمان أبرولهوس <sup>(3)</sup> Abrolhos Houtman)، وأرض (دي ويت <sup>(4)</sup> De Wit)، وأرخيل (نويتس <sup>(5)</sup> Nuyts)، إلى جانب جزيرة (ديرك هارتوغ <sup>(6)</sup> Dirk Hartog) ورأس (ليوين <sup>(7)</sup> Leeuwin). إلى أقصى الشمال، نجد خليج (كاربتاريا <sup>(8)</sup> Carpentaria)، وإلى أقصى الجنوب الجزيرة التي كانت تُسمّى أرض (فان ديمن <sup>(9)</sup> Van Diemen). ولن يكون مثيراً للعجب أبداً أنه - حتى منتصف هذا القرن - كان من المفترض بالأرض التي تُسمّى اليوم بأستراليا، أن تُعرف باسم هولندا الجديدة. فلو أن الهولنديين نفذوا إلى السواحل الشرقية الأكثر خصوبة في القارة الأسترالية، لأطلقوا عليها اسم «هولندا الجديدة»، حتى يومنا هذا. وبسبب وجود خطّ ساحليّ طويل، وعالم صعب وقاحل في غرب أستراليا، يمكن للمرء أن يفهم بسهولة كيف أن الهولنديين - بالرغم من أنهم استكشفوها - لم يهتموا بالاستيلاء عليها.

إذا كان الهولنديون أول من استكشف كل ذلك الامتداد الكبير من الساحل الأسترالي، فلا يعني هذا أنهم أول من شاهده. ففي وقتٍ مبكرٍ من العام (1542 ميلادي)، تم إرسال بعثة إسبانية، تحت إمرة (لويس لوبيز دي فيلالوبوس <sup>(10)</sup> Luis Lopez de Villalobos)، لمتابعة اكتشافات ماجلان في المحيط الهادئ، في نطاق النفوذ الإسباني، فاستكشف العديد من جزر (بولينيزيا <sup>(11)</sup> Polynesia)، وحاول الاستيلاء على الفيليبين، إنما



كان ينبغي على أسطوله العودة إلى إسبانيا الجديدة، فأبحرت إحدى السفن على طول ساحل الجزيرة التي أعطي لها اسم (غينيا الجديدة New Guinea)<sup>(12)</sup>، وكان يُعتقد بأنها تمثل جزءاً من الأرض الجنوبية العظيمة المجهولة التي كان بطليموس يتخيل وجودها في جنوب المحيط الهندي، وتكون متصلةً بطريقةٍ أو بأخرى مع أرخبيل (تيرا ديل فويغو Tierra del Fuego)<sup>(13)</sup>، وهكذا أثارت الفضول. وفي العام (1606 ميلادي) تم إرسال المستكشف (بيدرو دي كويروس Pedro de Quiros)<sup>(14)</sup> في رحلةٍ إلى البحار الجنوبية، مع ثلاث سفن، فاكشف (هبريدس الجديدة New Hebrides)<sup>(15)</sup>، واعتقد أنها تُشكّل جزءاً من القارة الجنوبية، فسمّاها بالتالي (أستراليا الروح القدس Australia del Espiritu Santo)، وسارع في العودة إلى الوطن، ليحصل التاج الإسباني على هذه الملكية الجديدة، لكن إحدى سفنه انفصلت عنه، وكان قائدها هو المستكشف (لويس فاز دي توريس Luys Vaz de Torres)<sup>(16)</sup> الذي أبحر بشكل أبعد إلى الجنوب الغربي، وبذلك علم أن أستراليا الجديدة لم تكن قارةً، بل جزيرة، ومضى أبعد حتى وصل إلى غينيا الجديدة التي أبحر على طول ساحلها الجنوبي، لرؤية الأرض الجنوبية منها، وهكذا مرّ عبر المضيق الذي حمل اسمه في ما بعد، وقد يكون أول أوروبي يرى قارة أستراليا. في العام نفسه (1606 ميلادي)، أبحر اليخت الهولندي (دويفكن Duyfken)<sup>(17)</sup> على طول السواحل الجنوبية والغربية لغينيا الجديدة، ما يقرب من حوالي الألف ميل، حتى وصل إلى رأس (كيروير Keerweer)<sup>(18)</sup>، أو «عاد مرة أخرى»، وقد يكون هذا الساحل الشمالي الغربي لأستراليا. في السنوات الثلاثين الأولى من القرن السابع عشر، تبّع الهولنديون الساحل الغربي لأستراليا، مع القدر ذاته من المثابرة التي تحلّى بها البرتغاليون مع الساحل الغربي لأفريقيا، وتركوا علامات استكشافاتهم حتى يومنا هذا في أسماء الجزر والخلجان والرؤوس. وعلى متن السفينة (إندراخت

(Endraaght)<sup>(20)</sup>، اكتشف المستكشف (ديرك هارتوغ Dirk Hartog)<sup>(19)</sup> تلك الأرض التي سُميت باسم سفينته، والرأس والمرسى الطبيعي المسمى باسمه، في العام (1616 ميلادي)؛ وترك المستكشف (جان إيدلز Jan Edels)<sup>(21)</sup> اسمه على الساحل الغربي، في العام (1619 ميلادي)؛ بينما، بعد ثلاث سنوات، وصلت سفينة اسمها (ليونيس Lioness) أو (ليوين Leeuwin) إلى أقصى نقطة غرباً في القارة، والتي لا يزال اسمها ملتصقاً بها. بعد خمس سنوات، في العام (1627 ميلادي)، أبحر المستكشف (دي نويتس De Nuyts)<sup>(22)</sup> حول الساحل الجنوبي لأستراليا، بينما في العام نفسه، اكتشف قائد هولندي يدعى (كاربنتر Carpenter)<sup>(23)</sup> تلك البقعة الهائلة التي لا تزال تعرف باسمه، خليج كاربنتاريا.

ولكن لا تزال ثمة اكتشافات أكثر أهمية، في العام (1642 ميلادي)، من قبل بعثة أُرسِلت من باتافيا تحت إمرة المستكشف (أبيل جانسن تاسمان ABEL JANSSEN TASMAN)<sup>(24)</sup>، للتحقق من المسافة الحقيقية للأراضي الجنوبية. وبعد رحلتي ليوين ودي نويتس، لوحظ أن الساحل الجنوبي للأرض الجديدة يميل إلى الشرق، بدلاً من الغرب، كما هي الحال لو كانت آراء بطليموس صحيحة، وكانت مشكلة تاسمان هي اكتشاف ما إذا كانت مرتبطة بأرض الجنوب الكبيرة التي يفترض أنها تقع في جنوب أمريكا الجنوبية. أبحر تاسمان في البداية من (موريشيوس Mauritius)<sup>(25)</sup>، ومن ثمّ قام بتوجيه مساره إلى الجنوب الشرقي، والذهاب أكثر إلى الجنوب من رأس ليوين، ليصل أخيراً إلى الأرض الواقعة في خط العرض (30, 43°) وخط الطول (50, 163°)، وكانت هذه تُسمى أرض فان ديمن، على اسم الحاكم العام لباتافيا، واعتقد أنها ترتبط بالأرض التي اكتُشفت بالفعل من قبل دي نويتس؛ وأبحر تاسمان مبتعداً نحو الشرق، حيث خرج إلى البحر المفتوح مرةً أخرى، ثم ظهر له إثبات بأن الأرض المكتشفة حديثاً لم تكن متصلة بالقارة المجهولة العظيمة في القطب الجنوبي.

ووصل في نهاية المطاف إلى باتافيا، بعد مروره بغينيا الجديدة، وشكلت اكتشافاته تقدماً كبيراً عن المعرفة السابقة؛ إذ كان قد خفض، على أية حال، الأبعاد الممكنة للقارة المجهولة في الجنوب، ضمن حدود ضيقة، كما نُقِشت اكتشافاته بكلّ دقة على خريطة العالم المنقوشة على حجر في بيت الدولة الجديد في (أمستردام Amsterdam)<sup>(27)</sup>، حيث جرى إطلاق اسم نيو هولاند، بأمر من الدول العامة، على الجزء الغربي من

«تيرا أوستراليس» Terra Australis. وعندما انضمت إنجلترا إلى هولندا، في عهد (وليام الثالث William III) <sup>(28)</sup>، أرسل المستكشف (ويليام دامبير William Dampier) <sup>(29)</sup> إلى نيو هولاند، لإجراء المزيد من الاكتشافات، فأعاد تتبّع أثر سير استكشافات الهولنديين من خليج ديرك هارتوغ إلى غينيا الجديدة؛ ويبدو أنه كان أول أوروبي يهتم بعادات حيوان الكنغر، إلا أنّ رحلته لم تضيف الكثير إلى المعرفة الجغرافية، ومع ذلك، عندما غادر سواحل غينيا الجديدة، توجه بين نيو إنجلاند وإيرلندا الجديدة.

ونتيجةً لهذه الرحلات الهولندية، أصبحت ملكية الأرض الكبيرة الموجودة في مكانٍ ما نحو جنوب شرق آسيا، أمراً شائعاً بين جميع الرجال المتحضرين. وكمثالٍ على هذه الإلفة، وقبل سنواتٍ عديدة من قيام القبطان كوك بالرحلات، تجدر الإشارة إلى أنه، في العام (1699 ميلادي)، وصل القبطان (ليمويل غوليفر Lemuel Gulliver) <sup>(30)</sup> (في رومانسية سويقت الشهيرة) إلى مملكة (ليليوت Lilliput) <sup>(31)</sup> من خلال توجهه نحو الشمال الغربي من أرض فان ديمن، وبالتالي سوف يتبين أنّ ليليوت كانت تقع في مكانٍ ما بجوار الخليج الكبير بأستراليا. هذا الخليط الغريب من المعرفة الواضحة والجهل الغامض من جانب سويقت يتطابق تماماً مع حالة المعرفة الجغرافية حول أستراليا في أيامه، كما هو ظاهر في الخريطة السابقة لتلك الأجزاء من العالم، على النحو الذي قدّمه رسام الخرائط الفرنسي الكبير (دانفيل D.Anvill) <sup>(32)</sup> في العام (1745 ميلادي).

هذه الاكتشافات الإسبانية والهولندية كانت النتائج المباشرة والبدئية للبحث الكبير عن جزر التوابل، والتي شكّلت الموضوع الرئيس لتساؤلاتنا. فمعظم هذه الاكتشافات قامت بها السفن التي تمّ تجهيزها في أرخبيل الملايو، إن لم يكن من جزر التوابل نفسها. ولكن، في

بداية القرن الثامن عشر الميلادي، لعبت دوافع جديدة دوراً في البحث عن أراضٍ جديدة. في ذلك الوقت، كان كامل الشريط الساحلي من العالم تقريباً معروفاً، إذ كان البرتغاليون قد أبحروا على ساحل أفريقيا، والإسبانيون على سواحل أمريكا الجنوبية، والإنجليز على معظم شرق أمريكا الشمالية، بينما عُرِفَت أمريكا الوسطى عن طريق الإسبان، وإن لم يتم مسحها بدقة، ولم يتبق سوى الساحل الشمالي الغربي لأمريكا، والساحل الشمالي الشرقي لآسيا لاستكشافهما، في حين أن المشكلة الكبيرة المتبقية من الجغرافيا، هي اكتشاف ما إذا كانت القارة الجنوبية الكبرى - التي يعتقد بها بطليموس - موجودة بالفعل؛ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي أبعادها؟ وصادف أن كل هذه المشاكل للجغرافيا الساحلية - إذا أمكن أن نطلق عليها هذه التسمية - سيتم حلّها عن طريق رجل واحد، هو إنجليزي يُدعى جيمس كوك، والذي - مع الأمير هنري، وماجلان، وتاسمان - يمكننا القول: إنه حدّد حدود الأراضي الصالحة للسكنى.

في الجوهر، لم تكن رحلاته للتجارة أو الغزو، إنما من باب الفضول العلمي، وكانت قد بدأت بشكل أساسي بالاهتمام بعلم مُختلف تماماً عن علم الجغرافيا، حيث كان عالم الفلك الإنجليزي (هالي Halley) <sup>(33)</sup> قد ترك - كنوع من الإرث - مهمة دراسة مرور كوكب الزهرة الذي تنبأ بمروره العام (1769 ميلادي) - مشيراً إلى أهميته البالغة في تحديد مسافة الشمس من الأرض. ولا يمكن رصد هذا العبور إلا في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، ومن أجل ذلك أجرى القبطان كوك أول رحلة استكشافية له.

كان ثمة تناسبٌ مزدوج في الدافع وراء رحلة كوك الأولى؛ فلم يتمكن من إنجاز عمله إلا بفضل التحسين الذي طرأ على الأدوات الملاحية خلال الجزء الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. وكان

السيد (هادلي Hadley)<sup>(34)</sup> قد اخترع (آلة السدس Sextant)<sup>(35)</sup> التي يمكن من خلالها تحديد ارتفاع الشمس بسهولة ودقة أكثر بكثير من الطاقم القديم لعقرب ساعة الشمس الصعب للغاية، والذي كان الملاحون السابقون يستخدمونه. ولا يزال ثمة حدثٌ أكثر أهميةً بالنسبة إلى الجغرافيا العلمية، ألا وهو التحسين الذي لحق بجهاز قياس الزمن الدقيق (الكرونوميتر Chronometry)<sup>(36)</sup>، وبالتالي لن يكون من الصعب العثور على خط العرض لمكانٍ ما طوال النهار، في أوقاتٍ مختلفة من السنة، وعن طريقه يمكن تحديد ذلك بشكلٍ كافٍ. وكما رأينا في التاريخ المبكر جداً للجغرافيا اليونانية، فإن تحديد خط الطول كان المهمة الأصعب بكثير، إذ كان يتمّ تشكيله في المراحل السابقة، عن طريق التخمين، وبالحسابات التقديرية.

ولكن، عندما تمّ نقل الساعات إلى مثل هذه الدرجة من الدقة، لن يخسر البحارة سوى بضع ثوانٍ أو دقائق أثناء الرحلة كلّها، ويمكنهم أن يستخدموها لتحديد الفرق في التوقيت المحلي بين أيّ بقعةٍ على سطح الأرض والميناء الذي أبحرت منه السفينة، أو من مكانٍ ثابت يمكن فيه قياس توقيت الساعة. الحكومة الإنجليزية التي أدركت أهمية هذا الأمر، اقترحت جائزةً كبيرة جداً قدرها (10,000 جنيه إسترليني)، لاختراع الكرونوميتر الذي لن يفقد أكثر من عددٍ محدودٍ من الدقائق خلال العام، ولقد فاز بهذه الجائزة (جون هاريسون John Harrison)<sup>(37)</sup>، ومنذ ذلك الوقت صار بإمكان قائدٍ بحريٍّ يملك أدنى حدٍّ من المعرفة الفلكية، معرفة خط الطول في غضون بضع دقائق. كانت آلة سدس هادلي، وكرونوميتر هاريسون، هي الأدوات اللازمة التي مكنت القبطان جيمس كوك من القيام بعمله، والتي كانت مستخدمةً بالتالي في كلّ طريقٍ إنجليزي، سواء في الهدف أم الطريقة.

كان جيمس كوك بحاراً عملياً، أظهر فهماً كبيراً في سبر غور سانت لورانس خلال حملة وولف، وقام بعد ذلك بإجراء مسح بحري في نيوفاوندلاند. وعندما قررت الجمعية الملكية إرسال بعثة استكشافية لمراقبة عبور كوكب الزهرة، وفقاً لتنبؤات هالي، تمّ منعها من تكليف رجل علمي من أمثال هالي نفسه، الذي كان قد فشل في الحصول على طاعة البحارة، بعدما عُهد إليه بالأمر. كان (دالريمبل Dalrymple)<sup>(38)</sup>، رئيس الهيدروغرافيا من الأميرالية، قد ترأس اختيار القيادة، فاختار كوك باعتباره ملازماً أول؛ ولقد أثبت هذا الاختيار تجربة ممتازة، وتمّ اختيار المركب، وهو ناقلة الفحم الساحلية (إنديفور Endeavour)<sup>(39)</sup>، ووزنها 360 طناً، ذلك أنّ اتساع عارضها من شأنه أن يمكنها من حمل المزيد من المؤن، والتجول بالقرب من السواحل. وقبل أن يبدؤوا رحلتهم، كان الكابتن (واليس Wallis)<sup>(40)</sup> قد عاد من رحلة حول العالم، كان على أساسها قد اكتشف، أو بالأحرى أعاد اكتشاف جزيرة تاهيتي، وأوصى بأنّ ذلك المكان هو أنسب ما يكون لمراقبة عبور الكوكب.

وصل كوك إلى هناك كما ينبغي، وفي الثالث من يونيو/ حزيران من العام (1769 ميلادي)، تمّ تحقيق الهدف الرئيس من الحملة، من خلال الرصد الناجح؛ لكنّه تقدّم بعد ذلك على نحو أبعد، ووصل قريباً من الأرض التي رأى أنها تماثل أرض ستاتن المكتشفة من قبل المستكشف تاسمان. ولكن على طول هذا الساحل، وجد القبطان كوك أنّها حتى الآن لا تنتمي إلى القارة الجنوبية الكبيرة، إذ كانت تتألف من جزيرتين، فقام بالإبحار بينهما، وأعطى اسمه للمضيق الذي يفصله بينهما، وقام بمغادرة نيوزيلندا في تاريخ 31 مارس/ آذار من العام (1770 ميلادي). وفي 20 من الشهر التالي وصل إلى أرض أخرى، إلى الغرب، لم تكن معروفة للبحارة حتى تلك اللحظة، فدخل في خليج صغير، وقام باستكشاف الأرض المجاورة لمساعدة السيد (جوزيف بانكس Mr. Joseph Banks)<sup>(41)</sup>،



وهو عالم الطبيعة المرافق للبعثة، على إيجاد العديد من النباتات الجديدة، وأطلق على ذلك الخليج اسم خليج (بوتاني Botany)<sup>(42)</sup>.

بعد ذلك سافر باتجاه الشمال، وكاد أن يخسر سفينته على الشعاب المرجانية العظيمة التي تنتشر على الساحل الشرقي، ولكنه - من خلال الحفاظ على داخلها - تمكّن من الوصول إلى أقصى حدود من الأرض في هذا الاتجاه، وأثبت أنها كانت متميزة عن غينيا الجديدة. وبعبارة أخرى، وصل إلى النقطة الجنوبية للمضيق المسمّى على اسم المستكشف (توريس Torres)<sup>(43)</sup>، وأعطى كوك هذا الشريط الهائل من الساحل اسم (نيو ساوث ويلز New South Wales)<sup>(44)</sup>، لبعض التشابه الذي رآه في الساحل حول (سوانسي Swansea)<sup>(45)</sup>. من خلال هذه الرحلة الأولى، أثبت كوك عدم انتماء كل من نيو هولاند وستاتن لاند إلى القارة القطبية الجنوبية العظمى التي ظلت الأسطورة الوحيدة التي توارثها الأقدمون الذين لم يقوموا حتى الآن بإزالتها بشكل مؤكد من الخرائط. وفي رحلته البحرية الثانية، وابتداءً من العام (1772 ميلادي)، كان في طريقه إلى حسم هذه المشكلة بشكل نهائي، واتجه مباشرة إلى رأس الرجاء الصالح، ومن هناك بدأ برحلة متعرجة إلى القطب الجنوبي، يحشر أنف سفينته في كل اتجاه أمكنه أن يصل إليه في أقصى الجنوب، إلا أنه توقف عندما لامس الجليد، وكلما تقدّم أخفق في العثور على أي أثر للأرض الواسعة المفترضة المقابلة للقارة القطبية، وأثبت بالتالي، وبشكل مؤكد، أنها غير موجودة، وقضى ما تبقى من هذه الرحلة في إعادة اكتشاف مجموعات مختلفة من الأرخييلات التي سبق للملاحين الإسبان والهولنديين والإنجليز أن وصلوا إليها، لكنهم لم يقوموا بمسحها بدقة. ولاحقاً انطلق القبطان كوك عبر المحيط الهادئ، من نيوزيلندا إلى الرأس كيب هورن، دون اكتشاف أي أرض واسعة النطاق، وبالتالي تمّ إثبات هذه المسألة بعد ثلاث سنوات من التحقق الدقيق. ومن الجدير



بالملاحظة أنه - خلال تلك الفترة الطويلة - لم يخسر سوى أربعة رجال، من أصل 118 رجلاً، واحداً منهم فقط بسبب المرض.

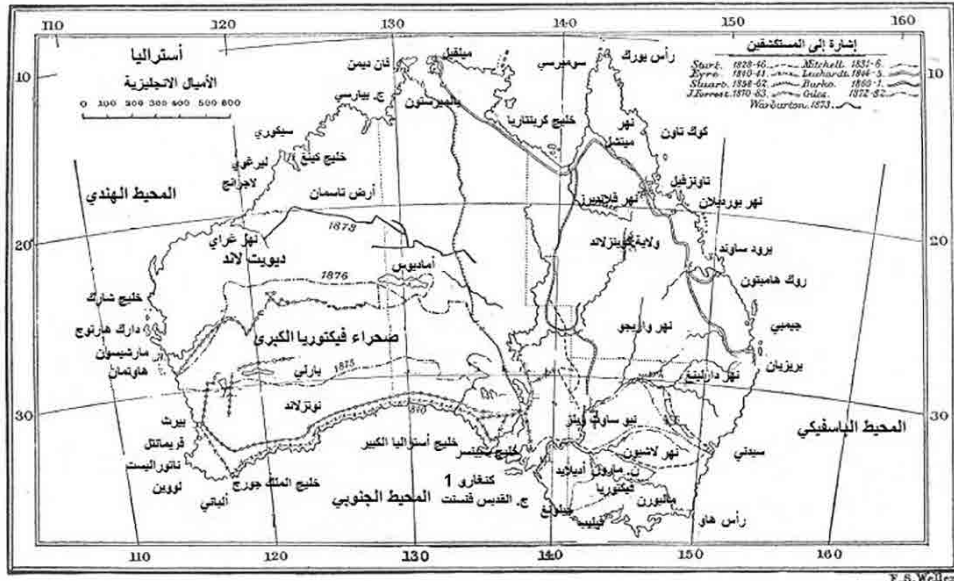
ولكن لاتزال ثمة مشكلة كبيرة واحدة للجغرافيا البحرية يتعين حلها، وهي ذلك الممر الشمالي الغربي الذي، كما رأينا سابقاً، كثيراً ما حاول الملاحون الإنجليز حلّ مسألته، من الشرق عبر خليج هدسون. في العام (1776 ميلادي) كان القبطان كوك موفداً من قبل الملك (جورج الثالث George III)<sup>(46)</sup>، لمحاولة حلّ هذه المشكلة بأسلوب جديد؛ وكان قد توجه سعيًا للعثور على أيّ ثغرة على الساحل الشمالي الغربي لأمريكا، من شأنها أن تؤدّي إلى خليج هدسون. الأسطورة القديمة لخليج خوان دي فوكا العظيم لا تزال تضلل الجغرافيين بالنسبة إلى هذا الساحل. وحده كوك لم يحسم هذه المشكلة، ولكن، من خلال تقدمه عبر مضيق بيرينغ، ودراسته كلا جانبيه، قرّر أنّ قارّتي آسيا وأمريكا تقتربان من بعضهما البعض بستة وثلاثين ميلاً. وعند رحلة عودته نزل في (أوهيي Owhyee)<sup>(47)</sup> (هاواي Hawaii)<sup>(48)</sup>، حيث لقي حتفه في العام (1777 ميلادي)، وعادت سفنه إلى إنجلترا، دون إضافة أيّ شيء آخر إلى المعرفة الجغرافية.

أثارت رحلات كوك المنافسة الكريمة للفرنسيين، ولكي يمنحوه شرفاً أبدياً، أعطوا أسطولهم التعليمات باحترام سفنه أينما وُجِدَتْ، بالرغم من أنّ فرنسا كانت، في ذلك الوقت، في حالة حربٍ مع إنجلترا. في العام (1783 ميلادي) تمّ إرسال حملةٍ تحت إمرة المستكشف (فرانسوا دي لا بيروز François de la Pérouse)<sup>(49)</sup>، لاستكمال عمل القبطان كوك، فاستكشف الساحل الشمالي الشرقي لآسيا، وقام بدراسة جزيرة (ساخالين Saghalien)<sup>(50)</sup>، ومَرَّ عبر المضيق الذي بينها وبين اليابان، والذي غالباً ما يُسمّى باسمه. في كاماتشاتكا، قام لا بيروز بإنزال المسيو (ليسبس Lesseps)<sup>(51)</sup> الذي رافق البعثة كمترجمٍ روسيّ، والمرسل من قبل المجلات والدراسات

البحثية، فقام المسيو ليسبس بإجراء دراسة متأنية عن كاماتشاتكا، ونجح في المرور من هناك براً إلى باريس، كأول أوروبي يسافر عبر العالم القديم من المحيط الهادئ إلى المحيط الأطلسي، ثم شرع بمتابعة أعمال كوك، عن طريق دراسة ساحل نيو ساوث ويلز، وأصيب بالدهشة عند دخوله ميناء رائعاً في منتصف الساحل، حيث وجد السفن الإنجليزية تشارك في تأسيس أول مستعمرة أسترالية، في العام (1787 ميلادي). وبعد أن قدّم استطلاعاته، ليتم إرسالها من قبل الإنجليز، بدأ في مسح سواحل نيو هولاند، ولكن لم يُسمع عن حملته أي شيء بعد ذلك. وفي وقت متأخر من العام (1826 ميلادي) تبين أن سفينته كانت قد تحطمت عند جزيرة (فانيكورو Vanikoro)<sup>(52)</sup>، بالقرب من (فيجي Fijis)<sup>(53)</sup>.

لقد رأينا أن استكشاف القبطان كوك للساحل الشرقي لأستراليا، سرعان ما تلاه تأسيس مستعمرة، إذ جرى إرسال عددٍ من المدانين بأحكام تحت قيادة القبطان (فيليبس Philips)<sup>(54)</sup> إلى خليج بوتاني، ومنذ ذلك الوقت، قرّر المستكشفون الإنجليز، تدريجياً، ضبط كل من الخط الساحلي والداخلي، من الامتداد الضخم للأراضي المعروفة لنا بأستراليا، فقامت إحدى السفن التي رافقت القبطان كوك في رحلته الثانية بإجراء مسح تقريبي لأرض فان ديمن، وتوصلت إلى الاستنتاج بأنها متصلة بالبر الرئيسي. غير أنه - في العام (1797 ميلادي)، أبحر السيد (باس Bass)<sup>(55)</sup>، وهو جراح في الأسطول، نزولاً من ميناء (جackson Jackson)<sup>(56)</sup> إلى الجنوب، في قارب بسيط لصيد الحيتان، مع طاقم من ستة رجال، واكتشف بحراً مفتوحاً يجري بين نقطة في أقصى الجنوب، وأرض فان ديمن، وهو لا يزال معروفاً باسم (مضيق باس Bass Strait)<sup>(57)</sup>، وقام رفيق له، اسمه (فليندرز Flinders)<sup>(58)</sup>، بالإبحار في العام (1799 ميلادي) على طول الساحل الجنوبي من الرأس كيب ليوين، متجهاً شرقاً، وفي هذه الرحلة التقى سفينة فرنسية في خليجٍ مقابل له، سُمي بسبب ذلك

بخليج (رينكونتر rencontre)<sup>(59)</sup> وهي كلمة تعني (الملتقى). وبالمضي أبعد من ذلك، اكتشف ميناء (فيليب Philip)<sup>(60)</sup>. واستعمر الخط الساحلي لأستراليا على وجه التقريب، بعد أن قام القبطان (فيليب باركر كينغ Philip.P.King)<sup>(61)</sup> بأربع رحلات بين (1817 و 1822 ميلادي)، بحثاً وتقصيماً في مصبات الأنهار.



استكشاف أستراليا

ظلت المناطق الداخلية قيد البحث والتفتيش. وفي ما يتعلق بالساحل الشرقي، كان من الصعب القيام بهذه المسألة عملياً، بسبب سلسلة من الجبال الزرقاء التي تشبه خلية نحل، مع أخاديد كبيرة في جميع أنحاءها، ما أودى بالباحثين، مرة تلو الأخرى، إلى طريق مسدود. ولكن في العام (1813 ميلادي) تمكن المستكشف (فيليب وينتورث Philip Wentworth)<sup>(62)</sup> من عبورها بنجاح، والعثور على هضبة خصبة في غربها. وفي العام التالي، اكتشف المستكشف (إيفانز Evans)<sup>(63)</sup> نهري (لاشلان Lachlan)<sup>(64)</sup> و(ماكواري Macquarie)<sup>(65)</sup>، وتوغل على نحو أبعد في سهول (باثورست

(Bathurst)<sup>(66)</sup>. في العامين (1828-1829 ميلادي) زاد الكابتن (ستيرت Sturt)<sup>(67)</sup> من معرفة الداخل، عن طريق تتبّع مساريّ النهرين العظيمين (دارلينج Darling)<sup>(68)</sup> و(موراي Murray)<sup>(69)</sup>. وفي العام (1848 ميلادي)، فقدَ المستكشف الألماني (ليتشاردت Leichhardt)<sup>(70)</sup> حياته، في محاولته اختراق الداخل شمالاً. ولكن في العام (1860 ميلادي) تمكن اثنان من المستكشفين، هما (بيرك Burke)<sup>(71)</sup> و(ويلز Wills)<sup>(72)</sup>، من المرور من الجنوب إلى الشمال على طول الساحل الشرقي. في حين أنه، في السنوات الأربع (1858-1862 ميلادي)، قام المستكشف (جون ماكدوال ستيوارت John McDouall Stuart)<sup>(73)</sup> بمهمةٍ أكثر صعوبةً في عبور وسط القارة من الجنوب إلى الشمال، من أجل تتبّع مسار خط التلغراف الذي تم إنشاؤه بعد ذلك بوقتٍ قصير. وبحلول ذلك الوقت، أنشئت المستوطنات في جميع أنحاء ساحل شرق أستراليا، ولم يبق سوى الصحراء الغربية التي يتعيّن استكشافها، ولقد تحقّق ذلك في رحلتين للمستكشف (جون فورست John Forrest)<sup>(74)</sup>، بين العامين (1868 و1874 ميلادي)، والذي توغل من غرب أستراليا وصولاً إلى خط التلغراف المركزي، في حين أنه، بين العامين (1872 و1876 ميلادي)، قام (إرنست غايلز Ernest Giles)<sup>(75)</sup> بتحقيق الإنجاز ذاته في الشمال. وفي الفترة الأخيرة، في العام (1897 ميلادي)، تمّ ربط هذين الطريقين عن طريق رحلة المبحّل (دانيال كارنيجي Daniel Carnegie)<sup>(76)</sup>، مع حقول ذهب (كولغاردي Coolgardie)<sup>(77)</sup> في الجنوب، ومع تلك التي في (كيمبرلي Kimberley)<sup>(78)</sup> في الشمال. هذه الاكتشافات أضافت إلى معرفتنا داخل أستراليا، وأكدت كذلك الانطباع بأنها لا تستحق أن تُعرف.

[Authorities: Rev. G. Grimm, *Discovery and Exploration of Australia* (Melbourne, 1888); A. F. Calvert, *Discovery of Australia, 1893; Exploration of Australia, 1895; Early Voyages to Australia, Hakluyt Society*].



## (هوامش الفصل العاشر)

- (1) **Hog Island** هوغ: جزيرة صغيرة ومحمية طبيعية، هي جزء من مجموعة جزر تقع في خليج فريدريك هنري، بالقرب من الساحل الجنوبي الشرقي لتسمانيا- أستراليا.
- (2) **Diemen's Bay** ديمن: هو الفجوة بين أرنيمن لاند، من شبه جزيرة كوبورغ، وجزيرة ميلفيل في شمال أستراليا، وهو متصل ببحر تيمور في الغرب من مضيق كلارنس (بالقرب من مدينة داروين)، وبحر أرافورا في الشمال قبل مضيق دونداس (بين جزيرة ميلفيل وشبه جزيرة كوبورغ)، ويمتد على مساحة حوالي 14,000 كلم<sup>2</sup>.
- (3) **Abrolhos Houtman** هوتمان أبرولهوس (غالباً ما تسمى بشكل غير رسمي جزر أبرولهوس): هي سلسلة من 122 جزيرة، مع الشعاب المرجانية المرتبطة بها، في المحيط الهندي قبالة الساحل الغربي لأستراليا.
- (4) **De Wit** دي ويت: منطقة الأراضي (مقسمة مساحياً) بغرب أستراليا، وتقع داخل شعبة الأراضي الشمالية الغربية.
- (5) **The Nuyts Archipelago** نويتس: عبارة عن مجموعة جزر تقع جنوب أستراليا في بايت الأسترالية العظمى، إلى الجنوب من مدينة سيدونا على الساحل الغربي لشبه جزيرة آير.
- (6) **Dirk Hartog** ديرك هارتوغ: جزيرة قبالة ساحل غاسكوين غرب أستراليا، داخل منطقة خليج القرش، يبلغ طولها حوالي 80 كلم (50 ميلاً) وهي أكبر جزيرة في غرب أستراليا.
- (7) **Cape Leeuwin** رأس ليوين: هو نقطة تقع في أقصى الجنوب غرب البلاد بالقارة الأسترالية، في ولاية غرب أستراليا.
- (8) **The Gulf of Carpentaria** خليج كاربنتاريا: هو بحر كبير ضحل، محاط بثلاثة جوانب شمال أستراليا، ويحدّه من الشمال بحر أرافورا.
- (9) **Van Diemen's Land** أرض فان ديمن: هو الاسم الأصلي المستخدم من قبل معظم الأوروبيين لجزيرة تسمانيا، التي هي الآن جزء من أستراليا. تم تغيير الاسم من أرض فان ديمن إلى تسمانيا في العام 1856م.

(10) لويس لوبيز دي فيلالوبوس Luis Lopez de Villalobos، ويكتب أيضاً روي لوبيز دي فيلالوبوس Ruy López de Villalobos (1500م - 4 أبريل 1544م): مُستكشف ومُستعمر إسباني، أبحر عبر المحيط الهادئ من المكسيك لإقامة موطنٍ قدم دائم لإسبانيا في جزر الهند الشرقية التي كانت على مقربة من خط ترسيم الحدود بين إسبانيا والبرتغال، وفقاً لمعاهدة سرقسطة في العام 1529م. فيلالوبوس أعطى الفيليبين اسمها، بأن أطلق عليها «جزر الفيليبين» على شرف فيليب النمسا، أمير أستورياس في ذلك الوقت، والذي أصبح في وقتٍ لاحق فيليب الثاني بإسبانيا. وفي العام 1542م اكتشف أيضاً مجموعة جزر المحيط الهادئ، وعلى الأرجح جزر هاواي، لكن الإسبان تكتموا على سرّ الاكتشاف.

(11) بولينيزيا Polynesia: منطقة فرعية من أوقيانوسيا - أستراليا، تتألف من أكثر من 1000 جزيرة منتشرة في وسط وجنوب المحيط الهادئ. يسمّى السكان الأصليون الذين يسكنون في جزر بولينيزيا «البولينيزيين»، وهم يتشاركون العديد من الصفات المماثلة، بما في ذلك اللغة والثقافة والمعتقدات، وكان لديهم تاريخاً تقليدٌ قوي للإبحار، وذلك باستخدام النجوم للتنقل في الليل.

(12) غينيا الجديدة New Guinea: جزيرة كبيرة في أوقيانوسيا، وهي ثاني أكبر جزيرة في العالم (إذا استبعدت أستراليا كجزيرة)، بعد غرينلاند التي تغطي مساحة 785 755 كلم<sup>2</sup> (303,381 ميلاً مربعاً)، وأكبرها كلياً أو جزئياً في نصف الكرة الجنوبي وأوقيانوسيا.

(13) تيرا ديل فويغو Tierra del Fuego: أرخبيلٌ قبالة الطرف الجنوبي من البرّ الرئيس لجنوب أمريكا، عبر مضيق ماجلان، يتكوّن من الجزيرة الرئيسة غراندي دي تيرا ديل فويغو، بمساحة 48,100 كلم<sup>2</sup> (18,572 ميلاً مربعاً) ومجموعة كبيرة من الجزر.

(14) بيدرو فرنانديز دي كويروس Pedro Fernandes de Queirós (1565م - 1614م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر برتغالي في خدمة إسبانيا، اشتهر بمشاركته في رحلات اكتشاف الإسبان للمحيط الهادئ، ولاسيما رحلة ألفارو دي مندانا دي نيرا (1595م - 1596م) و(1605م - 1606م) التي عبرت المحيط الهادئ بحثاً عن تيرا أوستراليس.

(15) هبريدس الجديدة New Hebrides، وسميت أيضاً بأرخبيل هبريدس الاسكتلندي: هو الاسم الاستعماري لمجموعة الجزر في جنوب المحيط الهادئ، والتي هي الآن دولة فانواتو. أقام السكان الأصليون في الجزر لمدة ثلاثة آلاف سنة، قبل وصول أول الأوروبيين إليها العام 1606م، من قبل بعثة إسبانية بقيادة بيدرو فرنانديز دي كويروس، ولقد استعمر كل من البريطانيين والفرنسيين هذه الجزر في القرن الثامن عشر، بعد وقتٍ قصير من زيارة الكابتن جيمس كوك لها.

(16) لويس فاز دي توريس Luys Vaz de Torres (1565م - 1607م): مُستكشف بحري

وُستعمر من القرنين السادس عشر والسابع عشر، لبعثة إسبانية، وأول ملاح أوروبي يلاحظ المضيق الذي يفصل بين قارة أستراليا وجزيرة غينيا الجديدة، والذي يحمل الآن اسمه (مضيق توريس).

(17) **دويفنك Duylken**: سفينة صغيرة بُنيت في الجمهورية الهولندية، وكانت سريعة ومسلحة تسليحاً خفيفاً، ولعلها كانت مخصصة للمياه الضحلة، وللشحنات الثمينة الصغيرة، أو لجلب الرسائل، أو لإرسال الأحكام، أو خدمات خاصة، إذ تبلغ حمولتها بين 50 و60 طناً.

(18) **رأس كيب كيروير Cape Keerweer**: هو رأس داخل كوينزلاند وجنوب غرب مقيم كينشيرينغ وغرب وياه ياردز و تي- تري أوتستاتون، ويبلغ ارتفاعه حوالي 9 أمتار.

(19) **ديرك هارتوغ Dirk Hartog** (عُمد في 30 أكتوبر 1580م - ودفن في أمستردام 11 أكتوبر 1621م) بحار ومُستكشف ومُستعمر هولندي في القرن 17. كانت بعثة ديرك هارتوغ هي المجموعة الأوروبية الثانية التي تهبط في أستراليا، وهو أول من ترك وراءه قطعة أثرية لتسجيل زيارته، هي لوحة هارتوغ. في بعض الأحيان يكتب اسمه ديرك هارتوغ، أو ديريك هارتوشز، ولقد أشار إليه المؤرخ إرنست جايلز باسم ثيودوريك هارتوغ.

(20) **إندراخت Endraacht**: سفينة خشبية ذات فتحات، وزن 7000 طن، أطلقت في خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية العام 1615م.

(21) **جان فان إيدلز Jan Van Edels** (عاش خلال القرن السابع عشر الميلادي): ملاح ومُستكشف ومُستعمر هولندي، قام باستكشاف الجزء الغربي من أستراليا، منطقة أندراخت، العام 1619م، وأطلق اسمه على تلك المنطقة.

(22) **بيتر نويتس Pieter Nuyts** (1598م - 11 ديسمبر 1655م): مُستكشف ومُستعمر ودبلوماسي وسياسي هولندي، كان جزءاً من الحملة التاريخية لشركة الهند الشرقية الهولندية في الفترة 1626م - 1627م التي رسمت خريطة الساحل الجنوبي لأستراليا. أصبح السفير الهولندي في اليابان العام 1627م، وعيّن حاكم فورموزا في العام ذاته. في وقت لاحق، أصبح شخصية مثيرة للجدل، بسبب تعامله الكارثي مع الواجبات الرسمية، إلى جانب شائعات حول حالات عدم الاستقرار الخاصة، وتعرّض للخداع والغرامة والسجن، قبل أن يكون كبش فداء لتخفيف التوتر في العلاقات الهولندية-اليابانية. عاد إلى الجمهورية الهولندية في العام 1637م، حيث أصبح عمدة هولستر أمباخت وهولست.

(23) **بيتر دي كاربنتيير Pieter de Carpentier** (19 فبراير 1586م - 5 سبتمبر 1659م): مُستكشف ومُستعمر هولندي، ولد في ألتويرب العام 1586م، ودرس الفلسفة في ليدن. كان مدير شركة الهند الشرقية الهولندية، وشغل منصب الحاكم العام هناك من 1623م إلى 1627م، وكان الحاكم العام الخامس لجزر الهند الشرقية الهولندية. شارك في غزو جاكرتا، وساعد في بناء مدينة باتافيا، وفعل الكثير للبلدة، بما في ذلك إنشاء مدرسة،



وتأسيس أول دار رئيسة للأيتام، كما صمّم هيكل الكنائس في المدينة، وهو مكتشف خليج كارينتاريا في شمال أستراليا، وقد سمّي الخليج باسمه.

(24) أبيل جانزون تاسمان **Abel Janszoon Tasman** (1603م - 10 أكتوبر 1659م): بحّار ومُستكشف ومُستعمر وتاجر هولندي، اشتهر برحلته في الفترة 1642م و 1644م في خدمة شركة الهند الشرقية الهولندية، وكان أول مستكشف أوروبي عرف عنه الوصول إلى جزر فان ديمن لاند (الآن تسمانيا) ونيوزيلندا، وشاهد جزر فيجي.

(25) موريشيوس **Mauritius**: الآن رسمياً جمهورية موريشيوس، هي جزيرة ودولة في المحيط الهندي، حوالي 2,000 كلم (1,200 ميل) قبالة الساحل الجنوبي الشرقي للقارة الأفريقية، وتشمل البلاد جزيرتي موريشيوس ورودريغز.

(26) نيوزيلندا **New Zealand**: جزيرة ودولة تقع في جنوب غرب المحيط الهادئ، وتتكوّن جغرافياً من مجموعتين أرضيتين رئيسيتين هما: الجزيرة الشمالية (أو تي إيكما ماوي)، والجزيرة الجنوبية (أو تي وايونامو)، وحوالي 600 جزيرة أصغر منهما. تقع نيوزيلندا على بعد حوالي 1500 كلم شرق أستراليا، عبر بحر تاسمان، وعلى بعد حوالي 1000 كلم من جنوب جزر المحيط الهادئ في كاليدونيا الجديدة وفيجي وتونجا. وبسبب بعدها، كانت واحدة من آخر الأراضي التي تم استيطانها من قبل البشر.

(27) أمستردام **Amsterdam**: عاصمة هولندا، وتقع في مقاطعة شمال هولندا، غرب البلاد.

(28) وليام الثالث **William III**، المعروف أيضاً باسم ويليام أورانج (4 نوفمبر 1650م - 8 مارس 1702م): كان أمير أورانج بالولادة، ومنذ العام 1672م أصبح ملك إنجلترا وإيرلندا واسكتلندا، من 1689م حتى وفاته في 1702م، وهو معروف باسم وليام الثاني. ورث وليام إمارة أورانج من والده وليام الثاني الذي توفي قبل أسبوع من ولادته، والدته ماري، الأميرة الملكية، ابنة الملك تشارلز الأول من إنجلترا.

(29) وليام دامبير **William Dampier** (عُمد في 5 سبتمبر 1651م - توفي في مارس 1715م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر إنجليزي، أصبح أول إنجليزي يستكشف أجزاء مما يُعرف اليوم بأستراليا، وأول شخص يبحر حول العالم ثلاث مرات. وصف أيضاً بأنه أول مؤرخ طبيعي في أستراليا، فضلاً عن أنه واحد من أهم المستكشفين البريطانيين للفترة بين السير والتر رالي وجيمس كوك.

(30) ليمويل غوليفر **Lemuel Gulliver**: بطل الرواية الخيالية «رحلات غوليفر» التي كتبها جوناثان سويت، ونُشرت للمرة الأولى في العام 1726م. حسب رواية سويت، ولد غوليفر في نوتنغهام شاير، العام 1661م، حيث كان والده صاحب ممتلكات صغيرة؛ ويقال أن عائلة غوليفر نشأت في أكسفورد شاير. وحسب الرواية، درس لمدة ثلاث

سنوات (1675-1678م) في كلية إيمانويل - كامبريدج. تبدأ رحلات غوليفر الرائعة في العام 1699م وتنتهي في 1715م.

(31) ليلبيوت وبليفسكو: دولتان خياليتان تظهران في الجزء الأول من رواية «غاليفر» لجوناثان سويت.

(32) جان بابتيست بورغينيون دانفيل **Jean Baptiste Bourguignon d'Anville** (ولد في باريس 11 يوليو 1697م - 28 يناير 1782م): جغرافي ورسام خرائط، حسن كثيراً من معايير صنع الخرائط، لذلك تميّز خرائطه الجغرافية القديمة بالعمل الدقيق، إلى حد كبير.

(33) إدمون هالي **Edmond Halley** (8 نوفمبر 1656م - 25 يناير 1742م): عالم فلك مشهور، وعالم جيوفيزيائي، وعالم رياضيات، وعالم أرساد جوية، وهو الفيزيائي الذي اشتهر بضبط وتحديد مدار المذنب هالي، وثاني فلكي ملكي في بريطانيا، وخلفاً للعالم جون فلامستيد.

(34) جون هادلي **John Hadley** (16 أبريل 1682م - 14 فبراير 1744م): رياضي إنجليزي، ادعى اختراعه للآلة الثمانية، بعد عامين من ادعاء توماس غودفري نفسه، ولكن تم العثور عليها لاحقاً في كتابات إسحاق نيوتن غير المنشورة (1643-1727م). في العام 1730م اخترع هادلي آلة الثمانية العاكسة، والتي يمكن استخدامها لقياس ارتفاع الشمس أو الأجرام السماوية الأخرى فوق الأفق في البحر.

(35) السدس (**Sextant**): آلة فلكية قديمة كانت تستخدم لقياس الزاوية بين جسمين أو نجمين، ابتكرها إسحق نيوتن في القرن السابع عشر الميلادي. تستخدم آلة السدس في الأساس لتحديد الزاوية بين جرم سماوي والأفق الذي يُعرف باسم الارتفاع، كما يمكن استخدامها لقياس المسافة بين القمر والأجرام السماوية، من أجل تحديد التوقيت وفروقه عن توقيت غرينتش، وهو أمر مهم لتحديد خطوط الطول الجغرافية. طورت سدسية المرايا في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وأقيم تصميمها على جهود جون هادلي في إنجلترا وتوماس جودفري في أمريكا. كانت السدسية أداة الملاحة الأولى التي تستخدم على السفن والطائرات، حتى منتصف القرن العشرين.

(36) الميقاتية أو الكرونوميتر **chronometry**: هو نوعٌ من الساعات الدقيقة جداً التي تُستخدم في البحرية، كما يستخدمها الطيارون. مع أن قدرة الساعات التي ظهرت في القرن الثامن عشر أصبحت دقيقةً تدريجياً، إلا أن مشاكل كثيرة اعترضتها عند استخدامها في البحار بنوع خاص، فأعلنت الحكومة البريطانية عن جائزة مالية بقيمة 20000 جنيه إسترليني لأول من يخترع طريقةً حديثة لضبط الوقت بشكل أفضل. أشهر من تقدّم لنيل المكافأة كان جون هاريسون الذي ولد العام 1693م وتوفي 1776م،

وقد صنع ساعات يوركشير، فكان اختراعه لبندول المشواة الحديدية من الفولاذ والنحاس، لضبط عمليات التمدد والتقلص ومحاولة الاحتفاظ بطول ثابت للبندول، هي أدواته لحساب الوقت في البحار والتي عرفت باسم «هـ 1»، وسعى مباشرة إلى صناعة «هـ 2» التي تميزت بدقة أفضل، لكنه لم يستطع الحصول على كامل الجائزة، فصنع هاريسون «هـ 3»، وهي ساعة جديدة وأكثر دقة، لكنه لم يقتنع بدرجة الدقة التي تحققت، فتعاون مع ابنه لصناعة «هـ 4» التي تميزت بصغر الحجم وزيادة درجة الدقة، فكان الكرونومتر الأول الذي بلغ حجمه حجم المنبه العادي. وبعد تجريبه كان الخطأ 15 ثانية على رحلة بحرية من أوروبا إلى جزر الهند الغربية، أي على مدى خمسة أشهر، فمُنح هاريسون كامل مبلغ المكافأة. بعد ذلك انتشر استعمال الكرونومتر في القرن التاسع عشر.

(37) جون هاريسون John Harrison (3 أبريل 1693م - 24 مارس 1776م): نجار إنجليزي وصانع ساعات، هو الذي اخترع الكرونومتر البحري، الجهاز الذي طال انتظاره لحل مشكلة حساب خط الطول أثناء الوجود في البحر، ويعّد اكتشافه ثورة في علم الملاحة البحرية وزيادة كبيرة في سلامة المسافرين لمسافات طويلة في البحر. اعتبرت المشكلة التي حلها مهمة جداً، بعد كارثة سيللي البحرية العام 1707م، وكان البرلمان البريطاني قد عرض مكافآت مالية تصل إلى £ 20,000 (أي ما يعادل 2,89 مليون جنيه إسترليني اليوم) بموجب قانون 1714م.

(38) ألكسندر داريمبل Alexander Dalrymple (24 يوليو 1737م - 19 يونيو 1808م): جغرافي ومُستعمر اسكتلندي، وأول هيدروغرافي من الأميرالية البريطانية. كان مؤيداً رئيساً لنظرية وجود قارة واسعة غير مكتشفة في جنوب المحيط الهادئ «تيرا أوستراлис إنكوغنيتا»، فأنتج الآلاف من الخرائط البحرية، ورسم خرائط لعدد من البحار والمحيطات للمرة الأولى، وكانت له مساهمةٌ بشكل كبير في سلامة الشحن. دفعت نظرياته بعددٍ من الحملات بحثاً عن هذه الأرض الأسطورية، حتى رحلة جيمس كوك الثانية (1772-1775م) التي أدت إلى استنتاج بأنه إذا كانت موجودة، فهذا يعني أن الجنوب أكثر من خط 65° من خط العرض الجنوبي.

(39) إنديفور Endeavour: سفينةٌ بحثية تابعة للبحرية الملكية البريطانية، قام الملازم جيمس كوك برحلته الأولى على متنها، لاكتشاف أستراليا ونيوزيلندا، من العام 1769 إلى العام 1771م.

(40) صموئيل واليس Samuel Wallis (23 أبريل 1728م - 21 يناير 1795م): ضابط بحرية بريطاني، مُستعمر ومُستكشف في المحيط الهادئ. في العام 1766م تمّت ترقية إلى رتبة كابتن، وأعطيت له قيادة السفينة «دلفين» العام 1751م. عبّر واليس مضيق ماجلان، وواصل إلى تاهيتي التي أطلق عليها اسم «جزيرة الملك جورج الثالث»، تكريماً

للملك في يونيو 1767م. كان واليس قد مرض وظلت السفينة دولفين في خليج ماتافاي في تاهيتي لأكثر من شهر. باشر واليس تسمية أو إعادة تسمية خمس جزر أخرى في جزر المجتمع، وست جزر مرجانية في جزر تواموتو، فضلاً عن تأكيد مواقع رونغيريك ورونجيلاب في جزر مارشال، كما أعاد تسميته لجزيرة أوفيا البولينية على اسمه «واليس»، قبل أن يصل إلى تينيان في جزر ماريانا، واستمر في باتافيا، حيث توفي العديد من طاقمه من الزحار، ثم عبر رأس الرجاء الصالح إلى إنجلترا، ووصل في مايو 1768م. وكان قد نقل معلومات مفيدة لجيمس كوك الذي كان من المقرر أن يغادر قريباً لمنطقة المحيط الهادئ، وأبحر بعض أفراد الطاقم من السفينة دولفين مع كوك. في العام 1780م تم تعيين واليس مفوضاً للأميرالية.

(41) السير جوزيف بانكس Sir Joseph Banks البارونيت الأول (24 فبراير 1743م - 19 يونيو 1820م): عالم طبيعة بريطاني، عالم نبات وراعي العلوم الطبيعية. اشتهر اسمه في رحلة التاريخ الطبيعي في العام 1766م إلى نيوفاوندلاند ولابرادور. شارك في أول رحلة كبيرة للقبطان جيمس كوك (1768-1771م)، زار البرازيل، وتاهيتي، وبعد 6 أشهر كان في نيوزيلندا وأستراليا. شغل منصب رئيس الجمعية الملكية لأكثر من 41 عاماً، ويُنسب إليه الفضل في إدخال شجر الأوكالبتوس، والسنت، والنوع المسمى على اسمه (بانكسيا) إلى العالم الغربي، كما أن نحو 80 نوعاً من النباتات تحمل اسمه. وكان المؤسس الرئيس للجمعية الأفريقية وعضواً في جمعية ديلتانتسي التي ساعدت في إنشاء الأكاديمية الملكية.

(42) خليج بوتاني Botany Bay: عبارة عن شبه خليج مفتوح على المحيط، يقع في سيدني، نيو ساوث ويلز - أستراليا، على بعد 13 كلم (8 أميال) جنوب الحي التجاري المركزي في سيدني. أعطي هذا الاسم بسبب كثرة النباتات التي تنمو فيه.

(43) مضيق توريس The Torres Strait: يقع بين أستراليا والجزيرة الميلانية في غينيا الجديدة، يبلغ طوله حوالي 150 كلم (93 ميلاً) في أضيق نطاق له. إلى الجنوب منه شبه جزيرة كيب يورك، في أقصى الشمال القاري في ولاية كوينزلاند الأسترالية، أما في الشمال فتوجد بابوا غينيا الجديدة الغربية. أعلن الملاح لويس فاز دي توريس أنه مرّ عبر هذا المضيق في العام 1606م.

(44) نيو ساوث ويلز New South Wales: ولاية على الساحل الشرقي لأستراليا، تحدّها كوينزلاند من الشمال، وفيكتوريا من الجنوب، وجنوب أستراليا من الغرب، ويحدّها ساحلها بحر تسمان من الشرق.

(45) سوانسي Swansea: المعروفة الآن رسمياً باسم مدينة ومقاطعة سوانسي، هي مدينة ساحلية ومقاطعة في ويلز، وثاني أكبر مدينة في ويلز بعد كارديف، وخامس أكبر مدينة في المملكة المتحدة.

(46) **جورج الثالث George III** (4 يونيو 1738م - 29 يناير 1820م): ملك بريطانيا العظمى، وملك إيرلندا من 25 أكتوبر 1760م حتى اتحاد البلدين في 1 يناير 1801م، وبعد ذلك أصبح ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا، حتى وفاته.

(47) **أوهيي Owyhee**، أو أوهيي Owhyhee: هو اللفظ بالإنجليزية القديمة لكلمة هاواي، استخدم في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ووجد في أسماء لمواقع معينة في الجزء الأمريكي بشمال غرب المحيط الهادئ، والتي تم استكشافها ورسم خرائطها من قبل البعثات.

(48) **هاواي Hawaii**: هي الولاية الخمسون والأخيرة التي انضمت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن حصلت على اعتراف دولي في 21 أغسطس 1959م. هاواي هي الولاية الوحيدة التي تقع في أوقيانوسيا والوحيدة التي تتكون بالكامل من الجزر، وهي مجموعة الجزر الواقعة في أقصى شمال بولينيزيا التي تحتل معظم الأرخبيل في وسط المحيط الهادئ، والولاية الوحيدة الواقعة خارج أمريكا الشمالية.

(49) **جان فرانسوا دي غالوب، كونت دي لا بروس Jean François de Galaup, comte de Lapérouse** (23 أغسطس 1741م): مُستكشف ومُستعمر وضابط بحرية فرنسي، اختفت حملته في أوقيانوسيا. ولد بالقرب من الألب-فرنسا، درس في الكلية اليسوعية ودخل الكلية البحرية في بريست عندما كان في الخامسة عشرة من عمره.

(50) **ساخالين Sakhalin**، المعروفة سابقاً باسم كارافوتو: جزيرة روسية كبيرة في شمال المحيط الهادئ، وهي أكبر جزيرة في روسيا، تقع قبالة الساحل الشرقي لروسيا وشمال اليابان. الشعوب الأصلية في هذه الجزيرة هي إينو وأوروكس ونيغخ.

(51) **جان بابتيسست بارتيليمي دي ليسبس Jean Baptiste Barthélemy de Lesseps** (27 كانون الثاني/يناير 1766م - 6 - 26 نيسان / أبريل 1834): دبلوماسي فرنسي وكاتب، وعضو البعثة العلمية لجان فرانسوا دي غالوب كونت دي لا بروس، وعمّ (فرديناند دي ليسبس) مبتكر فكرة قناة السويس.

(52) **فانيكورو Vanikoro**: جزيرة في مجموعة سانتا كروز، تقع حوالي 118 كلم (73 ميلاً) إلى الجنوب الشرقي من مجموعة سانتا كروز الرئيسة، وهي جزء من مقاطعة تيموتو في جزر سليمان.

(53) **فيجي Fijis**، رسمياً جمهورية فيجي: هي جزيرة في ميلانيزيا جنوب المحيط الهادئ، حوالي 1100 ميل بحري (2,000 كلم، 1,300 ميل) شمال شرق الجزيرة الشمالية في نيوزيلندا، أقرب جيرانها هي فانواتو من الغرب، وكاليدونيا الجديدة من الجنوب الغربي، وجزر كرماديك النيوزيلندية من الجنوب الشرقي، وتونغا من الشرق، وساموا وأليس وفوتونا الفرنسية من الشمال الشرقي، وتوفالو من الشمال.

- (54) **الأدميرال آرثر فيليب Admiral Arthur Phillip** (في النص فيليبس Philips) (11 أكتوبر 1738م - 31 أغسطس 1814م): مُستعمر وضابط بحرية ملكية بريطاني، وأول حاكم لنيو ساوث ويلز، أسس مستعمرة المدانين جنائياً البريطانية، والتي أصبحت في ما بعد مدينة سيدني بأستراليا.
- (55) **جورج باس George Bass** (30 يناير 1771م - بعد 5 فبراير 1803م): جرّاح بحري ومُستكشف ومُستعمر بريطاني في أستراليا. ولد في 30 يناير 1771م في أسواربي بالقرب من سليفورد- لينكولنشاير، رافق البعثة التي خرجت إلى أستراليا كجرّاح، وقام بشكلٍ منفرد برحلات استكشافية عدة على متن قاربٍ جلبه معه في رحلته.
- (56) **ميناء جاكسون Port Jackson**: ميناء سيدني أو الميناء الطبيعي لسيدني، نيو ساوث ويلز - أستراليا. الميناء هو مدخل لبحر تاسمان (جزء من جنوب المحيط الهادئ)، وهو موقع أول مستوطنة أوروبية في أستراليا. واصل ميناء جاكسون لعب دوره الرئيس في تاريخ سيدني وتطورها.
- (57) **مضيق باس Bass Strait**: هو مضيق البحر الذي يفصل تسمانيا عن البر الرئيس الأسترالي، وتحديداً ولاية فيكتوريا.
- (58) **القبطان ماثيو فليندرز Captain Matthew Flinders** (16 مارس 1774م - 19 يوليو 1814م): ملاح ومُستكشف ومُستعمر ورسام خرائط إنجليزي، كان قائد أول رحلة ملاحية في أستراليا، وحدّد أنها قارة. قام فليندرز بثلاث رحلات إلى المحيط الجنوبي بين العامين 1791 و 1810م. وفي الرحلة الثانية، أكد جورج باس وفليندرز أن جزيرة ثان ديمن لاند (تاسمانيا الآن) كانت جزيرة، وفي الرحلة الثالثة، قام فليندرز بتحريك البر الرئيس لما كان يسمّى أستراليا، يرافقه رجل من السكان الأصليين بونغاري.
- (59) **خليج رينكونتر rencontre**: خليجٌ طبيعي في جزيرة نيوفاوندلاند في مقاطعة نيوفاوندلاند ولابرادور - كندا، بالقرب من خليج الشيطان.
- (60) **ميناء فيليب Port Philip** (المعروف أيضاً باسم ميناء خليج فيليب): خليج كبير في جنوب فيكتوريا - أستراليا، يقع في ملبورن. جغرافياً، هو خليجٌ يغطي 1,930 كلم<sup>2</sup>، ويمتدّ شاطئه حوالي 264 كلم (164 ميلاً).
- (61) **الأدميرال فيليب باركر كينغ Phillip Parker King** (1791-1856م): ضابط بحرية ومُستكشف ومُستعمر وهيدروغرافي ومدير شركة، ولد في جزيرة نورفولك، ابن فيليب جيدلي الملك وزوجته آنا جوزيفاني كومب. في شبابه أبحر فيليب إلى إنجلترا مع والده، في أكتوبر 1796م، وعندما غادر والده إنجلترا في نوفمبر 1799م ليصبح حاكماً لنيو ساوث ويلز، تُركت شقيقته ماريّا في رعاية السيدة صموئيل إندربي، ووضع فيليب تحت دروس القس بورفورد في إسكس. في العام 1802م تمّ ترشيحه لأكاديمية

بورتسماوٲ البحرية. في نوفمبر 1807م دخل البحرية في ديانا، وخدم لمدة ست سنوات في بحر الشمال وخليج بسكاي والبحر الأبيض المتوسط، وتمت ترقيته لنيل زمالة الماجستير في 1810م.

(62) ويليام تشارلز وينتورث **William Charles Wentworth** (13 أغسطس 1790م - 20 مارس 1872م): مُستكشف وصحفي وسياسي ومؤلف أسترالي، وأحد الشخصيات البارزة في أوائل استعمار نيو ساوث ويلز. كان أول مواطن من أصل أسترالي يحقق سمعة طيبة في الخارج، ويعتبر داعياً رئيساً للحكم الذاتي للمستعمرات الأسترالية. ذكره المؤلف باسم «فيليب وينتورث»، لكن المعلومات التي توفرت لدي أنه «ويليام تشارلز وينتورث» (المترجم).

(63) جورج ويليام إيفانز **George William Evans** (5 يناير 1780م - 16 أكتوبر 1852م): مساح ومُستكشف ومُستعمر سابق في مستعمرة نيو ساوث ويلز، ولد في وارويك، -إنجلترا، وسافر إلى أستراليا في أكتوبر 1802م.

(64) نهر لاشلان **Lachlan**: نهر متقطع، هو جزء من مستجمع مورومبيديجي داخل حوض موراي دارلينج، ويقع في جنوب الجدول، وسط غرب مناطق نيو ساوث ويلز - أستراليا.

(65) نهر ماكوارى **Macquarie**: أحد الأنهار الداخلية الرئيسة في نيو ساوث ويلز - أستراليا، يبلغ طوله حوالي 626 كلم ومساحته 74 ألف كلم<sup>2</sup>، ينبع من المرتفعات الوسطى في نيو ساوث ويلز بالقرب من بلدة أوبيرون Oberon، وينطلق باتجاه الشمال الغربي، ويسير حتى يصل إلى أهوار ماكوارى، ثم يصب في نهر دارلينج عبر أسفل نهر بارون.

(66) باثورست **Bathurst**: مدينة إقليمية في تابلاندس الوسطى، في نيو ساوث ويلز - أستراليا، تبعد نحو 200 كلم (حوالي 120 ميلاً) شمال غرب سيدني، وهي مقر مجلس باثورست الإقليمي، وباثورست هي أقدم المستوطنات الداخلية في أستراليا، وغالباً ما يشار إليها باسم «بلاد الذهب»، كونها أول موقع تم اكتشاف الذهب فيه، ويوجد في باثورست مركز مدينة تاريخي، مع العديد من المباني المتبقية من فترة الذروة الذهبية من منتصف حتى أواخر 1800م.

(67) الكابتن تشارلز نابيير ستيرت **Charles Napier Sturt** (28 أبريل 1795م - 16 يونيو 1869م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني لأستراليا، وأحد أبرز المستكشفين الأوروبيين لأستراليا. قاد حملات عدة في المناطق الداخلية من القارة، بدءاً من سيدني ومن بعدها أديلايد. عثرت بعثاته على العديد من الأنهار المتدفقة غرباً، مؤكدة أنها جميعاً اندمجت في نهر موراي. كان يبحث لتحديد ما إذا كان ثمة «بحر داخلي».

(68) **نهر دارلينج Darling**: ثالث أطول نهر في أستراليا، 1,472 كلم (915 ميلاً) وينبع من مصدره في شمال نيو ساوث ويلز إلى أن يلتقي مع نهر موراي في وينتورث، نيو ساوث ويلز، بما في ذلك أطول روافده المتاخم الذي يبلغ حوالي 2,844 كلم (1,767 ميلاً)، ما يجعله أطول نهر في أستراليا.

(69) **نهر موراي The Murray River**: أطول نهر في أستراليا، حوالي 2,508 كلم (1,558 ميلاً)، ينطلق من جبال الألب الأسترالية، ويجري على الجانب الغربي من أعلى الجبال في أستراليا، ثم يمر عبر سهولها الداخلية، ويشكل الحدود بين ولايتي نيو ساوث ويلز وفيكتوريا، أثناء تدفقه إلى الشمال الغربي إلى جنوب أستراليا، ويتحول جنوباً إلى مورغان لمسافة 315 كلم (196 ميلاً)، ليصل إلى مصبه في المحيط في بحيرة أليكساندرينا.

(70) **فريدريش فيلهلم لودفيغ ليتشاردت Friedrich Wilhelm Ludwig Leichhardt**: المعروف باسم لودفيغ ليتشاردت (23 أكتوبر 1813م – 1848م): مُستكشف ومُستعمر ألماني بروسّي، وعالم طبيعي، هو الأكثر شهرةً، لاستكشافه شمال ووسط أستراليا. ولد في 23 أكتوبر 1813م في قرية تريباتش، بمقاطعة بروسّي براندنبورغ. في 14 فبراير 1842م وصل ليتشاردت إلى سيدني - أستراليا، وكان هدفه استكشاف أستراليا الداخلية، وأعرب عن أمله بتعيين حكومي في مجالات اهتمامه. في سبتمبر 1842م ذهب ليتشاردت إلى وادي نهر هنتر، شمال سيدني، لدراسة الجيولوجيا والنباتات والحيوانات في المنطقة، ومراقبة الأساليب الزراعية، ثم قام بمفرده برحلة لجمع العينات التي أخذها من نيوكاسل، ونيو ساوث ويلز، إلى خليج موريتون في كوينزلاند.

(71) **روبرت أوهارا بيرك Robert O'Hara Burke** (1821 – 1861م): جندي ورجل شرطة إيرلندي، حقق شهرةً كمستكشف أسترالي، وكان قائد بعثة بورك وويلز المنكوبة التي كانت أول حملة لعبور أستراليا من الجنوب إلى الشمال، وإيجاد طريق عبر القارة من المناطق المستقرة في فيكتوريا إلى خليج كاربنتريا. كانت البعثة مجهزة تجهيزاً جيداً، لكن بيرك لم يكن من ذوي الخبرة في المهنة، فتقرير اللجنة الملكية الذي حكم على فشل الحملة، ألقى باللائمة على بيرك.

(72) **وليام جون ويلز William John Wills** (1834م – 1861م): باحث بريطاني، عمل أيضاً كجراح، وحقّق شهرةً كقائد قيادة بعثة بورك وويلز المنكوبة التي كانت أول رحلة لعبور أستراليا من الجنوب إلى الشمال، حيث وجدت طريقاً عبر القارة من مناطق فيكتوريا المستقرة إلى خليج كاربنتريا.

(73) **جون مكدوال ستيوارت John McDouall Stuart** (1815م – 1866م): مُستكشف ومُستعمر اسكتلندي، وواحد من أكثر المستكشفين الذين حققوا إنجازات في داخل أستراليا. قاد ستيوارت أول رحلة ناجحة لاجتياز البرّ الرئيس الأسترالي من الجنوب



إلى الشمال والعودة من خلال وسط القارة، وقد أثبتت خبرته ورعايته لفريقه أنه لم يفقد حتى رجلاً واحداً، بالرغم من قسوة البلد الذي واجهه.

(74) السير جون فورست، البارون الأول فورست **Sir John Forrest** (1847 – 1918م): مُستكشف ومُستعمر أسترالي، أول رئيس وزراء لغرب أستراليا ووزير الحكومة في أول برلمان اتحادي في أستراليا. فاز بشهرته كمستكشف من خلال قيادة ثلاث حملات في المناطق الداخلية من أستراليا الغربية، والتي منحتة وسام راعي الجمعية الجغرافية الملكية العام 1876م.

(75) ويليام آرنست باول غايلز **William Ernest Powell Giles** (1835 – 1897م): مُستكشف أسترالي، قام بقيادة خمس حملات رئيسة في وسط أستراليا.

(76) المبجل ديفيد وينفورد كارنيجي **The Honourable. David Wynford Carnegie** (23 مارس 1871م – 27 نوفمبر 1900م): مُستكشف إنجليزي، مُستعمر ومنقب عن الذهب في غرب أستراليا. في العام 1896م قاد بعثةً استكشافية من كولغاردي عبر جيسون وصحراء ساندي الكبرى إلى مرتفعات كريك، ذهاباً وإياباً. ذكره المؤلف باسم دانيال كارنيجي، لكن المعلومات التي توفرت لديّ بعد التحقق من الشخصية أنه «ديفيد» كما ذكرته (المترجم).

(77) كولغاردي **Coolgardie**: بلدة صغيرة في غرب أستراليا، على بعد 558 كلم (347 ميلاً) شرق عاصمة الولاية بيرث.

(78) كيمبرلي **Kimberley**: أقصى المناطق التسع في غرب أستراليا، يحدها من الغرب المحيط الهندي، ومن الشمال بحر تيمور، ومن الجنوب صحارى ساندي وتانامي الكبرى في منطقة بيلبارا، ومن الشرق الإقليم الشمالي.

## الفصل الحادي عشر

---

استكشاف وتقسيم أفريقيا:  
بارك - ليخينغستون - ستانلي



لقد رأينا كيف أبحر البرتغاليون ببطءٍ بمحاذاة الساحل، على طول الشاطئ الأفريقيّ، خلال القرن الخامس عشر الميلادي، أثناء بحثهم عن طريقٍ إلى جزر الهند. وبحلول نهاية القرن، أعطت خرائط البورتولانو البحارة تقريراً بدائياً، لكنه فعّال، عن ساحل أفريقيا، سواء على الجانب الغربي أم الشرقي، ولم يكن ذلك من أجل استكشاف الساحل وحده، لكنهم استقروا عليه. في (أمينة Amina)<sup>(1)</sup> على ساحل (غينيا Guinea)<sup>(2)</sup>، وفي (لواندو Loando)<sup>(3)</sup> بالقرب من الكونغو، وفي (بينغويلا Benguela)<sup>(4)</sup> على الساحل الغربيّ، أنشؤوا محطاتٍ لإرسال الذهب والعاج، وفوق كل شيء، العبيد، إذ اتضح أنهم من المنتجات الأفريقية الرئيسة لاستخدام الأوروبيين، واستقروا على الساحل الشرقي في سوفالا، وميناء موزامبيق؛ وفي (زنجبار Zanzibar)<sup>(5)</sup>، وكانوا يمتلكون ما لا يقلّ عن ثلاثة موانئ، تلك التي زارها فاسكو دا جاما لأول مرة، واشتهرت بعد ذلك عن طريق المؤلف (ميلتون Milton)<sup>(6)</sup> الذي ضمّنها بسطرٍ رثان، وباستطرادٍ جغرافيٍّ رائع، في الكتاب الحادي عشر وعنوانه:

«Mombaza and Quiloa and Melind.»

—Paradise Lost, xi. 339.

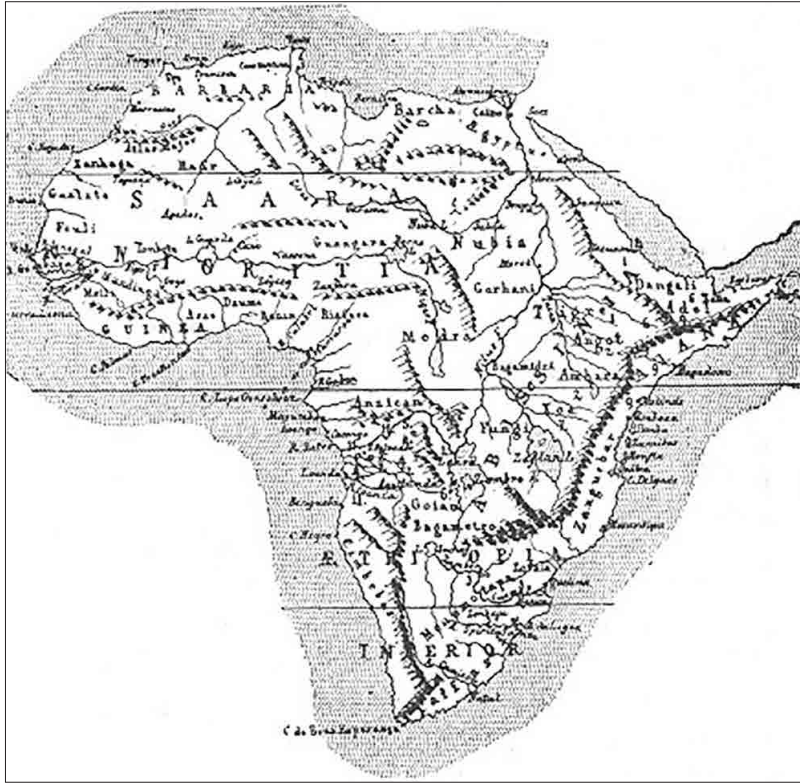
«مومبازا و كويلوا و ميليند»

الفردوس المفقود، الجزء 11 ص 339

ومن المحتمل أنه - إلى جانب استيطانهم على الساحل - قام البرتغاليون، من وقتٍ لآخر، بالاستكشافات في المناطق الداخلية. وعلى أية حال، يظهر لنا، في بعض الخرائط من القرنين السادس عشر والسابع عشر، وجود معرفة ملحوظة عن مجرى نهر (النيل Nile)<sup>(7)</sup>، كما حصلنا على معرفة أنه ينتهي بثلاث بحيرات كبيرة، يمكن أن تكون بلا شك (فيكتوريا Victoria)<sup>(8)</sup> و(ألبرت نيانزا Albert Nyanza)<sup>(9)</sup>، و(تنجانيقا Tanganyika)<sup>(10)</sup>، وأيضاً سلسلة جبال القمر، بشكلٍ بارز، والتي قام السيد ستانلي يوماً بإعادة استكشافها. غير أنه من الصعب تحديد إلى أي مدى كانت هذه القيود على الخرائط البرتغالية ترجع إلى معرفة فعلية أو تقرير عملي، أو إلى تقاليد معرفة سابقة لهذه البحيرات والجبال. في الخرائط المصاحبة للطبعات الأولى من كتاب بطليموس، نحصل أيضاً على المعلومات نفسها التي تتكرر عند الجغرافيين العرب، والتي من الواضح أنها مشتقة من بطليموس، وليست من الملاحظة الواقعية<sup>(\*)</sup>. وعندما صمّم اثنان من رسامي الخرائط الفرنسيين، هما العظيمان (ديليسيل Delisle)<sup>(11)</sup> ودانثيل على عدم تضمين خرائطهما أي شيء لا دليل على وجوده، فاختفت هذه البحيرات والجبال، وبالتالي أصبحت الخرائط في القرن السابع عشر تظهر المزيد من معرفة المناطق الداخلية في أفريقيا، من تلك التي كانت في بداية القرن التاسع عشر، على الأقل في ما يتعلق بمصادر النيل.

(\*) يذكر المؤلف هنا أن الجغرافيين العرب لم يتوصلوا على معلوماتهم من الملاحظة المباشرة، وهذا يؤكد أن معرفته بتاريخ علم الجغرافيا عند العرب والمسلمين ضعيف جداً، وهذا يبدو من سياق قوله، ومن المعروف أن أغلب الجغرافيين المسلمين قد سجلوا معارفهم الجغرافية عن طريق الملاحظة المباشرة. (المترجم).

يبدأ الاستكشاف الأفريقي للداخل بالبحث عن منابع النيل، ولقد تمّ التوصل إليه أساساً من خلال تحديد مسار الأنهار الثلاثة الكبرى الأخرى: نهر (النيجر Niger)<sup>(12)</sup>، نهر (الزامبيزي Zambesi)<sup>(13)</sup>، ونهر (الكونغو Congo)<sup>(14)</sup>. ومن الجدير بالملاحظة أنّ جميع الأنهار الأربعة قد تمّ تحديد مسارها من قبل البريطانيين، وسوف تكون أسماء كلٍّ من السيد (بروس Bruce)<sup>(15)</sup> والسيد (غرانت Grant)<sup>(16)</sup> مرتبطة دائماً مع نهر النيل، والسيد (مونغو بارك Mungo Park)<sup>(17)</sup> مع نهر النيجر، والدكتور (ليفينغستون Dr.Livingston)<sup>(18)</sup> مع نهر الزامبيزي، والسيد ستانلي مع نهر الكونغو؛ ولن يكون من الملائم - إلا في حالة الكونغو - أن تسيطر إنجلترا على مجرى الأنهار التي مكّنت أبنائها من وصول الحضارة إليها.



خريطة أولفرت دابر لأفريقيا... 1676م.

لقد رأينا وجود تقليدٍ قديم ذكره هيرودوت، مفاده أن النيل يميل إلى الغرب، ويتحوّل هناك إلى نهر النيجر، في حين لا يزال انطباعٌ سابق يشير إلى أن جزءاً منه، على أية حال، يلتوي شرقاً، وبطريقةٍ ما ينضمُّ إلى المصدر ذاته، مثل دجلة والفرات، كما يبدو هذا التلميح في رواية الكتاب المقدّس عن الجنة. أياً كان السبب، فإن أكبر قدرٍ من عدم اليقين كان قائماً على المسار الفعليّ للنهر، وكان اكتشاف مصدر النيل، لقرونٍ عديدة، هو التعبير الدائم عن أداء المستحيل. في العام (1768 ميلادي)، صمّم جيمس بروس، وهو نبيلٌ اسكتلنديّ له مكانته، على تحديد حلٍّ لهذا اللغز، وهو قرارٌ كان قد أدلى به في شبابه الباكر، ونفّذه بعنادٍ متميّز، وكان قد حصل على قدرٍ معيّنٍ من المعرفة باللغة العربية، وتعرّف على العادات الأفريقية كقنصلٍ في الجزائر العاصمة. تتبع النيل إلى أقصى حدٍّ أسوةً بـ (فارسون Farsunt)<sup>(19)</sup>، ثمّ عبر الصحراء إلى البحر الأحمر، وذهب إلى مدينة (جدة Jedda)<sup>(20)</sup> التي أخذ منها سفينةً إلى مدينة (مصوع Massowah)<sup>(21)</sup>، وبدأ بحثه عن منابع النيل في الحبشة، وزار أنقاض مدينة (أكسوم Axum)<sup>(22)</sup>، العاصمة السابقة للحبشة، وفي هذا الحيّ شهد الحادثة التي كانت دائماً ترتبط برحلاته، حيث استخرجت بضع شرائح اللحم من ردف بقرة، وهي على قيد الحياة، وتمّت بعدها خياطة الجرح، وترك البقرة تمضي إلى حال سبيلها.

وهنا، مسترشداً ببعض الرجال من قبيلة (جالا Gallas)<sup>(23)</sup>، انطلق في طريقه نحو النيل الأزرق إلى المنابع الثلاثة التي أعلن أنها المصادر الحقيقية لنهر النيل، والتي تمّ تحديدها بالبحيرات الثلاث الغامضة في الخرائط القديمة. من هناك كان ذاهباً في طريقه إلى أسفل نهر النيل، ليصل إلى القاهرة في العام (1773 ميلادي). وبطبيعة الحال، ما قد اكتشفه كان مجرد منبع للنيل الأزرق، وهو ما تمّت زيارته في وقتٍ سابق من قبل رحالةٍ برتغاليّ اسمه (بايز Payz)<sup>(24)</sup>؛ لكن المغامرات الشيّقة التي

عاشها بروس، والأسلوب المثير للاهتمام الذي تحدث به، أثار الاهتمام العالمي، وما زاد من الحقيقة، هو أن رحلته هذه أخذت على عاتقها حب المغامرة والاكتشاف. وتميّز هذا العام (1768 ميلادي) برحلتَي جيمس كوك وجيمس بروس، وكلاهما، بصراحة، كانت لأغراض الاكتشاف الجغرافي، وبالتالي تدشين عصر ما يمكن أن يُسمّى بعصر الاستكشاف العلمي. وبعد عشر سنوات، جرى تشكيل جمعية تُسمّى الجمعية الأفريقية، وتهدف لاستكشاف أجزاء غير معروفة من أفريقيا، وبذلك استدعي المجتمع الجغرافي الأول إلى حيّز الوجود. في العام (1795 ميلادي) تمّ إرسال مونغو بارك، من قبل الرابطة، إلى الساحل الغربي، فبدأ رحلته من (غامبيا Gambia)<sup>(25)</sup>، وبعد العديد من المغامرات، والتي اعتُقل فيها من قبل المغاربة، وصل إلى ضفاف نهر النيجر الذي تتبعه حتى منتصف المجري، لكنه فشل في الوصول إلى تيمبوكتو، وقام بالمحاولة الثانية في العام (1805 ميلادي)، على أمل الإبحار أسفل النيجر، لإثبات تطابقه مع النهر المعروف في مصبّه، كالكونغو، لكنه اضطر للعودة، وتوفي في (بوسا Boussa)<sup>(26)</sup>، دون أن يحدّد المسار المتبقّي من النيجر.

وهكذا تمّ لفت الانتباه إلى وجود مدينة تيمبوكتو الغامضة، والتي جلب مونغو بارك شائعاتٍ غريبة عنها، عند عودته من رحلته الأولى إليها، هي التي زارها في العام (1811 ميلادي) بحارٌ بريطاني يدعى (آدامز Adams)<sup>(27)</sup>، كانت سفينته قد تحطمت على الساحل المغربي، وأُخذَ كعبدٍ من قبل المغاربة نحو تيمبوكتو. وفي نهاية المطاف، تمّ افتدائه من قبل القنصل البريطاني في مدينة (موغادور Mogador)<sup>(28)</sup>، وبذلك تمّ إحياء قصة اهتمامه في استكشاف غرب أفريقيا، ثم أجرى محاولتين لفهم لغز النيجر، كلتاهما بدأت من (سينيغامبيا Senegambia)<sup>(29)</sup> ومن الكونغو، لكنهما أخفقتا، فاعتمدت طريقةً جديدة، ربما بسبب تجربة آدمز السابقة، في محاولة للوصول إلى النيجر عن طريق القوافل عبر الصحراء. ففي العام (1822 ميلادي)، غادر الميجور



(دنهام Denham)<sup>(30)</sup> والملازم (كلايبرتون Clapperton)<sup>(31)</sup> مدينة (مرزق Murzouk)<sup>(32)</sup>، وهي عاصمة (فزان Fezzan)<sup>(33)</sup>، وشقّا طريقهما إلى بحيرة تشاد، ومن ثم إلى مدينة (برنو Bornu)<sup>(34)</sup>. وفي وقتٍ لاحقٍ، زار الملازم كلايبرتون النيجر مرةً أخرى من (بنين Benin)<sup>(35)</sup>. إجمالاً، أضافا نحو ألفي ميل من الطريق إلى معرفتنا لغرب أفريقيا. في العامين (1826-1827 ميلادي) تمّت زيارةً لـ تيمبوكتو، قام بها اثنان من الأوروبيين، هما الرائد (لينج Major Laing)<sup>(36)</sup> في العام الذي سبق اغتياله هناك، والشاب الفرنسيّ (رينيه كايليه René Caillié)<sup>(37)</sup>، في العام التالي، والذي أثارت قصّته اهتماماً كبيراً، وبدأ الشاعر (تينيسون Tennyson)<sup>(38)</sup> مسيرته الشعرية بقصيدته الحائزة على الجائزة، وموضوعها عن عاصمة أفريقيا الغامضة.

لم يأتِ العام (1850 ميلادي) حتى كان المستكشف (بارث Barth)<sup>(39)</sup> قد حمل على عاتقه عمل دنهام وكلايبرتون، مرةً أخرى، فقام باستكشاف البلاد لمدة خمس سنواتٍ غرب بحيرة تشاد، وقام بزيارة تيمبوكتو، وربط خطوط طريقيّ كلايبرتون وكايليه. وما فعله في غرب بحيرة تشاد تمّ إتمامه من قبل (ناختيغال Nachtigall)<sup>(40)</sup> شرق تلك البحيرة، في (دارفور Darfur)<sup>(41)</sup> و(واداي Wadai)<sup>(42)</sup>، في رحلةٍ استغرقت أيضاً خمس سنوات (1869-1874 ميلادي)؛ ولقد تسببت المصالح السياسية في السنوات الأخيرة بالعديد من الحملات، ولا سيما من قبل الفرنسيين، لربط ممتلكاتهم في الجزائر وتونس بتلك الموجودة في ساحل الذهب والسنغال.

المرحلة التالية في الاستكشاف الأفريقي ترتبط باسم الرجل الذي تمكّن من تتبّع كل الاكتشافات الحديثة بشكل عملي. ولقد نجح الرحالة ديفيد ليفينغستون في فتح المناطق غير المعروفة تماماً في وسط أفريقيا، بفضل براعته في التعامل مع السكان الأصليين، وشجاعته وهدوئه. بدءاً من الرأس، في العام (1849 ميلادي)، كان يشقّ طريقه شمالاً إلى

نهر زامبيزي، ثم إلى بحيرة (ديلولو Dilolo)<sup>(43)</sup>. وبعد خمس سنوات من الترحال، وصل إلى الساحل الغربي لأفريقيا في لواندا، ثم ارتد إلى نهر الزامبيزي مرة أخرى، وتابع مساره إلى مصبه على الساحل الشرقي، وبالتالي، ولأول مرة، قام بعبور أفريقيا من الغرب إلى الشرق. وفي الرحلة الثانية التي بدأها العام (1858 ميلادي)، بدأ بتتبع مسار نهر (شيرير Shiré)<sup>(44)</sup>، أهم روافد نهر الزامبيزي، وبذلك وصل إلى ضفاف بحيرة (نياسا Nyassa)<sup>(45)</sup> في سبتمبر/ أيلول العام (1859 ميلادي).

وفي غضون ذلك، كان اثنان من المستكشفين، هما النقيب (بيرتون Burton)<sup>(46)</sup> (بعد ذلك أصبح السير ريتشارد) والكابتن (سبيك Speke)<sup>(47)</sup>، قد بدأ من زنجبار لاستكشاف البحيرة التي طالما سمعوا عنها الشائعات لفترة طويلة. وفي العام التالي، نجحوا في الوصول إلى بحيرة تنجانيقا. وعند عودتهما، انفصل سبيك عن بيرتون، وأخذ طريقاً آخر إلى الشمال، حيث شاهد بحيرة كبيرة أخرى، اتضح في ما بعد أنها كانت بحيرة فيكتوريا نيانزا. في العام (1860 ميلادي)، ومع رفيق آخر له، هو الكابتن غرانت، عاد سبيك إلى بحيرة فيكتوريا نيانزا، وتتبع مسارها، وفي الشمال منها، عثرا على نهر كبير يتجه إلى الشمال، فتبعاه وصولاً إلى (غندكورو Gondokoro)<sup>(48)</sup>، وهنا وجد السير (صمويل بيكر Sir Samuel Baker)<sup>(49)</sup> الذي كان قد قام بالترحال حتى النيل الأبيض للتحقق من مصدره، وهو ما أثبت أنه يكون في بحيرة فيكتوريا نيانزا. واصل بيكر بحثه، ونجح في إظهار أن مصدراً آخر لنهر النيل يقع في بحيرة صغيرة باتجاه الغرب، أطلق عليها اسم بحيرة ألبرت نيانزا. وهكذا، اجتمع هؤلاء الإنجليز الثلاثة لحل مشكلة نهر النيل التي طال انتظارها.

وسرعان ما تلا اكتشافات الإنجليز عملٌ سياسي هام قام به الخديوي المصري (إسماعيل باشا Ismail Pasha)<sup>(50)</sup> الذي طالب بكامل مسار النيل،

كجزءٍ تحت سيطرته، وقام بإنشاء محطات القطار على طولهِ، وأدى ذلك بالطبع إلى الحصول على معلومات كاملة عن حوض النيل، تمّ اكتسابها لأغراضٍ جغرافية. وفي عهد السير صمويل بيكر والعقيد جوردون، كانت المدينة قد استحوذت لفترةٍ من الوقت على النيل، من مصدره إلى مصّبه.

وفي الوقت ذاته، كرّس ليفينغستون نفسه لحلّ مشكلة بحيرة تنجانيقا العظيمة، ولهذا الغرض بدأ رحلته الأخيرة العام (1865 ميلادي)، فاكشف البحيرات (مويرو Moero)<sup>(51)</sup> وبحيرة (بانغويولو Bangweolo)<sup>(52)</sup>، والنهر (نيانغو Nyangoue)، المعروف أيضاً باسم (لولابا Lualaba)<sup>(53)</sup>. ولقد أثارت مآثر ليفينغستون السابقة للاكتشاف الكثير من الاهتمام، وعندما لم يُسمع عنه أيّ شيء لبعض الوقت، تمّ إرسال السيد ستانلي في العام (1869 ميلادي) من قبل مالكي (نيويورك هيرالد New York Herald)<sup>(54)</sup> - الذين كان قد عمل لديهم سابقاً كمراسلٍ حربيّ - للعثور على ليفينغستون، فبدأ بالبحث العام (1871 ميلادي) منطلقاً من زنجبار. وقبل نهاية العام، سمع عن عبور رجل أبيض قلب القارة المظلمة، فاستقبل هذا الخبر بتساؤلٍ مهم: «أيفترض أن يكون هذا الدكتور ليفينغستون؟» ولكن، بعد عامين توفي ليفينغستون، شهيد الحملة التبشيرية والجغرافية. وقام السيد ستانلي بعمله، فتمّ إرساله من جديد في العام (1876 ميلادي) لمواصلة عمل ليفينغستون، ونجح في عبور القارة المظلمة من زنجبار إلى مصبّ الكونغو، وتتبع مسارها كله، ما يدلّ على أنّ لولابا أو نيانغو كانت مجرد أسماء مختلفة أو روافد لهذا التيار الهائل. وبهذا تكون رحلة ستانلي الرائعة قد أكملت الخطوط العريضة للجغرافيا الأفريقية، من خلال تحديد مسار النهر الكبير الرابع للقارة.

لكنّ رحلة ستانلي عبر القارة المظلمة كانت متجهةً إلى نقطة تطوّر جديدٍ تماماً للمشكلة الأفريقية. وفي الوقت الذي كان ستانلي في رحلته،

عُقدَ مؤتمرٌ في (بروكسل Brussels)<sup>(55)</sup> من قبل الملك (ليوبولد Leopold)<sup>(56)</sup>، حيث شُكِّلت لجنةٌ دولية تمثل جميع دول أوروبا اسماً لاستكشاف أفريقيا، ولكن في الواقع اتضح أنَّ تقسيمها سيتم بين القوى الأوروبية الخمس فقط. وفي غضون خمسة عشر عاماً من انعقاد المؤتمر، تمَّ تقسيم المناطق الداخلية من أفريقيا، وخصوصاً بين القوى الخمس: إنجلترا وفرنسا وألمانيا والبرتغال وبلجيكا. وكما هي الحال في أمريكا، فإنَّ الاستكشاف الجغرافيَّ سرعان ما أعقبه الانقسام السياسي.

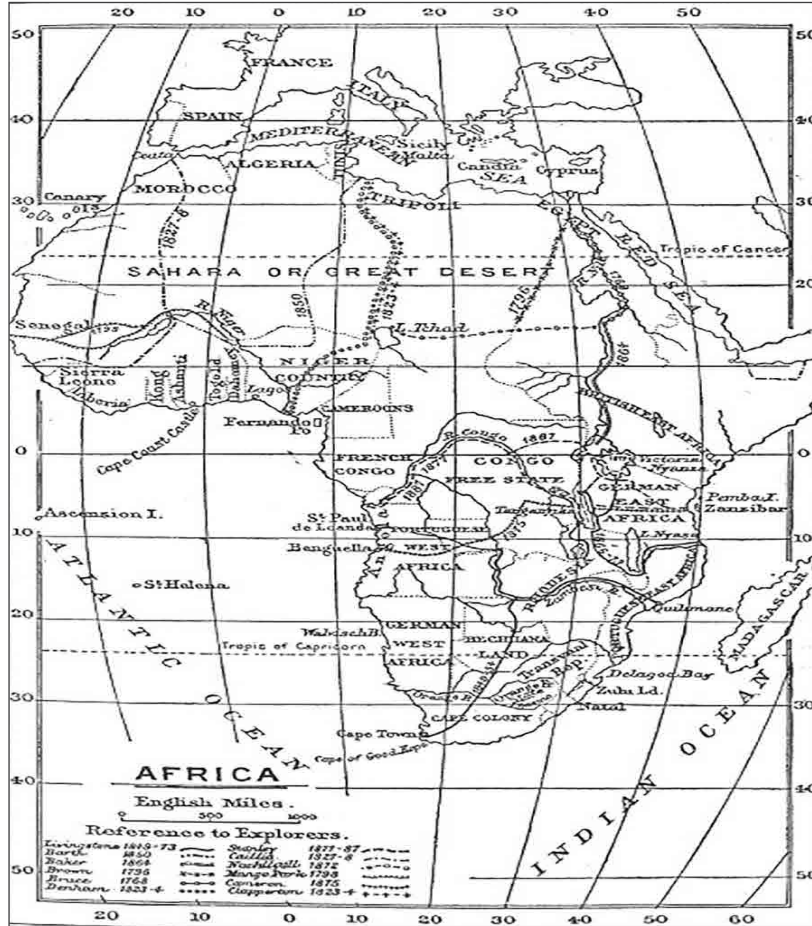
بدأت العملية بنيل دولةٍ تغطي كل الكونغو المكتشفة حديثاً، وتكون مستقلةً اسماً، لكنها تُشكل في الحقيقة مستعمرةً لبلجيكا، ولقد قام الملك ليوبولد بتوريد الأموال اللازمة لهذا الغرض، وتمَّ إرسال السيد ستانلي في العام (1879 ميلادي) لإنشاء مراكز على طول المجرى السفلي للنهر، ولكن - لدهشته - وجد باستقباله المستكشف (دي برازا Mr.de Brazza)<sup>(57)</sup>، وهو برتغاليٌّ في خدمة فرنسا، كان قد جرى إرساله في مهمةٍ سرية لاستباق ملك البلجيكيين في الاستيلاء على مصبِّ النهر المهم. وفي الوقت نفسه، قدّمت البرتغال مطالباتٍ لحيازة مصبِّ الكونغو، وأصبح من الواضح أنَّ التنافس الدوليَّ سيؤثر على أساس قيام أيِّ دولةٍ في الكونغو، ما لم يتمَّ التوصل إلى ترتيبٍ دوليٍّ محدد. وفي الوقت نفسه تقريباً، في العام (1880 ميلادي)، بدأت ألمانيا دخول هذا المجال كقوةٍ استعمارية في أفريقيا؛ ففي جنوب غرب أفريقيا، وفي الكاميرون، وفي وقتٍ لاحقٍ في زنجبار، أقام الأمير (بسمارك Bismarck)<sup>(58)</sup> المطالبات نيابةً عن ألمانيا، والتي تتعارض مع المصالح الإنجليزية في تلك المقاطعات. وفي ظل رئاسته، عُقدَ مؤتمرٌ في (برلين Berlin)<sup>(59)</sup> شتاء (1884-1885 ميلادي) لتحديد قواعد المطالبات التي يمكن من خلالها تقسيم أفريقيا. فالمطالبات التاريخية القديمة للبرتغاليين بسواحل أفريقيا، والتي كانوا قد أنشؤوا فيها محطاتٍ على كلا الجانبين الغربي والشرقي، قد جرفتهم إلى المبدأ القائل بأنَّ الاحتلال

الفعليّ فقط هو الذي يمكن أن يُقدّم للمطالبة بالسيادة. وهذا المبدأ العظيم سيحكم من الآن فصاعداً على مجمل التاريخ الأفريقي. وبعبارة أخرى، فإنّ القاعدة الجيدة للحدود القديمة تقول:

«يجب أن يستلمها الذين لديهم القوة..»

وعليهم أن يحافظوا عليها ما استطاعوا.»

وبعد فترة وجيزة مباشرة من انعقاد مؤتمر برلين، تمّ بالفعل التوصل إلى ترتيبات جرى بموجبها تحديد مطالبات كلٍّ من إنجلترا وألمانيا في



استكشاف وتقسيم أفريقيا

جنوب غرب أفريقيا. وبعد ذلك مباشرة، كان من الضروري أن تجرى عملية مماثلة من أجل تحديد حدود «مناطق النفوذ» لكل من ألمانيا وإنجلترا في شرق أفريقيا. وكانت الشركة المؤجرة، التي تُسمى بجمعية شرق أفريقيا البريطانية، تُدير أرض شمال فيكتوريا نيانزا التي تحدّها غرباً دولة الكونغو الحرة، في حين أنها تمتد إلى الشمال حتى تلامس مقاطعات مصر الاستوائية التي سنقوم بالحديث عنها لاحقاً. وفي جنوب أفريقيا، قامت شركة مماثلة، تحت نفوذ السيد (سيسيل رودس Cecil Rhodes)<sup>(60)</sup>، بالسيطرة بشكل عمليّ على كامل البلاد، من مستعمرة كيب حتى شرق أفريقيا الألمانية ودولة الكونغو الحرة.

كان شتاء (1890-1891 ميلادي) مُثمراً بشكل خاصّ لاتفاقيات ترسيم الحدود. وبعد قدر كبيرٍ من الاحتكاك، نتيجةً تعديّات الميجور (سيربا بينتو Major Serpa Pinto)<sup>(61)</sup>، تمّ تحديد حدود أنغولا البرتغالية على الساحل الغربي، والتي تحدّها من الشرق دولة الكونغو الحرة ووسط أفريقيا البريطانية، وفي الوقت نفسه تمّ تثبيت شرق أفريقيا البرتغالية في اتصالها مع كلٍّ من أفريقيا الوسطى البريطانية في الغرب، وأفريقيا الشرقية في الشمال. وفي الوقت نفسه، أعلنت إيطاليا مزاعمها في الحصول على حصّة من الغنيمة، واستقطعت ضمن حصتها هذه القرن الشرقيّ لأفريقيا، إلى جانب الحبشة، بالرغم من أنها سرعان ما اضطُرت إلى التخلي عنها، وذلك بسبب المقاومة غير المتوقعة التي أظهرها الأحماس. وفي العام نفسه (1890 ميلادي) استقرّت الاتفاقيات بين ألمانيا وإنجلترا على خط ترسيم الحدود بين (الكاميرون Cameroons)<sup>(62)</sup> و(توغولاند Togoland)<sup>(63)</sup>، مع الأراضي البريطانية المجاورة. بينما في شهر أغسطس / آب من العام نفسه، جرت محاولة للحدّ من الطموحات غير الطبيعية للفرنسيين على طول النيجر، وحتى بحيرة تشاد. هنا كانت المصالح البريطانية ممثلةً في شركة مؤجرة أخرى، هي شركة النيجر الملكية. ولسوء الطالع، لم يكن

تحديد الحدود دقيقاً جداً، فلم يتمّ من خلال دورات الأنهار أو خطوط الطول، كما في حالات أخرى، بل من خلال مناطق حكمها رؤساء القبائل الأصلية، الذين لم تكن حدودهم مميزةً بشكلٍ خاصٍ، ما أدى إلى حدوث احتكاكٍ كبير، استمر حتى يومنا هذا. ولكن، بالإشارة إلى ترسيم الحدود بين إنجلترا وفرنسا في أفريقيا، فإنّ الشك لا يزال قائماً في ما يتعلق بالأجزاء الغربية والوسطى فقط من القارة.

وبالنسبة إلى الشمال الشرقي، كانت مشكلة ترسيم الحدود معقدةً، بسبب الأحداث السياسية التي أدّت في نهاية المطاف إلى حملة استكشافية عظيمة أخرى، قام بها السيد ستانلي. توسع مصر في داخل المقاطعات الاستوائية، تحت حكم إسماعيل باشا - ويرجع ذلك إلى حدّ كبير إلى الاكتشافات الجغرافية لكل من غرانت وسبيك وبيكر - أدى إلى التراكم الهائل للديون التي تسببت في إفلاس البلاد، وتمّ خلع إسماعيل باشا، وأصبحت مصر تدار بشكلٍ مشتركٍ من قبل فرنسا وإنجلترا، نيابةً عن حملة السندات الأوروبيين. وتسبّب هذا التصرف في الكثير من عدم الرضا من جانب المسؤولين المصريين وضباط الجيش الذين تمّ عزلهم من قبل المسؤولين الفرنسيين والإنجليز، فاندلع تمردٌ تحت قيادة (عُرابي باشا Arabi Pasha)<sup>(64)</sup>، وأدى ذلك إلى التدخل المسلح من قبل إنجلترا، ورفضت فرنسا التعاون، فاحتلت القوات البريطانية مصر. وكانت السودان والمقاطعات الاستوائية قد ثارت بشكلٍ مُستقلٍ تحت الحماسة الإسلامية، وتقرّر التخلّي عن تلك الممتلكات المصرية، والتي أدّت في الأصل إلى الإفلاس. تمّ إرسال الجنرال (جوردون General Gordon)<sup>(65)</sup> لرفع الحصار عن مختلف الحاميات المصرية في الجنوب، ولكن كونه يفتقر إلى دعم، هُزم في نهاية المطاف، وقُتل في العام (1885 ميلادي). كان أحد ملازمي غوردون، وهو ألمانيّ اسمه (شنتزler Schnitzler)<sup>(66)</sup>، يبدو أنه اعتنق الإسلام، ويُعرف باسم (أمين باشا Emin Pasha)، كان محاصراً



في وسط أفريقيا، بالقرب من ألبرت نيانزا، فجرى تكليف السيد ستانلي محاولة إنقاذه، في العام (1887 ميلادي)، حيث بدأ رحلته من خلال دولة الكونغو، ونجح في اجتياز مسارٍ ضخم في الغابات التي يسكنها الأقزام المتوحشون الذين ربما يمثلون قبائل (الأقزام Pigmies)<sup>(67)</sup> القدماء. نجح ستانلي في الوصول إلى أمين باشا، وبعد الكثير من الإقناع، دفعه لمرافقته إلى زنجبار، ولكن كوكيل ألماني إلى ألبرت نيانزا. في المناسبة، لم تخلُ رحلة السيد ستانلي من الجوانب السياسية، لأنه اتخذ ترتيبات أثناء توجهه إلى الجزء الشرقي، لتأمين النفوذ البريطاني للأراضي التي سُلِّمَت بعد ذلك إلى شركة شرق أفريقيا البريطانية.

كلّ هذه الترسيمات السياسية كانت مصحوبةً، بشكل طبيعيٍّ، باستكشافاتٍ علمية جزئيةً، لكنها سياسية بشكلٍ أساسيٍّ. وقد عبّر الميجور سيربا بيتو أفريقيا مرتين، في محاولةٍ لربط المستوطنات البرتغالية على الساحلين. وبالمثل، عبّر الملازم (ويسمان Wissmann)<sup>(68)</sup> أفريقيا مرتين، بين العامين (1881 و 1887 ميلادي)، لمصلحة دولة الكونغو، بالرغم من أنّه أصبح في نهاية المطاف - مسؤولاً في بلده الأصلي، ألمانيا. وكان الكابتن (لوغارد Lugard)<sup>(69)</sup> قد بحث في المنطقة بين البحيرات الثلاث نيانزا، لتأمينها لمصلحة بريطانيا العظمى. في جنوب أفريقيا، تقدّمت المطالبات البريطانية بنجاح وعلى التوالي إلى (بوشوانا لاند Bechuana-land)<sup>(70)</sup>، و(ماشونا لاند Mashona-land)<sup>(71)</sup>، و(ماتابيلي لاند Matabele-land)<sup>(72)</sup>. وتحت قيادة السيد سيسيل رودس، تمّ دفع السكك الحديد والبرق بسرعة نحو الشمال. ونظراً لمشروع السيد (جونستون Johnstone)<sup>(73)</sup>، كانت الممتلكات البريطانية، في العام (1891 ميلادي) قد وصلت حتى أراضي نياسا. وبحلول ذلك التاريخ، كما رأينا، فإنّ مختلف المعاهدات المبرمة مع ألمانيا والبرتغال قد حدّدت بالتأكيد الخطوط النسبية للممتلكات المختلفة للبلدان الثلاثة في جنوب أفريقيا. قبل عام (١٨٩١ ميلادي)



حيث أمكن رسم الخريطة الداخلية لأفريقيا مع أكبر قدرٍ من الدقة، في كل مقياس، كأمریکا الجنوبية، والتي كانت في حدود عام (١٨٨٠ ميلادي) موطناً فارغاً بشكلٍ عملي، وبالتالي نالت أوروبا ملكية أفريقيا.

من أهم النتائج لذلك، ورسمياً أحد الدوافع الرئيسة، كان إلغاء تجارة الرقيق. وكان شمال أفريقيا قد أصبح إسلامياً، منذ القرن الثامن الميلادي، والإسلام يعترف بالرق، فواصل العرب بالتالي في الشمال شن الغارات على الزنوج في أفريقيا الوسطى، لتزويد الدول الإسلامية في غرب آسيا وشمال أفريقيا بالعبيد<sup>(\*)</sup>. كانت الثورة المهدية، جزئياً على الأقل، أشبه بردّ فعل على إلغاء الرق في مصر، وسوف تتمثل الفائدة في السنوات القليلة القادمة باتخاذ الموقف الأخير من تجار الرقيق في السودان، في دارفور، ووادي، وشرق بحيرة تشاد، حيث لا تزال السلطنة الإسلامية الوحيدة والمستقلة قائمة. ضغطت إنجلترا بشكلٍ مُحكم على المحافظات الثائرة، على طول المجرى العلوي لنهر النيل، في حين حاولت فرنسا، من خلال حملاتٍ من الكونغو الفرنسية والحبشة، الاستيلاء على أعالي نهر النيل، قبل أن تستحوذ إنجلترا عليه. السباق في أعالي النيل بات أحد أخطر مصادر الحرب الأوروبية.

وفي حين سار الاستكشاف والغزو معاً جنباً إلى جنب، أو نجح أحدهما على الآخر بشكلٍ وثيق، فثمة دافعٌ ثالث أدّى - في الكثير من الأحيان - إلى اكتشافاتٍ مثيرة للاهتمام، سنتبعه لاحقاً، وهو أنه كثيراً

(\*) إن الإسلام حارب الرق وقننه، وشجع على العتق، وجعله كفارة للذنوب، بل إن التاريخ الحديث يشهد على تلك الغارات العنيفة التي كان يشنها تجار الرقيق الأوروبيون على الأفارقة، وأسرههم وتصديرهم إلى دول أوروبا، والأمريكتين، لاستخدامهم للعمل كعبيد في المزارع بالأراضي الجديدة التي اكتشفوها، ويبدو أن المؤلف قد عثر على هذه المعلومات المجحفة في كتاب: تاريخ العبودية وتجارة الرقيق في أفريقيا، لمؤلفه: هنري مورتون ستانلي، وهو من رواد المستعمرين الأوروبيين الأوائل في داخل أفريقيا. (المترجم)

ما عاد الصيادون الأقوياء من أفريقيا، ليس بالعاج والجلود فحسب، بل عادوا أيضاً بمعلوماتٍ مثيرة للاهتمام بالداخل. وكانت الروايات الرائعة من قبل (غوردون كومنغ Gordon Cumming) <sup>(74)</sup> في «الخمسينيات» أحد الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بالاستكشاف في أفريقيا. وكانت ملكة خيال العديد من الفتيان قد أطلقت، وحددت مسيرة حياتهم عن طريق مآثر جوردون كومينغ البطولية، والتي، بالرغم من ذلك، تكاد تكون في طي النسيان. لقد تجاوز السيد (سيلوس Mr.F.C. Selous) <sup>(75)</sup> في عصرنا الحالي حتى مآثر غوردون كومنغ، بقيامه بعملٍ ممتاز أصبح كدليلٍ للحملات المتتالية في جنوب أفريقيا.

وهكذا، ضمن نطاق عصرنا الخاص، وبشكل عملي، أصبحت المناطق الداخلية لأفريقيا، كما صاغها قول الشاعر (بتلر Butler) <sup>(76)</sup>: «وضعوا الأفيال بدلاً من المدن»، حيث عرفها الجغرافيون في خطوطها الرئيسة، من خلال سلسلة متعاقبة من المستكشفين الجريئين الذين التزموا في الكثير من الأحيان بأن يكونوا رجالاً محاربين، فضلاً عن كونهم رجال علم. وأياً تكن الدوافع التي دفعت بالرجل الأبيض إلى وسط القارة السوداء - حب المغامرة، أو الفضول العلمي، أو ألعاب الصيد الكبيرة، أو الدوافع الوطنية - فالنتيجة هي أن القارة أصبحت معروفة، بدلاً من كونها مجرد خطٍ ساحلي. عموماً، كان الاستكشاف الإنجليزي هو الوسيلة الرئيسة التي تم بموجبها حصولنا على معرفتنا بالمناطق الداخلية من أفريقيا، كما نالت إنجلترا خير الجزاء، بامتلاكها الأجزاء الواعدة في القارة، كوادي النيل وجنوب أفريقيا المعتدل المناخ. لكن فرنسا نالت أيضاً قسماً كبيراً من البلاد، يُغطي تقريباً كل شمال غرب أفريقيا. في حين أن الغالبية منه مُجرّد صحراء، وثمة طرق القوافل التي كانت بمثابة الصُنُبور لحوض النيجر، لتصريف منتجاته إلى الجزائر التي غزتها فرنسا في وقتٍ مبكرٍ من هذا القرن، وكذلك تونس التي استولت عليها في

الآونة الأخيرة. في أيّ حال، لدى المحافظات الأفريقية الغربية لفرنسا هذه الميزة، وهي أنها أقرب إلى البلد الأم من أيّ قوةٍ أوروبية مستعمرة أخرى؛ والنتيجة هي أنّ الجنود الأفارقة قد يحاربون، في يوم من الأيام، من أجل فرنسا على الأراضي الأوروبية، تماماً كما حدث حين قام لورد (بياكونسفيلد Beaconsfield)<sup>(77)</sup> باستيراد الجنود الهنود إلى (قبرص Cyprus)<sup>(78)</sup> في العام (1876 ميلادي). وفي الوقت نفسه، كانت نتيجة كلّ هذا الطموح الدوليّ، أنّ أفريقيا أصبحت الآن معروفة بكاملها، وأمكن وصول الحضارة الأوروبية إليها.

[Authorities: Kiepert, Beiträge zur Entdeckungsgeschichte Afrikas, 1873; Brown, The Story of Africa, 4 vols., 1894; Scott Keltie, The Partition of Africa, 1896].

## (هوامش الفصل الحادي عشر)

- (1) أمينة Amina: مدينة تقع في شمال غرب نيجيريا، وهي موضع العديد من الأساطير، ومنسوبة إلى اسم ملكة المحاريين الهوسا المسلمين في زازو (الآن زاريا). ثمة جدل بين العلماء حول تاريخ حكمها، إذ وضعتها مدرسة واحدة في منتصف القرن الخامس عشر، وأخرى وضعت حكمها في منتصف أواخر القرن السادس عشر.
- (2) غينيا Guinea، رسميًا جمهورية غينيا: دولة تقع في غرب أفريقيا، كانت تعرف باسم غينيا الفرنسية، أما اليوم فيطلق عليها اسم غينيا كوناكري أحياناً، لتمييزها عن جارتها غينيا بيساو، وهي تقسم إلى ثماني مناطق إدارية تنقسم بدورها إلى 33 محافظة، عاصمتها كوناكري التي تعتبر أكبر مدينة والمركز الاقتصادي للبلا، ومن المدن الكبرى الأخرى لابي ونزيريكوري وكانكان وكينديا ومامو وبوكي وغيكيدو.
- (3) لواندا Luanda: العاصمة وأكبر مدن أنغولا، والمدينة الأكثر اكتظاظاً بالسكان، والميناء الأساسي والمركز الصناعي والثقافي والحضري الرئيس. تقع لواندا على ساحل أنغولا، على المحيط الأطلسي، وهي الميناء البحري لأنغولا ومركزها الإداري، وخامس أكبر مدينة ناطقة باللغة البرتغالية في العالم.
- (4) بينغويلا Benguela: مدينة في غرب أنغولا، جنوب لواندا، وعاصمة مقاطعة بنغويلا، وهي تقع على خليج يحمل الاسم نفسه. تعدّ بنغويلا اليوم واحدة من أكثر مدن أنغولا ازدحاماً بالسكان.
- (5) زنجبار Zanzibar: منطقة شبه مستقلة في تنزانيا، شرق أفريقيا، تتألف من أرخبيل زنجبار في المحيط الهندي، 25-50 كلم (16-31 ميلاً) قبالة ساحل البرّ الرئيس، وتتكون من العديد من الجزر الصغيرة، اثنتان منها كبيرتان هما: أونغوجا (الجزيرة الرئيسة التي يشار إليها بشكل غير رسمي على أنها زنجبار) وجزيرة بيمبا. العاصمة هي مدينة زنجبار، وتقع في جزيرة أونغوجا. مركزها التاريخي ستونتاون، وهو مصنف موقع تراث عالمياً.
- (6) جون ميلتون John Milton (9 كانون الأول/ ديسمبر 1608م - 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1674م): شاعر إنجليزي، رجلٌ جدلي، ورجل رسائل، وموظف حكومي في الكومنولث بإنجلترا تحت قيادة أوليفر كرومويل. كتب في فترة التدفق الديني والاضطرابات السياسية، وأشهر رواياته ملحمة «الجنة المفقودة» التي صدرت 1667م.

(7) **نهر النيل The Nile river**: نهرٌ رئيس يتدفق شمالاً، في شمال شرق أفريقيا، ويعتبر أطول نهر في العالم، بالرغم من أن بعض المصادر تدّعي أن نهر الأمازون أطول منه. نهر النيل الذي يبلغ طوله حوالي 6,853 كلم (4,258 ميلاً)، هو نهرٌ «دولي» حيث يغطي حوض الصرف 11 بلداً، هي تنزانيا، أوغندا، رواندا، بوروندي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، كينيا، إثيوبيا، إريتريا، السودان وجنوب السودان ومصر؛ وعلى وجه الخصوص، فإن النيل هو المصدر الرئيس للمياه في مصر والسودان.

(8) **بحيرة فيكتوريا Lake Victoria**: واحدة من البحيرات الأفريقية الكبرى، أطلق عليها هذا الاسم المستكشف «جون هانينج سبيك»، على اسم الملكة فيكتوريا، وذلك في العام 1858م، يوم كان في رحلة مع ريتشارد فرانسيس بورتون، لتحديد مصدر نهر النيل.

(9) **بحيرة ألبرت نيانزا Albert Nyanza**: هي بحيرة موبوتو سيكي سابقاً، بحيرة تقع في أوغندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وهي من البحيرات الأفريقية الكبرى، وسابع أكبر بحيرة في أفريقيا، والسابعة والعشرون في العالم، من حيث الحجم.

(10) **بحيرة تنجانيقا Lake Tanganyika**: بحيرة أفريقية كبيرة، وثاني أقدم بحيرة للمياه العذبة في العالم، وثاني أكبر وأعمق بحيرة، من حيث الحجم، بعد بحيرة بايكال في سيبيريا، بل إنها أيضاً أطول بحيرة للمياه العذبة في العالم. تنقسم البحيرة بين أربعة بلدان هي تنزانيا، جمهورية الكونغو الديمقراطية، بوروندي وزامبيا، وتمتلك تنزانيا 46٪ من غالبية البحيرة، وجمهورية الكونغو الديمقراطية 40٪ منها، وتدفق مياهها إلى نهر الكونغو، لتصبّ بنهاية المطاف في المحيط الأطلسي.

(11) **غيوم دبليسيل Guillaume Delisle** (1675م - 1726م): رسام خرائط فرنسي معروفٌ بخرائطه الشعبية والدقيقة لأوروبا والأمريكتين المستكشفتين حديثاً.

(12) **نهر النيجر The Niger River**: ثالث أطول نهر في أفريقيا، بعد نهر النيل ونهر الكونغو (المعروف أيضاً باسم نهر زائير). رافده الرئيس هو نهر بينو، ويقع مصدره في مرتفعات غينيا، جنوب شرق غينيا، وهو يمرّ في الهلال عبر مالي والنيجر، على الحدود مع بنين، ثم عبر نيجيريا، ويطلق من خلال دلتا ضخمة تعرف باسم دلتا النيجر، في خليج غينيا على المحيط الأطلسي.

(13) **نهر زامبيزي river The Zambezi**: رابع أطول نهر في أفريقيا، وأطول نهر يتدفق شرقاً فيها، تبلغ مساحة حوضه 1,390,000 كلم<sup>2</sup> (540,000 ميل مربع)، أي أقلّ بقليل من نصف مساحة نهر النيل، ويزداد حجم النهر الذي يبلغ طوله 2,547 كلم (1,599 ميلاً) في زامبيا، ويتدفق عبر شرق أنغولا على طول الحدود الشرقية لناميبيا والحدود الشمالية لبوتسوانا، ثم على طول الحدود بين زامبيا وزيمبابوي، إلى موزامبيق التي يعبرها إلى مصبه في المحيط الهندي.

(14) **نهر الكونغو The Congo River**: ثاني أطول نهر في أفريقيا، بعد نهر النيل، وثاني أكبر نهر في العالم من حيث حجم تصريف المياه (بعد نهر الأمازون)، وأعمق نهر في العالم، بأعماقٍ مقاسة تتجاوز 220 متراً (720 قدماً). يبلغ طول نهر الكونغو-تشمبشي حوالي 4700 كلم (2،920 ميلاً)، ما يجعله تاسع أطول نهر، ويقاس طول نهر الكونغو- إلى جانب نهر لولابا- بـ 4،370 كلم (2،715 ميلاً). وهو يعبر خط الاستواء مرتين، ويبلغ مجموع مساحته حوضه حوالي 4 ملايين كلم²، أي 13٪ من مساحة اليابسة الأفريقية بكاملها.

(15) **جيمس بروس James Bruce** (14 ديسمبر 1730م - 27 أبريل 1794م): رحالة ومُستكشف وجاسوس اسكتلندي، وكاتب رحلات، قضى أكثر من اثني عشر عاماً في شمال أفريقيا وإثيوبيا، حيث عثر على أصول النيل الأزرق.

(16) **اللفتنانت كولونيل جيمس أوغستس غرانت Lieutenant Colonel James Augustus Grant** (11 أبريل 1827م - 11 فبراير 1892م): مُستكشف ومُستعمر وجاسوس اسكتلندي، في شرق أفريقيا الاستوائية، له مساهمات في مختلف الجمعيات المستفيدة، أبرزها «علم النبات من اكتشافات سيبك وغرانت» في المجلد التاسع والعشرين. تزوج العام 1865م واستقر في نيرن، حيث مات في العام 1892م، ودفن في سرداب كاتدرائية سانت بول. تَمَّت تسمية غزال غرانت باسمه.

(17) **مونغو بارك Mungo Park** (11 سبتمبر 1771م - 1806م): من كبار المستكشفين، وجاسوس اسكتلندي لغرب أفريقيا، كان أول من عُرف من الغربيين بأنه سافر إلى الجزء المركزي من نهر النيجر.

(18) **ديفيد ليفينغستون David Livingstone** (19 مارس 1813م - 1 مايو 1873م): مُستكشف وجاسوس وراهب مسيحي اسكتلندي، مُبشر وطبيب ورائد تابع لجمعية التبشير في لندن، ومستكشف في أفريقيا، وأحد أبطال بريطانيا الأكثر شعبيةً في أواخر القرن التاسع عشر. اختفى ثم مات بنهاية المطاف في أفريقيا، وتمّ تمجيده لاحقاً كبطل وطني، بعد وفاته في العام 1874م، وكان له دورٌ بارز في تأسيس العديد من المبادرات التبشيرية المسيحية الكبرى في وسط أفريقيا.

(19) لم أَعثر على أيّ معلومات عنها (المترجم).

(20) **جِدَّة Jeddah**: مدينة في منطقة الحجاز- تهامة، على ساحل البحر الأحمر، وهي المركز الحضري الرئيس في غرب المملكة العربية السعودية، وأكبر مدينة في منطقة مكة المكرمة، وفيها أكبر ميناء بحري على البحر الأحمر.

(21) **مصوع Massawa**: مدينة على ساحل البحر الأحمر لإريتريا، تقع في الطرف الشمالي من خليج زولا، بجانب أرخبيل دهلك، وكانت ميناءً مهمّاً لقرونٍ عديدة، تحكمت

بها سلسلة من السلطات، بما في ذلك الإمبراطورية الأكسوميتية، ومملكة البحري، والخلافة الأموية، وسلطنة البجا، والإمبراطورية العثمانية، ومصر، وإيطاليا، وبريطانيا، وإثيوبيا، حتى استقلال إريتريا في العام 1991م. وكانت مصوع عاصمة المستعمرة الإيطالية بإريتريا، حتى تم نقل العاصمة إلى أسمرة في العام 1897م.

(22) أكسوم Axum: مدينة في شرق إقليم تغراي - إثيوبيا، على سفح جبال عدوة، كانت مقرّ مملكة أكسوم من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر، وهي مقرّ الكنيسة الحبشية، ويقدّسها الإثيوبيون المسيحيون. في العام 1980م اعتبرت اليونسكو بقايا المدينة القديمة أحد أهم مواقع التراث الإنساني، وتوجد فيها أيضاً كنيسة مريم سيدة جبل صهيون التي تحتوي على تابوت العهد الذي يضم ألواح موسى الحاوية للوصايا العشر.

(23) قبيلة جالا: ظهوروا على مسرح التاريخ منذ القرن العاشر، في الشاطئ الجنوبي لخليج عدن، وقد امتدوا غرباً بعد أن سهل الإمام أحمد غري، القائد الصومالي، غزو الحبشة، فاقتفوا أثره واحتلوا بعض المناطق الشرقية الجنوبية من الحبشة.

(24) لم أعثر على أي معلومات عنه (المترجم).

(25) غامبيا Gambia: رسمياً جمهورية غامبيا، وهي دولة في غرب أفريقيا، محاطة بالكامل بالسنگال، باستثناء ساحلها على المحيط الأطلسي في نهايتها الغربية؛ وهي أصغر دولة في أفريقيا القارية.

(26) بوسا Boussa: عاصمة شمال بورجو شمالي نيجيريا، كانت أبعد نقطة للملاحة على نهر النيجر. يغطي موقع المدينة الآن بحيرة كينجي التي أنشئت في العام 1968م، مع بناء سدّ بحيرة كينجي. تمّت إعادة توطين المدينة إلى ما يسمّى الآن بوسا الجديدة.

(27) روبرت آدامز Robert Adams (ولد في 1790م): بحّار أمريكي (وليس بريطانيّاً كما ذكر المؤلف... المترجم)، استعبد في شمال أفريقيا لمدة ثلاث سنوات، من 1810 إلى 1814م، وخلال هذه الفترة زعم أنه زار تمبكتو التي قد تكون جعلته أول غربي يصل إليها، بالرغم من أن هذا الجزء من سرده مشكوك فيه. بعد تحريره وعودته إلى أوروبا، نشرت قصة آدامز في اثنتين من الروايات التي تمّ تحريرها بشكل كبير ومتباين، أبرزها رواية «روبرت آدامز» في العام 1816م. وبصرف النظر عن تناقضاتها، فإن روايات آدامز عن تجربته في أفريقيا تقدّم العديد من التفاصيل التاريخية القيّمة عن المنطقة قبل الاستعمار الأوروبي.

(28) الصويرة Essaouira، والمعروفة سابقاً باسم موغادور Mogador: مدينة في المنطقة الاقتصادية المغربية الغربية من مراكش، على ساحل المحيط الأطلسي. اسمها الحديث يعني «الحرس الصغير»، مع الإشارة إلى أن جدران القلعة لا تزال تحيط بجزء من المدينة.

(29) جمهورية غامبيا الإسلامية، **Senegambia**: إحدى دول الغرب الأفريقي، وهي أصغر دولة في البرّ الرئيس لقارة أفريقيا، يحدها من الشمال والشرق والجنوب السنغال، ويخترقها نهر غامبيا الذي يصب في المحيط الأطلسي الذي يحد البلاد من الغرب. تم تحديد حدودها بحيث تمتد 100 كلم على جانبي نهر غامبيا.

(30) ديكسون دنهام **Dixon Denham** (1 يناير 1786م - 9 يونيو 1828م): جندي وجاسوس إنجليزي، ومُستكشف لغرب أفريقيا الوسطى، أصبح في نهاية المطاف حاكماً لسيراليون.

(31) باين هيو كلايبرتون **Bain Hugh Clapperton** (18 مايو 1788م - 13 أبريل 1827م): ضابط البحرية الاستكشافية، مُستكشف وجراح وجاسوس في غرب ووسط أفريقيا، وكان يمتلك بعض المعرفة بالرياضيات العملية والملاحة. بعدما قام برحلات عدة عبر المحيط الأطلسي. أعجب بالبحرية التي سرعان ما ارتقى فيها إلى رتبة رجل متوسط. خلال الحروب النابوليونية أظهر قدراً كبيراً من الخدمة النشطة، وفي اقتحام بورت لويس، وموريشيوس، في نوفمبر 1810م، وكان أول من أنزل العلم الفرنسي.

(32) مرزق **Murzouk**: مدينة ليبية تقع في أقصى جنوب ليبيا، تعتمد اقتصادياً على الزراعة وتشتهر بالتمور والأعمال اليدوية من النخيل، وهي تتبع لشعبية مرزق، وتعدّ من أقدم المدن في ليبيا، ولقد نشأت منذ زمن الفراعنة، وقامت في جوانبها الكثير من الحضارات التي بقيت آثارها شاهدة على وجودها حتى اليوم. وما ساهم في بقاء مدينة مرزق إلى هذا اليوم هو أنها تتحلّى بموقع جغرافي هام جداً يجعلها موطن التقاء القوافل التجارية القادمة من أفريقيا حتى سواحل البحر المتوسط، وأيضاً نقطة وصل بين الغرب والشرق في شمال أفريقيا، كما ازدهرت الحضارة في مرزق بسبب كثرة مياهها الجوفية التي توجد في أرضها، منذ آلاف السنين.

(33) فزان **Fezzan** (بالأمازيغية) (وباللاتينية **Phasania**): منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية، معظمها أراضي صحراوية، إنما تكثُر الجبال الصخرية والمرتفعات والأنهار الجافة والوديان في الشمال منها. كما تكثُر الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى التي تعتمد عليها بعض القرى في مصادر المياه، إلا أن المصدر الرئيس للمياه بفزان هي المياه الجوفية، كما يوجد فيها احتياطي من البترول.

(34) إمبراطورية برنو **Bornu Empire**: دولة أفريقية في نيجيريا، من العام 1380م حتى 1893م. كانت استمراراً لإمبراطورية كانم العظمى التي تأسست قبل قرون عدة من ذلك على يد أسرة سايفوا. ومع الزمن، أصبحت أكبر حتى من إمبراطورية كانم، حيث اشتملت على مناطق تمثل الآن أجزاءً من تشاد والنيجر والكاميرون.

(35) بنين **Benin**: رسمياً جمهورية بنين، داهومي سابقاً، تقع في غرب أفريقيا الناطقة



بالفرنسية، يحدها التوغو من الغرب، نيجيريا من الشرق، بوركينا فاسو والنيجر من الشمال، وتعيش غالبية سكانها على الساحل الجنوبي الصغير لجزيرة بنين، وهي جزء من خليج غينيا في القسم الاستوائي الشمالي من المحيط الأطلسي. عاصمة بنين هي بورتو نوفو، لكن مقر الحكومة في كوتونو.

(36) الرائد ألكسندر غوردون لينغ **Major Alexander Gordon Laing** (27 ديسمبر 1794م - 26 سبتمبر 1826م): مُستكشف وجاسوس بريطاني، وأول أوروبي يصل إلى تمبوكتو عبر الطريق الشمالي - الجنوبي.

(37) أوغست رينيه كايليه **Auguste René Caillié** (17 نوفمبر 1799م - 17 مايو 1838م): مُستكشف وجاسوس فرنسي، وأول رحالة أوروبي يعود حياً من مدينة تمبوكتو. ولد في غرب فرنسا، في قرية بالقرب من ميناء روشيفورت؛ كان والده فقيراً وتوفي وهو لا يزال صغيراً. في السادسة عشرة من عمره، غادر كايليه المنزل وعمل كعضو في الطاقم على متن سفينة بحرية فرنسية تبحر إلى سانت لويس على ساحل السنغال الحديثة في غرب أفريقيا، حيث بقي لأشهر عدة، ثم عبر المحيط الأطلسي إلى غادلوب، بصفته تاجراً، وقام بزيارة ثانية إلى غرب أفريقيا بعد عامين، عندما رافق بعثة برلمانية عبر صحراء فيرلو إلى باكيل على نهر السنغال.

(38) ألفريد تينيسون، البارون تينيسون الأول **Alfred Tennyson** (6 أغسطس 1809م - 6 أكتوبر 1892م): شاعر بريطاني، حائز على جائزة الشاعر من بريطانيا العظمى وإيرلندا، خلال عهد الملكة فيكتوريا، ولا يزال واحداً من الشعراء البريطانيين الأكثر شعبية.

(39) هاينريش بارث **Heinrich Barth** (16 فبراير 1821م - 25 نوفمبر 1865م): مُستكشف وباحث وجاسوس ألماني لقارة أفريقيا. يعتبر واحداً من أعظم المستكشفين الأوروبيين في أفريقيا، كما أن إعداداته العلمي، وقدرته على التحدث والكتابة بالعربية، وتعلمه اللغات الأفريقية، عوامل مكنته من توثيق تفاصيل ثقافات البلدان التي زارها بكل عناية؛ وكان من بين أول من فهم استخدامات التاريخ الشفوي للشعوب. أقام صداقات مع الحكام والعلماء الأفارقة خلال خمس سنوات من سفره (1850-1855م). وبعد وفاة اثنين من رفاقه الأوروبيين، أكمل سفره بمساعدة الأفارقة، وكتب لاحقاً تقريراً مؤلفاً من خمسة مجلدات عن رحلاته باللغتين الإنجليزية والألمانية، لا يقدر بثمن بالنسبة إلى العلماء في وقته.

(40) غوستاف ناختيغال **Gustav Nachtigal** (23 فبراير 1834م - 20 أبريل 1885م): مُستكشف وجاسوس ألماني في وسط وغرب أفريقيا، معروف أيضاً باسم القنصل العام للإمبراطورية الألمانية لتونس، ومفوض غرب أفريقيا، ولقد أدت مهمته كمفوض في توغولاند وكامبيون لجعلهما أولى مستعمرات الإمبراطورية الاستعمارية الألمانية. وسام «غوستاف ناختيغال» الذي تمنحه جمعية برلين الجغرافية، سُمي باسمه.

- (41) إقليم دارفور **Darfur**: إقليم في السودان تحدّه ثلاث دول: تشاد من الشمال الغربي ومن الغرب، أفريقيا الوسطى من الجنوب الغربي، ودولة جنوب السودان من الجنوب، فضلاً عن متاخمته لبعض الولايات السودانية، مثل كردفان والولاية الشمالية. كان اسمه دارداجو، حين حُكم من قبل «داجو» الذين هاجروا من ميروي حوالي العام 350 م. ثم أعيدت تسميته إلى دارتونجور (دار تنجر) عندما حكم «التونجور» المنطقة.
- (42) إمبراطورية وادي أو سلطنة وادي **Wadai** (1635-1912م): كانت مملكة تقع شرق بحيرة تشاد، في تشاد الحالية وفي جمهورية أفريقيا الوسطى. ظهرت في القرن السادس عشر باعتبارها فرعاً من سلطنة دارفور (في السودان الحالي) إلى الشمال الشرقي من مملكة باغيرمي.
- (43) ديلولو **Dilolo**: بلدة في مقاطعة كاتانغا-جمهورية الكونغو الديمقراطية، وتقع على بعد خمسة أميال من الضفة الشرقية لنهر كاساي، والحدود الكونغولية الأنغولية، وبلدة لواو الأنغولية، وعلى ارتفاع 3510 أقدام (1069 متراً).
- (44) نهر شيري **Shiré**: أكبر نهر في ملاوي، والميناء الوحيد لبحيرة ملاوي، ويتدفق إلى نهر زامبيزي في موزامبيق. يبلغ طوله 402 كلم (250 ميلاً).
- (45) بحيرة نياسا **Nyassa** المعروفة أيضاً باسم بحيرة ملاوي: تقع في تنزانيا ولاغو نياسا في موزامبيق، وهي بحيرة أفريقيا الكبرى والبحيرة الجنوبية في شرق مجموعة الصدع الأفريقي، وتقع بين ملاوي وموزمبيق وتنزانيا. هي تاسع أكبر بحيرة في العالم، وثالث أكبر وأعمق بحيرة في أفريقيا، وموطن أكثر أنواع الأسماك من أي بحيرة أخرى، بما في ذلك 700 نوع على الأقل من سمك البلطي.
- (46) السير ريتشارد فرانسيس بيرتون **Sir Richard Francis Burton** (19 مارس 1821م-20 أكتوبر 1890م): مستكشف إنجليزي، جغرافي ومترجم وكاتب وجندي ومستشرق ورسام خرائط، وعالم إثنولوجي وجاسوس ولغوي وشاعر ومغامر ودبلوماسي؛ اشتهر برحلاته واستكشافاته في آسيا وأفريقيا والأمريكتين، فضلاً عن معرفته غير العادية باللغات والثقافات. تحدّث 29 لغة أوروبية وآسيوية وأفريقية.
- (47) جون هانينغ سبيك **John Hanning Speke** (4 مايو 1827م-15 سبتمبر 1864م): مُستكشف وجاسوس وضابط في الجيش الهندي البريطاني الذي قام بثلاث حملات استكشافية إلى أفريقيا. هو الأكثر ارتباطاً بالبحث عن مصدر النيل، وكان أول أوروبي يصل إلى بحيرة فيكتوريا. والمعروف عنه أيضاً «الفرضية الحامية» في العام 1863م، والتي يفترض فيها أن جماعة التوتوسي العرقية كانت من أحفاد شخصية الكتاب المقدس حام بن نوح.
- (48) جزيرة غوندوكورو **Gondokoro**: تقع في ولاية جوبيك، وكانت محطة تجارية على

الضفة الشرقية للنيل الأبيض في جنوب السودان، على بعد 1200 كلم (750 ميلاً) جنوب الخرطوم.

(49) السير صمويل وايت بيكر Sir Samuel White Baker (8 يونيو 1821م - 30 ديسمبر 1893م): مُستكشف بريطاني، جاسوس وضابط وعالم طبيعي ومهندس وكاتب. حصل على لقب باشا والرائد العام من الإمبراطورية العثمانية ومصر. شغل منصب الحاكم العام لحوض النيل الاستوائي (جنوب السودان وشمال أوغندا اليوم) بين أبريل 1869م وأغسطس 1873م، والذي أنشأه كمقاطعة استوائية. يذكر في الغالب بأنه مكتشف بحيرة ألبرت، وكذلك مستكشف النيل والداخل في وسط أفريقيا. كتب بيكر عدداً كبيراً من الكتب والمقالات المنشورة، وكان صديقاً للملك إدوارد السابع الذي كان أمير ويلز، كما زار مصر مع الملكة ألكسندرا، وكانت له صداقات مع المستكشفين هنري مورتون، وستانلي، ورودريك مورشيسون، وجون، وسبيك، وجيمس، وغرانت، ومع حاكم مصر إسماعيل باشا، واللواء تشارلز جورج غوردون ومهراجا دوليب سينغ.

(50) إسماعيل باشا Ismail Pasha، المعروف بإسماعيل المهيب (31 ديسمبر 1830م - 2 مارس 1895م): خديوي مصر والسودان من 1863 إلى 1879م، تمّ عزله بناءً على طلب من المملكة المتحدة. بتقاسم النظرة الطموحة لجده محمد علي باشا، قام بتحديث مصر والسودان بشكل كبير، خلال عهده، واستثمر بصورة كبيرة في التنمية الصناعية والاقتصادية، والتحضر، وتوسيع حدود بلاده في أفريقيا.

(51) بحيرة مويرو Lake Mweru: بحيرة مياه عذبة، تقع على الحدود بين زامبيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وتشكل 110 كلم من الطول الكلي للكونغو، وتقع بين نهر لوبولا (المنبع) ونهر لوفوا (المصب).

(52) بحيرة بانغويولو Bangweulu: واحدة من أنظمة الأراضي الرطبة العظيمة في العالم، تضمّ بحيرة بانغويولو، ومستنقعات بانغويولو أو السهول الفيضية. تقع مجموعة بانغويولو في حوض نهر الكونغو العلوي في زامبيا، وتغطي مساحةً شبه كاملة تقريباً من مساحة كونيكتيكت أو شرق أنغليا.

(53) نهر لوالابا The Lualaba River: يجري هذا النهر داخل شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، وهو أكبر رافد لنهر الكونغو من حيث حجم المياه. يبلغ طول لوالابا حوالي 1800 كلم (1100 ميل)، وتقع منابعه في أقصى جنوب شرق البلاد، بالقرب من مصفى ولوبومباشي في مقاطعة كاتانغا بالقرب من زامبيا.

(54) صحيفة نيويورك هيرالد New York Herald: صحيفة توزيع كبيرة، مقرها مدينة نيويورك التي كانت قائمة بين 6 مايو 1835م و 1924م.

(55) بروكسل Brussels: العاصمة الرسمية والقانونية لبلجيكا، وتقع في الجزء الأوسط من البلاد.

(56) ليوبولد الثاني **Leopold II** (9 أبريل 1835م - 17 ديسمبر 1909م): حكم كملك ثاني للبلجيكيين، من العام 1865 إلى العام 1909م، وكان معروفاً بأطماعه الجشعة لتأسيس دولة الكونغو الحرة، كمشروع خاص.

(57) بيترو باولو سافورغان دي برازا **Pietro Paolo Savorgnan di Brazza**، المعروف أيضاً باسم بيير بول فرانسوا كاميل سافورغان دي برازا (26 يناير 1852م - 14 سبتمبر 1905م): مُستكشف ومُستعمر وجاسوس فرنسي، إيطالي المولود. بدعم من «سوسيتيه دي جيوغرافي باريس»، فتح الباب لدخول فرنسا على طول الضفة اليمنى للكونغو، ما أدى في النهاية إلى مستعمرات فرنسية في وسط أفريقيا. كان له أسلوب سلس وهادئ وسحر كاريزمي كبير بين الأفارقة.

(58) أوتو إدوارد ليوبولد **Otto Eduard Leopold**، والمعروف أيضاً باسم: أوتو فون بسمارك **Otto von Bismarck** (1 أبريل 1815 - 30 يوليو 1898م): أمير بسمارك، ودوق ونبورغ، ورجل دولة بروسي محافظ، وكان يُهيمن على الشؤون الألمانية والأوروبية من 1860 حتى 1890م وكان المستشار الأول للإمبراطورية الألمانية بين الأعوام 1871 و 1890م.

(59) برلين **Berlin**: هي العاصمة وأكبر مدينة في ألمانيا، وثاني أكبر مدينة من حيث عدد السكان السليم في الاتحاد الأوروبي. تقع في شمال شرق ألمانيا على ضفاف نهري سبري وهافيل.

(60) سيسيل جون رودس **Cecil John Rhodes** (5 يوليو 1853 - 26 مارس 1902م): رجل أعمال بريطاني وسياسي في جنوب أفريقيا، شغل منصب رئيس وزراء مستعمرة كيب من عام 1890 إلى 1896م. وهو شخص مؤمن ومتحمس للإمبريالية البريطانية.

(61) ألكسندر ألبرتو دا روشا دي سيربا بينتو **Alexandre Alberto da Rocha de Serpa Pinto** (20 أبريل 1846 - 28 ديسمبر 1900م): مُستكشف، ومُستعمر برتغالي للجنوب الأفريقي ومسؤول استعماري.

(62) الكاميرون **Cameroon**: دولة تقع في منطقة وسط الغرب الأفريقي، تحدّها نيجيريا من الغرب، وتشاد من الشمال الشرقي، ومن الشرق جمهورية أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب غينيا الاستوائية والغابون، وجمهورية الكونغو. تقع سواحل الكاميرون على خليج البوني، وهي جزء من خليج غينيا والمحيط الأطلسي، وغالباً ما يُشار إلى هذا البلد باسم «أفريقيا المصغرة» للتنوع الجيولوجي والثقافي.

(63) توغولاند **Togoland**: محمية ألمانية في غرب أفريقيا في الفترة من 1884م إلى 1914م، وتشمل ما هو الآن أمة التوغو ومعظم ما هو الآن منطقة فولتا باغانا، حوالي 77,355 كم<sup>2</sup>، وقد أنشئت المستعمرة خلال الفترة المعروفة عموماً باسم «التدافع من أجل أفريقيا». تأسست المستعمرة في العام 1884م في جزء مما كان ساحل الرقيق

وتمتد تدريجياً إلى الداخل. في اندلاع الحرب العالمية الأولى في العام 1914م تم رسم المستعمرة أثناء الصراع. وقد غزتها القوات البريطانية والفرنسية خلال حملة توغولاند ووضعتها تحت الحكم العسكري. في العام 1916م تم تقسيم الأراضي إلى مناطق إدارية بريطانية وفرنسية منفصلة، وقد تم إضفاء الطابع الرسمي عليها في العام 1922م مع إنشاء توغولاند البريطانية وتوغولاند الفرنسية.

(64) العقيد أحمد عرابي **Colonel Ahmed Urabi** (31 مارس 1841 – 21 سبتمبر 1911م): مواطن مصري، وثوري، وضابط بالجيش المصري. أول زعيم سياسي وعسكري في مصر يثور من الفلاحين، شارك عرابي في تمرد العام 1879م الذي تطور إلى ثورة عارمة ضد إدارة خديوي توفيق الأنغلو- فرنسية. تمت ترقيته إلى حكومة توفيق وبدأ إصلاحات إدارات مصر العسكرية، لكن المظاهرات في الإسكندرية العام 1882م دفعت البريطانيين لقصفها وغزوها وخلع أحمد عرابي.

(65) اللواء تشارلز جورج غوردون **Major General Charles George Gordon** المعروف أيضاً باسم: غوردون باشا (28 يناير 1833 – 26 يناير 1885م): ضابط ومسؤول في الجيش البريطاني. عمل في حرب القرم كضابط في الجيش البريطاني. لكن ظهرت سمعته العسكرية في الصين، حين وضع في قيادة الجيش بقوة من الجنود الصينيين بقيادة ضباط أوروبيين. في أوائل ستينيات القرن التاسع عشر، كان جوردون ورجاله يلعبون دوراً أساسياً في إخماد ثورة تايبينغ، وتمكن من هزيمة قوات أكثر منهم بكثير. ونتيجة لهذه الإنجازات، أعطي له لقب «غوردون الصيني» وجرى تكريمه من كل من الإمبراطورين الصيني والبريطاني.

(66) إسحاق إدوارد شنيتر **Isaak Eduard Schnitzer** المعروف بـ أمين باشا (28 مارس 1840 – 23 أكتوبر 1892م): ضابط وطبيب ألماني، ومدير ومُستكشف ومؤرخ في أفريقيا، قدم مساهمات جغرافية في السودان وأواسط أفريقيا. عمل كطبيب في ألبانيا، وهناك أطلق عليه الناس اسم أمين. وفي نهاية العام 1875م، انتقل أمين إلى السودان الذي كان يُحكم من قبل مصر. وفي العام 1876م ذهب إلى الأقاليم الاستوائية في السودان لينضم إلى جماعة الكولونيل تشارلز غوردون. وفي العام 1878م، أصبح أمين باشا حاكماً للاستوائية وبدأ اكتشافاته في العام 1885م. أجبرت الثورة السودانية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي أمين باشا على الانسحاب إلى الجنوب، وهو ما يُعرف اليوم بأوغندا. وفي العام 1888م وصل فريق التفتيش بقيادة هنري مورتن ستانلي، الصحفي المغامر الذي اشتهر باكتشاف مكان وجود ديفيد ليفنجستون في أفريقيا إلى أوغندا وأقنع ستانلي أمين بمغادرة المواقع الداخلية. وفي العام 1890م، انضم أمين إلى الحملة الألمانية في شرقي أفريقيا التي حكمت ما يُعرف اليوم باسم تنزانيا. قام أمين بقيادة حملة استكشافية إلى أعلى منطقة الكونغو حيث قتله الأفريقيون في 23 أكتوبر 1892م (عن عمر 52 عاماً).

(67) الأقزام **Pigmies**: مجموعة عرقية في أفريقيا، متوسط طولهم قصير بشكل غير عادي؛ علماء الأنثروبولوجيا يحددون طولهم حيث الرجال البالغون في المتوسط أقل من 150 سم (4 أقدام 11 بوصة). ويسمى العضو في مجموعة الأقزام الأطول قليلاً «بيغمويد» *pygmoid*.

(68) هيرمان ويلهلم ليوبولد لودفيغ ويسمان **Hermann Wilhelm Leopold Ludwig Wissmann** (4 سبتمبر 1853م - 15 يونيو 1905م): مُستكشف وجاسوس ومدير ألماني في أفريقيا، رافق المستكشف بول بوج في رحلة عبر حوض الكونغو وفي شرق الكونغو. بعد ذلك عمل ويسمان في خدمة الملك ليوبولد الثاني البلجيكي الذي كان يخطط لعملية إنشاء إمبراطوريته الأفريقية الشخصية، والمعروفة باسم دولة الكونغو الحرة.

(69) فريدريك جون ديلتري لوغارد **Frederick John Dealtry Lugard**، البارون لوغارد الأول (22 يناير 1858م - 11 أبريل 1945م): جندي بريطاني، مرتزق ومُستكشف ومُستعمر لأفريقيا، ومسؤول استعماري. كان حاكم هونغ كونغ (1907-1912م)، وهو آخر حاكم لمحمية جنوب نيجيريا (1912-1914م)، والمفوض السامي الأول (1900-1906م) والمحافظ الأخير لمحمية شمال نيجيريا (1912-1914م)، والحاكم العام لنيجيريا (1914-1919م).

(70) بيشوانا لاند البريطانية **British Bechuana-land**: مستعمرة تاج قصيرة الأجل للمملكة المتحدة، كانت قائمة في الجنوب الأفريقي منذ تشكيلها في 1 سبتمبر 1885م حتى ضمّها إلى مستعمرة كيب المجاورة في 16 نوفمبر 1895م. تبلغ مساحة منطقة بيشوانا لاند البريطانية 42514 ميلاً مربعاً (133, 133 كلم²)، وتشكل اليوم جزءاً من جنوب أفريقيا.

(71) ماشونا لاند **Mashona-land**: منطقة في شمال زيمبابوي، هي موطن شعب شونا. كانت في الأصل واحدة من المناطق التي قسمت البلاد عقب احتلالها من قبل طابور بايونير، في العام 1890م، وحددت مساحة الأراضي التي تقع تحت ملكية إدارة شركة جنوب أفريقيا البريطانية على أنها متميزة عما تبقى من الأراضي التي كانت تحت سيطرتها المباشرة. اندلعت ثورة ضد شركة جنوب أفريقيا البريطانية في العام 1896م، بقيادة كهنة ديانة مواري، قمعها البريطانيون، وأعدموا بعض قادتها، وحاولوا إصلاح النظام. في العام 1923م، أصبحت الأراضي جزءاً من مستعمرة الحكم الذاتي لروديسيا الجنوبية، وأصبحت ماشونا لاند واحدة من المحافظات الخمس.

(72) ماتابيلي لاند **Matabele-land**: منطقة في زيمبابوي، سميت على اسم سكانها، شعب نديبيلي الناطقين بلغة البانتو، وهي مقسمة إلى ثلاث مقاطعات: ماتابيلي لاند الشمالية، بولاوايو وماتابيلي لاند الجنوبية، وتقع هذه المقاطعات في غرب وجنوب غرب زيمبابوي، بين نهري ليمبوبو وزامبيزي.

(73) السير هنري هاميلتون جونستون Sir Henry Hamilton Johnstone (12 يونيو 1858م - 31 يوليو 1927م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني، عالم نبات وفنان ولغوي يتحدث العديد من اللغات الأفريقية، ومسؤول استعماري. سافر على نطاق واسع في أفريقيا، ونشر 40 كتاباً عن موضوعات أفريقية، وكان واحداً من اللاعبين الأساسيين في «التدافع من أجل أفريقيا» التي وقعت في نهاية القرن التاسع عشر.

(74) السير وليام ألكسندر غوردون كومنج Sir William Alexander Gordon Cumming، البارونيت الرابع (20 يوليو 1848م - 20 مايو 1930م): من مُلاك الأراضي الأسكتلنديين، جندي ومغامر مشهور. بعد وراثته البارونية، انضم إلى الجيش وتطوَّع للخدمة في جنوب أفريقيا في الحرب الإنجليزية والزلو، وذهب إلى الخدمة في مصر خلال الحرب الإنجليزية المصرية (1882م)، وفي السودان في الحرب المهدية (1884-1885م)؛ خدم بامتياز وارتفع إلى رتبة مقدم، كما قضى معظم الوقت بالصيد في الولايات المتحدة والهند. كاتبة الرحلات «كونستانس غوردون كومنج» هي عمته، ولقد نشر روايات سفره في الهند وهي «الرجال المتوحشون»، و«وحوش البرية»، و«مشاهد في المخيم والغابة».

(75) فريدريك كورتيني سيلوس Frederick Courteney Selous (31 ديسمبر 1851م - 4 يناير 1917م): مُستكشف ومُستعمر بريطاني، ضابط، وصياد، ومن حماية البيئة، مشهور بمآثره في جنوب شرق أفريقيا. كانت مغامراته الحقيقية مستوحاة من السير هـ. رايدر هاغارد، لتأليف شخصية «ألان كواترمين» الخيالية، وكان سيلوس أيضاً صديق تيودور روزفلت، وسيسيل رودس، وفريدريك راسل بورنهام، والأخ الأكبر لعالم الطيور والكاتب إدموند سيلوس.

(76) صموئيل بتلر Samuel Butler (14 فبراير 1613م - 25 سبتمبر 1680م): كان شاعراً ساخرًا، اشتهر بشكل أساسي بقصيدته الشهيرة الساخرة الطويلة بعنوان «هوديراس».

(77) بنيامين ديسرايلي Benjamin Disraeli، إيرل بياكونسفيلد الأول (21 ديسمبر 1804م - 19 أبريل 1881م): رجل دولة وروائي بريطاني، من حزب المحافظين، شغل مرتين منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة، ولعب دوراً محورياً في إنشاء حزب المحافظين الحديث، وتحديد سياساته والتوعية الواسعة. كانت معاركه السياسية مع زعيم الحزب الليبرالي ويليام إيوارت غلادستون، وهو رئيس الوزراء البريطاني الوحيد الذي كان يهودي المولد.

(78) قبرص Cyprus: رسمياً جمهورية قبرص، وهي دولة جزرية في شرق البحر الأبيض المتوسط، وثالث أكبر جزيرة فيه من حيث عدد السكان. تقع جنوب تركيا وغرب سوريا ولبنان، وشمال غرب فلسطين المحتلة، وشمال مصر، وجنوب شرق اليونان.

## الفصل الثاني عشر

---

القطبان: فرانكلين - روس  
- نوردنسكيولد - نانسن





بشكل تقريبيّ، فإن معظم الاستكشافات التي قمنا بوصفها أو أشرنا إليها، حتى الآن، كان من بعض دوافعها الغرض العملي، سواء للوصول إلى جزر التوابل، أم لألعاب الصيد الكبيرة. وحتى رحلات ديفيس، وفروبيشر، وهudson، وبافن، في السعي إلى الممر الشماليّ الغربي، ومن قبلهم بارنتز، بحثاً عن ممرّ الشمال الشرقيّ، كانت كلّها في الواقع سعيّاً إلى تحقيق الغايات التجارية. ولم يبدأ عصر الاكتشاف العلميّ البحث إلا مع القبطان جيمس كوك، بالرغم من أنه - من الإنصاف - أن نحدّد هذا التصريح بملاحظة أن البعثة الروسية، بقيادة بيرينغ، والتي أشرنا إليها سابقاً، قد صدر بشأنها أمرٌ من قبل بطرس الأكبر، لتحديد مشكلةٍ جغرافية بشكل دقيق. ومع ذلك، لا ريب في أن لديها صلات بالطموحات الروسية. لقد ساهم «بيرينغ» و«كوك»، كما سبق أن رأينا، في حلّ مشكلة العلاقات القائمة بين نهايتيّ قارّتيّ آسيا وأمريكا.. ولكن ما الذي تبقى من اليابسة داخل الدائرة القطبية الشمالية؟ كانت هذه المشكلة هي التي كرّس الباحثون جهودهم في القرن التاسع عشر لحلّها، ونجحوا بشكلٍ تقريبيّ جداً في ذلك. وبالنسبة إلى الدائرة القطبية الشمالية، لدينا الآن خرائط تظهر فقط الفراغات على بضعة آلافٍ من الأمتار المربعة.

تمّ اكتساب هذه المعرفة ببطءٍ تدريجيّ، وبممارسةٍ بطولية أكثر شجاعةً وقدرةً على التحمّل؛ بل هي بطولة البطولات التي كافح فيها حبّ المغامرة والحماسة للعلم معاً، وهزّما أهوال شتاء القطب الشماليّ،

وظلام الستة أشهر في الصمت والعُزلة، والبرد المفرط، ومخاطر المجاعة. فمن المستحيل هنا أن نذهب إلى كل التفاصيل التي جعلت حكاية الرحلات القطبية الشمالية واحدةً من أكثر المؤثرات في تاريخ البشرية. كل ما يهمنا هنا هو كمية المعرفة الجديدة التي عادت بها الحملات المتعاقبة داخل الدائرة القطبية الشمالية.

هذه المنطقة من سطح الأرض تتميز بعددٍ من الجزر الكبيرة، في النصف الشرقي من الكرة، ولقد اكتُشف معظمها في وقتٍ مبكر. لقد رأينا كيف نزل الإسكندنافيون واستقروا في غرينلاند، في وقتٍ مبكرٍ من القرن العاشر. وكان المستكشف (بورو Burrough) <sup>(1)</sup> قد شاهد جزيرة (نوفأ زيمبلا Nova Zembla) <sup>(2)</sup> في العام (1556 ميلادي)، في إحدى رحلاته بحثاً عن الممر الشمالي الشرقي، بالرغم من أن الاسم نفسه (Russian for Newfoundland) يعني أنه قد سبقت رؤيتها من قبل البحارة الروس. ويعود السبق إلى المستكشف بارينتز في رؤية جزيرة سبيتسيرغن؛ وأصبحت الجزر العديدة في شمال سيبيريا معروفةً من خلال التحقيقات الروسية من قبل المستكشفين (ديشينييف Discheneff) <sup>(3)</sup>، وويرينغ، ومن تلاهما. في حين أن الشبكة المعقدة للجزر، في شمال قارة أمريكا الشمالية، قد تم العمل بها ببطء، أثناء البحث عن الممر الشمالي الغربي. والواقع أن السعي إلى تحقيق هذه الإرادة، من ذهاب وإياب، لمعظم الاكتشافات في الدائرة القطبية، قد أوجدت دافعاً عاماً لاستكشاف القطب الشمالي.

ومن خلال محاولةٍ جديدة، بعد هذا البحث، يبدأ التاريخ الحديث للاستكشاف في القطب الشمالي. في العام (1818 ميلادي) أُرسِلَت بعثتان تحت سلطة السير جوزيف بانكس، للبحث عن ممر الشمال الغربي، ومحاولة الوصول إلى القطب، وكان ذلك هو الهدف الأول للمستكشف (جون روس John Ross) <sup>(4)</sup> في السفينة (إيزابيلا)، والمستكشف (ويليام

إدوارد باري (William Edward Parry)<sup>(5)</sup> في السفينة (الإسكندر)، بينما، في الاستكشاف القطبي، أبحر (جون فرانكلين John Franklin)<sup>(6)</sup> في السفينة (ترينت)، وقد فشلت كلا البعثتين، بالرغم من تأكيد اكتشافات روس وباري لجزيرة (بافن Baffin)<sup>(7)</sup>. ومع ذلك، أرسلت بعثتان بعد ستين، لمحاولة العثور على ممر الشمال الغربي، إحداهما عن طريق البر، تحت إمرة فرانكلين، والأخرى عن طريق البحر، تحت إمرة باري. نجح باري في الوصول إلى منتصف الطريق عبر قمة أمريكا الشمالية، واكتشف الأرخيل المسمى باسمه، وبلغ خط الطول (114°) غرباً، وبذلك حصل على جائزة قيمتها (5000 جنيه إسترليني)، قدّماها البرلمان البريطاني لأول بحارٍ يبحر غرب خط الزوال المغناطيسي (110). إلا أنه توقف فجأةً عند أرض بانكس، في حين لو كان قد تعرّف على المضيق، لاستطاع استكمال الممر الشمالي الغربي، حيث كان، في ذلك الوقت، قد أُغلق بالجليد. وفي رحلتين متتاليتين، في العامين (1822 و 1824 ميلادي)، زاد باري من المعرفة التفصيلية للسواحل التي اكتشفها سابقاً، لكنه فشل في الوصول إلى أقصى الغرب، كما فعل في رحلته الأولى، مما ثبط محاولات الحكومة للاستكشاف إلى حدٍّ ما، وتمّ في العام (1829 ميلادي)، تجهيز البعثة المقبلة، من قبل السيد (فيليكس بوث Mr. Felix Booth)<sup>(8)</sup>، شريف لندن، الذي أرسل السفينة البخارية ذات المجاديف (فيكتوري Victory)، بقيادة المستكشف جون روس، فاكتشف الأرض المعروفة باسم (بوثيا فيليكس Boothia Felix)<sup>(9)</sup>، وأثبت ابن أخيه (جيمس كلارك روس James Clark Ross)<sup>(10)</sup>، أنها تنتمي إلى البرّ الرئيس لأمريكا، إذ أبحر على طول الساحل، حتى وصل إلى الرأس (كيب فرانكلين Cape Franklin)<sup>(11)</sup>، إلى جانب تحديده الموقع الدقيق للقطب المغناطيسي الشمالي في الرأس (كيب أديلايد Cape Adelaide)<sup>(12)</sup>، على بوثيا فيليكس. بعد مرور خمس سنوات داخل الدائرة القطبية الشمالية، اضطر روس ورفاقه

إلى التخلي عن السفينة فيكتوريا، واتفقوا مع سفينة لصيد الحيتان لإعادتهم إلى الوطن.

يجب أن نعود الآن إلى فرانكلين الذي، كما رأينا، جرى إرساله من قبل قوات الأدميرالية البحرية، لوضع الخطوط العريضة للساحل الشمالي لأمريكا. نقطتان فقط من النقاط التي تمّ تحديدها، ومصب نهر كبرمين وماكنزي، جرى اكتشافها على التوالي من قبل هيرن وماكنزي. ولم يأت العام (1821 ميلادي) حتى كان فرانكلين قادراً على الخروج من مصب نهر كبرمين شرقاً، في اثنين من الزوارق، وكان قد أبحر على طول، حتى وصل إلى النقطة المسماة من قبله بنقطة (تورناغن Turn-again)<sup>(13)</sup>. بحلول ذلك الوقت، لم يتبقّ في مخازن التموين من غذاء (البيميكان pemmican)<sup>(\*)</sup>، إلا ما يكفي لثلاثة أيام فقط، وكانوا، بكل صعوبة بالغة - مع اقتياتهم على نبات الأشنات وقصاصات الجلد المحمّص - قد تمكنوا من العودة إلى قاعدة عملياتهم في حصن المؤسسة. وبعد أربع سنوات، في العام (1825 ميلادي)، بدأ فرانكلين رحلة استكشافية أخرى، للهدف ذاته، وبدأ في هذا الوقت من مصب نهر ماكنزي، بإرسال أحد رفاقه، وهو (ريتشاردسون Richardson)<sup>(14)</sup>، للقيام بربط الساحل بين ماكنزي وكبرمين. في حين شرع هو نفسه غرباً، ليلتقي بالسفينة (بلوسوم Blossom) التي كانت تحت قيادة الكابتن (بيتشي Beechey)<sup>(15)</sup>، وقد أرسلت إلى مضيق بيرينغ لإعادة فريقه. كان ريتشاردسون ناجحاً تماماً في دراسة خط الساحل بين ماكنزي وكبرمين، لكن بيتشي، وبالرغم من نجاحه في الدوران حول (رأس الجليد Icy Cape)<sup>(16)</sup> وتبّع الساحل وصولاً

(\*) لحم البيميكان: كان من الأطعمة المشهورة عند الهنود الحمر سكان أمريكا الشمالية حيث يجهزونه من اللحوم المجففة للجاموس البري (البيزون) ومن لحوم الوعل. ويصنع البيميكان في الوقت الحاضر من اللحم البقري، ويعتمد عليه الرحالة والصيادون كطعام يتزودون به في رحلاتهم. (المترجم)

إلى (نقطة بارو Point Barrow)<sup>(17)</sup>، لم يصل إلى فرانكلين الذي كان قد أصبح في حدود (160 ميلاً) فقط، بسبب إعادة ثني أشعة السفينة. هذه الأميال المائة والستون، بالإضافة إلى (222 ميلاً)، تعترض ما بين الرأس ونقطة العودة مجدداً، ونقطة فرانكلين في أقصى الشرق من اليابسة، والرأس كيب فرانكلين.. أما نقطة جون روس، في أقصى الغرب، فقد حلّ بها بعد ذلك المستكشف (توماس سيمبسون Thomas Simpson)<sup>(18)</sup> في العام (1837 ميلادي)، بعد رحلة ساحلية في زوارق لمسافة (1408 ميل)، وهي تقف بمثابة سجلّ حتى يومنا هذا. في تلك الأثناء، تمّ اكتشاف (نهر السمك العظيم Great Fish River)<sup>(19)</sup> وتبعه حتى مصّبه، من قبل المستكشف (جورج باك C.J. Back)<sup>(20)</sup>، مرةً أخرى في العام (1833 ميلادي). وخلال رحلته إلى أسفل النهر، انكسر مجذاف بينما كان القارب يجري سريعاً، وبدأ أحد أفراد الطاقم يُصلي بصوتٍ مرتفع، فصرخ به القائد: «هل هذا وقتٌ للصلاة؟ اسحب مجذافك الأيمن؟!»

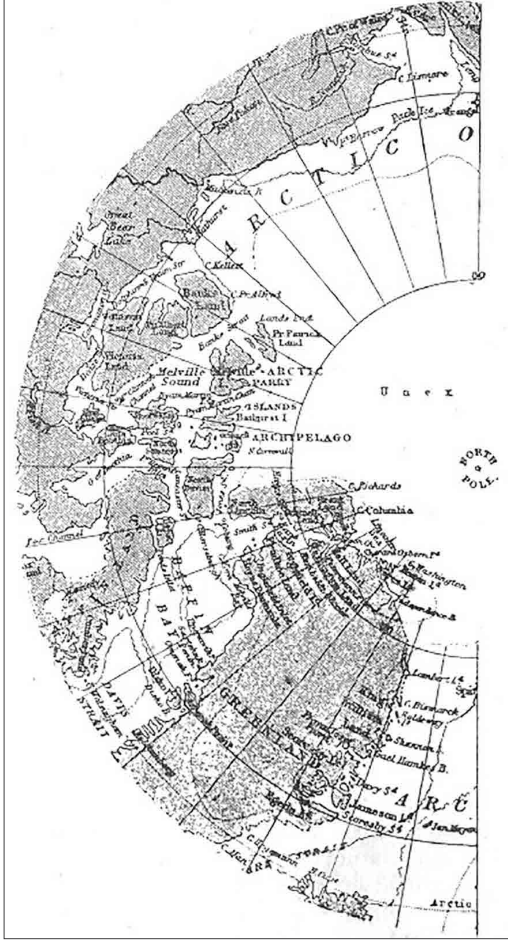
وفي الوقت نفسه، كان الاهتمام نحو القطب الجنوبي أكثر إثارةً للحماسة، وكذلك الأرض المحيطة به، والتي وجد كوك آثارها في بحثه عن القارة الأسترالية الأسطورية، وكان أقصى ما وصل إليه جنوباً عند النقطة (10، 71°)، عندما توقف فجأةً بسبب حاجزٍ جليدي ضخم. في الأعوام (1820-1823 ميلادي) زار المستكشف (ويديل Weddell)<sup>(21)</sup> جنوب أرخبيل (شتلاند Shetlands)<sup>(22)</sup>، وهي منطقة تقع جنوب الرأس كيب هورن، حيث وجد بركاناً نشطاً، وبالرغم من ذلك البرد القارس لتلك المنطقة، وصل حتى النقطة (74°) جنوباً، لكنه فشل في إيجاد اليابسة في تلك المنطقة. في العام (1839 ميلادي) اكتشف (باليني Balleny)<sup>(23)</sup> الجزر التي سُميت باسمه، مع بركانٍ بارتفاع اثني عشر ألف قدم، وآخر لا يزال نشطاً في جزيرة (باكل Buckle)<sup>(24)</sup>. في العام (1839 ميلادي) قامت بعثةٌ فرنسية، تحت إمرة المستكشف (دومون دي أورفيل Dumont d'Urville)<sup>(25)</sup>،

بزيارة واستكشاف جنوب أرخبيل جزر شتلاند مرةً أخرى؛ بينما اكتشف الكابتن (ويلكس Wilkes)<sup>(26)</sup>، التابع للبحرية الأمريكية، في العام التالي، الأرض التي سمّيت باسمه. لكن الاكتشاف الأكثر شهرةً في القارة القطبية الجنوبية، كان من قبل السير جيمس كلارك روس، الذي أرسلته الأميرالية في العام (1840 ميلادي) لتحديد القطب المغناطيسي الجنوبي، كما رأينا أنه قام باكتشافه من الشمال. ومع السفينتين (إريبوس Erebus) و(تيروور Terror) اكتشف أرض (فيكتوريا لاند Victoria Land)<sup>(27)</sup> والبركانين النشطين المسمّين باسم سفينتيه، وهما يسكبان الحمم الملهبة، وسط الثلج، وفي يناير (1842 ميلادي) وصل إلى أبعد نقطة في الجنوب، حوالي (76°). وبما أن محاولته من الجنوب قليلة، قام المستكشف (بورشغريشنيك C.E.Borchgrevink)<sup>(28)</sup> مرةً أخرى بزيارة فيكتوريا لاند، في شتاء العامين (1894-1895 ميلادي).

عند عودة السفينتين إريبوس وتيروور من البحار الجنوبية، وضعت الحكومة هاتين السفينتين تحت تصرف فرانكلين (الذي كان قد مُنح وسام الفارس لاكتشافاته السابقة). وفي 26 مايو (1845 ميلادي) بدأ رحلته مع مائة وتسعة وعشرين رجلاً على متن السفينتين اللتين تمّ تزويدهما بمؤنّ تكفي حتى يوليو/ تموز (1848 ميلادي). وقد شوهد آخر مرة من قبل سفينة لصيد الحيتان، في يوليو/ تموز 26 من العام السابق، في انتظار أن يمرّ عبر مضيق لانكستر. بعد أن نفذ شمالاً، حتى وصل (77°)، من خلال قناة (ويلينغتون Wellington)<sup>(29)</sup>، كان فرانكلين مُلزماً بقضاء الشتاء على جزيرة بيتشي. وفي العام التالي (سبتمبر/ أيلول 1846 ميلادي) كانت سفينته قد حوصرت بالجليد في مضيق فيكتوريا، على بعد حوالي اثني عشر ميلاً من أرض الملك ويليام. ولمعرفة مصيرهم، تمّ في العام التالي (1847 ميلادي) إرسال (جون راي John Rae)<sup>(30)</sup> عن طريق البرّ من الرأس (كيب ريبولز Cape Repulse)<sup>(31)</sup> في خليج هدسون،

حيث أبحر على طول الساحل الشرقي لجزيرة بوثيا، وبالتالي ربطت رحلاته بين سواحل روس وفرانكلين مع خليج هدسون. في الثامن عشر من أبريل / نيسان (1847 ميلادي) وصل جون راي إلى نقطة على بوثيا بأقل من (150 ميلاً) على الجانب الآخر من موقع فرانكلين. بعد أقل من شهرين، في الحادي عشر من شهر يونيو / حزيران، توفي فرانكلين على سفينة إريوس، إذ تمّ تزويد سفنه بمؤن تكفي حتى يوليو / تموز (1848 ميلادي) فقط،

وظلّت محاصرة طوال العام (1847 ميلادي). ترك القطبان (كروزييه Crozier)<sup>(32)</sup>، الذي انتقلت إليه قيادة الحملة، السفينة مع مائة وخمسة رجال من الناجين، في محاولة منه للوصول إلى نهر السمك للعودة. لقد كافح هؤلاء على طول الساحل الغربي لأرض الملك ويليام، لكنهم فشلوا في الوصول إلى وجهتهم. فالمرض، والموت جوعاً، قللاً تدريجياً من عددهم. وكانت امرأة عجوز من الإسكيمو، قد شاهدت الموكب الكئيب، فأخبرت القطبان (مكلينتوك McClintock)<sup>(33)</sup> أنهم كانوا يتساقطون موتى أثناء سيرهم.



منطقة الشمال القطبي.. النصف الغربي



وبحلول ذلك الوقت، كان قلقٌ كبيرٌ قد أثاره عدم ورود أيّ خبر عن طاقم فرانكلين. أُرسِل ريتشاردسون وجون راي عن طريق البرّ، في العام (1848 ميلادي)، في حين أُرسلت سفيتان في محاولةٍ للوصول إلى فرانكلين من خلال مضيق بيرينغ، واثنان أخريان، (إنفيسيتغاتور Investigator) و(إنتربرايز Enterprise)، تحت إمرة المستكشف جيمس كلارك روس، من خلال خليج بافن. وصل راي إلى الساحل الشرقي لأرض فيكتوريا، في غضون حوالي خمسين ميلاً من المكان الذي تم فيه التخلي عن سفيتي فرانكلين؛ لكنه - حتى في حملته الثانية عن طريق البر، والتي بدأت في العام (1853 ميلادي) - لم يحصل على أية أخبار. بعد فصل الشتاء في خليج (ليدي بيلي Lady Pelly)<sup>(34)</sup>، في 20 أبريل/ نيسان (1854 ميلادي)، التقى جون راي بشابّ من الإسكيمو، أخبره أنه، قبل أربع سنوات، شاهد أربعين رجلاً من الرجال البيض، يسحبون قارباً إلى الجنوب على الشاطئ الغربي من أرض الملك ويليام. وبعد بضعة أشهر، تمّ العثور على جثث ثلاثين من هؤلاء الرجال من قبل الإسكيمو، وجرى التأكد من هويتهم، عن طريق الشارة الفضية لفرانكلين. استمرت عمليات البحث الأخرى عن طريق البرّ حتى العام (1879 ميلادي)، عندما اكتشف الملازم (فردريك شواتكا F.Schwatka)<sup>(35)</sup> من جيش الولايات المتحدة، عدداً من المقابر والهياكل العظمية لبعثة فرانكلين.

ولم تنجح كلا المحاولتين - عن طريق البحر من المحيط الأطلسي، ومن قاعدة المحيط الهادئ في العام (1848 ميلادي) - في الحصول على أية أخبار عن الحملة. وفي عام (1850 ميلادي)، تم إرسال السفيتين إنتربرايز وإنفيسيتغاتور، اللتين كانتا قد حاولتا في السابق الوصول إلى فرانكلين من الشرق، وهذه المرة تحت قيادة الكابتن (ريتشارد كولنسون Richard Collinson)<sup>(36)</sup> والقبطان مكلور، لمحاولة البحث من الغرب عبر مضيق بيرينغ. وعندما تولى الكابتن مكلور قيادة السفينة إنفيسيتغاتور،

لم ينتظر كولينسون، كما كان موجهاً، بل اندفع واكتشفت أرض بانكس، وأصبح محاصراً بالجليد في مضيق الأمير ويلز. في شتاء (1850-1851 ميلادي) سعى دون جدوى لشق طريقه من هذا المضيق إلى داخل مضيق (باري Parry)<sup>(37)</sup>، لكنه، في أغسطس وسبتمبر من العام (1851 ميلادي)، تمكن من الدوران حول ساحل أرض بانكس إلى أقصى نقطة في الشمال الغربي، ثم نجح في المرور عبر المضيق المسمى باسمه، مكلور، ووصل إلى مضيق بارو، وهكذا قدّم لأول مرة ممر الشمال الغربي، بالرغم من أنه لم يكن، حتى العام (1853 ميلادي)، قد تمّ التخلي عن السفينة إنفيسيتيغاتور. ثم قام كولينسون، في السفينة إنتربرايز، بمتابعة مكلور عن كثب، مع أنه لم يصل إليه قط، وحاول الدوران حول أرض الأمير (ألبرت Prince Albert Land)<sup>(38)</sup> من الجنوب عبر مضيق (الدولفين Dolphin)<sup>(39)</sup>، ووصل بسفنه إلى خليج (كامبردج Cambridge)<sup>(40)</sup> في نقطة أقرب من كلّ بعثات فرانكلين، واضطر إلى العودة غرباً، والوصول إلى إنجلترا في العام (1855 ميلادي)، بعد غيابٍ دام خمس سنوات وأربعة أشهر.

ومن الشرق، حاولت أكثر من عشر سفن البحث بحراً عن فرانكلين، في العام (1851 ميلادي)، واشتملت على بعثتين بحريتين، واحدة خاصة بالإنجليز وهدفهم، والحكومة الأمريكية مجتمعةً مع فريق خاص، جنباً إلى جنب مع سفينة وُضِعَتْ بتفويضٍ من إخلاص الزوجية الصادق للسيدة فرانكلين. كلّ هؤلاء حاولوا البحث عن مضيق لانكستر، حيث كان آخر مكانٍ شوهد فيه فرانكلين، ونجحوا في العثور على ثلاثة قبور فقط للرجال الذين لقوا حتفهم في مرحلة مبكرة، وكانوا قد دُفِنوا في جزيرة بيتشي. ووجهت مجموعة أخرى من أربع سفن تحت قيادة السير (إدوارد بلتشر Edward Belcher)<sup>(41)</sup> في العام (1852 ميلادي)، كانت محظوظة بما فيه الكفاية للوصول إلى مكلور في السنة التالية، ومكنته من استكمال الممر الشمالي الغربي، وبموجبه حصل على مكافأة قدرها (10000 جنيه

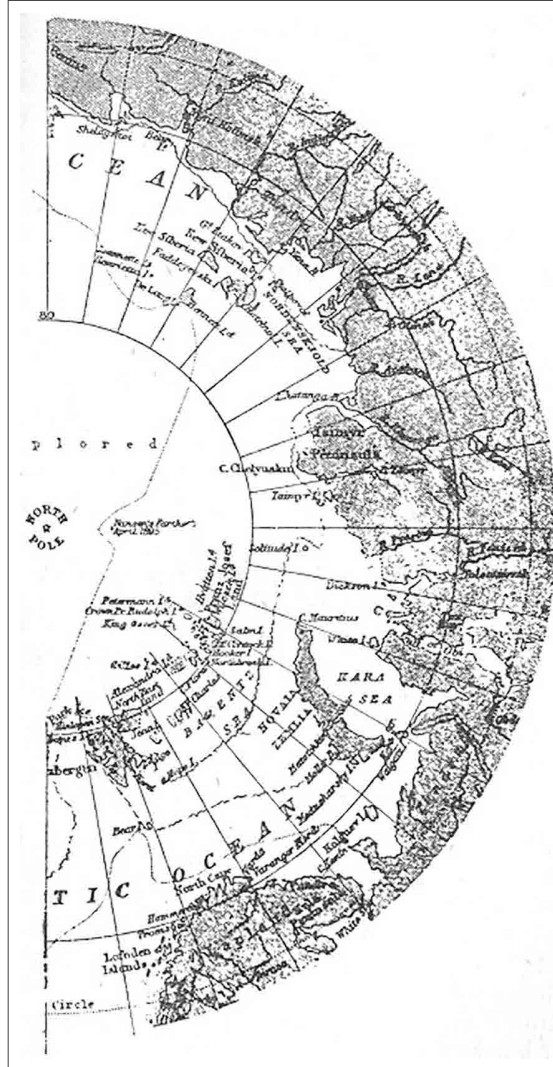
إسترليني) كانت قد عُرِضت من قِبل البرلمان في العام (1763 ميلادي). لكن بيلشر كان مضطراً للتخلي عن معظم سفنه، إحداها ريسولوت التي انجرفت على مدى ألف ميل وبعد أن تم استردادها من قِبل سفن صيد الحيتان الأمريكية، جرى إصلاحها من قِبل الولايات المتحدة، وتقديمها للملكة وشعب بريطانيا العظمى.

وبالرغم من كل هذه الجهود، لم يتم اكتشاف مصير فرانكلين بعد، مع أن الدكتور جون راي، كما رأينا، قد تأكد عملياً من مصيرهم الرهيب. بيد أن زوجته، السيدة فرانكلين، لم تكن راضيةً عن هذه المعلومات الغامضة، وقالت إنها مصممةٌ على تجهيز حملةٍ أخرى، وإن كان قد تم إنفاق أكثر من (35 000 جنيه إسترليني) بوسائل خاصة، معظمها من ثروتها الشخصية. وفي العام (1857 ميلادي)، تم إرسال اليخت البخاري فوكس، تحت قيادة القبطان مكلينتوك الذي كان قد أظهر نفسه فعلاً على أنه الأكثر قدرةً على العمل بالزلاجة، كما أنه شيد نصباً تذكاريّاً لحملة فرانكلين في جزيرة بيتشي، في العام (1858 ميلادي)، ثم تبّع مضيق (بيل Peel)<sup>(42)</sup>، وقام باستفساراتٍ من المواطنين خلال فصل الشتاء، في العامين (1858-1859 ميلادي)، وهذا قاده بدوره للبحث عن أرض الملك ويليام، حيث - في الخامس والعشرين من مايو/ أيار - عثر على هيكل عظمي بشري أبيض مُلقًى على وجهه، تبين أنه لرجل قد مات أثناء سيره. وفي الوقت نفسه، اكتشف (هوبسون Hobson)<sup>(43)</sup>، وهو أحد رفاقه، سجلاً لبعثة فرانكلين، جاء فيه باختصار تاريخها بين (1845) و(1848 ميلادي). ومع هذه المعلومات المؤكدة عن مصير بعثة فرانكلين، عاد مكلينتوك إلى إنجلترا في العام (1859 ميلادي)، بعد أن نجح في حلّ مصير فرانكلين الغامض، في حين قام باستكشاف أكثر من (800 ميل) من خط الساحل في أرض الملك ويليام.

ونتيجةً لذلك، كانت حملات فرانكلين المختلفة قد رسمت الشبكة المعقدة للجزر المنتشرة في شمال أمريكا الشمالية، ومع ذلك، لم يصل أيٌّ منها إلى أبعد من (75° شمالاً).

مضيق سميث هو محط الأمل الوحيد المؤدي إلى الشمال الموازي لخط العرض (80°)، وقد تم اكتشاف هذا في وقتٍ مُبكرٍ، من قبل بافن في العام (1616 ميلادي)، والذي تجاوزه المستكشف (إنغلفيلد Inglefield)<sup>(44)</sup> بأبعد من أربعين ميلاً فقط، في العام (1852 ميلادي)، في سفينة إيزابيل، وهي واحدة من السفن التي تم إرسالها بحثاً عن فرانكلين في أقصى الشمال. وبرفقته، تابعه الطبيب (كين Kane)<sup>(45)</sup> في المقدمة، في الحملة التي تم تمويلها العام (1853 ميلادي) من قبل اثنين من المواطنين الأمريكيين، هما (غرينيل Grinnell)<sup>(46)</sup> و(بيودي Peabody)<sup>(47)</sup>. شقَّ كين طريقه من خلال مضيق سميث وقناة روبسون في البحر المسمّى باسمه. ولمدة سنتين، واصل تفتيش (أرض غرينيل Grinnell Land)<sup>(48)</sup> والسواحل المجاورة لغرينلاند. التحقيقات اللاحقة كانت من قبل المستكشف (هايز Hayes)<sup>(49)</sup> في العام (1860 ميلادي)، وبعد عشر سنوات، استمر الاهتمام بمضيق سميث والمناطق المجاورة له. وفي العام (1873 ميلادي) أرسلت ثلاث سفن تحت قيادة القطبان (ناريس Nares)<sup>(50)</sup> (تلاه السير جورج)، الذي أنهى تقريباً استطلاع أرض غرينيل، فيما نجح أحد مساعديه، وهو الملازم (بيلهام ألدريتش Pelham Aldrich)<sup>(51)</sup>، في الوصول إلى النقطة (48, 82° شمالاً). وفي الوقت نفسه تقريباً، انطلقت حملة تحت قيادة المستكشفين النمساويين (باير Payer)<sup>(52)</sup> و(ويريشت Weyprecht)<sup>(53)</sup> اللذين قاما باستكشاف الأرض المرتفعة، في أقصى الشرق، وأطلقا عليها اسم (فرانز جوزيف لاند Franz Josef Land)<sup>(54)</sup>، على اسم الإمبراطور النمساوي.

النجاح الذي حققه البروفيسور نوردنسكيولد (أصبح باروناً فيما بعد)، أثار الاهتمام المتزامن بالمناطق الشمالية، حيث قام بسبع أو ثمان رحلات في مناطق القطب الشمالي، بين العامين (1858 و 1870 ميلادي) في استغلال ممر الشمال الشرقي. وقد أكد لأول مرة إمكانية الانتقال من النرويج إلى مصب نهر (ينيسي



منطقة الشمال القطبي.. الجزء الشرقي

(Yenesei)<sup>(55)</sup> في فصل الصيف، ما أدى إلى القيام برحلتين، في العامين (1875-1876 ميلادي). ومنذ ذلك الحين، جرت متابعة هذه المسألة لأغراض تجارية من قبل القبطان (ويغينز Wiggins)<sup>(56)</sup> الذي كثيراً ما تنقل من إنجلترا إلى مصب نهر ينيسي، في سفينة تجارية. وبما أن سيبيريا في تطور ملحوظ، فلا مجال للشك في أن هذا الطريق سيصبح ذا أهمية تجارية متزايدة. غير أن المرور السهل إلى ينيسي، شجّع البروفيسور نوردنسكيولد، فعزم على محاولة القيام بجولة في مضيق بيرينج من تلك النقطة. وفي العام (1878 ميلادي) بدأ رحلته على متن السفينة البخارية

(فيغا Vega)، ترافقه كل من السفينة (لينا Lena)، والسفينة (كولير collier) لتزويده بالفحم. وفي التاسع عشر من شهر أغسطس / آب، اجتازوا الرأس كيب (تشيليوسكين Chelyuskin)<sup>(57)</sup>، وهو نقطة في أقصى الشمال من العالم القديم. ومن هنا حولت السفينة لينا مسارها بشكل مناسب إلى مصب يحمل اسمها، في حين شرعت السفينة فيغا بمسارها، ووصلت في الثاني عشر من سبتمبر / أيلول إلى الرأس (كيب نورث Cape North)<sup>(58)</sup>، ضمن (120 ميلاً) من مضيق بيرينغ. وكان القطبان كوك قد وصل إلى هذا الرأس من الشرق، في العام (1778 ميلادي). ولسوء الحظ، تراكم الجليد بشكل كثيف، بحيث لم يعد بإمكانهم التقدم، وكان عليهم أن يبقوا في هذا الوضع الحرج لمدة لا تقل عن عشرة أشهر. وفي الثامن عشر من شهر يوليو / تموز العام (1879 ميلادي) تفكك الجليد، وبعد ذلك بيومين اقتربت السفينة فيغا من خليج الرأس الشرقي، مع إطلاق الألعاب النارية، تحيةً للساحل الشرقي لآسيا، وتكريماً لاستكمال ممر الشمال الشرقي. ومنذ ذلك الحين، تمتع البارون نوردنسكيولد بوقت الفراغ الذي حصل عليه بعد عمله الشاق في الشمال، واستغلّه بدراسة ونشر تاريخ فنّ رسم الخرائط في وقت مبكر، فأصدر أطلسين قيّمين، يحتويان على صور طبق الأصل للخرائط والرسوم البيانية في العصور الوسطى.

ومن ثم، فإنّ الاهتمام العام الذي أثير مرةً أخرى عن التنقيب في القطب الشمالي، أدى إلى بذل جهدٍ موحّدٍ لجميع الدول المتحضرة، للتحقيق في ظروف المناطق القطبية. وتمّ عقد مؤتمر قطبي دولي في هامبورغ، في العام (1879 ميلادي)، تقرر فيه أن يُحاط القطب الشمالي، منذ الأعوام (1882-1883 ميلادي) بمحطاتٍ للرصد العلمي، تهدف إلى دراسة أوضاعه وظروفه. وتمّ إرسال ما لا يقل عن خمس عشرة بعثةً إليه، بعضها إلى المناطق القطبية الجنوبية، لكن معظمها حول القطب الشمالي، وهدفها كان الحفاظ على مصلحة الجغرافيا الطبيعية، أكثر من تعزيز مصلحة

الاكتشاف الجغرافي؛ لكنّ واحدةً من البعثات، وكانت من قبل الولايات المتحدة، تحت قيادة الملازم (غريلي A.W.Greely)<sup>(59)</sup>، تناولت مرةً أخرى دراسة مضيق سميث ومنافذه، ونجح أحد رجالها، وهو الملازم (لوكوود Lockwood)<sup>(60)</sup>، في الوصول إلى النقطة (24, 83°) شمالاً، في غضون (450 ميلاً) من القطب. وحتى ذلك الوقت، كانت تعتبر أبعد نقطة في الشمال استطاع أيّ إنسان الوصول إليها، ولقد نجحت حملة غريلي أيضاً في إظهار أنّ غرينلاند لم تكن مغطاةً بالجليد، بل محاطة به.

حتى الآن، كانت الطريقة العالمية التي تمّت من خلالها الاكتشافات في المناطق القطبية، هي إنشاء قاعدة يتمّ فيها تخزين كمية كافية من الطعام، ثم الإنطلاق في أيّ اتجاه مطلوب، إلى أقصى حدٍّ ممكن، وترك مخابئ متتالية تتمّ العودة إليها عندما تنفذ المؤن فجأة، أثناء التقدم في رحلة. ولكن في العام (1888 ميلادي)، صمّم الدكتور (فريدجوف نانسن Fridjof Nansen)<sup>(61)</sup> على القيام بطريقة أكثر جرأة، للتحقق من المناطق الداخلية لغرينلاند. فلقد نزل على الساحل الشرقي، حيث لم يكن من وجود للسكان، وبدأ بعبور غرينلاند، وكانت حياته مُعتمدةً على نجاح رحلته، لأنه لم يتخذ أيّ احتياطات في العمق، ولن يكون من جدوى في العودة. لكنه نجح في محاولته بكل براعة، وأعقبت عمله البطولي هذا محاولتان متتاليتان من الملازم (بيري Peary)<sup>(62)</sup> في العامين (1892-1895 ميلادي)، والذي نجح في عبور غرينلاند عند خط عرض أعلى من ذلك بكثير، وحتى من الدكتور نانسن.

نجاح الخطة الجريئة شجع الدكتور نانسن على إجراء محاولةٍ أخرى أكثر جرأة، إذ بات مقتنعاً، من خلال التحقيقات التي أجرتها المراسد القطبية الدولية للعامين (1882-1883 ميلادي)، بوجود انجرافٍ متواصل للجليد، عبر المحيط المتجمّد الشمالي، من الشاطئ الشمالي



الشرقي لسييريا. وقد أكد بهذا الرأي، حقيقة عثوره على حطام السفينة جانيث، وهي سفينة تركت في العام (1881 ميلادي) قبالة ساحل سييريا، وانجرفت عبر الساحل الشرقي لغرينلاند بحلول العام (1884 ميلادي). وكانت لديه سفينة بُنيت خصيصاً له، هي السفينة الشهيرة (فرام Fram)<sup>(63)</sup>، المصممة خصيصاً لمقاومة الضغط الجليدي. حتى الآن، كان الهدف الرئيس للمستكشفين في القطب الشمالي، تجنب المحاصرة في الجليد، ومحاولة التسلل حول شواطئ اليابسة.

وكان الدكتور نانسن مقتنعاً أنه يمكنه أن يحقق أفضل أهدافه، عن طريق تجاهله هذه القوانين بجرأة، وثقته في الانجراف الجليدي لينقله إلى القرب من القطب. وقد حَمَّنَ بأن الانجراف سيستغرق نحو ثلاث سنوات، فقام بتزويد السفينة فرام بالمؤن الكافية لخمس سنوات؛ وأكدت نتائج رحلته المغامرة بكل دقة، نجاح خطته الرائعة، بالرغم من أنها رُفِضَتْ بكل ازدراءٍ في الكثير من الأوساط، عندما أعلن عنها لأول مرة. وكان الانجراف الجليدي قد حمله عبر البحر القطبي في غضون السنوات الثلاث التي



سَلَمُ القطب الشمالي



كان قد حدّدها كمدةٍ محتملةٍ لرحلته، لكنه وجد أنّ الانجراف لن يحمله إلى أقصى الشمال، فغادر السفينة فرام مع رفيقٍ له، وتقدّم مباشرةً نحو القطب، ووصل في أبريل / نيسان من العام (1895 ميلادي) إلى أقصى الشمال، عند النقطة (14, 86°)، في غضون ما يقرب من (200 ميل) من القطب. في رحلة عودته، كان محظوظاً جداً لمصادفته المستكشف السيد (فريدريك جاكسون Mr.F.Jackson)<sup>(64)</sup>، قائد السفينة (وايندوارد Windward) الذي استقر في العام (1894 ميلادي) على أرض فرانس جوزيف لاند. مناسبة اللقاء بين المستكشفين الباسلين تحاكي مناسبة اللقاء الشهير الذي حدث بين ستانلي وليفينغستون، وسط ظروف المناخ المعاكسة تماماً.

في الوقت الحاضر، فإنّ رحلة نانسن هي الإنجاز النهائي للاستكشاف في القطب الشمالي، ولكن بقي للمستكشف (آنديريه Andrée)<sup>(65)</sup> اتباع قاعدتها بطريقته في استكشاف غرينلاند، فبدأ في خريف العام (1897 ميلادي) رحلةً إلى القطب على متن منطادٍ تمّ تزويده بالمؤن للبقاء لفترةٍ طويلة في المناطق القطبية الشمالية، إنما لم يُسمع عنه شيء لفترة الاثني عشر شهراً التالية لرحلته. ولكن، بعد سابقة الدكتور نانسن، لم يعد يوجد من سببٍ للخوف على السلامة، وقد يكون العام الحالي (1896) شهد عودته بعد نجاحه في تنفيذ واحدةٍ من الأهداف العظيمة للاكتشاف الجغرافي. فمن الغريب أنّ اهتمام العالم ينبغي أن يكون حالياً موجهاً إلى المناطق القطبية الشمالية للدافعين المتعاكسين اللذين يمكن تسميتهما: شهوة الذهب والتعطش إلى المعرفة والشرف.

[Authorities: Greely, Handbook of Arctic Discoveries, 1896].

## (هوامش الفصل الثاني عشر)

- (1) ستيفن بورو Steven Borrough (25 سبتمبر 1525م - 12 يوليو 1584م): ملاح إنجليزي، ولد في نورثام- ديفون. شارك كقبطان في الحملة التي أرسلت من نهر التايمز تحت إمرة السير «هيو ويلوغبي»، للبحث عن الممر الشمالي إلى كاثي والهند، وفصلته عاصفة عن الحملة، فواصل رحلته لوحده، مبحراً في البحر الأبيض المتوسط، وعلى حد تعبيره «اكتشف موسكويا من قبل البحر الشمالي المؤدي إلى سانت نيكولاس (الملائكة)». في رحلة ثانية، في العام 1556م، اكتشف مضيق كارا، بين نوفايا زيمليا وجزيرة فايغاش. وخلال هذه الحملة جمع أيضاً أقدم الوثائق المعروفة للغة السامية، في العام 1557م؛ تمّ نشر قائمة الكلمات من قبل ريتشارد هاكلويت.
- (2) جزيرة نوفا زيمبلا Nova Zembla أو (الأرض الجديدة): جزيرة غير مأهولة في منطقة كيكتالوك، في نونافوت- كندا، تقع في خليج بافن، قبالة الساحل الشمالي الشرقي من جزيرة بافن. محيط الجزيرة هو 4,7 كلم (6,4 أميال).
- (3) سيميون ايفانوفيتش ديزنيث Semyon Ivanovich Dezhnev (1605م - 1673م): مُستكشف ومُستعمر روسي لسيبيريا، وأول أوروبي يبحر عبر مضيق بيرينغ، قبل 80 عاماً من رحلة فيتوس بيرينغ. في العام 1648م أبحر من نهر كوليماء، على المحيط المتجمد الشمالي، إلى نهر أنادير في المحيط الهادئ، ولكن تمّ تجاهله لمدة مائة عام كمكتشف أول لهذا المضيق الذي نُسب إلى بيرينغ.
- (4) السير جون روس Sir John Ross (24 يونيو 1777م - 30 أغسطس 1856م): مُستكشف ومُستعمر وضابط في البحرية البريطانية التي اتجهت نحو القطب الشمالي في البحث عن الممر الشمالي الغربي، والممر المائي في أمريكا الشمالية الذي يربط المحيطين الأطلسي والهادئ. أبحر في رحلته الثانية إلى ما يعرف الآن بأقاليم شمال غرب كندا (1829-1833م)، واكتشف شبه جزيرة بوثيا، وجزيرة الملك ويليام، وخليج بوثيا. خلال رحلة في العام 1831م، ابن أخيه جيمس كلارك روس يقطع القطب المغناطيسي، وفي العام التالي تحطمت سفينته على الجليد. تمّ إنقاذ جون روس ورجاله من قبل حوت في صيف 1833م، وعاد إلى إنجلترا. عمل كقنصل بريطاني في ستوكهولم من 1839 إلى 1846م، وقام في العام 1850م برحلة ثالثة وفاشلة إلى القطب الشمالي في أمريكا الشمالية، بحثاً عن المُستكشف المفقود السير جون فرانكلين. أصبح نائباً في العام 1834م، ثم أدميراً في العام 1851م، ونشر عدداً من الأعمال، بما في ذلك سردٌ لرحلته الثانية في البحث عن الممر الشمالي الغربي (1835م).

- (5) اللواء البحري السير ويليام إدوارد بارى **Rear Admiral Sir William Edward Parry** (19 ديسمبر 1790م - 8 أو 9 يوليو 1855م): كان أدميرالاً في الولايات المتحدة الأمريكية، ومُستكشف القطب الشمالي. كانت رحلته في العام 1819م من خلال قناة بارى هي الأكثر نجاحاً في البحث الطويل عن الممر الشمالي الغربي. في العام 1827م قام بمحاولة واحدة من أولى البعثات إلى القطب الشمالي، فوصل إلى  $82^\circ 45'$  شمال خط العرض، ووضع سجل التنقيب البشري في أقصى الشمال الذي وقف منذ ما يقرب من خمسة عقود، قبل أن يتم تجاوزها في  $83^\circ 26'20''$  من قبل ألبرت هاستينغز ماركهام (1875-1876م).
- (6) اللواء البحري السير جون فرانكلين **Rear-Admiral Sir John Franklin** (16 أبريل 1786م - 11 يونيو 1847م): ضابط في البحرية الملكية الإنجليزية ومستكشف في القطب الشمالي. كذلك شغل فرانكلين منصب نائب حاكم فان ديمين لاند (الآن تاسمانيا) من 1837 إلى 1843م. اختفى في مهمته الأخيرة، في محاولته رسم والتنقل في جزء من الممر الشمالي الغربي للقطب الشمالي الكندي. حوصرت سفنه بالجليد، ولقي أفراد الطاقم بكامله حتفهم من الجوع وانخفاض حرارة الجسم، والسل، والتسمم بالرصاص، والأسقربوط.
- (7) جزيرة بافن **Baffin**: تقع في الأراضي الكندية نونافوت، وهي أكبر جزيرة في كندا وخامس أكبر جزيرة في العالم. تبلغ مساحتها 451 507 كلم<sup>2</sup> (195928 ميلاً مربعاً). سميت على اسم المستكشف الإنجليزي ويليام بافين، ومن المرجح أنها كانت معروفة للمستكشفين ما قبل كولومبوس.
- (8) السير فيليكس بوث، البارونيت الأول **Sir Felix Booth** (1775م - 24 يناير 1850م): من الرجال الأغنياء الموسرين في إنجلترا، روج لاستكشاف في القطب الشمالي، ومن ثم قام بالترويج لاستكشاف كندا.
- (9) شبه جزيرة بوثيا **Boothia Felix** (تسمى سابقاً بوثيا فيليكس): شبه جزيرة كبيرة في شمال القطب الشمالي الكندي نونافوت، جنوب جزيرة سومرست.
- (10) السير جيمس كلارك روس **Sir James Clark Ross** (15 أبريل 1800م - 3 أبريل 1862م): ضابط في البحرية البريطانية، مُستعمر ومُستكشف، قام باستكشاف القطب الشمالي مع عمه السير جون روس والسير ويليام بارى، وعلى وجه الخصوص بعثته الخاصة إلى أنتاركتيكا.
- (11) الرأس كيب فرانكلين **Cape Franklin**: أرض في مقاطعة نونافوت الكندية، في الجزء الأوسط من البلاد، 3200 كلم من العاصمة أوتاوا شمال غرب البلاد. تجدر الإشارة إلى أنه توجد أرض أخرى بالاسم نفسه في غرينلاند، ضمن مملكة الدانمارك، تقع في الجزء الشرقي من غرينلاند، 1500 كلم شمال شرق العاصمة نوك.
- (12) الرأس كيب أديلاید **Cape Adelaide**: هو الرأس الذي يقع ضمن شبه جزيرة بوثيا.
- (13) نقطة تورناغين، أو العودة مجدداً **Turn-again**: لسانٌ بحري وممرٌ مائي في الجزء

الشمالي الغربي من خليج ألaska، واحد من اثنين من الفروع الضيقة في الطرف الشمالي من مدخل كوك، وهو الآن ما يُعرف بشبه جزيرة (كنت Kent)، وهي شبه جزيرة كبيرة محاطة بالماء تماماً، في شمال القطب الشمالي شمال نونافوت، وأشار إليها المستكشفون الأوائل بنقط تورناغين.

(14) السير جون ريتشاردسون Sir John Richardson (5 نوفمبر 1787م - 5 يونيو 1865م): جراح اسكتلندي، عالم طبيعة ومُستكشف في القطب الشمالي، ولد في دومفريس، درس الطب في جامعة أدنبره، وأصبح جراحاً في البحرية العام 1807م. سافر مع جون فرانكلين بحثاً عن ممر الشمال الغربي على بعثة كوبرمين (1819-1822م). دُون ريتشاردسون أقساماً عن الجيولوجيا، وعلم النبات، وعلم الأسماك، كبحوثٍ رسمية للبعثة.

(15) فريدريك ويليام بيتشي Frederick William Beechey (17 فبراير 1796م - 29 نوفمبر 1856م): مُستكشف ومُستعمر وضابط بحري وجغرافي إنجليزي، هو ابن السير ويليام بيتشي. ولد في لندن العام 1806م، التحق بالبحرية الملكية، وأبدى خدمةً نشطة خلال الحروب مع فرنسا وأمريكا. في العام 1818م، خدم تحت اللفتنان وبعد ذلك السير، جون فرانكلين، في ديفيد بوشان، خلال حملة القطب الشمالي. شارك في مسح ساحل البحر المتوسط لأفريقيا، تحت إشراف الكابتن، وبعد ذلك الأدميرال، وليام هنري سميث. قام هو وشقيقه هنري ويليام بيتشي بإجراء مسحٍ برّي لهذا الساحل، ونشرا تقريراً كاملاً عن عملهما، وخصوصاً في الساحل الليبي، العام 1828م، تحت عنوان «وقائع الحملة لاستكشاف الساحل الشمالي لأفريقيا من شرق طرابلس» 1821-1822م.

(16) رأس الجليد Icy Cape: هو الرأس الذي يقع على جانب بحر تشوكشي، شمال المنحدر بور في ألaska - الولايات المتحدة الأمريكية. تم اكتشافه وتسميته من قبل جيمس كوك، في 17 أغسطس 1778م، بسبب الجليد الموجود على طول ساحله.

(17) نقطة بارو Point Barrow أو نوفوك: رأسٌ على ساحل القطب الشمالي في ولاية ألaska الأمريكية، على بعد 9 أميال (14 كلم) شمال شرق بارو، وهي النقطة الشمالية من جميع أراضي الولايات المتحدة الأمريكية.

(18) توماس سيمبسون Thomas Simpson (2 يوليو 1808م - 14 يونيو 1840م): مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي، وكيل شركة خليج هدسون، وابن عم السير جورج سيمبسون. مات بشكل غير طبيعي في ما يُعرف الآن بولاية مينيسوتا، حيث تزعم الروايات أنه انتحر بعد أن قتل اثنين من رفاقه في البرية، إثر خلاف طويل بينه وبينهما.

(19) نهر العودة The Back River أو نهر السمك العظيم Great Fish River: نهرٌ في الأقاليم الشمالية الغربية من نونافوت - كندا، ينبع من بحيرة لم يُكشف عن اسمها في منطقة الرقيق الشمالي في الأقاليم الشمالية الغربية، ويتدفق لأكثر من 974 كلم (605 أميال)

معظمها عبر منطقة كيفاليك - نونافوت، إلى مصبه في المحيط المتجمد الشمالي في منطقة كيتكميوت - نونافوت.

(20) الأدميرال السير جورج باك **Admiral Sir George Back** (6 نوفمبر 1796م - 23 يونيو 1878م): ضابط في البحرية البريطانية، مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي الكندي، عالم طبيعي، وفنان.

(21) جيمس ويديل **James Weddel** (24 أغسطس 1787م - 9 سبتمبر 1834م): بحار وملاح بريطاني، وصياد اشتهر بصيده حيوان الفقمة. أبحر في فبراير 1823م حتى وصل إلى خط عرض  $74^{\circ} 15'S$ ، وإلى منطقة من المحيط الجنوبي أصبحت تسمى في ما بعد باسمه «بحر ويديل».

(22) شتلاند **Shetlands**: كما تُدعى جزر شتلاند، وهي أرخبيلٌ شبه قطبي، يقع شمال شرق جزيرة بريطانيا العظمى، ويشكل جزءاً من اسكتلندا - المملكة المتحدة.

(23) جون باليني **John Balleny** (ذكره المؤلف باسم بيلاني **Bellany**.. المترجم) (توفي 1857م): قبطان إنجليزي، صاحب سفينة «إليزا سكوت» لصيد حيتان، قاد رحلة استكشافية لشركة صيد الحيتان التابعة للإنجليز صمويل إندربي وأولاده، في القطب الجنوبي (1838-1839م). خلال هذه الحملة، أبحر باليني في المحيط الجنوبي عبر ممرٍ على خطوط الطول المتمركزة على خط  $175^{\circ}$  درجة شرقاً، جنوب نيوزيلندا، حيث قام باكتشاف جزر بالي في فبراير 1839م.

(24) جزيرة باكل **Buckle Island**: واحدة من الجزر الرئيسة الثلاث في مجموعة جزر بالي غير المأهولة، والواقعة في المحيط الجنوبي. تقع على بعد 25 كلم (16 ميلاً) شمال غرب جزيرة ستورج، و 8 كلم (5 أميال) جنوب شرق جزيرة يونغ، على بعد 110 كلم (68 ميلاً) شمال شرق نقطة بلوسوف على البر الرئيس في القطب الجنوبي. الجزيرة ثلاثية الشكل تقريباً، مع الساحل الشرقي والغربي الطويل، والساحل الشمالي القصير.

(25) جولز سيباستيان سيزار دومون دي أورفيل **Jules Sébastien César Dumont d'Urville** (23 مايو 1790م - 8 مايو 1842م): مُستكشف ومُستعمر فرنسي، ضابط بحري وأدميرال، استكشف جنوب وغرب المحيط الهادئ، أستراليا ونيوزيلندا وأنتاركتيكا. وباعتباره عالم نبات ورسام خرائط، ترك بصمته وأعطى اسمه للعديد من الأعشاب البحرية والنباتات والشجيرات والأماكن، مثل جزيرة دورفيل.

(26) تشارلز ويلكس **Charles Wilkes** (3 أبريل 1798م - 8 فبراير 1877م): ضابط بحرية أمريكي، قبطان سفينة، مُستكشف ومُستعمر. قاد حملة الولايات المتحدة الأمريكية لاستكشاف، خلال الأعوام 1838-1842م، وهو قائد إحدى السفن في مسألة «ترينت» خلال الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865م)، قام خلالها بمهاجمة سفينة البريد الملكي، ما أدى إلى اندلاع الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.

- (27) فيكتوريا لاند **Victoria Land**: منطقة من القارة القطبية الجنوبية، تواجه الجانب الغربي من بحر روس، والجرف الجليدي روس، وتمتد جنوباً من حوالي (70.30° - 78°)، ومن الغرب من بحر روس إلى حافة هضبة القطب الجنوبي. تم اكتشافها من قبل النقيب جيمس كلارك روس، في يناير 1841م، وسميت باسم الملكة البريطانية فيكتوريا.
- (28) كارستن إغيبيرغ بورشغريفينك **Carsten Egeberg Borchgrevink** (1 ديسمبر 1864م - 21 أبريل 1934م): مُستكشف ومُستعمر قطبي، أنجلو نرويجي، ورائد في الترحال الحديث في أنتاركتيكا. في الفترة من 1898-1900م، قاد البعثة الصليبية الجنوبية الممولة من بريطانيا، والتي أنشأت رقماً قياسياً جديداً في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية عند (78°-50°).
- (29) قناة ويلينغتون **Wellington Channel** (ينبغي عدم الخلط بينها وبين مضيق ويلينغتون): هي عبارة عن ممر مائي طبيعي عبر أرخبيل القطب الشمالي الكندي في منطقة كيكتالوك-نونافوت.
- (30) جون راي **John Rae** (30 سبتمبر 1813م - 22 يوليو 1893م): جراح ومُستكشف اسكتلندي، اكتشف أجزاء من شمال كندا، وجد الجزء الأخير من الممر الشمالي الغربي المسمى باسمه «مضيق راي»، وأبلغ عن مصير حملة فرانكلين. في الفترة 1846-1847م، استكشف خليج بوثيا شمال غرب خليج هدسون؛ وفي الفترة 1848-1851م، قام باستكشاف ساحل القطب الشمالي بالقرب من جزيرة فيكتوريا. في العام 1854م ذهب من بوثيا إلى الساحل المتجمد الشمالي، وعرف مصير فرانكلين. لوحظت لديه القدرة على التحمل الجسدي، والمهارة في الصيد ومعالجة القوارب، واستخدام الأساليب المحلية، والقدرة على السفر لمسافات طويلة مع القليل من المعدات، أثناء العيش بعيداً عن اليابسة.
- (31) رأس كيب ريبولز **Cape Repulse**: المعروف حتى الآن كخليج ريبولز، وهو قرية إنويت على ضفاف خليج هدسون، في منطقة كيغاليك في نونافوت-كندا.
- (32) فرانسيس راون مويرا كروزييه **Francis Rawdon Moira Crozier** (16 أغسطس 1796م - اختفى في 26 أبريل 1848م): ضابط في البحرية البريطانية، شارك في ست حملات استكشافية إلى القطب الشمالي والقطب الجنوبي. ولد في بانبريدج-إيرلندا الشمالية، مقاطعة داون، وكان اسمه على اسم صديق والده فرانسيس راودون.
- (33) الأدميرال السير فرانسيس ليوبولد مكلينتوك **Admiral Sir Francis Leopold McClintock** (8 يوليو 1819م - 17 نوفمبر 1907م): مُستكشف ومُستعمر، وأدميرال إيرلندي في البحرية الملكية البريطانية، معروفٌ باكتشافاته في أرخبيل القطب الشمالي الكندي.
- (34) خليج بيلي **Pelly Bay**: ممر مائي في القطب الشمالي، منطقة كيتكميوت، نونافوت-كندا، يقع في خليج بوثيا، وتحده من الشرق شبه جزيرة سيمبسون؛ كما تقع جزيرة

هيلين في هذا الخليج.

(35) فريدريك غوستافوس شواتكا **Frederick Gustavus Schwatka** (29 أيلول/ سبتمبر 1849م - 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1892م): ملازم في الجيش الأمريكي، حائز على شهادات في الطب والقانون، مُستكشف ومُستعمر معروف في شمال كندا وألاسكا. تشتمل منشورات شواتكا على كتاب مطول عن نهر ألاسكا العظيم (1885م) ورحلة البحث عن فرانكلين (1882م)، أعيد نشره في العام 1965م باسم «البحث الطويل في القطب الشمالي».

(36) السير ريتشارد كولنسون **Sir Richard Collinson** (7 نوفمبر 1811 - 13 سبتمبر 1883م): ضابط في البحرية الإنجليزية، ومستكشف الممر الشمالي الغربي.

(37) مضيق باري **Parry Sound**: أو خليج جورجيان على بحيرة هورون، في أونتاريو- كندا، غير منتظم الشكل مع العديد من الخلجان العميقة والجزر.

(38) الأمير ألبرت **Prince Albert**: ثالث أكبر مدينة في ساسكاتشوان- كندا، بعد ساسكاتون وريجينيا، تقع بالقرب من وسط المحافظة على ضفاف نهر ساسكاتشوان الشمالية، والمعروف أن المدينة تسمى باسم «بوابة الشمال»، لأنها هي المركز الرئيس الأخير على طول الطريق إلى موارد شمال ساسكاتشوان.

(39) مضيق الدولفين **Dolphin**، أو مضيق الاتحاد **Union**: يقع في كلٍّ من الأقاليم الشمالية الغربية ونونافوت- كندا، بين البر الرئيس وجزيرة فيكتوريا. يربط خليج أموندسن بخليج التتويج، وتتميز الجهة الجنوبية الشرقية منه بخليج أوستن. حصل على اسمه من أحد القاريين المستخدمين من قبل جون ريتشاردسون الذي استكشفه لأول مرة في العام 1826م.

(40) خليج كامبردج **Cambridge Bay**: يقع في قرية على جزيرة فيكتوريا في منطقة كيتيكمويت، نونافوت- كندا، سمي على اسم الأمير أدولفوس، دوق كامبريدج، في حين أن الاسم التقليدي للخليج كان «إكالوكتوتياك»، أي «المكان الجيد للصيد».

(41) الأدميرال السير إدوارد بلتشر **Admiral Sir Edward Belcher** (27 فبراير 1799م - 18 مارس 1877م): ضابط في البحرية البريطانية، هيدروغرافي ومُستكشف ومُستعمر وقائد شرطة كولومبيا. ولد في نوفا سكوتيا، وهو حفيد الحاكم جوناثان بلتشر.

(42) مضيق بيل **Peel Sound**: ممر مائي في القطب الشمالي في كيتكاتلوك، نونافوت- كندا، يفصل جزيرة سومرست في الشرق عن جزيرة أمير ويلز في الغرب، ويفتح من الشمال على قناة باري، في حين تندمج نهايته الجنوبية مع مضيق فرانكلين.

(43) الملازم ويليام روبيرت هوبسون **Lieutenant William Robert Hobson** (1831- 1880م): مُستكشف وضابط بحرية إنجليزي، التحق بالبحرية في العام 1845م، وعيّن

لقيادة السفينة «راتليسنيك» للبحث عن بعثة فرانكلين المفقودة.

(44) **الأدميرال السير إدوارد أوغسطس إنغلفيلد Admiral Sir Edward Augustus Inglefield**

(27 مارس 1820م - 4 سبتمبر 1894م): ضابط البحرية الملكية الذي قاد إحدى عمليات البحث عن جون فرانكلين، المستكشف المفقود في القطب الشمالي، خلال العام 1850م. وأثناء ذلك، رسمت حملته مناطق غير مستكشفة سابقاً على طول الساحل الشمالي الكندي، بما في ذلك خليج بافن، ومضيق سميث ومضيق لانكستر؛ وكان أيضاً مخترعاً لمعدات التوجيه الهيدروليكي البحرية ومصمم مرساة تحمل اسمه.

(45) **إليشا كينت كين Elisha Kent Kane** (28 فبراير 1820م - 16 فبراير 1857م): مُستكشف

أمريكي، وطبيب في البحرية الأمريكية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. كان عضواً في بعثتين إلى القطب الشمالي لإنقاذ المستكشف السير جون فرانكلين، كما كان حاضراً في اكتشاف مخيم فرانكلين الأول في فصل الشتاء، لكنه لم يكتشف ما حدث للبعثة المنكوبة.

(46) **هنري غرينيل Henry Grinnell** (18 فبراير 1799م - 30 يونيو 1874م): تاجر أمريكي،

متبرع ومحسن وممول.

(47) **جورج بيبودي George Peabody** (18 فبراير 1795م - 4 نوفمبر 1869م): ممول أمريكي

بريطاني، يعتبر على نطاق واسع بأنه «والد العمل الخيري الحديث».

(48) **أرض غرينيل Grinnell Land**: هي القسم المركزي من جزيرة إلزمر، في الجزء

الشمالي من إقليم نوناوت- كندا، جرت تسميتها على اسم الممول هنري غرينيل، وهو من كبار التجار في نيويورك، ساعد في خمسينيات القرن التاسع عشر بتمويل حملتين بحثاً عن رحلة فرانكلين المفقودة.

(49) **إسحاق إسرائيل هايز Isaac Israel Hayes** (5 مارس 1832م - 17 ديسمبر 1881م): طبيب

أمريكي، ومُستكشف في القطب الشمالي، سعى إلى إثبات وجود البحار المفتوحة حول القطب الشمالي. بعد حصوله على الدكتوراة من جامعة بنسلفانيا (1853م)، تطوّع هايز للعمل كجراح مع بعثة كين في القطب الشمالي، والتي كانت تخطط للبحث عن السير جون فرانكلين، حيث قام في مايو 1854م باستكشاف المنطقة المعروفة باسم «غرينيل لاند»، ولقد أصبحت محاولته للوصول إلى الساحل الغربي لغرينلاند في أوبرنافيك (أغسطس 1854م) موضوع كتابه «رحلة القوارب القطبية الشمالية» (1860م).

(50) **الأدميرال السير جورج سترونغ نارييس George Strong Nares** (24 أبريل 1831م - 15

يناير 1915م): ضابط في البحرية البريطانية، مُستكشف ومُستعمر في القطب الشمالي، وهو قائد أول سفينة تمرّ عبر قناة السويس، وقائد بعثة تشالنجر والبعثة القطبية البريطانية.



- (51) الأميرال بيلهام ألدريتش **Pelham Aldrich** (8 ديسمبر 1844م - 12 نوفمبر 1930م): مُستكشف وضابط في البحرية الاستكشافية. دخل البحرية الملكية في يونيو 1859م، وتمت ترقيته إلى ملازم فرعي، وأصبح الأدميرال المشرف على أحواض بورتسموث.
- (52) يوليوس جوهانس لودوفيكوس باير **Julius Johannes Ludovicus Payer** (2 سبتمبر 1841م - 29 أغسطس 1915م): كان ضابطاً في الجيش النمساوي المجري، ومُتسلق جبال، ومُستكشفاً في القطب الشمالي، ورسام خرائط، وفناناً للمناظر الطبيعية، وأستاذاً في الأكاديمية العسكرية.
- (53) كارل ويريشث **Karl Weyprecht** (8 سبتمبر 1838م - 2 مارس 1881م): مُستكشف نمساوي مجري. كان ضابطاً في البحرية النمساوية المجرية، وهو الأكثر شهرةً كمستكشف في القطب الشمالي، وداعيةً للتعاون الدولي للاستكشاف العلمي للقطب، بالرغم من أنه لم يعيش حتى يرى حدوث ذلك واقعاً.
- (54) فرانسيس جوزيف الأول أو فرانز جوزيف الأول **Franz Josef** (18 أغسطس 1830م - 21 نوفمبر 1916م): إمبراطور النمسا وملك المجر، كان أيضاً رئيساً للاتحاد الكونفدرالي الألماني. كان الإمبراطور الذي حكم النمسا والمجر لأطول فترة، وثالث ملك حكم لأطول فترة في أي بلد في التاريخ الأوروبي، بعد لويس الرابع عشر في فرنسا، ويوهان الثاني في ليختنشتاين.
- (55) نهر ينيسي **Yenesei**: أكبر نهر يتدفق إلى المحيط المتجمد الشمالي، وهو مركز الأنهار الثلاثة الكبرى في سيبيريا، والتي تتدفق إلى المحيط المتجمد الشمالي (النهران الآخران هما نهر أوب ولينا)؛ ويزداد النهر ارتفاعاً في منغوليا، ويتبع مسار الشمال إلى خليج ينيسي في بحر كارا.
- (56) القبطان جوزيف ويغينز **Joseph Wiggins** (3 سبتمبر 1832م - 13 سبتمبر 1905م): بحار إنجليزي، ولد في نورويتش، من عائلة من مشغلي مايلكواش، ونجح بمهنته كقبطان بحري، من خلال الاستفادة من جزء من الطريق البحري الشمالي إلى سيبيريا. كان رائداً في إثبات إمكانية تطبيق العلاقات التجارية عن طريق البحر بين بلدان بحر الشمال والجزء الشمالي من سيبيريا. وبدءاً من رحلته في العام 1874م، وصل مرتين إلى نهر أوب، ونقل خمس مرات شحنات إلى نهر ينيسي، كما سهل إنشاء خط سكة الحديد عبر سيبيريا، عن طريق حمله إلى ذلك البلد شحنات كبيرة من القضبان. جرى تكريمه من قبل القيصر، تقديرًا لعمله الرائد الذي وصفه البارون نوردنسكيولد بأنه «حدث منافس، إثر عودة الأسطول الأول محملاً بالبضائع من الهند». في العام 1894م حصل على جائزة مورشيسون، من قبل الجمعية الجغرافية الملكية. وفي العام 2016م، أفادت الأنباء بأنه تم اكتشاف حطام سفينة التايمز البخارية التي قام ويغينز على متنها بحملته إلى نهر ينيسي، في العام 1876م، وكانت قد غرقت هناك في العام 1878م.

- (57) كيب تشيليو سكين **Cape Chelyuskin**: النقطة الشمالية للقارة الأوراسية، والنقطة الأقصى في شمال البرّ الرئيس لروسيا. يقع هذا الرأس في طرف شبه جزيرة تيمير، جنوب أرخبيل سيفرنايا زيمليا، في كراسنويارسك كراي - روسيا.
- (58) كيب نورث **Cape North**: هو رأس يقع في جورجيا الجنوبية، بالقرب من الطرف الغربي من الجزيرة. تمّ اعتماد هذا الاسم للمرة الأولى على الطرف الشمالي الغربي من جورجيا الجنوبية، على خريطة الكابتن جيمس كوك، في العام 1775م.
- (59) أدولفوس واشنطن غريللي **Adolphus Washington Greely** (27 مارس 1844م - 20 أكتوبر 1935م): أحد المُستكشفين القطبيين الأمريكيين، وهو ضابط في جيش الولايات المتحدة الأمريكية، وحاصل على وسام الشرف.
- (60) جيمس بوث لوكوود **James Booth Lockwood** (9 أكتوبر 1852م - 9 أبريل 1884م): مُستكشف للقطب الشمالي، توفي في بعثة السيدة فرانكلين باي المشؤومة. ولد لوكوود في أنابوليس - ولاية ميريلاند، وهو ابن الجنرال هنري هايز لوكوود وزوجته آنا، وعيّن ملازماً ثانياً في الجيش الأمريكي، العام 1873م. في العام 1881م، دخل لوكوود في بعثة خليج لي فرانكلين، تحت قيادة أدولفس دبليو غريللي، كقائد في مقدمة البعثة. وخلال هذه الحملة التي استمرت ثلاث سنوات، قاد لوكوود رحلة مع ديفيد ليچ برينارد، إلى جزيرة ماري موراي، قبالة شمال غرينلاند، على خط عرض  $83^{\circ}24'$ ، وبالتالي كسر الرقم القياسي لمعظم النقاط الشمالية في العام 1883م، عبر غرانت لاند، ووصل إلى الشاطئ الغربي لجزيرة إلزمر، وتوفي في كيب سابين - كندا، في أبريل 1884م، جنباً إلى جنب مع العديد من أعضاء الفريق الآخرين، قبل أن تصلهم نجدة الإنقاذ في 22 يونيو من ذلك العام.
- (61) فريدجوف نانسن **Fridtjof Nansen** (10 تشرين الأول / أكتوبر 1861م - 13 أيار / مايو 1930م): مُستكشف نرويجي، عالم ودبلوماسي وأديب، حائز على جائزة نوبل للسلام. في شبابه كان بطلاً للتزلج على الجليد. قاد الفريق الذي قام بأول عبور داخل غرينلاند في العام 1888م، وعبر الجزيرة على الزلاجات. حصل على الشهرة العالمية بعد تسجيله رقماً قياسياً شمالياً هو 86 ، 14 . بالرغم من أنه تقاعد عن الاستكشاف، بعد عودته إلى النرويج، فإن تقنياته في الرحلات القطبية، وابتكاراته في المعدات والملابس، أثرت على جيل من البعثات إلى القطب الجنوبي لاحقاً.
- (62) روبرت إدوين بيرى **Robert Edwin Peary** (6 مايو 1856م - 20 فبراير 1920م): المُستكشف الأمريكي الذي ادعى أنه قد وصل إلى القطب الشمالي الجغرافي، مع حملته في 6 أبريل 1909م. وكان ادعاء بيرى قد حظي بالتفضيل على نطاق واسع خلال معظم القرن العشرين، عن الادعاء المنافس الذي كتبه فريدريك كوك الذي قال إنه وصل إلى هناك قبل عام. وقد نوقش الادعاء على نطاق واسع في الصحف، حتى العام 1913م.

- (63) السفينة فرام Fram: سفينة كانت تستخدم في حملات المناطق القطبية الشمالية والقطب الجنوبي، من قبل المستكشفين النرويجيين فريدتجوف نانسن وأوتو سفيردروب وأوسكار ويستنغ وروالد أموندسن، بين العامين 1893 و 1912م، صمّمها وبنّاها الكاتب الاسكتلندي النرويجي كولين آرثر لرحلة فريدتجوف نانسن 1893م إلى القطب الشمالي، بحيث تكون مقاومة للصفائح الجليدية في القطب الشمالي. يقال إن فرام أبحرت شمالاً (N 57° 85) وأبعد جنوباً (S 41° 78) أكثر من أي سفينة خشبية أخرى. اليوم يتم الاحتفاظ بفرام لدى متحف فرام في أوسلو - النرويج.
- (64) فريدريك جورج جاكسون Frederick George Jackson (6 مارس 1860م - 13 مارس 1938م): مُستكشف إنجليزي في القطب الشمالي، ذكر في بعثته إلى فرانز جوزيف لاند أنه تقابل مع المستكشف النرويجي المفقود فريدجوف نانسن. ولد من الأبوين جورج فريدريك وماري إليزابيث جاكسون، في ألستر لودج، ألستر وأرويكشاير - إنجلترا، وتلقى تعليمه بكلية دينستون في ستافوردشاير، وجامعة إدنبره. كانت رحلته الأولى في المياه القطبية الشمالية على متن سفينة صيد الحيتان «وايندوارد» في العامين 1886-1887م، وفي العام 1893م، قام برحلة على مسافة 3000 ميل عبر التندرا المجمدة من سيبيريا بين أوب وبيكورا. نشرت روايته لهذه الرحلة تحت عنوان «الأراضي المتجمدة الكبرى» العام 1895م.
- (65) سالومون أوغست أندريه Salomon August Andrée (18 أكتوبر 1854م - أكتوبر 1897م): مهندس سويدي، فيزيائي واستكشافي طيار للقطب، توفي أثناء قيادته محاولة الوصول إلى القطب الجغرافي على متن منطاد يعمل بالهيدروجين، ولم تنجح حملة البالون في الوصول إلى القطب، بل أسفرت عن مقتل جميع المشاركين الثلاثة فيها.

# الفهارس

## الأعلام

255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 266.  
268. 270. 271. 283. 309. 313. 321. 327.

333. 339

الكنيسة النسطورية 108

المدرسة الميليسية. 39

المستشار ريتشارد 202. 212. 348

الملطي 40

الملك المصري نيخو 23

الملك روجر الثاني 91

النجم القطبي 27. 82. 149

اليونسكو 64

إثليستان السكسوني 61

إدوارد ريتشارد شو 81. 261

إراتوستينيس / القوريني 31. 32. 33. 43. 54.

55. 146

إسترايون 40

إسحاق ماسا 116

إيريك الأحمر 81

أبرهام كريسيكيز 84. 95. 344

أتيلا 77. 89.

أرخميدس 91. 92

أرسطو 31

أسرة وسكس 61

أفلاطون . 94. 171. 191 .

ألكساندر نيكام 83. 342 .

ابن بطوطة 107. 112. 116. 343

الإدريسي 79. 80. 90. 91. 342

الإسكندر الأكبر 29. 30. 31. 32. 41. 42. 43.

54. 55. 57. 58. 63. 71. 117

الإله سردوس باتر 64

الأخوان زينو 82. 93

الأمير هنري 95. 148. 149. 151. 153. 154.

157. 161. 171. 179. 256. 344. 356. 318.

319. 325. 326. 327. 329. 330. 331. 333.

340. 352. 353. 354

الأميرة طنجيس . 116

السير ريتشارد 285

السير فرانكلين 311. 312. 313. 314. 315.

316. 317. 318. 319. 325. 326. 327. 329.

331. 333. 340. 352. 353

الشاعر تيسون. 95

الصقلي. 40. 62. 90.

العالم الهلنستي 42

العجوز بكتو 41

العصر المحوري. 39

القبطان فيليس 20

القديس توماس 108. 118

الكابتن كوك 10. 35. 46. 47. 189. 227.

- ألكسندر السادس 157. 166. 193. 345  
 أناكزيمينيس 39  
 أناكسيمندر 25. 27. 39. 341  
 أنجيلينو دولسيرا 84. 95  
 أودوريك بوردينون 101. 113  
 أوغسطس 89. 140. 331  
 أوقطاي 111  
 أوكوداي 99. 100. 111  
 أونغ خان 109. 118  
 أونغ خان 118  
 آدم (عليه السلام) 105  
 آرثر كوك برنيل 115  
 باتو 99. 100. 111  
 بايثاس 30  
 باين 20  
 برهان الدين 107  
 بروفيسور ميلر 69  
 برونيو لاتيني 83. 93  
 بطليموس 33. 34. 35. 36. 45. 51. 58. 69  
 بلوتارخ 62. 63  
 بليني 40. 71. 87  
 بنجامين موريل 43  
 بورت 111  
 بورتون 11. 296  
 بومونيوس ميلا 87  
 بياكونسفيلد 294. 306  
 بومبي 57. 58. 65  
 بيرهوس 64  
 بيروس الإيري 56. 64  
 بيوتينجير 75  
 بيورن 81  
 تاسمان 253. 256. 258. 267. 268. 217.  
 273. 326. 350. 353  
 تشو 112  
 تشين 112  
 توبايا 10. 285  
 توغول 118  
 تولوي 111  
 توماس مالوري 104. 115  
 تيبيريوس لونجيوس 42  
 جافيت 51  
 جامعة القرويين 118  
 جاموخا 118  
 جراكوس 42  
 جنكيز خان 95. 99. 100. 110. 111. 118  
 جواو الأول 95. 159  
 جوتشي 111  
 جورشد 118  
 جوزيف جاكوبز 15. 16  
 جوشي 111  
 جون بلانو كاريني 100. 111  
 جون روس 310. 312. 325. 326  
 جون كابوت 92. 93. 201. 211. 212. 345  
 جون كوهين 109  
 جون مانديلي 71. 87  
 جون مونتيكورفينو 101. 112  
 جي فيسك 20  
 جيمس الثاني 229. 241  
 جيمس كلارك روس 311. 325. 326  
 جيهدا كريسيكس 95  
 جيوفاني دا بيان ديل كارين 111  
 هام 51. 61. 301  
 حزقيال الخامس 70

- حنبل 42. 65 .  
 حنين بن إسحاق 90  
 خشيار شاه 62  
 خشيارزا 62  
 داريوس الكبير 62  
 دانتى 83. 94 .  
 دولسيتى راجع: أنجيلينو دولسيرت  
 ديل كانو. 20  
 ديودوروس 40. 62  
 ركن الدين 107  
 روبروك- فلاندرز 112  
 روجر الأول 91  
 روجر بايكون 83. 94 .  
 روستيكانو بيزا 104. 115  
 ريتشارد الأول 93  
 ريتشارد الثالث 211  
 ريتشارد ألدينغهام 337. 343  
 ريتشارد تشانسيلور 212  
 ريتشارد غرينفيل. 214. 238  
 ريتشارد فرانسيس بورتون 296. 301  
 ريتشارد قلب الأسد. 83. 93  
 ريتشارد كولنسون. 316. 330  
 ريتشارد هاكلوت 127. 137. 325  
 زيركسيس 53. 62  
 زينوفون 29. 41. 54. 93  
 سام 51. 61  
 سايروس الكبير 53. 54. 61  
 سبيك 11. 285. 290. 296. 297. 301. 302  
 ستانلي 11. 24. 29. 38. 106. 280. 281.  
 286. 287. 289. 290. 291. 302. 304. 324  
 سترابو 32. 33. 45. 55. 341  
 سطرابون العرب 90. 91  
 سقراط. 38. 41  
 سكيبيو الأفريقي 42  
 سكيلاكس 28. 40  
 سلوقس 30  
 سلوقس الأول نيكاتور المنتصر 42. 43. 63  
 سوفاكس 116  
 سولينيوس 71. 87  
 سيراكوزا. 92  
 سيمون 91  
 شارل / تشارلز العظيم 77. 90 .  
 شارلمان . راجع: شارل العظيم  
 شاهانشا 62  
 شركة الهند الشرقية 65. 205. 214. 217.  
 267. 268  
 شفاينفورت 24. 38  
 شقراطي. 111  
 شكسبير. 71. 87  
 شيشرون. 92  
 طاليس 39  
 غانغا 61  
 غايوس بلينيوس سكونديوس 87  
 غريغوريوس العاشر 102. 114  
 غوردون كومنغ. 293. 306  
 غوي فوكوييز 113  
 غويو بروفانس 83. 94  
 غي لو غروس 114  
 فاسكو دا جاما 152. 180  
 فريد الدين 107  
 فلافيوس فلاكوس 42  
 فلافيو جيوجا 83. 94. 343

- فيثاغورس 39  
 فيليب الثاني 41. 62. 168. 204. 246. 266  
 فيليب المقدوني 54  
 قسطنطين 39. 40  
 قماش كاليكو 9. 126  
 قمبيز 53. 62  
 قوبلاي خان 95  
 قورش 61. 62  
 قيصر 57. 58. 65. 111. 116. 202. 205  
 206. 207. 208. 213. 217. 332. 341  
 كائاي 84. 95. 100. 171. 173. 174. 202  
 207. 209  
 كالليهي 10  
 كاوان الدين 107  
 كتسياس 88  
 كريف 90  
 كليمنت الرابع 101. 114  
 كوبلاي 101. 102. 112  
 كورتيس 9. 223. 224. 225. 235. 236. 237  
 كورش 61  
 كوزماس 72. 73. 88. 342  
 كولومبوس 9. 32. 34. 35. 46. 76. 81. 88. 91  
 93. 101. 109. 151. 152. 154. 157. 166. 172  
 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 181. 187  
 188. 189. 191. 192. 193. 194. 201. 208  
 209. 227. 235. 236. 237. 238. 239. 345  
 كويتوس كيرتيوس روفوس 62  
 لغياث الدين توغلو 117  
 لويس الثامن 112  
 لويس القديس 100. 112  
 ليف 81. 93  
 ليفينغستون 11. 324  
 ليوبولد الثاني 38. 287. 303. 305  
 مابا موندي 73  
 ماجلان 13. 156. 184. 185. 187. 188  
 209. 223. 251  
 ماجو برقا 42  
 ماركو بولو 84. 87. 95. 101. 102. 103  
 104. 105. 107. 108. 109. 212. 215. 138  
 173. 174. 343  
 ماريوس 57. 65  
 مافيو بولو 95. 101. 343  
 ماكميان 20  
 مونرو 233. 247  
 مانغو خان 100  
 محمد الفاتح 39  
 محمد إنغالاك 107. 117  
 محمد علي الأنصاري 41  
 مكليتوك 315. 318. 329. 376  
 مونكو خان 113  
 ميتيلوس النوميدي 65  
 ميغاسثينيس راجع: ميغاسثينيس  
 ميشال زيفكو 64  
 ميغاسثينيس 30. 42. 55. 88  
 نابليون بوناپرت 64. 245  
 نيكولو بولو 95. 101. 343  
 نجولفر أرنارسون 92  
 نسطور 108  
 نوح 61. 87. 301  
 نوردنسكيولد 84. 94. 95. 209. 219. 320  
 321. 332. 340. 355  
 نورمان شوارزكوف 65

- نيارخوس 30. 42 .  
 نيمان 118  
 نيوتن 35. 47. 269  
 هان 112  
 هانو 29  
 هانيبال 57. 65. 124  
 هاوتون ميلفن 20  
 هسيود 24. 25. 37  
 هغساندروس 40  
 هنري الثاني 93. 159 .  
 هنري الملاح 85. 108. 160  
 هنري يول 104. 115 .  
 هومر 23  
 هوميروس 24. 25. 28. 35. 37. 70  
 هيالوس 30. 42 .  
 هيرودوتس 23. 27. 28. 29. 37. 40. 55. 62. 87  
 هيريفورد 76  
 هيريفوردشاير 88  
 هيكتاتايوس 27. 28. 39. 341  
 ولفرام فون إشنباخ 94  
 وليام رويسبروك 100. 112. 343  
 وليام ويكهام 74. 88  
 ويسمان 291. 305  
 ويليام الأول 91  
 ياقوت 79. 90. 280  
 يام 61  
 يأجوج ومأجوج 71. 86. 100  
 يسوجي 118  
 يميلوني 95  
 يهوذا توما ديديموس 118  
 يوحنا 109. 118. 150. 151. 152. 167
- يوليوس قيصر 65 .  
 يوسف بن تاشفين 118
- الأماكن**
- اسكتلندا 43. 93. 239. 240. 241. 244.  
 268. 328  
 الإسكندرية 12. 31. 32. 33. 34. 44. 55.  
 88. 90. 107. 125. 126. 127. 129. 130.  
 131. 156. 304. 361  
 الإمارات العربية المتحدة 389  
 الإيلدورادو 19  
 الأناضول 62  
 البر الكندي 92  
 البرانس 122. 138  
 البصرة 122. 125. 128. 134  
 البلقان 62  
 البندقية 93. 95. 101. 102. 113. 122. 123. 130.  
 140. 141. 161. 201  
 البورتولانو 84. 85  
 البيلق 90  
 التبت 61. 102. 105. 125. 135. 136  
 الجزائر 44. 132. 213. 282. 284. 293.  
 الجزر البريطانية 23. 74. 88  
 الجزر المباركة 46  
 الجزيرة العربية 30. 78. 129. 165  
 الحبشة 105. 109. 130. 150. 282. 289.  
 292. 295. 345. 347. 349. 351  
 الحجاز 91. 116. 127  
 الدائرة القطبية الشالية 43. 91. 209. 211.  
 217. 247. 310



- السان البحرية 92 .  
 المسك 193 . 195 . 227 . 233 . 235 . 236 .  
 السند 30 . 54 . 55 . 107 . 165  
 السهل الغانجي . 60  
 السودان 29 . 44 . 107 . 108 . 116 . 134 . 290 .  
 السويد 91 . 93 . 228 . 229 . 240  
 الشرق الأدنى 43 .  
 الشرق الأوسط 88 . 136  
 الصين 33 . 34 . 61 . 79 . 84 . 95 . 99 . 100 .  
 النوبة 44 . 130  
 النيجر 29 . 41 . 108 . 281 . 282 . 284 . 289 .  
 الهلال الخصيب 62  
 الهند 28 . 29 . 30 . 32 . 33 . 42 . 43 . 45 . 53 . 55 .  
 57 . 60 . 61 . 63 . 70 . 72 . 74 . 78 . 79 . 87 . 88 .  
 91 . 101 . 102 . 105 . 108 . 109 . 113 . 114 .  
 115 . 116 . 117 . 125 . 126 . 130 . 131 . 133 .  
 134 . 136 . 137 . 140 . 146 . 150 . 151 . 152 .  
 153 . 154 . 155 . 156 . 157 . 158 . 162 . 163 .  
 164 . 165 . 166 . 167 . 171 . 172 . 173 . 174 .  
 175 . 178 . 179 . 180 . 181 . 182 . 194 .  
 196 . 201 . 205 . 206 . 214 . 215 . 216 . 237 .  
 238 . 246 . 251 . 265 . 267 . 268 . 270 . 269 .  
 306 . 325 . 332 . 337 . 338 . 341 . 342 . 343 .  
 344 . 346 . 347  
 الهند الصينية 33 . 34 . 64 . 79 . 99 . 100 . 101 .  
 104 . 107 . 112 . 113 . 114 . 115 . 116 . 117 .  
 126 . 128 . 136 . 137 . 156 . 202 . 218 . 342 .  
 343  
 الولايات الفارسية القديمة 28 .  
 الولايات المتحدة 20 . 211 . 212 . 214 . 218 .
- السان البحرية 92 .  
 السند 30 . 54 . 55 . 107 . 165  
 السهل الغانجي . 60  
 السودان 29 . 44 . 107 . 108 . 116 . 134 . 290 .  
 السويد 91 . 93 . 228 . 229 . 240  
 الشرق الأدنى 43 .  
 الشرق الأوسط 88 . 136  
 الصين 33 . 34 . 61 . 79 . 84 . 95 . 99 . 100 .  
 النوبة 44 . 130  
 النيجر 29 . 41 . 108 . 281 . 282 . 284 . 289 .  
 الهلال الخصيب 62  
 الهند 28 . 29 . 30 . 32 . 33 . 42 . 43 . 45 . 53 . 55 .  
 57 . 60 . 61 . 63 . 70 . 72 . 74 . 78 . 79 . 87 . 88 .  
 91 . 101 . 102 . 105 . 108 . 109 . 113 . 114 .  
 115 . 116 . 117 . 125 . 126 . 130 . 131 . 133 .  
 134 . 136 . 137 . 140 . 146 . 150 . 151 . 152 .  
 153 . 154 . 155 . 156 . 157 . 158 . 162 . 163 .  
 164 . 165 . 166 . 167 . 171 . 172 . 173 . 174 .  
 175 . 178 . 179 . 180 . 181 . 182 . 194 .  
 196 . 201 . 205 . 206 . 214 . 215 . 216 . 237 .  
 238 . 246 . 251 . 265 . 267 . 268 . 270 . 269 .  
 306 . 325 . 332 . 337 . 338 . 341 . 342 . 343 .  
 344 . 346 . 347  
 الهند الصينية 33 . 34 . 64 . 79 . 99 . 100 . 101 .  
 104 . 107 . 112 . 113 . 114 . 115 . 116 . 117 .  
 126 . 128 . 136 . 137 . 156 . 202 . 218 . 342 .  
 343  
 الولايات الفارسية القديمة 28 .  
 الولايات المتحدة 20 . 211 . 212 . 214 . 218 .

- .240 .239 .237 .235 .233 .232 .231 .219  
.248 .247 .246 .245 .244 .243 .242 .241  
.360 .329 .328 .327 .325 .318 .306 .272  
الإشيم 104  
اليمن 137 .130 .116  
اليونان 54 .45 .39 .38 .37 .28 .25 .23  
55 .57 .62 .63 .92 .140 .191 .306  
إيروس .63  
إدريس الثاني 118  
إدريس بن عبد الله . 118  
إزمير . 61  
إسبانيا 88 .78 .77 .65 .64 .56 .43 .33 .32  
95 .107 .116 .130 .135 .138 .139 .145  
151 .156 .158 .168 .173 .175 .178 .185  
186 .192 .193 .194 .194 .201 .204 .212  
225 .227 .231 .235 .236 .238 .245 .246  
252 .266 .339 .342 .345 .346 .347  
إستوتيلاند 82  
إسطنبول . 39  
إسلام بول 39  
إقليم الرون 111  
إقليم طروادة 45  
إقليم كاريبا 40  
إقليم مكران 42  
إمارة البحر 10  
إنديكيا 88  
إنجلترا 81 .77 .74 .73 .61 .52 .36 .30  
88 .89 .93 .130 .131 .134 .159 .160  
196 .201 .202 .206 .209 .210 .212 .213  
216 .228 .229 .230 .231 .238 .239 .240  
254 .260 .268 .269 .270 .273 .274 .281
- .287 .288 .289 .290 .292 .293 .295 .317  
318 .320 .325 .326 .324  
إيران 216 .137 .134 .117 .63 .42  
إيرلندا .214 .213 .212 .211 .81 .45 .32  
.329 .272 .271 .268 .255 .241 .241 .239  
341 .351  
إيطاليا .63 .57 .56 .55 .46 .38 .28 .25  
64 .65 .77 .91 .92 .94 .113 .114 .124  
130 .131 .133 .138 .139 .140 .141 .173  
289 .297  
إيميليا رومانيا . 63  
أميركا .82 .76 .46 .44 .33 .20 .13 .12 .9  
91 .92 .93 .137 .157 .166 .167 .178  
180 .181 .189 .194 .195 .196 .197 .202  
208 .209 .211 .212 .214 .219 .224 .225  
226 .227 .228 .229 .230 .231 .232 .233  
234 .236 .237 .238 .239 .240 .241 .242  
245 .246 .248 .253 .256 .260 .261 .269  
272 .287 .309 .310 .311 .312 .319 .325  
327 .337 .342 .346 .348 .350 .353  
أثينا . 191 .122 .63 .62  
أذربيجان . 117  
أراغون . 204 .192 .140 .139 .130 .95  
أرسوز . 45  
أرمينيا . 116 .107 .99  
أسبرطة . 63  
أستراليا .234 .205 .187 .46 .35 .13 .10  
248 .249 .251 .252 .253 .255 .261 .262  
263 .265 .266 .267 .268 .270 .271 .273  
274 .275 .276 .328 .339  
أسنا .44

- سين / يبا سوان / أسوان 31. 44  
 أسوس 32. 45  
 أفريقيا 11. 12. 13. 23. 24. 25. 28. 29. 35  
 37. 38. 39. 41. 42. 44. 51. 57. 70. 77  
 79. 89. 116. 118. 130. 133. 138. 146  
 147. 148. 150. 151. 152. 153. 159. 160  
 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 175  
 181. 209. 231. 234. 252. 256. 279. 280  
 181. 192. 195. 209. 213. 231. 234. 252  
 256. 279. 280. 281. 283. 284. 287. 289  
 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296  
 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304  
 305. 306. 327. 338. 339  
 أفغانستان. 42. 107. 104. 117. 136. 342  
 أكسفورد. 74. 88. 93. 94. 268  
 ألمانيا. 32. 43. 57. 58. 77. 78. 130. 134. 138  
 140. 201. 286. 287. 288. 289. 341. 359  
 ألمانيا الغربية. 57  
 أمارفي. 83. 94. 130. 343  
 أمريكا الجنوبية. 12. 157. 166. 167. 178  
 180. 181. 194. 195. 197. 213. 225. 239  
 238. 254. 291. 352  
 أمريكا الشمالية. 82. 92. 93. 137. 201. 211  
 212. 214. 227. 228. 230. 231. 232. 234  
 239. 240. 240. 241. 242. 245. 246. 248  
 255. 272. 310. 311. 318. 325. 342. 348  
 351  
 أنتيفاري. 111  
 أوجله. 40  
 أودريكو ماتوسي. 113  
 أوديني. 113  
 أور. 92  
 أوراسيا. 40. 95. 117. 219. 232  
 أوروبا. 28. 30. 40. 43. 44. 51. 53. 70  
 75. 76. 77. 78. 81. 88. 89. 90. 91. 92  
 94. 95. 99. 100. 104. 106. 109. 126  
 129. 135. 137. 138. 140. 156. 160. 161  
 162. 164. 166. 171. 191. 192. 194. 212  
 213. 215. 224. 270. 287. 292. 296. 342  
 أوروبا الشرقية. 40. 76. 78. 89. 212  
 أوروبا الغربية. 77. 89. 99. 104. 192  
 193  
 أوزبكستان. 113. 117. 137  
 أوغاريت. 62  
 أفوركانجي. 112  
 أوكرانيا. 89. 135  
 أوهايو. 38  
 أويريا. 42  
 أيونيا. 39  
 أريا. 63  
 آسيا. 12. 23. 25. 29. 37. 38. 39. 40. 42  
 43. 45. 51. 53. 58. 61. 63. 70. 71. 79  
 88. 91. 92. 95. 100. 101. 108. 111. 112  
 115. 116. 117. 118. 125. 126. 129. 136  
 137. 138. 164. 181. 187. 213. 216. 260  
 292. 301. 309. 337. 339. 343. 344. 351  
 356  
 آسيا الصغرى. 23. 39. 42. 53. 58. 63. 91  
 آسيا الوسطى. 40. 108. 117. 118. 136  
 136. 137. 343. 356  
 آيا صوفيا. 39  
 آير. 45

- آيرلندا. راجع: إيرلندا  
 آيرين. 33  
 آيرين. 32  
 آيسلندا. 91 . 82 . 81  
 بابل. 337 . 61 . 53 . 52 . 38 . 28 . 27 . 25  
 بابوا. 115  
 بارثيا. 62 . 54  
 بارييس. 303 . 261 . 231 . 111 . 38  
 باساركاد. 61  
 بافيا. 91 . 46  
 بالما. 95  
 بامير. 114 . 102  
 بحيرة بايكال. 115  
 بخارى. 348 . 125 . 113 . 107 . 101  
 برشلونة. 343 . 178 . 139 . 138 . 83  
 بركان لا سوفريير. 44  
 بروفانس. 139 . 94  
 بروكسل. 302 . 287 . 140  
 بروناي. 112  
 بريطانيا. 134 . 116 . 58 . 45 . 44 . 43 . 32  
 135 . 213 . 233 . 239 . 245 . 272 . 291 . 297  
 298 . 300 . 318 . 328 . 338 . 349 . 341 . 351  
 بسيام. 104  
 بطريكية الكنيسة الارثوذكسية الشرقية. 39  
 بعالم ملايو. 112  
 بغداد. 216 . 206 . 78  
 بكين. 113  
 بلاد الذهب. 44  
 بلاد الغال. 111 . 77 . 65 . 57 . 32  
 بلاد فارس. 103 . 89 . 88 . 54 . 53 . 30 . 28  
 108 . 128 . 129 . 341 . 343 . 344  
 ما بين النهرين. 24 . 38 . 52 . 53 . 124 . 130  
 بلجيكا. 2 . 30 . 287 . 140 . 65 . 38 . 30  
 بلج. 102  
 بلدية الكرم. 64  
 بلدية المرسى. 64  
 بلدية سيدي أبي سعيد. 64  
 بلوشستان. 42 . 30  
 بنجاب. 30  
 بنغلادش. 60  
 بهرام. راجع: أسوس  
 بوجادور. 148 . 147 . 160 . 148  
 بودابست. 135 . 99  
 بودروم. 40  
 بورتولانو/ بورتولانس. 162 . 149 . 94 . 84  
 279 . 343 . 344  
 بوردينوني. 113  
 بورغوندي/ بورغوني. 148 . 90 . 78 . 77  
 بورما. 116 . 115 . 112 . 104  
 بوسطن. 20  
 بولندا. 138 . 99 . 90 . 89 . 78  
 بوليا وكالابريا. 91  
 بيجين. 113  
 بيزاس بن نيسوس. 39  
 بيزنطة. 139 . 43 . 39 . 38 . 30 . 27 . 26 . 25  
 341  
 بيكين. 343 . 101  
 بيل. 62  
 بيمونتي. 63  
 تاهيتي. 258 . 10  
 تايلاند. 137 . 115 . 112  
 تايوان. 115

- تركمانستان. 117. 137  
تركيا. 39. 45. 117. 306  
تريستا. 113  
تريتينو ألتو أديجي. 63  
تشجيانغ. 115  
تن بكتاون. 41  
تهامة. 90. 116. 167. 297  
تودني. 41  
تونس. 64. 118. 122. 133. 134. 234.  
293. 300. 361  
تيمبكتو / تمبوكتو. 29. 41. 108. 365. 375.  
383. 384  
ثول. 30. 43. 105. 341  
ثيوفانانثابورام 117  
جاوة. 79. 82. 105. 116. 196. 197. 205.  
340  
جبال الألب. 57. 140. 274  
جبال الهيمالايا. 61. 125. 136. 354  
جبال سامنيوم. 63  
جبال كارباثيان. 89  
جبال كركونوس. 43  
جبال كويه داغ. 63  
جزر الكاريبي. 46. 91. 193. 194  
جزيرة بورنيو. 112. 116. 128. 185. 197  
جنوب أفريقيا. 38. 70. 164. 165. 167.  
291. 292. 293. 303. 305. 306. 354. 356  
جنوة. 46. 91. 104. 122. 130. 131. 133.  
191. 206  
جورجيا. 116  
جي. 113  
جيانغشي. 115  
جيوفاني دا مونتيكورفينو. 112  
حاتوسا. 62  
حلب. 45. 127. 131. 137. 206  
خانباليق. 101. 104. 113  
خراسان. 63. 102  
خرخورين. 111  
داخستان. 104  
دادو. 112  
دلتا نهر اللؤلؤ. 115  
دلفي. 24. 37  
دلهي. 107. 117. 343  
دوقية نورماندي. 92  
دير إردين زو. 111  
ديل كانو. 20. 185. 188. 197. 225. 237.  
337. 347  
ذبية المهل. 117  
رانغون. 115  
رأس القديس فينسنت. 32  
روسيا. 78. 81. 89. 99. 111. 112. 125.  
133. 135. 136. 137. 202. 212. 213. 216.  
217. 218. 232. 272. 332. 334  
روسيا البيضاء. 89  
روما. 11. 38. 56. 57. 58. 64. 77. 89. 111.  
114. 124. 133. 171. 195. 348  
رون ألب. 111  
ريغا. 122. 133  
ريميني. 65  
زنجبار. 79. 105. 2. 79. 85. 286. 287.  
291. 295. 345  
زونغشو شنغ. 113  
زيا الغربية. 111

- زيتون . 103 . 107 . 115  
 ساينا . 114  
 ساحل مالابار . 117 . 165  
 ساحل هندوستان . 57  
 سارت . 92  
 ساليرنو . 94  
 سانت لوسيا . 44  
 سبة . 90 . 145 . 159  
 سرديس . 61  
 سردنيا . 56 . 64 . 141  
 سريلانكا . 45  
 سقيثيا . 40  
 سكيثيا . 28 . 40 . 341  
 سكيلاكس . 29 . 41  
 سلوقس . 30 . 43  
 سمرقند . 114  
 سنغافورة 112  
 سهل شمال الصين 113  
 سواحل سراق . 112  
 سوريا . 78 . 124 . 130 . 343  
 سوفالا . 79 . 150 . 163 . 279  
 سوقطرى . 105 . 116 . 128 . 154  
 سومطرة . 79 . 105 . 112 . 115 . 116  
 197 . 204 . 342 . 348  
 سونو . 44  
 سويسرا . 63 . 341  
 سيانغو . 109 . 118  
 سييريا . 71 . 105 . 112 . 116 . 207 . 208  
 216 . 217 . 218 . 296 . 310 . 320 . 323 . 325  
 332 . 334 . 340 . 349 . 350 . 351 . 355  
 سيثيا . 40  
 سيراكوزا . 92  
 سيراليون . 29 . 42 . 299 . 341 . 344  
 سيريك . 112  
 سيلان . 33 . 45 . 79 . 82 . 107 . 126 . 127  
 155 . 205 . 345  
 شرق آسيا . 79 . 99 . 101 . 186 . 255  
 شيتلاند . 31 . 43  
 صباح . 112  
 صحراء كوير . 63  
 صربيا . 111 . 135 . 139  
 صقلية . 24 . 45 . 56 . 57 . 63 . 64 . 79 . 81  
 90 . 91 . 92 . 130 . 141 . 192 . 245 . 343  
 صور . 64  
 طريق الحرير . 95 . 112 . 113 . 117 . 136  
 طنجة . 107 . 116  
 طيبا . 62 . 63  
 عدن . 33 . 116 . 125 . 137 . 150 . 298  
 غالة . 58 . 65 . 341  
 غانا . 44 . 213 . 303  
 غرينيش . 44  
 غريمسي . 91  
 غريناد . 44  
 غرينلاند . 81 . 82 . 92 . 202 . 266 . 310 . 319  
 322 . 323 . 324 . 326 . 331 . 33 . 342 . 350  
 355 . 356  
 غلوسستر . 88 . 196  
 غوانغدونغ . 115  
 غوبي . 102 . 114 . 125 . 136  
 غوريزيا . 113  
 غينيا . 42  
 فارثيا . 63

- فاس . 108 . 118  
فرنسا . 38 . 43 . 44 . 46 . 52 . 55 . 57 . 64 . 65 .  
77 . 79 . 90 . 92 . 112 . 130 . 134 . 139 . 140 .  
159 . 192 . 193 . 201 . 209 . 211 . 212 . 213 .  
216 . 229 . 230 . 243 . 245 . 248 . 260 . 272 .  
286 . 287 . 289 . 290 . 292 . 294 . 300 . 302 .  
327 . 332 . فرنسا الألية . 55 . 57 . 332  
فريولي . 101 . 113  
فلادي . 89  
فلسطين . 75 . 306  
فلورنسا . 94 . 138 . 192  
فوكين . 102 . 115  
فينيتو . 63 . 113  
فاينلاند . 82 . 82 . 93  
فيكس . 81  
فينسين . 82  
قبرص . 23 . 45 . 64 . 129 . 131 . 141 . 294 .  
306  
قوت حدشت . 64  
قرطاج . 29 . 56 . 57 . 58 . 64 . 65  
قرطبة . 90  
قيرغيزستان . 114 . 136 . 137  
كاشاي . 84 . 95 . 100 . 171 . 173 . 174 .  
202 . 207 . 209  
كاراكوريوم . 100 . 111  
كازاخستان . 114 . 136 . 137 . 218  
كالفادوس . 92  
كالمتان الغربية . 112  
كاليفورنيا . 166 . 225 . 233 . 237 . 247 . 248 .  
264 . 269 . 364 . 369  
كامبانيا . 63 . 94 . 133  
كامدن . 88  
كتالونيا . 39  
كتيش . 75 . 89  
كندا . 92 . 168 . 203 . 211 . 212 . 214 . 219 .  
229 . 234 . 240 . 242 . 243 . 244 . 245 . 246 .  
248 . 273 . 325 . 326 . 327 . 329 . 330 . 331 .  
332  
كوبلاي . 101 . 101 . 102 . 112  
كورسيكا . 56 . 64 . 141  
كورنوال . 23  
كوشين . 102 . 105 . 128 . 343  
كوكسهافن . 43  
كولومبيا . 46 . 91 . 194 . 195 . 197 . 233 .  
245 . 246 . 247 . 248  
كييك . 47 . 93 . 211 . 229 . 230 . 231 .  
241 . 244  
كيرونيا . 63  
كينغ هاي . 61  
لابرادور . 81 . 92 . 93 . 202 . 211 . 213 . 214 .  
241 . 271 . 273  
لاوس . 104 . 115  
الآستانة . 39  
البحرين . 116  
لندن . 44 . 88 . 123 . 133 . 134 . 139 . 203 .  
242 . 228 . 229 . 239 . 297 . 311 . 327 . 359  
لوبوي . 114  
لوبلين . 90  
لومبارديا . 55 . 63 . 130  
ليريا . 42  
ليبيا . 29 . 41 . 118 . 133 . 299 . 361  
ليتوانيا . 90 . 138

- ليون. 25. 100  
ماتيزي. 113  
مارغيانا. 63  
مارين. 92  
ماساجت. 61  
ماغنا غراسيا. 25. 38. 92  
مالابار. 127. 128. 343. 345  
مالي. 41. 44. 213. 296  
ماليزيا. 112. 167  
مانيسا. 61  
مايوركا. 84. 95. 139. 146. 160. 343  
مجدليب. 117  
محافظة جيانغمن. 115  
مدغشقر. 105. 150. 155. 163. 164  
مدينة التوابل راجع: كاليكوت  
مدينة الجسور. 113  
مدينة الملايكة. 122  
مدينة المياه. 113  
مدينة النور. 113  
مدينة غدانسك. 89  
مدينة قوريني. 43  
مدينة ينطيون. 40  
مرسليا. 25. 26. 27. 31. 38. 39. 43. 139.  
340  
مسينا. 45  
مصر. 23. 28. 37. 40. 42. 44. 53. 54.  
58. 62. 88. 91. 116. 118. 124. 134. 153.  
156. 157. 167. 188. 216. 285. 289. 290.  
292. 296. 298. 302. 304. 306. 341  
مقاطعات فريولي-فينيتسيا جوليا. 113  
مقدونيا. 62. 63. 64  
مكة المكرمة. 107. 108. 297. 343  
مكتبة الإسكندرية. 31. 44. 311  
مكتنف ناخيتشيفان الأذربيجاني. 117  
ملطية. 40  
ملكة الأدياتي. 113  
ملكة ويسكس. 52  
منطقة فينتو. 113  
منغوليا. 104. 112. 115. 136. 218. 332.  
356  
موريتانيا. 57  
موريطانيا الطنجية. 116  
موريل. راجع: جزر ساندويش  
مومباي. 117  
مونتي سيريتو. 94  
ميديا. 61. 63  
ميغارا. 39  
ميلانو. 63. 133  
مليتوس. 25. 27. 39. 40  
ميناء إسكندرونة. 45  
ميورقة. 65. 95  
نابولي. 122. 133. 183. 192. 205. 215.  
244  
ناربون. 113  
ناغورني كارباخ. 116  
نجد. 115  
نورماندي. 81  
نورمبرغ. 122. 133. 155. 163. 196  
نوميديا. 65  
نيارخوس. 30. 42  
نيكوبار واندامان. 105  
نيورونزويك. 93. 240. 242



- نيوزيلندا. 46. 47. 248. 253. 258. 259.
267. 270. 271. 272. 328
- نيوفاوندلاند. 46. 92. 201. 203. 211.
213. 214. 228. 242. 258. 271. 273. 345
- هالكيدون. 39
- هاليكارناسوس. 28. 40
- هامبورغ. 43
- هاواي. 46. 47. 248. 260. 266. 271.
- 351
- هاياستان. 117
- هايك. 117
- هندوستان. 57
- هولندا. 30. 89. 20. 5. 20. 9. 215. 229. 241.
251. 25. 4. 255. 68 2
- هيرفورد. 73. 74
- هيركانيا. 63
- هيكاتايوس. 27. 28. 40. 341
- وادي البو. 65
- وادي الرون. 111
- وادي فرغانه. 114
- وادي وخن. 114
- واديا كشغر. 114
- وارسو. 89. 107
- ورسستر. 88
- وستمنستر. 118. 133
- وسط آسيا. 77. 111. 114. 115
- ولاية إلينوي. 38. 243
- ولاية أوتاراخند. 61
- ولون. 39
- ويستاليا. 19
- ويلز. 88. 211. 259. 260. 263. 271. 272.
273. 274. 275. 302. 317
- ياتتشو. 102. 115
- يانغون. 115
- يب يورك. 10. 271
- يوغرطة. 65
- يوكون. 19. 284
- الأنهار والبحار والمحيطات**
- الأمزون. 61. 162. 180. 195. 197. 226.
227. 234. 238. 295. 297. 345. 347. 350
- الأنهار الكبرى. 28. 51
- البحر الإريثري. 45. 104. 114. 131.
141. 338
- البحر الأبيض المتوسط. 10. 23. 24. 25. 28.
29. 56. 57. 70. 73. 78. 84. 123. 124.
147. 201
- البحر الأحمر. 28. 37. 45. 70. 125. 137.
146. 147. 150. 167. 282. 297. 337
- البحر الأدرياتيكي. 54
- البحر الأسود. 24. 25. 28. 35. 89. 123.
- 135
- البحر الكاريبي. 14. 44. 193. 236. 238.
- 241
- البحر الكلتى. 45
- الخليج الأدراميتى. 45
- الخليج العربى. 24. 30. 42. 52. 102. 114.
- 341
- الخليج العربى. 167. 214. 343
- الخليج اللاتمى. 39
- القولغا. 77. 89. 100

- اللاتين. 63  
 المحيط الأطلسي. 42. 45. 46. 91. 93. 116.  
 140. 168. 160. 161. 163. 164. 166. 167.  
 174. 191. 192. 193. 195. 201. 211. 214.  
 229. 232. 239. 240. 260. 295. 296. 298.  
 299. 300. 303. 316. 338.  
 المحيط المتجمد الشمالي. 105. 217. 218. 245.  
 323. 328. 325.  
 المحيط الهادئ. 10. 46. 47. 184. 187. 195.  
 197. 207. 214. 217. 218. 223. 232. 235.  
 236. 237. 238. 245. 246. 247. 248. 251.  
 254. 259. 261. 266. 268. 270. 271. 272.  
 273. 275. 316. 325. 328. 361. 368.  
 المحيط الهندي. 33. 116. 150. 164. 165.  
 167. 167. 182. 205. 268. 276. 295.  
 الميسيسيبي. 61  
 أنهار خوتان. 104  
 بالاتا.. 39  
 بحر البلطيق. 89. 93  
 بحر الشمال. 43. 45. 93. 274. 325.  
 بحر الصين الجنوبي. 115  
 بحر الصين الشرقي. 61  
 بحر العرب. 42. 114. 165. 216.  
 بحر إريثراين. 33  
 بحر إيجه. 34. 70. 123.  
 بحر قزوين. 24. 89. 137.  
 بحر مرمرة. 39  
 بحيرة بايكال. 100. 112. 115. 296.  
 بحيرة زوركول. 114  
 تايوان. 115  
 جيانغشي. 115  
 خليج الإسكندرون. 32. 45  
 خليج البنغال. 60. 116. 215  
 خليج اليون. 25. 38. 39  
 خليج اليون. 25. 39  
 خليج بسكاي. 30. 43. 273  
 خليج ساليرنو. 94  
 خليج سرت. 40. 41  
 خليج عدن. 116. 137. 298  
 خليج عمان. 114  
 خليج كامبردج. 330  
 دجلة. 38. 51. 52. 137. 216. 281  
 فيومتشينو. 65  
 قناة سميت. 10  
 قنال القديس جورج. 45  
 مضائق النرويج. 81  
 مضيق البوسفور. 39  
 مضيق جبل طارق. 23. 32. 43. 123. 135.  
 145  
 مضيق مسينا. 32. 44  
 نهر الأوردو. 89  
 نهر التايمز. 44. 132. 134. 137. 324. 332  
 نهر الدانوب. 133  
 نهر الدينير. 77. 89  
 نهر الرون. 39. 111. 139  
 نهر السند. 30. 42. 55. 341  
 نهر الغانج. 33. 51. 61  
 نهر الفرات. 24. 337  
 نهر النيل. 29. 31. 37. 38. 44. 51. 54. 61.  
 79. 107. 134. 162. 195. 280. 281. 282.  
 285. 286. 292. 293. 295. 296. 297. 301.  
 302. 337. 349. 351. 352. 354

40. 41. 42. 45. 51. 52. 56. 57. 58. 59.  
 61. 62. 63. 64. 65. 69. 75. 77. 78. 87.  
 90. 99. 104. 111. 112. 113. 116. 123.  
 124. 125. 126. 134. 135. 139. 140. 146.  
 197. 241. 337. 342.  
 الإمبراطورية السلوقية. 42  
 الإمبراطورية الفارثية. 63  
 الإمبراطورية الفارسية. 40. 53. 54. 62  
 الإمبراطورية القرطاجية. 58  
 الإمبراطورية الكارولنجية. 89  
 الإمبراطورية المغولية. 99. 111. 112. 113.  
 126  
 الإنجليز. 13. 19. 31. 135. 137. 159.  
 160. 184. 201. 202. 204. 205. 206.  
 209. 211. 212. 213. 214. 216. 228.  
 229. 230. 231. 256. 257. 259. 260.  
 261. 285. 293. 317. 316  
 الإنويث. 92  
 الإيرانيون. 40  
 الأتراك. 115. 130. 156. 171  
 الأثينيون. 26. 41. 54  
 الأحباش. 24. 289  
 الأدارسة. 41. 118  
 الأسرة الأشكانية. 63  
 الأفزام. 24. 82. 291. 305. 356  
 الألمان. 77. 140. 183. 262. 300. 332  
 الأمويون. 116. 118. 165. 297  
 الأنثروبوغافي. 71. 87  
 الأوروبيون. 10. 16. 17. 19. 82. 95. 111.  
 118. 127. 149. 150. 160. 162. 166. 196.  
 197. 234. 236. 242. 245. 265. 266. 274.  
 نهر إلبه. 30. 43. 134  
 نهر أورخون. 100. 111  
 نهر بو. 63. 141  
 نهر توجات. 89  
 نهر جن. 115  
 نهر جيحون. 102  
 نهر روبيكون. 57. 65  
 نهر سانت لورانس. 47. 202. 211. 229. 347  
 نهر فيستولا. 77. 89  
 نهر كولومبيا. 233. 247.  
 نهر مايندر. 39  
 نهر واي. 88  
 نهر يانغ تسي كيانغ. 51. 61  
 نهر يانغتسي. 95  
 نهر يمنا. 117. 151  
 يانغ تسي كيانغ. 51
- الأمم والشعوب**  
 اللاتينيون. 56. 124  
 الإثريون. 56. 63  
 الإسبان. 156. 158. 159. 166. 175. 178. 183.  
 186. 188. 194. 209. 223. 224. 225. 227.  
 235. 236. 238. 239. 251. 256. 266. 347  
 الإسبرطيون. 54  
 الإسكندنافيون. 73. 82. 91. 93. 211. 310  
 الإغريق. 23. 25. 28. 36. 37. 38. 39. 40.  
 54. 64. 78. 90. 91. 123. 171. 239  
 الإمبراطورية الآشورية. 53  
 الإمبراطورية البابلية. 52. 53  
 الإمبراطورية الرومانية. 11. 13. 32. 36. 39.

- 300 .290 .284 .279  
الأوزبك .113  
الأوسخيساي .40  
الآشوريون .53 .51  
الآشوريون .53 .51  
البابليون .61 .27 .25 .24  
الباسك .236 .197 .183 .140 .43  
البرايش .41  
البراهمة .105  
البراهوية .42  
البرتغاليون .155 .154 .150 .149 .145 .19  
156 .157 .158 .171 .183 .186 .188 .205  
206 .209 .215 .223 .224 .227 .252 .255  
278 .280 .338 .339  
البطالة .44  
البوروغونديون .90  
التار .118 .116 .115 .107 .103 .99 .11  
206 .217  
التار المغول .115  
التونغوس .116 .105  
الجرمانيون .73 .91 .90 .89 .63 .63 .43  
الجرينلانديون .9  
الحثيون .53  
الدولة الخوارزمية .111  
الدومنيكان .102  
الرخشانية .42  
الروس .350 .340 .216 .206 .117  
الرومان .42 .41 .40 .39 .36 .32 .23 .11  
45 .51 .52 .56 .57 .58 .59 .61 .62 .63  
64 .65 .69 .75 .77 .78 .87 .89 .90  
94 .99 .111 .112 .113 .116 .123 .124
- 125 .134 .135 .140 .146 .197 .241 .337  
341 .342  
السامنتيون .63 .56  
السكيابودس .71  
السلالة المولوسيانة اليونانية، .64  
السيريس .101 .100  
السينوسيفالي .88 .73  
الشعوب الأسترونيزية .112  
الشعوب الكلتيية .65  
الشعوب الإمبراطورية الفارثية .63  
الصقليون .183  
الصينيون .136 .115 .113 .102 .83 .82 .79  
196 .206 .207 .304 .343 .356  
الطاجيك .113  
الطوارق .41  
الطييون .54  
العائلة المالكة الآخية .64  
العبرانيون .51  
العرب .83 .82 .81 .80 .79 .78 .44 .12  
90 .107 .109 .115 .117 .126 .129 .160  
164 .165 .166 .280 .292  
الغرافين .88 .73  
الفاطميون .118  
الفرس .62 .61 .54 .40 .38  
الفرنجة .90 .89 .77  
الفرنسيون .193 .183 .139 .134 .101 .41  
194 .209 .215 .228 .229 .230 .231 .243  
244 .266 .280 .284 .290 .304  
الفينيقيون .123 .81 .65 .64 .56 .37 .23  
194  
القاندال / الواندال .77

- إمبراطورية جين. 111.  
 إندیکا. 42. 63. 88  
 أسكيمو. 10. 203. 213  
 أصحاب الكهف. 73  
 آلانس. 89  
 بنو إسرائيل. 11. 52. 61. 108  
 بوهيميا راجع: جمهورية التشيك  
 جمهورية التشيك. 43  
 سلالة توغلوك. 117  
 صنهاجه. 41  
 عائلة أفيز. 95  
 قبيلة الأنصار. 41  
 قبيلة السنغاي. 41  
 قراخيطان. 111  
 لسيكيثيون. 40  
 لواته. 41  
 مانديفيلي. 71  
 مدينة الزيتون. 115  
 مقاطعة فوجين. 115  
 مملكة بابل. 52. 53  
 مملكة بولندا. 78  
 مملكة لومبارديا. 63  
 مملكة ليديا. 53. 62. 88  
 مونكو خان. 113  
 نوردية. 91. 93  
 هايربوريني. 24. 37. 38  
 ياغيلون. 90  
 ياجوج ومأجوج. 71. 86. 100  
 يهوذا. 52. 61. 118  
 الفايكنغ. 81. 91. 93  
 القبائل البلوشية. 42.  
 القرطاجيون. 29. 56. 57. 58. 64. 65  
 القوط. 77. 89. 134.  
 الكاتالونية. 84  
 الكاثانيون. 100. 101  
 الكامتشاتكيون. 9  
 الكلدانية. 52. 53  
 اللومبارديون. 63. 89  
 المصريون. 23. 37. 44. 285. 290. 303  
 المقدونيون. 41. 54. 62. 64  
 المكسيكيون. 10. 82. 223. 224. 235. 236. 306  
 الملايو. 101. 112. 116. 255. 327  
 الميديون. 37. 53  
 المغارة. 39. 40  
 الناسامونيس. 29. 40  
 النسطوريين. 109  
 النورمان. 81. 91. 92. 93. 147  
 النوميديون. 65  
 النيكوميديون. 40  
 الهندوس. 61  
 الهنود. 79. 230. 231. 293. 312  
 الهون. 76. 89  
 اليابان. 105. 109. 118. 156. 171. 177.  
 188. 260. 267. 272. 338. 339. 347. 351  
 اليونان. 12. 23. 24. 25. 28. 29. 30. 31. 32.  
 36. 37. 38. 39. 42. 45. 46. 54. 55. 56. 57.  
 62. 63. 64. 78. 88. 90. 92. 112. 130. 140.  
 141. 171. 183. 191. 257. 306. 337  
 اليونانيون. 24. 25. 29. 30. 31. 36. 53. 54. 55  
 إتروسكانز. راجع: الإتروريون.

## اللغات

- الإنجليزية. 15. 87. 133. 159. 361. 360  
التونغوسية. 115  
السريانية. 78. 79. 108  
العربية. 78. 79. 90. 108. 150. 282. 300. 360  
الفرنسية. 87. 104. 231. 212. 230. 300  
اللاتينية. 35. 64. 88. 90. 94. 171. 172.  
187. 195. 299  
اللغات الأوروبية. 90  
اللغة الإيطالية. 94. 104. 112.  
اللغة البربرية. 40  
اللغة البلوشية. 42  
اللغة الغيلية. 45  
اللغة النورمندية. 92  
اللغة الهندية الأوروبية. 61  
اليونانية. 25. 26. 32. 78. 42. 54. 62. 78.
- معركة الجوبارتا 145. 159.  
معركة أجيكورت 145  
معركة بنفتوم الأولى 42  
معركة بنفتوم الثانية 42  
معركة بوسوث 211  
معركة ترينتون 247  
معركة ديو. 167  
معركة سالاميس. 37  
معركة سهول أبراهام 244  
معركة كيرونا 63  
معركة مارثون 37. 62.

## الأشجار والنباتات

- الأفيون. 129.  
البن. 117.  
البوراكس. 128.  
التمر الهندي 128.  
التمور 299.  
الجاوي 127.  
الجوز 79. 117  
الحري الممتاز 129.  
الراوند 129.  
الروفا أو الروبيا 128.  
الزعفران. 128.  
الزنجيل السوراتي 128.  
السينا 129.  
الصمغ العربي 129.  
العود 128.  
الفصوص. 127.  
القرفة 127.

## الحروب والنزاعات

- الثورة الفرنسية 139. 216.  
الحرب البونية الثانية 63  
الحرب البونيقية 42. 57.  
الحرب الفرنسية البروسية 78  
الحروب الصليبية 76. 79. 99  
الغزو الإسكندنافي 73  
بنفتوم الأولى 42  
بنفتوم الثانية 42  
جروميتيوم 42  
حملة فيغا 95  
غزو سيبيريا 217

- القطن 117.  
الكافور 128.  
الكركم 127.  
اللازورد 129.  
اللوبال المر 128.  
المسك 128.  
المصطكى 127، 129.  
المطاط 117.  
المقل 128.  
جوز الطيب 180، 185، 196.  
جوز القيء 128.  
حجر الشب 128.  
دم التنين 128.  
راتنج اللاك 128.  
راتنج اللودانوم 129.  
زيت الخروع 129.  
صبغة النيل 128.  
طلاء الذهب 129.  
فلفل المائدة 127.  
قشرة جوز الطيب 127.  
قطر الغاريقون 128.  
كاكاو 79.  
كروم 93، 148.  
ملح أمونياكا 128.
- المصطلحات**
- الإثنولوجيا 80  
الأطلس الكاتالوني 95  
الأناجيل الإزائية 118  
البصريات 47، 114
- التوراة 53، 113  
الجاكار 111  
الجغرافيا 12، 27، 28، 30، 31، 34، 35، 46.  
69، 70، 73  
الجغرافيا 74، 108، 109، 138، 207، 242.  
257، 280، 231، 341، 355  
الجليد القطبي 43  
الجمعية الملكية 47، 258، 271  
الخريطة البويتينجيرية 89  
الخريطة الكاتالونية 84  
الرومانسية 94، 225  
الرؤية 87  
السناتوس 65  
الشمبانيا 94  
الطوبوغرافيا المسيحية 72، 88  
العالم الهيليني 55  
العصور الوسطى 52، 61، 70، 71، 73، 74، 76.  
80، 82، 85، 87، 88، 90، 94، 95، 100، 105.  
108، 109، 112، 116، 118، 121، 126، 129.  
138، 139، 140، 141، 178، 187، 201، 213.  
321، 337  
القرآن الكريم 87، 113  
الكتاب المقدس 53، 70، 71  
الكوميديا الإلهية 94  
اللاهوت 44، 72، 93  
المابا موندي 69، 73، 88، 342، 343  
المجال الدنمركي 92  
المد والجزر 43  
المناخات 24، 36، 79  
الميكانيكا الكلاسيكية 4  
الياقوت 103، 126

- إنجيل لوقا 118  
 إنجيل متى 118  
 إنجيل مرقس 118  
 إنجيل يوحنا 118  
 بورتولانو 344. 279. 162. 149. 94. 84  
 بورتولانوس راجع: بورتلانو  
 بيوتينجير 89. 75  
 توقيت غرينتش 44  
 جمعية بارك إنديفور 47  
 حزقيال الخامس 70  
 حكاية جون كوهين 109  
 خط الاستواء 162. 149. 117. 79. 35. 32  
 186. 166  
 خط الزوال ( فيرو ) 51. 35  
 خط غرينتش 44  
 خطوط الطول 34. 35. 36. 44. 46. 174.  
 328. 269  
 رزقيال 94  
 سفر التكوين 51. 73. 87  
 سفر حزقيال 87  
 سفريات جون مانديشيلي 87  
 سير النبلاء الإغريق والرومان 64  
 عبور الروبيكون 65  
 عصر النهضة الأوروبية 90  
 علم الأميرالية 47  
 قصة الحضارات المقرضة في الشرق 51  
 كتاب التراكيب الرياضية 46  
 كتاب الكليات 93  
 كتاب المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية 47  
 كتاب المسجطي 45. 78. 90  
 كتاب إلمليونني 95  
 كتاب آريانوس إنديكا 42. 63  
 كتاب عجائب الدنيا 87  
 ماثماتيكا سينتاكسيس - راجع: كتاب المجسطي  
 مدار غرينتش 44  
 معجم البلدان 90  
 معجم المصطلحات الأنجلو- هندية 115  
 هيريفورد 73. 74. 76. 88  
 هيئة حرس الإمبراطور 81  
 ثورة المدن الإيونية 40  
**الحيوانات**  
 السمور. 206. 207  
 الدببة البيضاء 105.  
 الرنة 105.  
 السمك . 19. 127. 301. 313. 315. 327. 353  
 الغوريلا 29  
 الفقمة 328.  
 الكنغر 255.  
 كلاب الزلاجات 105.  
 نجم الروك 105.  
**الأرخبيلات والجزر**  
 الأرخبيل الهندي 105  
 أرخبيل الفيلين 197  
 أرخبيل القطب الشمالي الكندي. 92. 329  
 أرخبيل الملايو 255. 347  
 أرخبيل اليابان 109  
 أرخبيل باروي 311



- أرخبيل تيرا ديل 195. 251  
 أرخبيل جزر البليار. 95  
 أرخبيل جزر أنتيل ويندوارد 46. 179  
 أرخبيل دهلك 297  
 أرخبيل زنجبار 295  
 أرخبيل سفالبارد 214. 215  
 أرخبيل سيفرنايا زيمليا. 332  
 أرخبيل شتلاند 313. 314  
 أرخبيل ماديرا 160  
 أرخبيل نويتس 251. 265  
 أرخبيل هيريدس الأسكتلندي. 266  
 جزر البليار 56. 64. 65. 95  
 جزر التوابل 19. 156. 168. 188. 208. 255.  
 309. 337. 346  
 جزر الكناري 34. 45. 174. 176. 193. 344  
 جزر بحر إيجه 25  
 جزر ساندويش. 43  
 جزر شتلاند راجع: شيتلاند  
 جزر فارو. 82. 93  
 جزر فورتونات 34. 46  
 جزر ماديرا 46. 148. 160  
 جزيرة الزمرد 45  
 جزيرة بريطانيا العظمى. 43. 134. 328  
 جزيرة رودس 32. 44. 289. 291. 303. 306  
 شبه الجزيرة الإيطالية 55. 64  
 شبه الجزيرة العربية 45. 78. 128. 129. 165.  
 345  
 شبه القارة الهندية. 61. 135. 136  
 شبه جزيرة القرم 101. 107. 135 .

# قائمة الخرائط والرسوم التوضيحية

---



معطف وأسلحة «دبل كانو»، من المرجع: from Guillemard, Magellan. By kind permission of Messrs. Phillips. كما يوضح هذا المرجع الأهمية التي تُعزى إلى جزر التوابل، باعتبارها الهدف الرئيس من رحلة «ماجلان». انظر blazon ص 129-30.

أول خريطة للعالم، من المرجع: C.J.Ball's Bible Illustrations, 1898. لعلها ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وهي تشير إلى وجهة نظر البابليين للعالم المحاط بالمحيطات، والتي أشارت إليها الدوائر الموازية، واجتياز الفرات لها، حيث تُظهر انحرافه من الوسط، مع مدينة بابل العظيمة، وعبره في أعلاها. ما وراء المحيط سبعة إسقاطات متتالية من الأرض، قد تشير إلى المعرفة البابلية عن البلدان المحيطة خارج يوكسين والبحر الأحمر.

العالم وفقاً لبطليموس: ويلاحظ أنّ الجغرافي اليوناني «بطليموس» يعتبر أنّ المحيط الهندي هيئة غير ساحلية من المياه، في حين يبدو أنّ لديه بعض المعرفة من هذا القبيل عن النيل. الاتجاه العام للخريطة هو امتداد آسيا كثيراً نحو الشرق، فأدّى سوء التقدير إلى تشجيع «كولومبوس» على اكتشاف أمريكا.

الطرق الرومانية في أوروبا: (رُسمت خصيصاً لهذا المؤلف)، وهي تُظهر تقريباً أنّ معرفة القدماء للحدود الجغرافية تصل إلى بعض درجات الدقة.

الوحوش الجغرافية: من الطبعة المبكرة للمرجع Mandeville's Travels. كانت معظم الخرائط في العصور الوسطى مرصعةً بصورٍ لوحوشٍ غريبة.

خريطة هيرفورد: واحدة من أكثرها شهرةً في خرائط العصور الوسطى، وقد رسمها «ريتشارد ألدينغهام» حوالي العام 1307م. مثل معظم هذه الخرائط، يظهر الشرق مع الجنة الأرضية في الأعلى، والقدس ممثلةً بمركزها.

جدول بيوتينجر، الجزء الغربي: هذه هي الخريطة الرومانية الوحيدة الموجودة؛ وهي توضح خطوط الطرق للشواطئ الشرقية لبريطانيا إلى البحر الأدرياتيكي. والحقيقة أنها نوعٌ مأخوذ من وجهة نظر عيون الطيور من الساحل الأفريقي، إذ يمتد البحر الأبيض المتوسط على شكل شريطٍ رقيق من خلال الجزء السفلي من الخريطة، والقسم السفلي ينضم إلى الأعلى.

العالم وفقاً لابن حوقل؛ من المرجع: Lelewel, Géographie du mon age. هذه الخريطة - مثل معظم الخرائط العربية - يظهر فيها الجنوب في الأعلى، وهي مخططٌ عمليّ فقط، وبالتالي فهي مماثلة لخريطة «هيرفورد» بشكلٍ عام. Misr= Egypt, Fars= Persia, Andalus= Spain.

الخط الساحلي للبحر الأبيض المتوسط؛ من المرجع: from the Portulano of given in Nordenskiöld's Facsimile Atlas, 1339, Dulcert. لتوضيح الدقة التي أعطتها مخططات البحارة للخطوط الساحلية، على النقيض من التمثيل الرمزي الوحيد للخرائط المتوسطة الأخرى.

خريطة «فرا ماورو» - 1457م. من المرجع: from Lelewel, loc. Cit. هنا - كالمعتاد - يتم وضع الجنوب في الجزء العلوي من الخريطة. وإلى جانب المفاهيم العادية في القرون الوسطى، شملت «فرا ماورو» الاكتشافات البرتغالية على طول ساحل أفريقيا، حتى تاريخ 1457م.

الكشوفات البرتغالية في أفريقيا؛ من المرجع: from E.J. Payne, European Colonies, 1877. إعطاء النقاط المتعاقبة التي توصل إليها الملاحون البرتغاليون خلال القرن الخامس عشر.

جزر الهند البرتغالية؛ من المرجع: from Payne, loc. Cit.، وقد احتفظ البرتغاليون بجميع الموانئ المذكورة في النمط العادي، في القرن السادس عشر.

خريطة «توسكانييلي»؛ من المرجع: from Kretschmer, Entdeckung Amerikas, 1892، هي إعادة بناءٍ للخريطة التي حصل عليها «كولومبوس»، من قبل الفلكي الإيطالي ورسّام الخرائط «توسكانييلي»، وقد استخدمها لتوجيهه في رحلته عبر المحيط الأطلسي؛ وستتم ملاحظة تشابهها العام مع خريطة «بيهم غلوب».

كرة «بيهم»: تعطي المعلومات حول العالم، في العام 1492م، تماماً كما كان «كولومبوس» قد بدأ بها، وتستند أساساً إلى خريطة «توسكانيلي» التي كانت بمثابة دليل لها. ويُلاحظ أنه لا توجد قارة أخرى بين إسبانيا وزيانغو أو اليابان، في حين تمثل الجزيرتان الأسطورتان، سانت براندان وأنتيليا، سدّ الفجوة بين جزر الأزور واليابان.

«أمريكو فيسبوتشي»؛ من المرجع: from Fiske's School History of the United States, by kind permission of Messrs. Houghton, Mifflin, & Co

«فرديناند ماجلان»؛ من المرجع: from Fiske's School History of the United States, by kind permission of Messrs. Houghton, Mifflin, & Co

خريطة العالم: من طبعة «ببليموس» للعام 1548 م، ويُلاحظ أنه من المفترض أن تنضمّ المكسيك إلى آسيا، وأنّ منطقة شمال المحيط الهادئ لم تكن معروفة حتى ذلك التاريخ. after Kretschmer's Entdeckungsgeschichte Amerikas.

آسيا الروسية: بعد الأطلس الذي نشرته الأكاديمية الروسية للعلوم، في العام 1737 م، تتمثل اليابان في شبه جزيرة by kind permission of Messrs. Hachette.

أستراليا كما هي معروفة في العام 1745م، من المرجع: from D'Anville's Atlas, by kind permission of Messrs. Hachette، وسيُنظر إلى أن السواحل الشمالية والغربية، حتى ذاك الوقت، كان قد تمّ تحديدها بشكلٍ جيّد، ولم يتبقّ سوى استكشاف الساحل الشرقي، من قبل «القبطان كوك».

أستراليا: عرض مسارات الاستكشاف (تمّ إعداده خصيصاً لهذا الكتاب)، وترد أسماء كبار المستكشفين في أعلى الخريطة.

أفريقيا كما هي معروفة في العام 1676م: (من أطلس دابر) وهذا يشمل معرفة معظم البحيرات الرملية للنهر الأفريقي، نتيجة استكشافات البرتغاليين.

أفريقيا: (تمّ إعداده خصيصاً لهذا الكتاب، لإظهار الاستكشافات الرئيسة والتقسيم)، وترد أسماء المستكشفين على سطح الخريطة نفسها.

المناطق الشمالية القطبية، نصف الغربية: (أعدّ خصيصاً لهذا الكتاب من الأطلس الوطني، بعد طلب الإذن من السادة «بارثولوميو»)، وهذا يعطي

نتائج الاكتشافات، بفضل بعثات «فرانكلين»، ومعظم الباحثين، بعد الممرّات الشمالية الغربية.

المناطق القطبية الشمالية، النصف الشرقي: هذا يغطي ساحل سييريا الذي تمّ تفتيشه من قبل الروس و«نوردنسكيولد»، وكذلك «نانسن» في أقصى الشمال.

سلم القطب الشمالي: (تمّ إعداده خصيصاً لهذا الكتاب)، ويُقدّم في شكل بياني أسماء كبار المسافرين في القطب الشمالي وخط العرض N الذي تمّ التوصل إليه من قبل «جون ديفيس» (1587م)، إلى «نانسن» (1895م).

## حوليات الاستكشاف

### قبل الميلاد:

- حوالي 600: تأسست مرسيليا.
- 570: «أناكسيماندر»، من مدينة ميليتس، يخترع الخرائط وعقرب ساعة الشمس.
- 501: «هيكاتايوس»، من مدينة ميليتس، يكتب الجغرافيا الأولى.
- 450: يقول «هيميلكو» أن «القرطاجيين زاروا بريطانيا».
- 446: «هيرودوت» يصف مصر وسكيتيا.
- حوالي 450: «هانو القرطاجي» يُبحر على طول الساحل الغربي لأفريقيا، وصولاً إلى سيراليون.
- حوالي 333: «باثياس» يزور بريطانيا والبلدان السفلية.
- 332: «ألكسندر» يغزو بلاد فارس ويزور الهند.
- 330: «نيرتشوس» يُبحر من نهر السند إلى الخليج العربي.
- حوالي 300: «ميغاستينس» يصف البنجاب.
- حوالي 200: «إراتوستينس» يؤسس الجغرافيا العلمية.
- 100: «مارينوس الصوري» يؤسس الجغرافيا الرياضية.
- 60-54: «قيصر» يغزو غالة، ويزور بريطانيا وسويسرا وألمانيا.
- 20: «سترابو» يصف الإمبراطورية الرومانية، ويذكر ثول وأيرلندا للمرة الأولى.
- 12: «أغريبا» يقوم بتصنيف خريطة «موندي» التي هي أساس كل النجاحات الكشفية.



## بعد الميلاد:

- 150:** «بطليموس» ينشر جغرافيته.
- 230:** جدولة صور الطرق الرومانية على خريطة «بيوتينجر».
- 400-414:** ترحال «فاهين» عبر أفغانستان والهند ووصفه لها.
- 499:** «هوي سين» يتحدث عن زيارته إلى مملكة «فوسانغ»، حوالي 20,000 فيرلنغ، شرق الصين التي حددها البعض بكاليفورنيا.
- 518-521:** «هوي سينغ» و«سونغ يون» يقومان بزيارة البامير والبنجاب ووصفهما.
- 540:** «كوزماس إنديكوبلستس» يزور الهند، ويعارض فكرة كروية الأرض.
- 629-646:** «هيوين تشانغ» يسافر عبر تركستان، أفغانستان، الهند، وباميرس.
- 671-695:** «آي تسنغ» يسافر عبر جاوة وسومطرة والهند، ويقوم بوصفها.
- 776:** خريطة «مابا موندي» من بيتوس.
- 851-916:** «سليمان وأبو زيد» يقومان بزيارة الصين.
- 861:** «نادود» يكتشف أيسلندا.
- 884:** «ابن خرداذبة» يصف الطرق التجارية بين أوروبا وآسيا.
- حوالي 890:** «وولفستان» و«أهير» يُبحران إلى بحر البلطيق والرأس الشمالي.
- حوالي 900:** «غونبيرون» يكتشف غرينلاند.
- 912-930:** الجغرافي «المسعودي» يصف ديار الإسلام، من إسبانيا إلى الهند، في كتابه «مروج الذهب».
- 921:** «أحمد بن فضلان» يصف بلاد الروس.
- 969:** «ابن حوقل» يؤلف كتابه عن الطرق.
- 985:** «إريك الأحمر» يستعمر غرينلاند.
- حوالي 1000:** «ليف»، ابن «إريك الأحمر»، يكتشف نيوفاوندلاند (هيلولاند)، نوفا سكوتيا (ماركلاند)، والبر الرئيسى لأمريكا الشمالية (فينلاند).

- 1111:** أول استخدام للبوصلة المائية من قبل الصينيين.
- 1154:** «الإدريسي»، جغرافي الملك «روجر الثاني»، ملك صقلية، ينتج جغرافيته.
- 1159-1173:** الحاخام «بنيامين»، من توديلا، يزور الخليج العربي، ويذكر الهند.
- حوالي 1180:** البوصلة الأولى التي ذكرها «ألكسندر نيكام».
- 1255:** «ويليام رويسبروك» (روبروكيس)، وهو فلمنكيّ الأصل، يزور كاراكورم.
- 1260-1271:** الأخوان «نيكولو ومافيو بولو»، وهما والد وعمّ «ماركو بولو»، يقومان بأول مشروع تجاريّ من خلال آسيا الوسطى.
- 1271-1295:** الأخوان «نيكولو ومافيو بولو» يقومان بالرحلة الثانية، يرافقهما «ماركو بولو»، ويصلون إلى بلاط «قوبلاي خان» في شانغفو، حوالي العام 1275م، حيث أوكلت إلى «ماركو بولو» بعثاتٌ عدّة إلى كوشين - الصين، وخنباليج (بيكين) والبحار الهندية.
- 1280:** خريطة هيرفورد لـ «ريتشارد هالدينغهام».
- 1284:** إيبستورف «مابا موندي».
- قبل 1290:** تصنيف خريطة «البورتولانو» العادية في برشلونة.
- 1292:** الراهب «جون مونتي كورفينو» يسافر إلى الهند، ويصبح رئيس أساقفة بيكين، بعد ذلك.
- 1325-1378:** «ابن بطوطة»، وهو عربيّ من طنجة، وبعد أدائه الحج إلى مكة المكرمة، عبر شمال أفريقيا، يزور سوريا وكولوا (أفريقيا) وأرموز وروسيا وبلغاريا وحيفا وقندهار، ويقدم نفسه إلى بلاط دهلي (1334-1342) حيث تم إرساله إلى سفارة في الصين، وبعد عودته زار تيمبوكتو.
- 1316-1330:** «أودوريكو دي بوردينوني»، وهو راهبٌ مينوري، يسافر عبر الهند، عن طريق بلاد فارس وبومباي وسورات، ثم إلى مالابار، وساحل كورومانديل، ومن هناك إلى الصين والتبت.
- 1320:** «فلافيو جيوجا»، من أmaf، يخترع صندوق البوصلة والبطاقة.
- 1312-1331:** «أبو الفدا» يؤلف جغرافيته.
- 1327-1372:** السير «جون مانديفيل» يقوم بكتابة أسفاره في الهند.

- 1328:** الراهب «جوردانوس»، من سيفيراك، أسقف كويلون (ما الذي أنجزه؟).
- 1328-1349:** «جون دي ماريغنولي»، وهو راهبٌ فرانشيسكاني، يقوم بمهمّةٍ إلى الصين، ويزور كويلون في العام 1347، كما يقوم بالحج إلى ضريح «القديس توماس» في الهند، العام 1349.
- 1339:** «أنجليكو دولسرت»، من مايوركا، يرسم خريطة بورتولانو.
- 1351:** تجميع البورتولانو المترجمة.
- 1375:** «كريسكيز»، وهو يهوديٌّ مايوركي، يقوم بتحسين بولسولو دولسرت (خريطة كاتالونية).
- حوالي 1400:** «جيهان بيتنكورت» يكتشف جزر الكناري.
- 1419:** «الأمير هنري الملاح» (توفي 1460)، يؤسس مدرسةً جغرافية في ساجرز.
- 1419-1440:** «نيكولو كونتي»، النبيل الفينيسي، يسافر في جميع أنحاء جنوب الهند وعلى طول ساحل بومباي.
- 1420:** «زاركو» يكتشف ماديرا.
- 1432:** «غونزالو كابرال» يعيد اكتشاف جزر الأزور.
- 1442:** «نونيو تريستاو» يصل إلى رأس كيب دي فيردي.
- 1442-1444:** «عبد الرزاق» يقوم بزيارة كاليكوت ومانجالور وفيجاياناغار، خلال سفره إلى الهند.
- 1457:** ظهور خريطة «فرا ماورو».
- 1462:** وصول «بيدرو دي سينترا» إلى سيراليون.
- 1468-1474:** «أثناسيوس نيكيتين»، وهو روسيٌّ، يسافر من الفولغا، عبر آسيا الوسطى وبلاد فارس، إلى غوجيرات وكامباي وشاول، حيث انتقل إلى داخل بيدار وجولكوندا.
- 1471:** «فرناندو بو» يكتشف جزيرته.
- 1471:** «بيدرو دي إسكوبار» يعبر الخط.

- 1474:** خريطة «توسكانييلي» (أساس لـ «بيهام غلوب»، ودليل لـ «كولومبوس»).
- 1478:** إصدار النسخة الثانية المطبوعة من جغرافية «بطليموس»، مع سبع وعشرين خريطة، كأول أطلس عملي.
- 1484:** «دييغو كام» يكتشف الكونغو.
- 1486:** «بارثولوميو دياز» يقترب من رأس الرجاء الصالح.
- 1487:** «بيدرو دي كوفيلهام» يقوم بزيارة أورموز، وغوا، ومالابار، ويستقر بعد ذلك في الحبشة.
- 1492:** «مارتن بيهام» يصنع عالمه.
- 1492:** السادس من سبتمبر / أيلول، «كولومبوس» يبدأ رحلته من جزر الكاناري.
- 1492:** الثاني عشر من أكتوبر / تشرين الأول، «كولومبوس» يكتشف الأراضي في سان سلفادور (جزيرة واتلينغ).
- 1493:** الثالث من مايو / أيار، صدور مرسوم التقسيم بين إسبانيا والبرتغال، عن البابا ألكسندر السادس.
- 1493:** شهر سبتمبر / أيلول، «كولومبوس» يكتشف جامايكا في رحلته الثانية.
- 1494-1499:** «هيرونيمو دي سانتو ستيفانو»، وهو جنوي، يزور مالابار وساحل كورومانديل، وسيلان وبيغو.
- 1497:** «فاسكو دا غاما» يقترب من الرأس، ويرى ناتال (يوم عيد الميلاد) وموزمبيق، والأراضي في زنجبار، ويعبر إلى كاليكوت.
- 1497:** «جون كابوت» يعيد استكشاف نيوفاوندلاند.
- 1498:** «كولومبوس» - في رحلته الثالثة - يكتشف ترينيداد وأورينوكو.
- 1499:** «أمريكو فسبوتشي» يكتشف فنزويلا.
- 1499:** «بينسون» يكتشف مصب الأمازون، ويقترب من رأس سانت روكي.
- 1500:** «بيدرو كابرال» يكتشف البرازيل، في طريقه إلى كاليكوت.
- 1500:** الخريطة الأولى للعالم الجديد، من «خوان دي لا كوزا».

- 1500:** «كورتيس» ينزل في مصبّ نهر «القديس لورانس»، ويعيد استكشاف إيرادور.
- 1501:** «فسبوتشي» يكتشف السواحل أسفل أمريكا، ويثبت أنّها العالم الجديد.
- 1501:** «تريستان دي أكونها» يكتشف جزيرته.
- 1501:** «خوان دي نوفا» يكتشف جزيرة أسينسيون.
- 1502:** «بيرموديز» يكتشف جزره.
- 1502-1504:** «كولومبوس» - في رحلته الرابعة - يستكشف هندوراس.
- 1503-1508:** سفريات «لودوفيكو دي فارثيما» في الهند.
- 1505:** «ماسكارينهاس» يكتشف جزر بوروبون وموريشيوس.
- 1507:** «مارتن فالديسمولر» يقترح تسمية أمريكا بـ «العالم الجديد»، في كوزموغرافيته.
- 1509:** زيارة «لوبيز دي سكويرا» إلى جزر الملوك.
- 1512:** جزر الملوك، أو جزر التوابل، التي زارها «فرانسيسكو سيراو».
- 1513:** طبعة «ستراسبورغ بطليموس» تحتوي على عشرين خريطةً جديدةً من «والديسمولر»، وتشكيل أوّل أطلس حديث.
- 1513:** «بونس دي ليون» يكتشف فلوريدا.
- 1513:** «فاسكو نونيز دي بالبوا» يعبر برزخ بنما، ويشاهد المحيط الهادئ.
- 1517:** «سيباستيان كابوت» يكتشف خليج هدرسون.
- 1517:** «خوان دياز دي سوليس» يكتشف ريو دي لابلاتا، ويُقتل في جزيرة مارتن غارسيا.
- 1518:** «غريجالفا» يكتشف المكسيك.
- 1519:** «فرناندو كورتيز» يغزو المكسيك.
- 1519:** «فرناندو ماجلان» يبدأ بالدوران حول الكرة الأرضية.
- 1519:** «غوراي» يستكشف الساحل الشمالي لخليج المكسيك.
- 1520:** «شونر» العالم الثاني.
- 1520:** «ماجلان» يرى مونتي فيديو، ويكتشف باتاغونيا وتيرا ديل فويغو، ويتجول في المحيط الهادئ.

- 1520-1526:** «ألفاريز» يستكشف السودان.
- 1521:** «ماجلان» يكتشف جزر لادرونيز (مارياناس)، ويُقتل في الفيليبين.
- 1522:** «فيكتوريا»، سفينة «ماجلان»، بقيادة «سيباستيان ديل كانو»، تصل إلى إسبانيا، بعدما دارت حول الكرة الأرضية لثلاث سنوات.
- 1524:** «فيرازانو»، وتحت خدمة الملك الفرنسي، يُبحر من كيب فير إلى نيو هامبشاير.
- 1527:** «سافيدرا» يُبحر من الساحل الغربي للمكسيك إلى جزر الملوك.
- 1529:** خطّ ترسيم الحدود بين الإسمان والبرتغاليين، وتثبيتها عند 17° شرق جزر الملوك.
- 1531:** «فرانسيسكو بيزارو» يغزو بلاد البيرو.
- 1532:** «كورتيز» يزور كاليفورنيا.
- 1534:** «جاك كارتيه» يستكشف نورس ونهر سانت لورانس.
- 1535:** «دييغو دي ألماغرو» يغزو تشيلي.
- 1536:** «غونزالو بيزارو» يعبر جبال الأنديز.
- 1537-1558:** «فريدناند منديز بيتو» يسافر إلى الحبشة والهند وأرخبيل الملايو، والصين، واليابان.
- 1538:** «جيرهارد مركاتور» يبدأ مسيرته في الجغرافيا.
- 1539:** «فرانشيسكو دي أولوا» يستكشف خليج كاليفورنيا.
- 1541:** «أوريانا» يُبحر أسفل الأمازون.
- 1542:** «روي لوبيز دي فيلالوبوس» يكتشف الفيليبين الجديدة، وجزر غاردين، وجزر البليو، ويأخذ ملكية الفيليبين لإسبانيا.
- 1542:** «كابريلو» يصل إلى كيب ميندوسينو.
- 1542:** «أنطونيو دي موتا»، أول من زار اليابان.
- 1542:** «غايتانو» يشاهد جزر ساندويتش.

- 1543:** «أورتيز دي ريتيس» يكتشف غينيا الجديدة.
- 1544:** كوزموغرافيا «سيباستيان».
- 1549:** «باريتو» و«هوميرا» يستكشفان الزامبيزي الأدنى.
- 1553:** السير «هيو ويلوغبي» يحاول المرور شمال شرق الرأس الشمالي، ويشاهد نوافيا زيميليا.
- 1554:** «ريتشارد المستشار»، و«القبطان يلوغبي» يصلان إلى جزر الملائكة، ويسافران براً إلى موسكو.
- 1556-1572:** «أنطونيو لايرس» يُنشر في روما.
- 1558:** «أنتوني جينكينسون» يسافر من موسكو إلى بخارى.
- 1567:** «ألفارو ميندانا» يكتشف جزر سليمان.
- 1572:** «خوان فرنانديز» يكتشف جزيرته، وسانت فيليكس، وجزر القديس أمبروسيوس.
- 1573:** «أبراهام أورتيوس» ينشر أطلسه Teatrum Orbis Terrarum.
- 1576:** «مارتن فروبيشر» يكتشف خليجه.
- 1577-1579:** «فرانسيس دريك» يدور مبحراً حول العالم، ويستكشف الساحل الغربي لأمريكا الشمالية.
- 1579:** «بيرماك تيموفيف» يستولي على سيبير وعلى الإيرتيش.
- 1580:** الهولنديون يستقرون في غيانا.
- 1586:** «جون ديفيس» عبر مضيقه، ووصله إلى خط العرض  $72^{\circ}$  N.
- 1590:** «باتيل» يزور الكونغو الأدنى.
- 1592:** الكرة الأرضية المجسمة مولينوكس.
- 1592:** «خوان دي فوكا» يتصور أنه اكتشف البحر الكبير في شمال غرب أمريكا الشمالية.
- 1596:** «ويليام بارنتز» يكتشف سبيتزبرجين، ويصل إلى خط العرض  $80^{\circ}$  N.

- 1596:** «بايز» يجتاز القرن الأفريقي، ويزور منبع النيل الأزرق.
- 1598:** «مندانة» يكتشف جزر ماركيساس.
- 1598:** «هاكلويت» ينشر ملاحظته الرئيسة.
- 1599:** وصول «هوتمان» إلى أشين، في سومطرة.
- 1603:** «ستيفن بينيت» يكتشف جزيرة شيري، 13، 74° شمالاً.
- 1605:** «لويس فيس دي توريس» يكتشف مضيقه.
- 1606:** «كيروس» يكتشف تاهيتي والساحل الشمالي الشرقي لأستراليا.
- 1608:** «شامبلين» يكتشف بحيرة أونتااريو.
- 1609:** «هنري هدسون» يكتشف نهريه.
- 1610:** «هدسون» يمرّ عبر مضيقه في خليجه.
- 1611:** «جان ماين» يكتشف جزيرته.
- 1615:** «لومير» يدور حول كيب هورن (هورن)، ويرى بريطانيا الجديدة.
- 1616:** «ديرك هارتوغ» يُبحر غرب ساحل أستراليا، ويصل إلى 27°.
- 1616:** «بافن» يكتشف خليجه.
- 1618:** «جورج تومبسون»، تاجرٌ بربري، يُبحر في غامبيا.
- 1619:** «إيديل» و«هتمان» يُبحران غرب ساحل أستراليا، إلى 32-1 / 2° S (أرض إيديل).
- 1622:** السفينة الهولندية تصل إلى ليوين، جنوب غرب أستراليا.
- 1623:** «لوبو» يستكشف الحبشة.
- 1627:** «بيتر نويتس» يكتشف أرخبيله.
- 1630:** خطّ الزوال الأوّل من خطّ الطول، يثبت في فيرو، في جزر الكناري.
- 1631:** «فوكس» يستكشف خليج هدسون.
- 1638:** نشر أطلّس «ويليام جانزون بلاو».



- 1639:** «كوبيلوف» يعبر سيبيريا إلى الساحل الشرقي.
- 1642:** اكتشاف «أبيل جانسن تاسمان» أرض «فان ديمن لاند» (تسمانيا) و«ستاتن لاند» (نيوزيلندا).
- 1642:** «واسيلي بوجاركوف» يتتبع مسار أمور.
- 1643:** «هندريك براور» يحدد نيوزيلندا.
- 1643:** «تسمان» يكتشف فيجي.
- 1645:** «مايكل ستادوشين» يصل إلى كوليماء.
- 1645:** نشر أطلس «نيكولاس سانسون».
- 1645:** بعثة الكبوشيين الإيطالية تستكشف الكونغو الأدنى.
- 1648:** القوزاقي «ديشينف» يُبحر بين آسيا وأمريكا.
- 1650:** «ستادوشين» يصل إلى أنادير، ويلتقي «ديشينف».
- 1682:** «لا سال» ينزل في الميسيسيبي.
- 1696:** الروس يصلون إلى كامتشاتكا.
- 1699:** «دامبير» يكتشف مضيقه.
- 1700:** خرائط «ديليس».
- 1701:** «سينوبوف» يصف أرض تشوكتيس.
- 1718:** الخريطة اليسوعية للصين وشرق آسيا، التي نشرها الإمبراطور «كانغ هاي».
- 1721:** «هانز إيجيدي» يعيد استيطان غرينلاند.
- 1731:** «هادلي» يخترع آلة السدس.
- 1731:** «كرويشيف» يُبحر حول كامتشاتكا.
- 1731:** «بولوتسكي» يسافر حول الزاوية الشمالية الشرقية من سيبيريا.
- 1735-1737:** «موبرتويس» يقيس جزءاً من خطّ الزوال.
- 1739-1744:** اللورد «جورج أنسون» يحرك العالم.

- 1740:** «فارين دي لا فيرانديري» يكتشف جبال روكي.
- 1741:** «بيرينغ» يكتشف مضيقه.
- 1742:** «تشيلوسكين» يكتشف رأسه.
- 1743-1744:** «لا كوندامين» يستكشف الأمازون.
- 1745-1761:** «بورغينيون دانفيل» ينتج خرائطه.
- 1761-1767:** مسوحات «كارستن نيبور» العربية.
- 1764:** «جون بايرون» يدرس جزر فوكلاند.
- 1765:** «هاريسون» يهيئ الكرونوميتر.
- 1767:** ظهور أول تقويم بحري.
- 1768:** «كارتيريت» يكتشف جزيرة بيتكيرن، ويبحر عبر قناة سانت جورج، بين بريطانيا الجديدة وإيرلندا الجديدة.
- 1768-1771:** الرحلة الأولى لـ «الكابتن كوك»، وفيها يكتشف نيوزيلندا والساحل الشرقي لأستراليا؛ ويمرّ عبر مضيق توريس.
- 1769-1771:** «هيرن» يتتبع نهر كوبيرمين.
- 1769-1771:** «جيمس بروس» يكتشف مصدر النيل الأزرق في الحبشة.
- 1770:** «لياخوف» يكتشف جزر سيبيريا الجديدة.
- 1771-1772:** «بالاس» يقوم بمسح غرب وجنوب سيبيريا.
- 1776-1779:** الرحلة الثالثة لـ «الكابتن كوك»، يمسخ خلالها شمال غرب الممر؛ ويكتشف أوهيهي (هاواي)، حيث قُتل.
- 1785-1788:** «لابروز» يقوم بمسح الساحل الشمالي الشرقي من آسيا واليابان، ويكتشف ساجالين، ويستكمل تعيين المحيط.
- 1785-1794:** «بيلينغز» يقود الاستطلاعات لشرق سيبيريا.
- 1787-1788:** «اليسيس» يقوم بمسح كامتشاتكا، ويعبر العالم القديم من الشرق إلى الغرب.
- 1788:** تأسيس الجمعية الأفريقية.

- 1789-1793:** «ماكزوي» يكتشف نهريه، ويكون أول من يعبر أمريكا الشمالية.
- 1792:** «فانكوفر» يستكشف جزيرته.
- 1793:** «براون» يصل إلى دارفور، ويذكر وجود النيل الأبيض.
- 1796:** «مونغو بارك» يصل إلى النيجر.
- 1796:** «لاسيردا» يستكشف موزمبيق.
- 1797:** «باس» يكتشف مضيقه.
- 1799-1804:** «ألكسندر فون همبولدت» يستكشف أمريكا الجنوبية.
- 1804-1804:** «لويس» و«كلارك» يستكشفان حوض ميسوري.
- 1800-1804:** فليندرس: أرسى على الساحل الجنوبي لقارة أستراليا.
- 1805-1807:** «بايك» يستكشف البلاد بين مصادر الميسيسيبي والنهر الأحمر.
- 1810-1829:** «مالت بران» تنشر له جيوغرافيك ونيفرزيل.
- 1814:** «إيفانز» يكتشف نهري لاشلان وماكواري.
- 1816:** «الكابتن سميث» يكتشف جنوب جزر شتلاند.
- 1817-1820:** «سبيكس» و«مارتيوس» يستكشفان البرازيل.
- 1817:** الطبعة الأولى من أطلس «ستايلر».
- 1817-1822:** كابتن الملك يرسم خط الساحل الأسترالي.
- 1819-1822:** «فرانكلين» و«باك» و«ريتشاردسون» يحاولون المرور نحو الشمال الغربي، عن طريق البر.
- 1819:** «باري» يكتشف مضيق لانكستر، ويصل إلى 114 غرباً.
- 1820-1823:** «ورانجيل» يكتشف أرضه.
- 1821:** «بيلينوسن» يكتشف جزيرة بيتر ومعظم الأراضي الجنوبية، ثم تلك المعروفة.
- 1822:** «دينهام» و«كلايرون» يكتشفان بحيرة تشاد، ويزوران سوكتو.
- 1822-1823:** «سكوريبي» يستكشف ساحل شرق جرينلاند.

- 1823:** «ويديل» يصل إلى 15, 74° س.
- 1826:** اغتيال «الرائد لينغ» في تيمبوكتو.
- 1827:** «باري» يصل إلى 45, 82° شمالاً.
- 1827:** «رينيه كايلى» يزور تيمبوكتو.
- 1828-1831:** «الكابتن ستيرت» يتتبع نهري دارلينج وموراي.
- 1829-1833:** «روس» يحاول المرور شمال غرب، ويكتشف بوثيا فيليكس.
- 1830:** تأسيس الجمعية الجغرافية الملكية التي اتحدت في العام التالي مع الجمعية الأفريقية.
- 1831-1835:** «شكومبرجك» يستكشف غايانا.
- 1831:** «الكابتن بيسكو» يكتشف أرض إندربي.
- 1833:** «باك» يكتشف نهر السمك العظيم.
- 1835-1849:** «جونغهن» يستكشف جاوا.
- 1837:** «تاسمان سيمبسون» يُبحر على طول الساحل شمال أمريكا، حوالي 1277 ميلاً.
- 1838-1840:** «وود» يستكشف مصادر نهر أوكسوس.
- 1838-1840:** «دومونت دي أورفيلي» يكتشف أرض «لوي-فيليب لاند»، و«أديلي لاند».
- 1839:** «باليني» يكتشف جزيرته.
- 1839:** «كونت سترزليكي» يكتشف أرض جيبس.
- 1840:** «الكابتن ستيرت» يسافر وسط أستراليا.
- 1840-1842:** «جيمس روس» يصل إلى 10, 78°، ويكتشف فيكتوريا لاند، والبركانين إريبوس وتيرورس.
- 1841:** عبور إير جنوب غرب أستراليا.
- 1842-1862:** صدور منشورات «آدم فرانسوا جومارد» الجغرافية.
- 1843-1847:** «كونت كاستلناو» يتتبع مصدر نهر باراغواي.
- 1844:** «ليتشاردت» يستكشف جنوب أستراليا.

- 1845:** «هوك» يستكشف التبت.
- 1845:** «ميتلونجن بيتمان» تُنشر للمرة الأولى.
- 1845-1847:** رحلة «فرانكلين» الأخيرة.
- 1846:** الطبعة الأولى من الأطلس التاريخي.
- 1847:** «جون راي» يربط خليج هدسون بالساحل الشرقي في بوثيا.
- 1848:** «ليشاردت» يحاول اجتياز أستراليا، ويختفي.
- 1849-1856:** «ليفينغستون» يتتبع الزامبيزي، ويعبر جنوب أفريقيا.
- 1850-1854:** «مكلور» ينجح في الممرات الشمالية الغربية.
- 1850-1855:** «بارث» يستكشف السودان.
- 1853:** «الدكتور كين» يستكشف مضيق سميث.
- 1854:** «جون راي» يستمع إلى أخبار بعثة «فرانكلين» من الإسكيمو.
- 1854-1865:** «فيدهيرب» يستكشف سينغامبيا.
- 1856-1875:** «الإخوة سكلاجنوت» يعبرون جبال الهيمالايا والتبت وكوين لون.
- 1856-1859:** «دو تشايلو» يسافر في وسط أفريقيا.
- 1857-1859:** «مكلينتوك» يكتشف بقايا رحلة «فرانكلين»، ويستكشف أرض الملك ويليام.
- 1858:** «برتون» و«سبيك» يكتشفان بحيرة تنجانيقا، و«سبيك» يرى بحيرة فيكتوريا نيانزا.
- 1858-1864:** «ليفينغستون» يتتبع بحيرة نياسا.
- 1859:** «فاليخانوفت» يصل إلى كاشغار.
- 1860:** «بورك» يسافر من فيكتوريا إلى كاربنتاريا.
- 1860:** «غرانت» و«سبيك» العائدان من بحيرة فيكتوريا نيانزا، يلتقيان «بيكر» خارج النيل.
- 1861-1862:** «جون مكداول ستوارت» يعبر أستراليا، من الجنوب إلى الشمال.
- 1863:** «بالغراف» يستكشف وسط وشرق شبه الجزيرة العربية.
- 1864:** «بيكر» يكتشف بحيرة ألبرت نيانزا.

- 1868:** «نوردنسكيولد» يصل إلى أعلى نقطة له في غرينلاند، 81, 42°.
- 1868-1871:** «ناي إلياس» يجتاز منتصف الصين.
- 1868-1874:** «جون فورست» يخترق أستراليا من غربها إلى وسطها.
- 1869-1871:** «شفاينفورت» يستكشف جنوب السودان.
- 1869-1874:** «ناختيغال» يستكشف شرق تشاد.
- 1870:** «فيدشينكو» يكتشف ترانسلاي، شمال بامير.
- 1870:** «دوغلاس فورسيث» يصل إلى يركند.
- 1871-1888:** الاسكتشافات الأربعة لغرب الصين، من قبل «بريفالسكي».
- 1872-1873:** «باير» و«ويرشت» يكتشفان أرض «فرانز جوزيف».
- 1872-1876:** «هـ. تشالنجر» يفحص قاع المحيط.
- 1872-1876:** «إرنست جايلز» يعبر شمال غرب أستراليا.
- 1873:** «العقيد واربورتون» يعبر أستراليا، من الشرق إلى الغرب.
- 1873:** «ليفينغستون» يكتشف بحيرة مويرو.
- 1874-1874:** «ليوت كامرون» يعبر أفريقيا الإستوائية.
- 1875-1894:** «إليزيه ريكلوس» تُنشر له الجغرافيا العالمية.
- 1876:** «ألبرت مركام» يصل إلى النقطة 83, 20° شمالاً، في حملة «ناريس».
- 1876-1877:** «ستانلي» يتتبع مسار الكونغو.
- 1878-1882:** «كريشنا» يتتبع مسار اليانغتسي، وبيكونغ، وبراها بوترا.
- 1878-1879:** «نوردنسكيولد» يحلّ مشكلة ممر الشمال الشرقي على طول الساحل الشمالي من سيبيريا.
- 1878-1884:** «جوزيف طومسون» يستكشف الشرق ووسط أفريقيا.
- 1878-1885:** «سيربا بيتو» يعبر أفريقيا مرتين.
- 1879-1882:** «جانيت» يمرّ عبر مضيق بيرنغ إلى مصب نهر لينا.

- 1880:** «لي سميث» يستعرض الساحل الجنوبي لأرض فرانز جوزيف.
- 1880-1882:** «بونفالوت» يخترق البامير.
- 1881-1887:** «فيسمان» يعبر أفريقيا مرتين، ويكتشف الروافد اليسرى للكونغو.
- 1883:** «وكوود»، من بعثة «غريلي»، يصل إلى 83,23 °N، الرأس الشمالي لغرينلاند.
- 1886:** «فرانسيس غارنييه» يستكشف مجرى نهر ميكونغ.
- 1887:** «يانغ هوسباند» يسافر من بيكين إلى كشمير.
- 1887-1889:** «ستانلي» يقوم ببعثة إغاثة «أمين باشا» في أفريقيا، ويكتشف قبيلة الأقزام، وجبال القمر.
- 1888:** «نانسن» يعبر غرينلاند من الشرق إلى الغرب.
- 1888-1889:** «الكابتن بينغر» يتتبع منحني النيجر.
- 1889:** «الإخوة غريميللو» يستكشفون تركستان الصينية.
- 1889-1890:** «بونفالوت» و«الأمير هنري أورليان» يجتازان التبت.
- 1890:** «سيلوس» و«جيمسون» يستكشفان ماشونالاند.
- 1890:** «السير جورج ماكجريجور» يعبر غينيا الجديدة.
- 1891-1892:** «مونتيل» يعبر من السنغال إلى طرابلس.
- 1892:** «بيري» يثبت جزيرة غرينلاند.
- 1893:** «السيد والسيدة ليتل دالي» يسافران عبر آسيا الوسطى.
- 1893-1897:** «الدكتور سفين هيدين» يستكشف تركستان الصينية والتبت، ومنغوليا.
- 1893-1897:** «الدكتور نانسن» يعبر المحيط المتجمد الشمالي في فرام، ويصل لأقصى الشمال (86,14 °N).
- 1894-1895:** «بورشغريفينك» يزور القارة القطبية الجنوبية.
- 1894-1896:** «جاكسون هارمزورث» يقود حملة في أراضي المنطقة القطبية الشمالية.

- 1896:** «الكابتن بوتيجو» يستكشف أرض الصومال.
- 1896:** «دونالدسون سميث» يتتبع بحيرة رودولف.
- 1896:** «الأمير هنري دي أورليانز» يسافر من تونكين إلى مورو.
- 1897:** «الكابتن فوا» يخترق جنوب أفريقيا، من الجنوب إلى الشمال.
- 1897:** «كارنيجي» يعبر غرب أستراليا، من الجنوب إلى الشمال.



## المصادر والمراجع

## أولاً: المراجع الأجنبية التي اعتمد عليها المؤلف

- A. F. Calvert, Discovery of Australia, 1893. Exploration of Australia, 1895. Early Voyages to Australia, Hakluyt Society.
- Beazeley, Prince Henry the Navigator, 1895.
- Brown, The Story of Africa, 4 vols., 1894.
- Bunbury, History of Ancient Geography, 2 vols., 1879.
- C R. Beazley, Dawn of Geography, 1897, and Introduction to Prince Henry the Navigator, 1895. Nordenskiöld, Feriplus, 1897.
- Cooley and Beazeley, John and Sebastian Cabot, 1898.
- F. Hummerich, Vasco da Gama, 1896.
- Greely, Handbook of Arctic Discoveries, 1896.
- Heyd, Commerce du Levant, 2 vols. 1878.
- Justin Winsor, Christopher Columbus, 1894; Guillemard, Ferdinand Magellan, 1894.
- Kiepert, Beiträge zur Entdeckungsgeschichte Afrikas, 1873.
- Lelewel, Gdographie du Moyen Age, 4 vols, and atlas, 1852.
- Major, Prince Henry the Navigator, 1869.
- Rev. G. Grimm, Discovsry and Exploration of Australia (Melbourne, 1888.
- Scott Keltie, The Partition of Africa, 1896.

- Sir Henry Yule, Cathay and the Way Thither, 1865. The Book of Ser Marco Polo, 1875.
- Tozer, History of Ancient Geography, 1897.
- Winsor, From Cartier to Frontenac; Gelcich, in Mittheilungen of Geographical Society of Vienna, 1892.

## ثانياً: المراجع العربية والأجنبية التي اعتمد عليها المحقق

### 1 - المصادر والمراجع العربية

- إدوارد ريتشارد شو، المكتشفون والمستكشفون، ترجمة: حسين حمد حسين الفقيه (قنديل للنشر، دبي، ٢٠١٧م).
- أطلس العالم الكبير (مكتبة الصغار، بيروت، ١٩٩٩م).
- ج.ج. ساكسون، موسوعة مشاهير العالم، ترجمة: فريد حمدان (دار الصداقة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م).
- خير الدين الزركلي، معجم الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م).
- رينيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة: عبد الرحمن احميدة (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م).
- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م).
- محمد أحمد عقله المومني، عبد علي الخفاف، جغرافية القارات (دار الكندي، إربد، ١٩٩٨م).
- محمد عتريس، معجم بلدان العالم (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م).
- محمد محمود محمددين، الجغرافية والجغرافيون (دار الخريجي، الرياض، ١٤١٧هـ).
- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية (دار رواد النهضة، بيروت، ١٩٩٤م).
- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م).

- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٧م).
- هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتحقيق: عطية القوصي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م).
- ياتسيك ماخوفتسي، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة: أنور محمد إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م).

## 2 - المراجع الأجنبية

- Mark Nuttall. Encyclopedia of the Arctic. Routledge. New York. 2005.
- Albert Van Helden. History of Western Art and Civilization. Connexions. Texas. 2011.
- Thomas Boteler. Narrative of a voyage of discovery to Africa and Arabia. Richard Bentley. London. 1835.

## 3 - الإنترنت والمواقع

- <https://www.ancient.eu>.
- <https://www.marefa.org>.
- <https://www.britannica.com>.
- <http://www.alencyclopedia.net>.
- <https://www.en.wikipedia.org>.
- <http://www.ar.hades-presse.com>.

## المؤلف

جوزيف جاكوبز **Joseph Jacobs** (1854-1916 م): مؤرخ، وكاتبٌ أسترالي، من أصل إنجليزي. ولد في 29 أغسطس/ آب العام 1854م. في مدينة سيدني، وهو الابن السادس للسيد «جون جاكوبز» الذي هاجر من لندن، حوالي العام 1837م، وزوجته هي السيدة «سارة مايرز». التحق «جوزيف» بمدرسة «سيدني غرمار» في العام 1867م، وحصل على جائزة (إدوارد) «نوكس» مرتين، وكان كابتن مدرسته في العام 1871م. في السنة التالية، حصل على منحة دراسية، ودَرسَ الفنون في «جامعة سيدني»، كما نال العديد من الجوائز. كان طالباً موهوباً بشكل استثنائي، فحصل على شهادة البكالوريوس في العام 1876م، وسافر في العام التالي إلى ألمانيا، حيث درس في «جامعة برلين». ومن هذه النقطة فصاعداً، كان «جوزيف جاكوبز» منشغلاً وناشطاً في الأدب والفولكلور، فضلاً عن حملاته ضد المظالم الاجتماعية والتاريخية.

قام بتحرير مجموعة كتب عن الخرافات، وأصبح أحد كتّاب جيله الأكثر شعبيةً لحكايات الأطفال الناطقة باللغة الإنجليزية. كما تولّى تحرير مجلة فولك- لوري وأوراق ومعاملات المؤتمر الدولي للعام 1891م الشعبية في لندن، حتى إنه وضع روايةً عن حياة السيد المسيح. قام السيد «جاكوبز»، وهو متقن للكثير من اللغات، بترجمة أعمالٍ عن اللغات العبرية والإيطالية والإسبانية، وأخرج طبعاتٍ جديدة من كلاسيكيات اللغة الإنجليزية، وقام بتحرير طبعات «ألف ليلة وليلة» أو «الليالي العربية»، وهي مجموعة من القصص الغريبة والجنوبية في آسيا،

وكذلك الحكايات الشعبية التي جُمعت باللغة العربية خلال العصر الإسلامي الذهبي.

في العام 1896 زار «جاكوبز» الولايات المتحدة الأمريكية، لإلقاء محاضرةٍ عن الفلسفة، وأصبح مسجلاً وأستاذ اللغة الإنجليزية في «نيويورك»، قبل أن يتقاعد في العام 1913م.

#### وفاته:

مات «جاكوبز» إثر أزمةٍ قلبيةٍ بمنزله في «يونكرز - نيويورك»، في 30 يناير/ كانون الثاني 1916م، ودُفِنَ في «مقبرة معبد إيمانويل - جبل الأمل»، ولقد تميّز هذا العالم بتنوّع معرفته وقدراته الثقافية.

#### إنتاجاته:

تناولت إنتاجاته العلمية الكثير من مجالاتٍ عديدة، وخصوصاً في التاريخ والأدب والروايات، ولا يتسع المقام لحصرها هنا، لذا نكتفي بعرض بعضها:

- Earliest English Version of the Fables of Bidpai (1888)
- Fables of Aesop (1889)
- English Fairy Tales (1890)
- Celtic Fairy Tales (1891)[a]
- Indian Fairy Tales (1892)
- More English Fairy Tales (1893)[a]
- Studies in Biblical Archaeology (1894)
- More Celtic Fairy Tales (1894)[a]
- Europa's Fairy Book (1916) – also known as European Folk and Fairy Tales

## المترجم

- **حسين حمد حسين الفقيه؛ باحث ومترجم ليبي.**
- عضو هيئة التدريس في جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، كلية التاريخ والآثار - قسم الحضارة.
- ولد في مدينة «قصر ليبيا»، بتاريخ 5 أكتوبر / تشرين الأول 1969م.
- حاصل على البكالوريوس في التاريخ، والماجستير في التاريخ الإسلامي، من جامعة قاريونس.
- يعمل في التدريس منذ العام 2012م.

### إنتاجاته:

- «المكتشفون والمستكشفون»، كتاب مترجم، من تأليف «إدوارد ريتشارد شو»، نشرته قنديل للنشر، الإمارات العربية المتحدة؛ دبي - 2017م.
- بحث تاريخي بعنوان «الشُّطَّار والعَيَّارين في الدولة العباسية»، 2013 م.
- بحث تاريخي بعنوان «انتقال إقليم قوريناوية من السيطرة البيزنطية إلى الحكم الإسلامي»، 2013 م.
- بحث تاريخي بعنوان «إسهامات الجراحين المسلمين في علم الجراحة الحربية»، 2016 م.
- تاريخ العلوم التطبيقية في الحضارة الإسلامية، قنديل للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دبي - 2018.
- حاصل على وسام «باحث مبادر»، من منصة (أريد) العلمية، عن مجموعة البحوث والمشاركات المقدمة.